



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

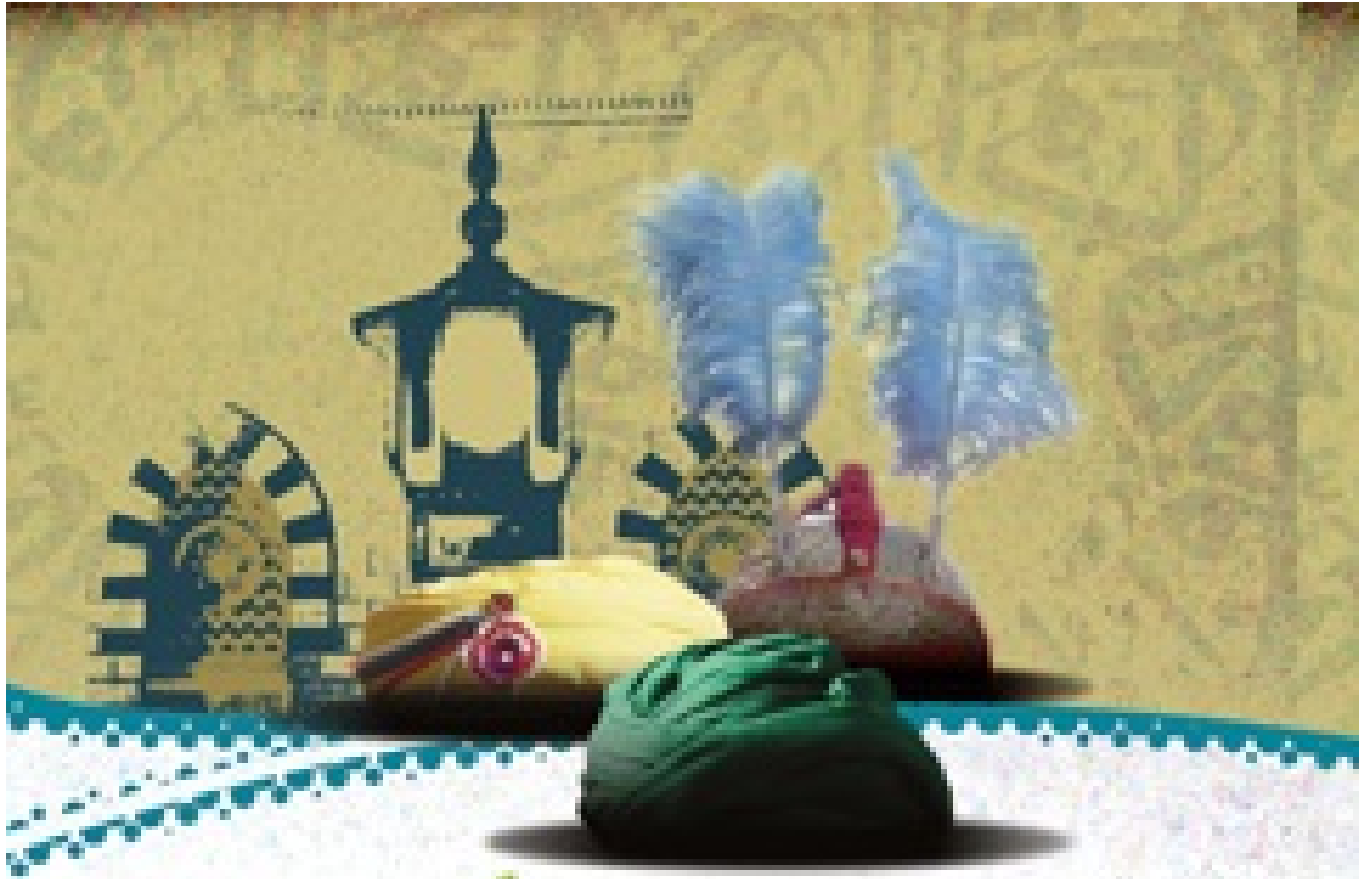
اصبحان

للغافل



عليكم يا صابريين
الربما

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



تخصيات من الحرمين الشريفين

مجموعة من الباحثين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شخصيات من الحرمین الشریفین: مجموعہ من الباحثین

کاتب:

مرکز تحقیقات حج

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

| | |
|----|--|
| ٥ | الفهرس |
| ٢٢ | شخصيات من الحرمین الشریفین: مجموعہ من الباحثین |
| ٢٢ | اشارہ |
| ٢٢ | اشارہ |
| ٢٦ | مقدمہ |
| ٢٨ | (١) عثمان بن مظعون |
| ٢٨ | اشارہ |
| ٣١ | إسمه ونسبه وصفته |
| ٣٢ | ولادته |
| ٣٢ | تحريمه الخمر في الجاهليته |
| ٣٣ | التسميه بعثمان |
| ٣٤ | أسرته |
| ٣٤ | إسلامه |
| ٣٥ | الآيات النازله في عثمان |
| ٣٧ | وصف أمير المؤمنين (ع) لعثمان |
| ٣٨ | تعذيب قريش لعثمان وهجرته وزهده |
| ٤٤ | مؤاخاته واشتراكه في بدر |
| ٤٥ | عثمان والروايه |
| ٤٥ | عبادته واجتهاده واعتزاله النساء وحيأؤه |
| ٤٦ | الرهبانيه والسياحه والتبتل |
| ٤٨ | شعره |
| ٤٩ | وفاته |
| ٥٥ | المراجع: |
| ٥٨ | وراجع أيضاً من مصادر ترجمته مما لم ننقل عنها: |

- ٦١ (٢) عبدالله بن مسعود و رحله الإيمان المباركه
- ٧٩ (٣) مقداد بن الأسود الكندى إيمان، مواقف
- ٧٩ اشاره
- ٨٨ ومما قاله رسول الله (ص) وما سمعته منه: في
- ٨٨ ومما سمعه منه (ص)
- ٩٠ من أحاديثي
- ٩١ عدتُ فيما كتبت إلى ما تيسر لي من مصادر وهي
- ٩٢ (٤) حمزه بن عبدالمطلب
- ٩٢ اشاره
- ٩٣ إسمه ونسبه وكنيته
- ٩٤ معنى حمزه في اللغة
- ٩٥ ولادته و وفاته
- ٩٥ نشأه سيدنا حمزه بن عبد المطلب الأولى
- ٩٦ العلاقه بن حمزه ومحمد(ص)
- ٩٧ إسلام حمزه في الميزان
- ٩٨ ملازمه حمزه للرسول وعدم هجرته إلى الحبشه
- ٩٨ حمزه والهجره إلى المدينه
- ٩٩ شخصيه حمزه العسكريه
- ١٠٠ مشاركته حمزه في الغزوات الأولى
- ١٠١ سريه حمزه بن عبد المطلب
- ١٠٢ مقتل حمزه بن عبد المطلب
- ١٠٣ تاريخ قتل حمزه بن عبد المطلب
- ١٠٣ بكاء النبي(ص) على حمزه بن عبد المطلب
- ١٠٤ ذكر غسل الملائكه حمزه
- ١٠٤ ذكر وصيته
- ١٠٤ حمزه يطلب من الرسول(ص) أن يشرفه الله برؤيه جبريل

- ١٠٥ ----- ذكر أنه أسد الله ورسوله -
- ١٠٥ ----- ذكر أنه خير أعمام النبي(ص) -
- ١٠٥ ----- ذكر أنه سيد الشهداء -
- ١٠٥ ----- شهاده النبي(ص) له بالجنه -
- ١٠٦ ----- حمزه أحد نجباء الرسول(ص) -
- ١٠٦ ----- اعتزاز علي بن أبي طالب(ع) بعمه حمزه -
- ١٠٦ ----- علي (ع) لا يفارق ذكر حمزه -
- ١٠٧ ----- حديث الرسول(ص) على قبر حمزه -
- ١٠٧ ----- حمزه في عالم الشعراء -
- ١٠٧ ----- في ذكر أوصافه -
- ١١١ ----- (٥) عبدالله بن عباس -
- ١١١ ----- اشاره -
- ١١٢ ----- صفته -
- ١١٢ ----- من دعاء رسول الله(ص) له -
- ١١٣ ----- قالوا فيه -
- ١١٣ ----- من أقواله في نفسه -
- ١١٣ ----- من حكمه وأقواله -
- ١١٤ ----- ومن طريف أقواله -
- ١١٦ ----- ما قيل فيه من شعر -
- ١١٨ ----- من وصاياه -
- ١١٨ ----- حياته -
- ١٢٥ ----- دفته العلميه -
- ١٢٥ ----- ابن عباس مفسراً -
- ١٢٩ ----- ابن عباس والوضاعون -
- ١٣٢ ----- ابن عباس وبيت مال البصره -
- ١٣٤ ----- التهم الموجهه لابن عباس -

- ١٤٠ الكشى وابن عباس
- ١٤٢ وفاته
- ١٤٢ المصادر
- ١٤٤ (٤) جعفر الطيار
- ١٤٤ اشاره
- ١٤٧ نسبه ولقبه وكناه
- ١٤٩ إخوته
- ١٤٩ زوجته وأولاده
- ١٤٩ إسلامه
- ١٥١ صفاته
- ١٥٢ الهجره
- ١٥٧ أما لما ذا جعفر؟!
- ١٦٠ أما لما ذا الحبشه؟!
- ١٦١ شجاعته واستشهاده
- ١٦٤ عمره
- ١٦٥ صلاه جعفر
- ١٦٦ قالوا فيه
- ١٧٥ (٧) أم المؤمنين خديجه (عليها السلام)
- ١٧٥ اشاره
- ١٧٦ عمرُ خديجه
- ١٨١ الزواج المبارك
- ١٨٤ إسلامها
- ١٨٨ فى شعب أبى طالب
- ١٨٩ مكانتها فى قلب الرسول (ص)
- ١٩١ أما ما ورد فيها عن رسول الله (ص)
- ١٩٢ عام الحزن

- ١٩٣ (٨) عمار بن ياسر
- ١٩٣ اشاره
- ١٩٥ صفاته
- ١٩٦ إسلامه
- ١٩٧ أقوال النبي (ص) في آل ياسر
- ١٩٩ عمار وآيات قرآنيه
- ٢٠٥ صفحات أخرى من حياته المباركه
- ٢٠٨ مروياته
- ٢٠٩ من دعائه وأقواله الأخرى
- ٢١١ البشاره والشهاده
- ٢١٩ (٩) أم سلمه
- ٢١٩ اشاره
- ٢٢١ في بيت كريم
- ٢٢٩ رحيل «أبو سلمه»
- ٢٣٠ الزواج المبارك
- ٢٣٣ حبها للجهد
- ٢٣٣ منزلها مهبط الوحي
- ٢٣٥ أبو لبابه الأنصاري
- ٢٣٧ الرشيد الشفيعه الحازمه
- ٢٣٩ الفتنه
- ٢٤٢ علمها وروايتها
- ٢٤٢ ومن روايتها
- ٢٤٥ وفاتها
- ٢٤٧ (١٠) أبوذر الغفاري
- ٢٤٧ اشاره
- ٢٤٩ إسلامه

- ٢٥١ سيرته -
- ٢٥٤ علمه -
- ٢٥٥ رواياته -
- ٢٥٦ دعاء الرسول (ص) له و وصاياه -
- ٢٥٨ أما من وصاياه (ص) الأخرى -
- ٢٥٨ و من أقواله ووصاياه التي تتسم بالحكمة -
- ٢٦٠ مواكبه رسول الله (ص) له -
- ٢٦١ كرمه -
- ٢٦٢ مواقفه -
- ٢٦٥ و من تلك المواقف -
- ٢٦٦ المقاطعه -
- ٢٦٩ المنفى الأخير «الزبده» -
- ٢٧٣ (١١) أبو أيوب الأنصاري -
- ٢٧٣ اشاره -
- ٢٧٥ دعوها إنها مأموره! -
- ٢٧٦ مع روايه الطبرى -
- ٢٧٩ من رواياته -
- ٢٨٠ مكانته -
- ٢٨١ موقفه من معاويه -
- ٢٨٣ دوره فى فتنه الخوارج -
- ٢٨٥ مواقف أخرى -
- ٢٩١ (١٢) خباب بن الأرت -
- ٢٩١ اشاره -
- ٢٩٤ خباب، الأرت، لغة -
- ٢٩٥ نسبه و كنيته -
- ٢٩٧ خباب يصنع السيوف -

- ٢٩٨ إسلامه
- ٢٩٩ إته لمن المعدّبين!
- ٣٠١ آيات ترعاهم
- ٣٠٤ علمه
- ٣٠٤ مآرواه و قاله
- ٣٠٧ موقف خالد
- ٣٠٨ الكوفه
- ٣٠٩ بعض ماقاله فيه علماء الرجال
- ٣٠٩ وفاته رضوان الله عليه
- ٣١٠ الإمام على (ع) مؤنناً
- ٣١٣ (١٣) بلال
- ٣١٣ اشاره
- ٣١٥ صفاته
- ٣١٤ بلال و أمته
- ٣١٨ المؤاخاه
- ٣١٩ الثله المعدّبه وآيات قرآنيه
- ٣٢١ ومن الآيات التي نزلت فيهم
- ٣٢٥ مكانته عند رسول الله(ص) و المؤمنین
- ٣٢٧ رحمتها رحمك الله
- ٣٢٧ ذرني أذهب إلى الله
- ٣٢٨ بلال المؤذن و أجره العظيم
- ٣٢٩ من صفاته الجميله: الصدق و التواضع
- ٣٣٠ مواقف تغيضهم
- ٣٣١ الجزاء العادل
- ٣٣٣ بلال و الفاجعه الكبرى
- ٣٣٥ بلال عند علماء الرجال و الحديث

- و ختاماً ٣٤٠
- (١٤) أبوطالب ٣٤٢
- إشاره ٣٤٢
- بنوهاشم ٣٤٢
- أبوطالب والنور اليتيم ٣٤٣
- اسمه ٣٤٥
- ألقابه ٣٤٥
- كنيته ٣٤٥
- صفاته ٣٤٦
- أبوه ٣٤٦
- أمه ٣٤٩
- زوجته ٣٤٩
- أولاده ٣٥١
- أبوطالب و رسول الله (ص) ٣٥١
- فأته يحسن بشرفا! ٣٥٣
- الكفاله المباركه ٣٥٣
- و صحبه! ٣٥٥
- مأجمل كلامك يا أباطالب و أعظمه! ٣٥٦
- إظهار الدين الجديد ٣٥٧
- وفود قريش ٣٥٨
- وفد قريش الأول ٣٥٨
- وفد قريش الثانى ٣٥٨
- وفد قريش الثالث ٣٥٩
- أبوطالب والموقف القرشى ٣٥٩
- أبوطالب والحصار فى الشعب ٣٦٠
- الصحيفه و مآلت إليه ٣٦٠

- أبو طالب يستحث قومه - ٣٦٥
- الوصيه الأخيره - ٣٦٥
- وفاه أبى طالب - ٣٦٨
- أبا طالب عصمه المستجير - ٣٧٠
- مما قالوا - ٣٧٢
- أبو طالب ضحيت مؤامره قدره! - ٣٧٣
- بدايتها: - ٣٧٣
- إنّ هذا لشي عجاب - ٣٧٧
- إذ يتنازعون بينهم أمرهم - ٣٧٨
- وإن تعجب فعجب قولهم - ٣٧٩
- أين تقف روايه ابن سعد؟! - ٣٨٠
- إذن - ٣٨٠
- و ختاماً - ٣٨١
- الكتب العربيه المطبوعه : - ٣٨١
- ومن الكتب العربيه المخطوطه : - ٣٨٤
- (١٥) سعد بن معاذ - ٣٩٣
- اشاره - ٣٩٣
- قضه إسلامه (رجل أسلم فأسلم معه قومه) - ٣٩٥
- مناقب و صفات - ٣٩٧
- سعد وحبّه لأهل البيت: - ٣٩٩
- ابن معاذ ، موضع مشوره النبيّ (ص) - ٤٠١
- موقفه الواعى من أسرى بدر - ٤٠٣
- سعد و معركة أحد - ٤٠٤
- سعد و الأحزاب - ٤٠٦
- دعاء مستجاب - ٤٠٧
- الجزاء العادل - ٤٠٨

- ٤١٠ خيانتهم
- ٤١٣ رحيله رضوان الله عليه
- ٤٢٢ (١٦) جابر بن عبدالله الأنصاري
- ٤٢٢ اشاره
- ٤٢٤ بيعته
- ٤٢٧ معركة الخندق في أحاديثه
- ٤٢٧ شاه و مُدِّ من شعير
- ٤٣١ من دعاء رسول الله (ص) يوم الأحزاب
- ٤٣٢ آيات قرآنيه
- ٤٣٣ سُدْرِكِ رجلاً...!
- ٤٣٥ يأتيه يتعلم منه
- ٤٣٧ جابر و علماء الرجال
- ٤٣٨ و عن ولائه لأهل البيت: قال بعض علماء الرجال
- ٤٣٨ في أسباب النزول
- ٤٤١ ممّا علّمه رسول الله (ص)
- ٤٤٢ علمه
- ٤٤٣ بعض مارواه
- ٤٤٤ أحاديث الشفاعة عند أهل السنّه
- ٤٤٥ في المتعه
- ٤٤٥ و عن حرمة القتال في الشهر الحرام
- ٤٤٦ و في قتل الحر والعبد
- ٤٤٦ ممّا قاله ورواه أيضاً
- ٤٤٧ من مواقفه
- ٤٤٨ ولاؤه لعليّ و لأهل البيت:
- ٤٤٨ أول زائر
- ٤٥١ وفاته رضوان الله عليه

- ٤٥٣ (١٧) عبدالله بن رواحه
- ٤٥٣ اشاره
- ٤٥٥ إسلامه
- ٤٥٨ و متفاله رسول الله (ص) فيه
- ٤٥٩ ابن رواحه و آيات قرآنيه
- ٤٦١ ابن رواحه ثالث ثلاثه شعراء
- ٤٦٦ هذا لعمري من معاريض الكلام...
- ٤٧٠ ابن رواحه في عمره القضاء
- ٤٧٤ من حكمه رضوان الله عليه
- ٤٧٥ موقفان لابن رواحه مع يهود خيبر
- ٤٧٦ ابن رواحه ثالث ثلاثه أمراء!
- ٤٧٦ «هي إن شاء الله الشهاده!»
- ٤٩٣ (١٨) خزيمه بن ثابت الأنصاري، ذو الشهادتين
- ٤٩٣ اشاره
- ٤٩٤ نسبه
- ٤٩٦ ذو الشهادتين!
- ٤٩٨ وافتخر الأنصار!
- ٥٠٠ رؤيا خزيمه!
- ٥٠١ جمع القرآن
- ٥٠٢ مما رواه
- ٥٠٣ ولاؤه للإمام علي (ع) ولأهل البيت (عليهم السلام)
- ٥٠٣ روايته لحديث الثقلين
- ٥٠٤ هم الأئمه
- ٥٠٥ أذكر علياً وآله
- ٥٠٦ من أوائل المبايعين
- ٥٠٨ في معركه الجمل

- ٥٠٨ ذو الشهادتين وابن الحنفية
- ٥٠٩ شعره يوم الجمل
- ٥١١ ذو الشهادتين وأم المؤمنين
- ٥١١ فى معركة صفين
- ٥١٨ الإمام على (ع) يندب إخوانه ويطرى عليهم ومنهم ذو الشهادتين
- ٥٢٠ ذو الشهادتين فى كتب علماء الرجال
- ٥٢٢ وختاماً
- ٥٢٤ (١٩) حذيفه بن اليمان
- ٥٢٤ اشاره
- ٥٢٤ نسبه
- ٥٢٥ اليمان
- ٥٢٥ إسلام حذيفه
- ٥٢٦ المؤاخاه الواعيه
- ٥٢٧ جهاد ومواقف واعيه
- ٥٢٨ لم يشهد بدرأ!
- ٥٢٨ شهد معركة أحد
- ٥٣٠ و شهد حذيفه معركة الأحزاب
- ٥٣٦ معركة نهاوند وفتوحاته الأخرى
- ٥٣٧ فراسته
- ٥٣٨ حذيفه ودرس الصدقات
- ٥٣٨ ولاؤه و حبه لأهل البيت:
- ٥٤٠ ممارواه
- ٥٤٤ ومما قاله
- ٥٤٥ اختياره الكوفه!
- ٥٤٦ ولايته على المدائن
- ٥٤٨ كلمات من نور

- ٥٥٤ ----- (٢٠) سلمان الفارسي
- ٥٥٤ ----- اشاره
- ٥٥٤ ----- اسمه ونسبه
- ٥٥٤ ----- قصه إسلامه
- ٥٦٣ ----- زوجته
- ٥٦٤ ----- أولاده:
- ٥٦٥ ----- سيرته وفضائله
- ٥٧١ ----- أخلاقه
- ٥٧٢ ----- مواعظه وحكمه
- ٥٧٤ ----- شعره
- ٥٧٤ ----- خطبه
- ٥٧٩ ----- منازل فيه من القرآن
- ٥٨١ ----- مآلقيه من أذى الآخرين
- ٥٨٤ ----- وفاته ومدفنه
- ٥٨٦ ----- (٢١) أسماء بنت عميس
- ٥٨٦ ----- اشاره
- ٥٨٧ ----- نسبها
- ٥٨٨ ----- زواجها
- ٥٨٩ ----- أسماء ، في بلاد الهجره الأولى
- ٥٩١ ----- هجرتها الثانية
- ٥٩١ ----- هي و الخليفه الثاني
- ٥٩٣ ----- الامتحان الكبير
- ٥٩٦ ----- وفاؤها لفاطمه الزهراء (عليها السلام)
- ٥٩٧ ----- تذكير مهم
- ٦٠٠ ----- مع الإمامه
- ٦٠٣ ----- (٢٢) مصعب بن عمير

- ٦٠٣ - اشارة
- ٦٠٤ - يقولون عنه
- ٦٠٦ - مصعب وأمه
- ٦٠٧ - أجابته غاضبه
- ٦٠٨ - هجرته
- ٦١٢ - سفير الرسول والرساله
- ٦١٧ - إمامه مصعب لصلاه الجمعه
- ٦١٨ - الموسم التالي
- ٦٢٠ - المؤاخاه
- ٦٢٠ - معركة بدر
- ٦٢١ - موقفه من أخيه
- ٦٢٢ - غزوه أحد
- ٦٢٣ - وختمت فتوته بالشهاده
- ٦٢٨ - (٢٣) أبوسعيد الخدرى
- ٦٢٨ - اشارة
- ٦٢٩ - ممن شهد بيعه الرضوان
- ٦٣٠ - يوم أحد
- ٦٣٠ - ابن الشهيد!
- ٦٣٣ - عفته وطاعته!!
- ٦٣٤ - جرأته فى الحق!!
- ٦٣٦ - ما حدث له فى واقعه الحره
- ٦٣٧ - مما قاله علماء الرجال فى توثيقه وعلمه واستقامته
- ٦٣٩ - ملاحظه مهمه
- ٦٤١ - حبه وولاؤه لأنمه أهل البيت النبوى:
- ٦٤٥ - نأتى الآن إلى أحاديث أخرى
- ٦٤٥ - حديث الثقلين

- ٦٤٦ ----- آيه التطهير و حديث الكساء
- ٦٤٧ ----- حديث المنزله
- ٦٤٧ ----- سفينه نوح
- ٦٤٨ ----- معرفه المنافقين
- ٦٤٨ ----- خاصف النعل
- ٦٤٩ ----- يوم الغدير
- ٦٥٠ ----- الرايه
- ٦٥٢ ----- ولايه على (ع)
- ٦٥٢ ----- حمل الحديث
- ٦٥٣ ----- ثواب صلاه الجماعه
- ٦٥٥ ----- المرأه تسأل
- ٦٥٦ ----- وفاته
- ٦٥٧ ----- (٢٤) أبى بن كعب
- ٦٥٧ ----- اشاره
- ٦٥٧ ----- «لِيُهَيِّجَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» حديث شريف
- ٦٥٨ ----- إسلامه
- ٦٥٩ ----- المؤاخاه
- ٦٦٠ ----- أبى مجاهداً
- ٦٦٠ ----- أبى قرانياً
- ٦٦٣ ----- أبى كاتباً
- ٦٦٤ ----- أبى جامعاً للقرآن
- ٦٦٥ ----- أبى قارناً
- ٦٦٥ ----- أبى مفسراً
- ٦٦٦ ----- هل كان أبى حبراً؟
- ٦٦٧ ----- منهجه فى التفسير
- ٦٦٨ ----- نماذج من تفسيره:

- ٦٦٨ تفسير القرآن بالقرآن
- ٦٦٨ آيات ذات موضوع واحد
- ٦٦٩ التفسير بالمأثور
- ٦٧٠ التفسير بالاجتهاد
- ٦٧٠ معرفه أبي القراءات
- ٦٧١ معرفه أبي بأسباب النزول
- ٦٧١ ولأبي بن كعب أيضاً
- ٦٧٢ أبي عالماً
- ٦٧٣ قصه الخضر وموسى
- ٦٧٥ أبي في كتب الرجال
- ٦٧٥ رجال الطوسي
- ٦٧٦ معجم رجال الحديث
- ٦٧٧ ولأوه لأهل البيت:
- ٦٧٨ من روى عنه
- ٦٧٩ من مروياته
- ٦٧٩ زهده و ورعه و تقواه
- ٦٨١ وقعه الجابيه
- ٦٨٢ أقواله و وصاياه
- ٦٨٣ رافقته الحمى!
- ٦٨٤ سأل أبي الرسول (ص) جزاء الحمى؟
- ٦٨٥ وفاته رضوان الله تعالى عليه
- ٦٨٦ (٢٥) أبو رافع، مولى رسول الله ٩
- ٦٨٦ اشاره
- ٦٨٦ تمهيد
- ٦٨٨ حبه وولأوه للإمام على (ع)
- ٦٩٠ هاجر الهجرتين

- ٦٩٠ وضحك النبي (ص)
- ٦٩١ معاناته
- ٦٩٢ أبو رافع وعلماء الرجال
- ٦٩٦ آثاره العلميه ومروياته
- ٦٩٦ و من مروياته
- ٧٠٠ أم الفضل و أبيلهب
- ٧٠٠ أبولهب يموت كمدأ!
- ٧٠١ الذراع
- ٧٠٢ أنت أول من
- ٧٠٣ عن خيبر
- ٧٠٣ إلا كان له من أمته
- ٧٠٤ استحباب التأذين
- ٧٠٤ وفاته
- ٧٠٥ تعريف مركز

عنوان و نام پدیدآور: شخصیات من الحرمین الشریفین: مجموعه من الباحثین / گردآورنده مرکز تحقیقات حج.

مشخصات نشر: تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری: ۶۳۹ ص.

شابک: ۷-۳۴۰-۵۴۰-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع: صحابه -- سرگذشتنامه

موضوع: مسلمانان -- عربستان سعودی -- سرگذشتنامه

موضوع: اسلام -- سرگذشتنامه

موضوع: شیعه -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: حوزه نمایندگی ولی فقیه در امور حج و زیارت. مرکز تحقیقات حج

رده بندی کنگره: BP۲۸/۶/ش ۳ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۴

شماره کتابشناسی ملی: ۲۵۰۸۸۴۳

ص: ۱

ظاهرة الحجّ من أعظم مظاهر الحياة الاجتماعيّة للمسلمين، يغبطهم عليها من سواهم، وهي ظاهرة وإن بدأت من التبعّد العبادي والعرفاني في علاقه الإنسان برّبّه وخالقه، لكنّها لم تقف عند هذا الحدّ، بل راحت تواصل طريقها - بقوّه واستحكام - لتلج عمق الحياة السياسيّه والاجتماعيّه والثقافيّه والفكريّه للمسلمين، فتشكّل نتيجة ذلك ظاهرة فاعله في الحياة الإسلاميّه.

من هنا، يجب على الباحثين والمفكرين وعلماء الدين ورجال الإصلاح الاجتماعي في بلاد المسلمين أن يحلّلوا هذه الظاهرة دوماً ويدرسوها بعمق وعلميّه، بغية توظيف هذه الفريضة الإلهيه لما فيه الخير والأحسن والأصلح للمسلمين جميعاً.

وفي هذا السياق، جاءت مجلّه «ميقات الحجّ» لبنه في هذا السبيل؛ لئيساهم فيها العلماء والمفكرون والكتّاب، فتتظافر أفكارهم وأقلامهم لرفد مسيرتها، وتكون متندي للحوار والتدارس، ومسرحاً للبحث والتحقيق، متعالية عن الطائفية البغيضة، والحدق الأعمى، معتمده المنطق العلمي الرصين في نشر دعوه الإسلام ورساله الحجّ وشعار مكّه.

ولكي تستكمل «ميقات الحجّ» طريقها، تزفّ إلى قرائها سلسله «كتاب مجلهميقات الحجّ»، تجمع فيه ما تمحور من مقالاتها وبحوثها على شيء واحد، ليكون مادة هامة، ومصدراً ميسراً للمراجعين والقراء.

وعلى هذا الأساس، وببركات الحج والحرمين الشريفين، انطلقت الحلقة الأولى منها

مختصه بالمجال التراثي، تحت عنوان: «معجم ما أَلْف في الحجّ» للكاتب المعروف الدكتور عبدالجبار الرفاعي.

فالحلقة الثانيه جاءت بتأملات ورؤى في مناسك الحج والعمره، وهى: «فى ضيافه الرحمن» لسماحه آيه الله الشيخ مهدي الآصفي.

والحلقة الثالثه منها حظيت بالمجال المعنوى والعرفانى للحج والزياره، وكان عنوانها: «الحج رموز وحكم» لسماحه آيه الله الشيخ عبدالله جوادى آملى.

وها هى الحلقة الرابعه، وقد انفردت ب- «شخصيات من الحرمين الشريفين»؛ تقدمها مجله ميقات الحج لقارئها الكريم، وهى تأمل منه دوماً أن يمدّها بما تجود به أفكاره، ويسطره يراعه، وأن يتحفها بملاحظاته النقدية المفيدة والبناءه. . ومن الله نستمدّ العون إنه خير ناصر ومعين.

مجله «ميقات الحج»

(١) عثمان بن مظعون**إشارة**

فارس تبريزيان الحسون (قدس سره)

إنّ الذي حرّضنى على انتخاب هذا الموضوع والكتابة عنه جهات عديدة، أهمّها شُبّهةٌ وُجّهت - ولا تزال توجّه - إلى الشيعة: بأنّهم لا يحترمون صحابه رسول الله (ص)، ويقعون فيهم سباً وطعناً. وهذه الشبهة لا أساس لها من الصحة، فإنّ الشيعة تضع وافر احترامها في صحابه رسول الله (ص) وتعظّمهم، وتقتدى بهم، وتجعلهم مناراً تستنير به، أولئك الذين لم يرتدوا ولم يبدلوا ولم يبدعوا في الدين وبقوا على منهج النبيّ (ص)

فالشيعه تجرى قواعد الجرح والتعديل على الجميع حتّى الصحابه، فمن كان منهم على دين محمّد (ص) ومات وهو على يقين من أمره، ولم يشك في دينه، فتجعله في أعلى القمم، وتقتدى به، ومن أبدع وشكّ في نيّته ودينه وبدّل وغتير، فالشيعة وكلّ حرّ جعل العقل امامه، يرفضه وينبذه ولا يقتدى به، لأنّه إذا اقتدى به اقتدى ببدعته وضلاله وشكّه.

وأما ما روى من أحاديث عن النبيّ (ص) أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم، واحفظوني في أصحابي، ولا تسبوا أصحابي. . . . فهي أحاديث ضعيفه السند، غير قابله للاعتماد عليها، ومع فرض صحّحه سندها، فإنّها محموله على الأصحاب الذين بقوا على

الدين، والتزموا بشرائط الصحبه، لا أولئك الذين بدلوا وغيروا وأبدعوا...، وحاشا لرسول الله (ص) أن يأمر أمته باتباع من أبدع وغير، وشك في دينه، لمجرد أنه صحابي.

والقرآن والحديث شاهدان على هذا المطلب، وهو ليس كل صحابي وكل من له صحبه مع الرسول (ص) يجب الاقتداء به واحترامه:

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَبَايِعُونَ نَفْسَهُمْ فَقَدْ أَيَّدُوا بِيَدِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. (١)

وقال تعالى: ... وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ. (٢)

وقال تعالى: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ. (٣)

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، الداله على أن في الأصحاب منافقين وغير مؤمنين بالله ولا برسوله.

وأما الأحاديث فكثيره جداً، منها:

قوله (ص) في خطبه حجّه الوداع:

«فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» . (٤)

وقوله (ص) :

«أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربّي أصحابي! يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» . (٥)

وقوله (ص) :

«إنّي أيتها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئت قام رجال، فقال هذا:

١- الفتح ٤٨: ١٠.

٢- التوبة ٩: ١٠١.

٣- المنافقون ٦٣: ١ - ٣.

٤- صحیح البخاری، ٩:٩١، کتاب الفتن، و ذکر أحادیث کثیره بهذا المعنى.

٥- المصدر نفسه، ٩:٨٧

يارسول الله أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، فأقول: قد عرفتكم، ولكنكم أحدثتم بعدى ورجعتم القهقري». (١)

وقوله (ص) لشهداء أحد:

«هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟! فقال رسول الله (ص): بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بع

دى!!!». (٢)

فالشيعة تقتدى بالصحابة الصالحاء المتقين، الذين آمنوا بالله ورسوله وماتوا وهم على يقين مما هم عليه، كعثمان بن مظعون الذى عقدنا لأجله هذه الرسالة الوجيزه، حتى نتعرف على جوانب من حياته، ونجعلها قدوه نقتدى بها.

فإن الشيعة مطبقة على عدالته ووثاقته، وجعله فى أعلى مرتبه الصالحين والمتقين، ومن الذين أبلوا بلاءً حسناً فى صدر الإسلام، وجاهدوا بكل ما لديهم من قوه لأجل إعلاء كلمه الإسلام، حتى قال الشيخ المامقانى: فالرجل فوق مرتبه الوثاقه والعداله. (٣)

وحاولت فى هذه الرسالة أن أعتمد على مصادر الفريقين، ليخرج البحث متكاملًا.

إسمه ونسبه وصفته

عثمان بن مظعون - بالطاء المعجمه - بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب، الجُمحى القرشى، ويكنى أبا السائب. (٤)

وكان شديد الأدمه، ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحيه، عريضها. (٥)

١- المستدرک، ٧٤:٤ - ٧٥، وقال بعد ذكره للحديث: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢- الموطأ، ٤٦٢:٢، كتاب الجهاد، الحديث ٣٢.

٣- تنقيح المقال، ٢٤٩:٢.

٤- أسد الغابه، ٥٩٨:٣ - الإصابه، ٤٦٤:٢ - الاستيعاب، ١٠٥٣:٣ - العقد الثمين، ٤٩:٦ - تهذيب الأسماء واللغات، ٣٢٦:١ -

معجم الشعراء: ٢٥٤ - المعرفه والتاريخ، ٢٧٢:١ - التاريخ الكبير، ٢١٠:٦ - سير أعلام النبلاء، ١٥٣:١ - المنتظم، ١٩٠:٣.

٥- سير أعلام النبلاء، ١٦٠:١ - الطبقات، ٤٠٠:٣.

وقيل: كان عثمان بن مظعون أبا النبي (ص) من الرضاعه. (١)

ولادته

ولد في عصر ملؤه الجهل وانحطاط القيم الإنسانيه، في عصر كان يسوده الظلم والجور، وعدم مراعاة حقوق الإنسان، لكنه - رضوان الله عليه - لم ينخرط في سلك أهل عصره، بل جعل عقله قائده وراشده، وسلك في حياته مسلك العقلاء والحكماء، حتى قيل: إنه كان من حكماء العرب في الجاهليه. (٢)

تحريمه الخمر في الجاهليه

ومما يدلّ على حكمته قبل الإسلام، وسموّ عقله، ما اتفق عليه أصحاب السير والتاريخ من أنه حرّم الخمر على نفسه في الجاهليه وقال:

لا- أشرب شراباً يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي، أو: ويحملني على أن أنكح كريمتي من لأريد.

وقيل: إنه لما حرّم الخمر، أتى وهو بالعوالي، فقيل له: يا عثمان قد حرّم الخمر، فقال: تبا لها، قد كان بصرى فيها ثاقباً. (٣)

وتنظر البعض في ذيل الكلام، وهو: وقيل إنه لما حرّم الخمر أتى وهو بالعوالي...، وذكروا وجه النظر بأن آيه التحريم نزلت بعد وفاه عثمان.

وأقول: عند أكثر أهل السنه أنّ الآيه الثالثه في تحريم الخمر تدلّ على التحريم، والآيه الأولى والثانيه لا يستفاد منهما التحريم، وعند الشيعة أنّ الآيه الأولى تدل على التحريم، والثانيه والثالثه مؤكدتان للحكم، فلعلّ القول بأنه لما حرّم الخمر قيل لعثمان: ياعثمان

١- تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩، نقلا عن المولى الوحيد.

٢- الأعلام، ٤: ٢١٤.

٣- أسد الغابه، ٣: ٥٩٩ - العقد الثمين، ٦: ٤٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦؛ سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٣ - ٣٩٤ - غربال الزمان: ١٣ - شذرات الذهب، ١: ٩ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - المنتظم، ٣: ١٩٠.

قد حرّمت الخمر فقال: . . . ، ناظر إلى الآية الأولى، والله العالم.

ومع اتفاق كلّ المصادر على أنّ عثمان بن مظعون حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فقد أخرج ابن المنذر، عن سعيد ابن جبير قال: لَمَّا نَزَلَتْ: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ . . . شربها قوم لقوله: وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وتركها قوم لقوله: إِثْمٌ كَبِيرٌ ، منهم: عثمان بن مظعون. . . وهذا افتراء صريح على هذا الصحابي الجليل، فإنه متى شربها حتى تركها؟ (١)

وهذا - أيضاً - يدلّ على أنّ أول آية في الخمر - وهي: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ - نزلت في حياة عثمان، وهي دالّة على التحريم في نظر الشيعة.

التسميه بعثمان

ولسموّ مرتبه عثمان بن مظعون وقربه من الله - تعالى - ونبيّه (ص)، ومكانته العاليه في قلوب المؤمنين، سمّي الكثير من الأولياء والصلحاء أولادهم ب- (عثمان)؛ لشده تعلقهم بعثمان بن مظعون ومحبتهم له وإحياء لذكراه.

ذكر الثقفى في تاريخه، عن هبيرة بن مريم، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَلِيٍّ (ع)، فدعا ابنه عثمان، فقال له: يا عثمان، ثم قال: إني لم اسمّه باسم عثمان. . . ، إنّما سمّيته باسم عثمان بن مظعون. (٢)

وفي زياره الناحية المقدسه: السلام على عثمان ابن أمير المؤمنين سمّي عثمان بن مظعون. (٣)

وروى - أيضاً - عن عليّ (ع) أنّه قال: إنّما سمّيته باسم أخي عثمان بن مظعون. (٤)

١- راجع: الغدير، ٦: ٢٥٣.

٢- تقريب المعارف: ٥٢، نقلا عن تاريخ الثقفى.

٣- البحار، ١٠١: ٢٧٠، نقلا عن الاقبال ومزار المفيد والسيّد.

٤- مقاتل الطالبين: ٥٨ - وعنه في البحار، ٣٨: ٤٥.

أسرته

أمّه: سُخَيْلَةُ بِنْتُ الْعَنْبَسِ بْنِ وَهْبَانَ - أَهْبَانَ - بْنِ وَهْبِ بْنِ حِذَافَةَ بْنِ جَمْحٍ.

وإخوته: عبد الله بن مضعون، توفي سنة ٣٠هـ، وقدامه بن مضعون، مات سنة ٣٦هـ.

وأولاده: السائب، وعبد الرحمن، أمهما خولة بنت حكيم.

وزوجته: خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة الأوقص السلمي، ويقال لها: حُوَيْلَةُ.

وهي التي قالت لرسول الله (ص) بعد وفاه خديجه: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: فمن البكر؟ قالت: بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعه، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول... قال: فاذهبي فاذكريهما عليّ، فذهبت إلى أبيهما وخطبتهما، فقبلا وتزوجهما. (١)

وروت خولة عدّه أحاديث عن رسول الله (ص) (٢) وذكر أنها إحدى حالات النبي (ص) (٣)

إسلامه

وأسلم عثمان بن مضعون بعد ثلاثه عشر رجلاً انطلق هو وجماعه حتّى أتوا رسول الله (ص) ، فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا جميعاً، وذلك قبل دخول رسول الله (ص) دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها. (٤)

وروى أنّ عثمان بن مضعون قال: نزلت آية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ عَلَى النَّبِيِّ (ص) وأنا عنده، وذكر أنه شاهد رسول الله (ص) على غير حالته الطبيعيه، فلما سأله: يا رسول الله (ص) ما رأيتك فعلت الذي فعلت اليوم، ما حالك؟ قال رسول الله (ص): ولقد

١- الطبقات، ٣: ٣٩٣ و ٤٠٠ - ٤٠٢ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - اسد الغابه، ٣: ٥٩٨ - المنتقى في مولود المصطفى للكازروني: ٦٥ -

وعنه في البحار، ١٩: ٢٣ - مسند أحمد، ٦: ٢١٠ - ٢١١.

٢- مسند احمد، ٦: ٤٠٩ - ٤١٠.

٣- المصدر نفسه، ٦: ٤٠٩.

٤- أسد الغابه، ٣: ٥٩٨ - الإصابه، ٢: ٤٦٤ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٣ - تهذيب الأسماء

واللغات، ١: ٣٢٦ - العقد الثمين، ٦: ٤٩.

رأيتَه؟ فأجابه عثمان: نعم، قال رسول الله: ذاك جبرئيل لم يكن لي همّه غيره، ثم تلا عليه رسول الله (ص) ما أنزل عليه.

قال عثمان: فقامت من عند رسول الله (ص) معجباً بالمدى رأيت، فأتيت أبا طالب وقرأت ما أوحى إلى النبي، فعجب أبو طالب، وقال: يا آل غالب اتبعوه ترشدوا وتفلاحوا، فوالله ما يدعو إلا إلى مكارم الأخلاق. . .

وروى أيضاً: أن عثمان قال: كان أول إسلامي حباً من رسول الله (ص)، ثم تحقق ذلك اليوم لما شاهدت الوحي إليه، واستقرّ الإيمان في قلبي. (١)

الآيات النازلة في عثمان

١ - وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . (٢)

قوله تعالى: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ نزلت في علي (ع) وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر وأصحاب لهم. (٣)

٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ. . . . (٤)

نزلت في عدّه من الصحابه، منهم: عثمان بن مظعون وعمار بن ياسر وسلمان، حرّموا على أنفسهم الشهوات وهمّوا بالإخفاء. (٥)
وروى: أن. . . وعثمان بن مظعون ونفراً من أصحاب رسول الله (ص) تعاقدوا أن يصوموا

١- مسند أحمد، ١: ٣١٨ - سعد السعود: ١٢٢ - ١٣٣ - وعنه في البحار، ١٨: ٢٦٨ - ٢٧٠ - ونقله في البحار أيضاً، ٢٢: ١١٢ عن قصص الأنبياء - المنتظم، ٣: ١٩٠.

٢- البقره، ٢: ٤٥ - ٤٦.

٣- تفسير الحبري: ٢٣٩ - شواهد التنزيل: ١١٥ - المناقب لابن شهر آشوب، ٢: ٩، وقال فيه: رواه الفلكي في إبانه ما في التنزيل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

٤- المائده، ٥: ٨٧.

٥- شواهد التنزيل: ٢٣٩ و ٢٥٩ - تفسير فرات الكوفي: ١٣١ - ١٣٢ - تفسير الحبري: ٢٦٤.

قوموا الليل، ولا يأتوا النساء، ولا يأكلوا اللحم، فبلغ ذلك رسول الله، فأُنزل الله تعالى: . . . (١)

وروى عن أبى عبد الله (ع): نزلت فى . . . وبلاى وعثمان بن مظعون، فأَمَّا . . . فإِنَّه حلف أن لا ينام بالليل أبداً إلا ما شاء الله، وأما بلال فإنه حلف أن لا يفطر بالنهار أبداً، وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينكح أبداً. . .

ولمّا أخبر النبى (ص) نادى الصلاه جامعه، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيبات، ألا أنى أنام بالليل وأنكح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتى فليس منى، فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله فقد حلفنا على ذلك، فأُنزل الله: لا- يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ اَيْمَانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ. . . (٢) ورويت أحاديث كثيره بهذا المعنى (٣)، نكتفى منها بهذا المقدار.

٣- لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذا ما اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . (٤)

نزلت فى عدّه منهم عثمان بن مظعون، وكان عثمان قد همّ بطلاق زوجته وأن يختصى ويحرم اللحم والطيب، فردّ عليه النبى وأنزل فى ذلك: . . . (٥)

٤- وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا

١- شواهد التنزيل: ٢٦٠ - كشف الغمه، ٣١٩:١.

٢- المائده، ٨٩:٥ - وانظر المناقب لابن شهر آشوب، ١٠٠:٢ - ١٠١ - تفسير على بن إبراهيم القمى: ١٦٦ - وعنه فى البحار،

١١٦:٧٠ - ١١٧ - تفسير مجمع البيان، ٢٣٦:٣ - وعنه فى البحار، ١١٣:٦٥ - وراجع البحار أيضاً، ١١٢:٦٥ و ١١٣ و ١١٤.

٣- راجع: تفسير البرهان، ٤٩٤:١ - والدرّ المثنور، ٣٠١:٢ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ - وتفسير الطبرى، ٧:٧ و ٨ و ٩ - ومسند

أحمد، ١٠٦:٦ و ٢٢٦.

٤- المائده، ٩٣:٥.

٥- الاستيعاب، ١٠٥٤:٣ - العقد الثمين، ٤٩:٦.

يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . (١)

قال الشيخ الطبرسي: . . . وقيل إنَّ الأبكم أبي بن خلف، ومن يأمر بالعدل حمزه وعثمان بن مظعون، عن عطاء. (٢)

وصف أمير المؤمنين (ع) لعثمان

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) :

« كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يُعظمه في عيني صِعْرُ الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بدّ القائلين ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجِدُّ فهو ليثٌ غاب وصلُّ واد، لا يدلي بحجّه حتّى يأتي قاضياً، وكان لا يلومُ أحداً على ما يجد العذر في مثله حتّى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلاّ عند برئه، وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلّم، وكان إذا بدده أمران نظر أيّهما أقرب إلى الهوى فخالفه؛ فعليكم بهذه الأخلاق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير. » (٣)

والمشار إليه ب- (كان لي فيما مضى أخ في الله) عثمان بن مظعون على أحد الأقوال، وقيل: أبوذر، وقيل: غيرهما. (٤)

ويدلّ على أنّ المراد بالأخ هنا عثمان بن مظعون ما ورد من وصف أمير المؤمنين لعثمان بالأخ، كقوله (ع) في وجه تسميه ولده بعثمان: إنّما سمّيته باسم أخي عثمان بن مظعون. (٥)

وكان عثمان بن مظعون من الملازمين لأمير المؤمنين (ع)، حتّى نشاهد أنّ أكثر الآيات

١- النحل، ١٦: ٧٦.

٢- مجمع البيان، ٦: ٥٧٨، وعنه في البحار.

٣- نهج البلاغه، شرح محمد عبده، ٤: ٦٩ - ٧٠.

٤- شرح نهج البلاغه لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ٥: ٣٩٠.

٥- مقاتل الطالبين: ٥٨ - وعنه في البحار، ٤٥: ٣٨.

النازله فى حق عثمان هى فى حق على (ع) وسائر أصحابه.

ولو كان من المقدّر أن يبقى عثمان بعد وفاه رسول الله (ص) لكانت تراه يقف موقف سلمان وأبى ذر وعمار والمقداد فى قبال الأحداث، ولشاهدته من حوارى أمير المؤمنين (ع)

تعذيب قريش لعثمان وهجرته وزهده

وبعد أن أسلم عثمان (قدّس الله روحه) وأعلن إسلامه، واجهته قريش بالأذى والسطوه، كما هو ديدنها مع رسول الله (ص) وأصحابه. وكانت بنو جُمح تؤذى عثمان وتضربه وهو فيهم ذو سطوه وقدر. (١)

ولما اشتدّ أذى المشركين على الذين أسلموا، وفتن منهم من فتن، أذن الله سبحانه لهم بالهجرة الأولى إلى أرض الحبشه، التى كانت متجراً لقريش يجدون فيها رفقاً من الرزق وأماناً. فخرجوا متسلّين سرّاً، وأميرهم عثمان بن مظعون، فيسير الله لهم ساعه وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشه، وخرجت قريش فى أثرهم، ولما وصلوا البحر لم يدركوا منهم أحداً.

ومكث عثمان بن مظعون وأصحابه فى الحبشه، حتّى بلغهم أنّ قريشاً قد أسلمت، فأقبلوا نحو مكه، وما إن اقتربوا منها حتّى عرفوا أنّ قريشاً لم تسلم، وأنها ما زالت على عدائها لرسول الله (ص) فثقل عليهم أن يرجعوا، وتخوّفوا أن يدخلوا مكه بغير جوار من بعض أهل مكه، فمكثوا مكانهم حتّى دخل كلّ رجل منهم بجوار من بعض أهل مكه، ودخل عثمان بن مظعون مكه بجوار الوليد بن المغيره.

ولما رأى عثمان ما يلقى رسول الله (ص) وأصحابه من الأذى والبلاء، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيره، قال: والله، إنّ غدوى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء فى الله ما لا يصيبنى، لنقص كبير فى نفسى.

فمضى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وقت ذمتك، وقد كنتُ في جوارك، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله (ص)، فلي به وأصحابه أسوه.

فقال الوليد: فلعلك يا بن أخي أوذيت أو انتهكت؟

قال عثمان: لا، ولكن أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جوارى علانيه كما أجزتُك علانيه.

فانطلقا، حتى أتيا المسجد.

فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جوارى، فقال عثمان: قد صدق، قد وجدته وفيّاً كريم الجوار، ولكنى أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. (١)

ومرّ عثمان بن مظعون بمجلس من قريش، وليد بن ربيعة بن مالك بن كلاب القيسي ينشدهم: «ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل». فقال عثمان: صدقت.

فقال لبيد: «وكلُّ نعيم لا محاله زائل».

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول أبداً.

فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟

فقال رجل: إنّ هذا سفیه من سفهائنا قد فارق ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله.

فردّ عليه عثمان، فقام إليه ذلك الرجل، فلطم عينه فخضرها.

فقال الوليد بن المغيرة لعثمان: إن كانت عينك لغنيه عمّا أصابها، لم رددت جوارى؟

فقال عثمان: بل والله إنّ عيني الصحيحه لفقيره لمثل ما أصاب أختها في الله، لا حاجه لي في جوارك.

وفى بعض المصادر:

فقال الوليد: هل لك في جوارى؟

١- معجم الشعراء: ٢٥٤ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٣ - حليه الأولياء، ١: ١٠٣ - ١٠٥ - الإصباح، ٢: ٤٦٤ - أسد الغابه، ٣: ٥٩٨ - زاد المعاد، ٣: ٢٣ - ٢٦ - تفسير مجمع البيان، ٣: ٢٣٣ - ٢٣٤ وعنه في البحار.

فقال عثمان: لا أَرَبَ لِي فِي جِوَارِ أَحَدٍ إِلَّا فِي جِوَارِ اللَّهِ. (١)

ثم قال عثمان بن مظعون فيما أصيب من عينه:

فإن تك عيني في رضا الربّ نالها

يدا ملحد في الدين ليس بمهتد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه

ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد

فإني وإن قلت غويّ مضللّ

سفيه على دين الرسول محمد

أريد بذاك الله والحقّ ديننا

على رغم من يبغى علينا ويعتدى (٢)

وقال أبو طالب وقد غضب لعثمان بن مظعون حين عدّته قريش ونالت منه :

أمن تذكّر دهر غير مأمون

أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون

أمن تذكّر أقوام ذوى سفه

يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

ألا ترون أذلّ الله جمعكم

أنا غضبنا لعثمان بن مظعون

ونمنع الضيم من يبغى مضامتنا

بكلّ مطرد في الكفّ مسنون

ومرهقات كأنّ الملح خالطها

يشفى بها الداء من هام المجانين

حتى تقرّ رجال لا حلوم لها

بعد الصعوبه بالإسماح واللين

أو تؤمنوا بكتاب منزل، عجب

على نبى كموسى أو كذى النون (٣).

وذكر مثل هذه الأبيات أبو نعيم الأصفهاني، منسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، قالها فيما أصاب من عين عثمان بن مظعون:

أمن تذكر دهر غير مأمون

أصبحت مكتئباً تبكى كمحزون

أمن تذكر أقوام ذوى سفه

يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا

والغدر فيهم سبيل غير مأمون

١- راجع: خزانه الأدب، ٢: ٢٥٥ - ٢٥٦ - الإصابه، ٢: ٤٦٤ - غربال الزمان: ١٣ - شذرات الذهب، ١: ١٠ - حليه الأولياء، ١: ١٠٣ -

١٠٤ - أسد الغابه، ٣: ٥٩٨.

٢- حليه الأولياء، ١: ١٠٤.

٣- شرح نهج البلاغه، ١٤: ٧٣.

ألا ترون أقل الله خيرهم

أنا غضبنا لعثمان بن مظعون

إذ يلطمون ولا يخشون مقلته

طعناً دراكاً وضرباً غير مأفون

فسوف يجزيهم إن لم يمت عجباً

كياً بكيلاً جزاءً غير مغبون (١)

واشتدَّ البلاء من قريش على من قدم من مهاجري الحبشه وغيرهم، وسطت بهم عشائهم، ولقوا منها تعنيفاً شديداً، وصعب عليها ما بلغها عن النجاشي من حسن جواره لهم، فأذن لهم رسول الله بالخروج مرّة ثانية إلى أرض الحبشه.

وهل خرج معهم عثمان بن مظعون؟

صرّح بهجرته - مرّة ثانية - إلى أرض الحبشه ابن سعد بالاعتماد على روايه محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر، والنووي. (٢)

وفيه نظر، لأن الذين هاجروا الهجره الأولى رجعوا إلى مكه قبل الهجره النبويه، والذين هاجروا الهجره الثانيه رجعوا عام خيبر، أى بعد وفاه عثمان بن مظعون الذى اشترك فى حرب بدر، وهى قبل خيبر. ولعل منشأ الاشتباه تصريح البعض بمهاجره عثمان الهجرتين (٣)، فحملوه على الأولى والثانيه للحبشه، والظاهر أنّ الأولى إلى الحبشه، والثانيه إلى المدينه.

وصرّح ابن الأثير الجزرى: أنّ عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشه هو وابنه السائب الهجره الأولى مع جماعه من المسلمين، وذكر كيفيه رجوعه وما جرى له مع ليلى وقال: ثم هاجر عثمان إلى المدينه وشهد بدرًا. (٤)

وقال البعض: قد ذكر فى هذه الهجره الثانيه جماعه ممن شهد بدرًا، فإمّا أن يكون هذا وهمًا، وإمّا أن يكون لهم قدمه أخرى قبل بدر، فتكون لهم ثلاث قدمات: قدمه قبل الهجره، وقدمه قبل بدر، وقدمه عام خيبر، ولذلك قال ابن سعد وغيره: إنهم لمّا سمعوا

١- حليه الأولياء، ١: ١٠٤. وذكرت الآيات مع زياده فى الديوان المنسوب لأمير المؤمنين صفحه ٢٥٦ من المخطوطه.

٢- الطبقات، ٣: ٣٩٣ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٣٦.

٣- سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥.

٤- أسد الغابه، ٣: ٥٩٨.

هجره رسول الله (ص) إلى المدينة رجع منهم ثلاثه وثلاثون رجلاً- ومن النساء ثمان نسوه، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس بمكة سبعة، وشهد بداراً منهم أربعة وعشرون رجلاً. (١)

وعلى أئى حال، فهجره عثمان بن مظعون من مكة إلى المدينة أمرّ مقطوع به، فقد هاجر هو وأخواه قدامه وعبد الله وابنه السائب إلى المدينة، ونزلوا على عبدالله بن سلمه العجلاني، وقيل: على خدام بن وديعه. (٢)

قال الواقدي: آل مظعون ممن أوعب في الخروج إلى الهجره رجالهم ونساؤهم، وغلقت بيوتهم بمكة. (٣)

وروى عن أمّ العلاء، قالت: نزل رسول الله (ص) والمهاجرون معه المدينة في الهجره، فتشاحت الأنصار فيهم أن ينزلوهم في منازلهم، حتى اقرعوا عليهم، فطار لنا عثمان بن مظعون على القرعه، تعنى: وقع في سهمنا. (٤)

وأما زهده وقناعته بالشىء القليل وتركه الدنيا فيدل عليه: ما روى من أنه دخل يوماً المسجد، وعليه نمره قد تخللت فرقعها بقطعه من فروه، فرق له رسول الله (ص)، ورق أصحابه لرقته، فقال: كيف أنتم يغدو أحدكم في حلّه ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه قصعه وترفع أخرى، وسترم البيوت كما تستر الكعبه؟ قالوا: وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله فأصبنا الرخاء والعيش، قال: فإن ذلك لكائن، وأنتم اليوم خير من أولئك. (٥)

مؤاخاته واشتراكه في بدر

آخى رسول الله (ص) بين عثمان بن مظعون وبين أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى. (٦)

١- زاد المعاد، ٣: ٢٥ - ٢٦.

٢- سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٨ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الطبقات، ٣: ٣٩٥ - ٣٩٦.

٣- سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٨ - الطبقات، ٣: ٣٩٥ - ٣٩٦.

٤- الطبقات، ٣: ٣٩٦ - صحيح البخارى، ٢: ٧١.

٥- حليه الأولياء، ١: ١٠٥.

٦- الطبقات، ٣: ٣٩٦ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦.

وشهد عثمان بن مظعون بدمراً باتفاق المؤرخين. (١) وأُسر حنظله بن قبيصة بن حذافه على يد عثمان بن مظعون. (٢) وقتل أوس بن المغيرة بن لوذان على يد عليّ (ع) وعثمان بن مظعون. (٣)

عثمان والروايه

كان عثمان بن مظعون من الأوائل الذين أسلموا، ومن الأوائل الذين لبوا نداء ربهم، وتوفى في حياة رسول الله (ص) في بادئ الإسلام، ونال درجه عاليه بعد وفاته بصلاه رسول الله (ص) عليه، ولم يرو عن رسول الله (ص) إلا قليلاً، وذلك لعدم دركه من زمان الإسلام إلا أوائله.

فيروى عثمان بن مظعون عن رسول الله (ص) (٤)، ورواياته عن رسول الله قليلة جداً.

ويروى عن عثمان بن مظعون: عبدالله بن جابر (٥)، وسعد بن مسعود الكنانى (الكندى) (٦)

عبادته واجتهاده واعتزاله النساء وحيأؤه

كان عثمان - رضوان الله عليه - من أشد الناس اجتهاداً في العباده، يصوم النهار ويقوم الليل. ووصل به الجدد في العباده أنه ترك وتجنب الشهوات بالمره، واعتزل النساء. (٧) حتى روى: أن زوجته دخلت على نساء النبي (ص) فأينها سيئه الهيئه، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش أغنى من بعلك! قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخل

-
- ١- أسد الغابه، ٣: ٥٩٨ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الطبقات، ٣: ٣٩٦ - التاريخ الصغير، ١: ٤٦ - المنتظم، ٣: ١٩٠ - ومصادر أخرى كثيره جداً.
 - ٢- شرح نهج البلاغه، ١٤: ٢٠٤.
 - ٣- المصدر نفسه، ١٤: ٢١٢.
 - ٤- ربيع الأبرار، ٢: ٢٦٥ - تهذيب الأحكام، ٤: ١٩٠، الحديث ٥٤١.
 - ٥- تهذيب الأحكام، ٤: ١٩٠، الحديث ٥٤١.
 - ٦- المصدر نفسه، ٦: ١٢٢، الحديث ٢١٠.
 - ٧- الاستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - أسد الغابه، ٣: ٥٩٩ - العقد الثمين، ٦: ٤٩ - المنتظم، ٣: ١٩٠.

النبي (ص)، فذكرن ذلك له، فلقية النبي (ص)، فقال: أمالك بي أسوه؟ قال: بأبي وأمي وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: إني لأفعل، قال: لا تفعل، إن لعينيك عليك حقاً، وإن لجسدك حقاً، وإن لأهلك حقاً، فصلّ ونمّ وصم وافطر.

وفى روايه أخرى: يا عثمان لم يرسلني الله بالرهبانيه، ولكن بعثني بالحنيفيه السهله السمحه، أصوم وأصلي وأمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي، ومن سنتي النكاح.

وفى روايه أخرى قال النبي (ص): إني آتى النساء وأفطر بالنهار وأنام الليل، فمن رغب عن سنتي فليس مني، وأنزل الله - تعالى - : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١).

فأتهن زوجه عثمان بعد ذلك عطرة كأنها عروس، فقلن لها: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس. (٢)

وروى: أن عثمان قال: يا رسول الله (ص)! لا أحب أن ترى امرأتى عورتى، قال: ولم؟ قال: استحيى من ذلك، قال: إن الله قد جعلها لك لباساً، وجعلك لباساً لها...، فلما أدبر قال رسول الله (ص): إن ابن مضعون لحيى ستير. (٣)

الرهبانيه والسياحه والتبتل

خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان ليكون نواه صالحه، وكائناً عاملاً في كل نواحى الحياه الإنسانيه، وليس من حكمه خلق الله للإنسان أن يترهب ويعتزل المجتمع، ويعيش

١- المائده: ٨٧ - ٨٨.

٢- الطبقات، ٣: ٣٩٤ - ٣٩٥ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٧ - ١٥٨ - حليه الأولياء، ١: ١٠٦ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - مسند أحمد، ٦: ١٠٦ و ٢٢٦ - سنن الدارمي، ٢: ١٧٩، الحديث ٢١٦٩ - تفسير على بن إبراهيم القمي: ١٦٦ - وعنه فى البحار، ٧٠: ١١٦ - ١١٧ - الكافي للكلىنى، ٢: ٥٦ و ٥٧ - وعنه فى البحار، ٢٢: ٢٦٤ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩.

٣- الطبقات، ٣: ٣٩٤ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٧ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - بحار الأنوار، ٩٣: ٧٣.

لوحده يعبد ربّه.

وفى بادئ الإسلام كانت فكره الرهبانيه، وترك المجتمع والملذّات الدنيويه، تدور فى خُلد بعض المتديّنين، وذلك لشدّه تديّتهم وحرصهم على العباده وترك الدنيا.

ومن الأوائل الذين فكّروا بالرهبانيه والسياحه عثمان بن مظعون - رضوان الله عليه - فإنّه أول ما أقدم عليه من عمل هو: أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار، وترك زوجته بالمّرّه، وبعدها استأذن رسول الله (ص) فى الرهبانيه والسياحه والتبّتل وطلاق زوجته والخصاء، فنهاء عن ذلك وردّه عليه. (١)

فعن ابن شهاب: أنّ عثمان بن مظعون أراد أن يختصى ويسيح فى الأرض، فقال له رسول الله (ص): أليس لك فى أسوه حسنه؟ فأنا آتى النساء واكل اللحم وأصوم وأفطر، إنّ خصاء أمتى الصيام، وليس من أمتى من خصى أو اختصى. (٢)

وروى أيضاً عن عثمان أنه قال: قلت لرسول الله (ص): يا رسول الله! أردت أن أسألك عن أشياء، فقال: وما هى يا عثمان؟ قال: قلت: إنى أردت أن أترهب، قال: لا تفعل يا عثمان، فإنّ ترهب أمتى القعود فى المساجد، وانتظار الصلاه بعد الصلاه.

قال: فإنى أردت يا رسول الله! أن أختصى، قال (ص): لا تفعل يا عثمان، فإنّ اختصاص أمتى الصيام. (٣)

وروى أيضاً أنه قال لرسول الله (ص): إنّ نفسى تحدّثنى بالسياحه وأن ألق الجبال، قال: يا عثمان لا تفعل، فإنّ سياحه أمتى الغزو والجهاد. (٤)

١- أسد الغابه، ٥٩٩:٣ - الاستيعاب، ١٥٤:٣ - سير أعلام النبلاء، ١٥٥:١ - الاصابه، ٤٦٤:٢ - الطبقات، ٣٩٤:٣ - مسند أحمد، ١٧٥:١ و ١٧٦ و ١٨٣ - صحيح البخارى، ١١٨:٦ و ١١٩ - سنن ابن ماجه، ٥٩٣:١ - الحديث ١٨٤٨ - صحيح مسلم، ٩:١٧٦ - ١٧٧ - سنن الترمذى، ٣٩٤:٣ - الحديث ١٠٨٣ - سنن النسائى، ٥٨:٦ - سنن الدارمى، ١٧٨:٢ - الحديث ٢١٦٧.

٢- الطبقات، ٣٩٤:٣ - سير اعلام النبلاء، ١٥٧:١.

٣- تهذيب الأحكام، ٤:١٩٠ - ١٩١، الحديث ٥٤١، وروى المقطع الأول فى مشكاه الأنوار: ٢٦٢ - وعنه فى البحار، ٨٣:٣٨٢.

٤- تهذيب الأحكام، ٦:١٢٢، حديث ٢١٠.

وروى: أنه اتخذ بيتاً يتعبد فيه، فأتاه النبي (ص)، فأخذ بعضادتي البيت وقال: يا عثمان، إن الله لم يعثني بالرهبانيه - مرتين أو ثلاثاً -، وإن خير الدين عند الله الحنيفيه السمحه. (١)

وروى عنه - أيضاً - أنه قال: يا رسول الله! إنى رجل تشقّ على العزبه فى المغازى، أفأذن لى فى الخصاء؟ قال: لا، ولكن عليك بالصوم، فإنه مجفّر (محصن) (٢).

وروى عنه - أيضاً -: أنه همّ بطلاق زوجته، وأن يختصى ويحرم اللحم والطيب، فردّ عليه النبي (ص)، وأنزل فى ذلك: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. (٣)

وروى أيضاً: أنه توفى ابن لعثمان بن مظعون، فاشتدّ حزنه عليه، حتى اتخذ داره مسجداً يتعبد فيه، فبلغ ذلك رسول الله، فأتاه، فقال له: يا عثمان، إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانيه، إنما رهبانيه أمتى الجهاد فى سبيل الله، يا عثمان بن مظعون! للجنه ثمانيه أبواب، وللنار سبعة أبواب، فما يسرك أن لا تأتى باباً منها إلا وجدت ابنك إلى جنبك آخذاً بحجزتك يشفع لك إلى ربك، قال: بلى... (٤)

شعره

ولم يكن عثمان من الشعراء المعروفين، لكنه كان قادراً على نظم الشعر، والذي وصل إلينا شىء منه.

وقد مرّت منه عدّه أبيات فى فصل تعذيب قريش لعثمان وهجرته. فمن شعره حينما هاجر إلى أرض الحبشه، وبلغه أنّ أميه ابن خلف شتمه، فقال:

-
- ١- سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٨ - الطبقات، ٣: ٣٩٥.
 - ٢- شرح نهج البلاغه، ١٩: ١٣٢ - التاريخ الكبير، ٦: ٢١٠ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٥ - المعرفه والتاريخ، ١: ٢٧٢ - ٢٧٣.
 - ٣- المائده: ٩٣ - وانظر الاستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - العقد الثمين، ٦: ٤٩.
 - ٤- أمالى الصدوق: ٤٠ - وعنه فى البحار، ٨: ١٧٠.

أَتِيمَ بِنِ عَمْرٍو الَّذِي فَارَ ضَغْنَهُ

وَمِنِ دُونِهِ الشَّرْمَانَ وَالتَّرِكَ أَجْمَعَ

أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا

وَأَلْحَقْتَنِي مِنْ صَرْحِ بَيْضَاءِ تَقْدَعُ؟

تَرِيشَ نَبَالًا لَا يُؤَاتِيكَ رِيشُهَا

وَتَبْرَى نَبَالًا رِيشُهَا لَكَ أَجْمَعَ

فَكَيْفَ إِذَا نَابَتَكَ يَوْمًا مَلَمَهُ

وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشَ مَا كُنْتَ تَجْمَعُ؟ (١)

وفاته

نصّ كثير من المؤرّخين: على أنّ عثمان بن مظعون أول من مات بالمدينة من المهاجرين. (٢)

وأما تاريخ وفاته، فإنّه كان بعد أن شهد بدرًا، وفي تحديد تاريخ وفاته عدّه أقوال:

(أ) في شعبان بعد سنتين ونصف من الهجره. (٣)

(ب) في السنه الثانيه من الهجره. (٤)

(ج) بعد اثنين وعشرين شهرًا من مقدم رسول الله (ص) إلى المدينة (٥)، وهذا يدلّ على أنه توفي في أواخر سنه اثنتين.

(د) بعدمقدم رسول الله (ص) إلى المدينة بسته أشهر (٦)، وهذا إنما يكون بعد مقدمه من غزوه بدر، لأنه لم يختلف أحد في أنه شهدها.

وذكرت أم العلاء أنّ عثمان بن مظعون اشتكى عندهم، وقالت: مرّضناه، فلمّا توفي جعلناه في أثوابه. فدخل عليه رسول الله (ص)، فأكب عليه يقبله ويقول: رحمك الله يا عثمان،

١- معجم الشعراء: ٢٥٤ - ربيع الأبرار، ٢: ٨٦٠.

٢- الإصابه، ٢: ٢٦٤ - أسد الغابه، ٣: ٥٩٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - غربال الزمان: ٣.

- ٣- تهذيب الأسماء واللغات، ١:٣٢٦ - الاستيعاب، ٣:١٠٥٤ وفيه على رأس ثلاثين شهراً من الهجره - العقد الثمين، ٦:٤٩ - الطبقات، ٣:٣٩٦ - سير أعلام النبلاء، ١:١٥٩.
- ٤- الإصابه، ٢:٤٦٤ - أسد الغابه، ٣:٥٩٩ - الاستيعاب، ٣:١٠٥٤ - غربال الزمان: ٣ - العبر، ١:١٤ - المنتظم، ٣:١٩١.
- ٥- الاستيعاب، ٣:١٠٥٤ - العقد الثمين، ٦:٤٩.
- ٦- الاستيعاب، ٣:١٠٥٤.

ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك شيئاً.

وحدِيث تَقْبِيل رَسولِ الله (ص) لَعثْمَانِ وَهُوَ مَيِّتٌ نَقَلَهُ الكَلْبُ وَبصُورٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَبَعْضُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَبْلَهُ - بَعْدَ الغَسْلِ وَالتَّكْفِينِ - بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَالأَخْرَ ذَكَرَ أَنَّهُ قَبْلَهُ عَلِيٌّ خَدَّهُ. وَبِكِي رَسولِ الله (ص) عَلِيٌّ عَثْمَانُ بنَ مَظْعُونٍ طَوِيلًا، وَدَمُوعُهُ تَسِيلُ عَلِيَّ خَدَّ عَثْمَانَ بنَ مَظْعُونٍ. (١)

وَأَمَّا مَا رَوَى مِنْ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ عَثْمَانُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَبِيُّ (ص) فَأَكَبَ عَلَيْهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَأَوْا أَثَرَ البِكَاءِ، ثُمَّ جَثَا الثَّانِيهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَأَوْهُ يَبْكِي، ثُمَّ جَثَا الثَّالِثَةَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَلَهُ شَهيقٌ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ يَبْكِي، فَبَكَى القَوْمُ، فَقَالَ: مَهْ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أبا السَّائِبِ لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْهَا وَلَمْ تَلْبَسْ مِنْهَا بَشْيَءً. (٢)

فَغَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّهُ فِيهِ جَعَلَ البِكَاءَ مِنَ الشَّيْطَانِ، مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ مِنْ طَرِيقِ الفَرِيقَيْنِ أَنَّ النَبِيَّ (ص) بَكَى عَلِيَّ ابْنَ اِبْرَاهِيمَ، وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ عَلِيَّ بِنْتِ بَنْتِهِ، وَأَنَّهُ بَكَى عَلِيَّ عَثْمَانَ بنَ مَظْعُونٍ كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ وَذَكَرْنَا مَصَادِرَهُ.

وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا مَاتَتْ ابْنَةُ لِرَسولِ الله (ص)، قَالَ رَسولِ الله (ص): أَلْحَقِي بِسَلْفِنَا الحَخيرِ عَثْمَانَ بنَ مَظْعُونٍ، فَبَكَتِ النِّسَاءَ، فَجَعَلَ عَمْرُ بنُ الخَطَّابِ يَضْرِبُهُنَّ بِسُوطِهِ، فَأَخَذَ رَسولِ الله بِيَدِهِ (ص) وَقَالَ: مَهَلًا يَا عَمْرُ، ثُمَّ قَالَ رَسولِ الله (ص): اِبْكِينَ، وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقِ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَالَ رَسولِ الله (ص): إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ العَيْنِ وَالقَلْبِ فَمِنْ اللهِ وَمِنْ الرَّحْمَةِ، وَمَا كَانَ مِنَ اليَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ الشَّيْطَانِ. (٣)

وَمَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ عَثْمَانُ بنَ مَظْعُونٍ مِنْ عَظِيمِ الدَّرَجَةِ وَالسَّبْقِ إِلَى الإِيمَانِ، فَقَدْ سَمِعَ

١- الكافي، ٣: ١٦١، الحديث ٦ - حليه الأولياء، ١: ١٠٥ - ١٠٦ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - من لا يحضره الفقيه، ١: ٩٨، الحديث ٤٥٣ - زاد المعاد، ١: ١٨٣ و ٥٠٢ - غربال الزمان: ٣ - مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - ربيع الأبرار، ٤: ١٨٧ - أسد الغابه، ٣: ٦٠٠ - مسند أحمد، ٦: ٤٣ و ٥٥ - ٥٦ و ٢٠٦ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - المنتظم، ٣: ١٩١ - سنن ابن ماجه، ١: ٤٦٨، الحديث ١٤٥٦ - سنن الترمذی، ٣: ٣١٤، الحديث ٩٨٩ - سنن ابی داؤد، ٣: ٢٠١، الحديث ٣١٦٣ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩.

٢- مجمع الزوائد، ٢: ٣٠٢ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٥ - حليه الأولياء، ١: ١٠٥.

٣- سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - ١٥٧ - الطبقات، ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩ - مجمع الزوائد، ١٧: ٣ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - مسند أحمد، ١: ٢٣٧ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - مسند أبی داود الطيالسي: ٣٥١.

رسول الله (ص) امرأه تقول:

هنيئاً لك أبا السائب الجنة، أو: أذهب عنك أبا السائب! شهادتي عليك لقد أكرمك الله، أو طِبُّ أبا السائب! نفساً إنك في الجنة.

فقال لها رسول الله (ص): وما يدريك، أو ما علمك بذلك؟

فقالت: يا رسول الله أبو السائب، أو كان يا رسول الله! يصوم النهار ويصلي الليل، أو فارسك وصاحبك، أو: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فمن.

فقال رسول الله (ص): والله ما نعلم إلا خيراً ثم قال: حسبك أن تقولى: كان يحب الله ورسوله، أو أجل مارأينا إلا خيراً أنا رسول الله والله ما أدري ما يصنع بي، أو أما هو فقد جاءه اليقين؛ والله، إنى لأرجو الخير، وإنى لرسول الله، وما أدري ما يفعل بي. (١)

واختلفت المصادر في ذكر اسم المرأة التي قالت هذا القول لرسول الله (ص)، فبعضها ذكرت أنها زوجته أم السائب، وفي بعضها أنها أم العلاء الأنصاريه، وفي بعضها أنها أم خارجه بن زيد، وفي بعضها أنها عجوز.

وكذلك اختلفت المصادر في كيفية وقوعها، ففي بعضها أنها قالت هذا القول وراء جنازته، وفي بعضها أنها قالت هذا القول لما وضع في قبره، وفي بعضها لما قبر، وفي بعضها غير هذا.

وعلى كل حال فإن ما قاله رسول الله (ص) لم يكن نقصاً في درجه عثمان بن مظعون، أو تشكيكاً فيه، لأنه قرنه بنفسه، ووصفه بصفات المتقين، ولكن كان قوله (ص) تعليماً لنا، بأن الإنسان مهما كثرت عبادته واتقى، لا بد من أن يبقى بين الخوف والرجاء، ولا يجزم بأنه

من أهل الجنة ومن عباد الله المقربين، ويدل على كراهيه جزم الإنسان بأنه

١- سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - ١٥٧ و ١٥٩ - ١٦٠ - الطبقات، ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩ - مجمع الزوائد، ٣: ١٧ و ٩: ٣٠٢ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - التاريخ الصغير، ١: ٤٦ - ٤٧ - حليه الأولياء، ١: ١٠٤ و ١٠٦ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - أسد الغابه، ٣: ٦٠٠ - الطبقات، ٣: ٣٩٩ - الكافي، ٣: ٢٦٢، حديث ٤٥ - مسند أحمد، ١: ٢٣٧ و ٦: ٤٣٦ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - مسند أبي داؤد الطيالسي: ٣٥١ - صحيح البخارى، ٢: ٧١ و ٣: ١٦٤.

من أهل الجنة.

وروى عن رسول الله (ص) أنه قال: لما مرّ بجنازه عثمان بن مظعون: ذهبت ولم تلبس منها بشيء. (١) وروى أنه لما رفع عثمان على السرير قال النبي (ص): طوباك (طوبى لك) يا عثمان، لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها. (٢)

وتحدّث أم العلاء: بأنها رأت في المنام لعثمان عيناً تجرى، فأخبرت رسول الله (ص)، فقال: ذلك عمله. (٣)

وحظي عثمان بن مظعون بصلاحه رسول الله (ص) عليه (٤)، وبمشاركته في تشييعه ودفنه، فقد كان (ص) قائماً على شفير القبر الذي نزل فيه كلّ من عبد الله بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، ومعمّر بن الحارث.

ولما انتهى الدفن، قال النبي (ص) لرجل: هلّم تلك الصخرة فاجعلها عند قبر أخي أعرفه بها، أدفن إليه من دفنت من أهلي (أهله)، فقام الرجل فلم يطقها، فاحتملها رسول الله (ص) حتّى شوهد بياض ساعديه، ووضعها عند قبره، وقال: هذا قبر فرطنا، وكان الحجر بمثابة العلامة.

وكان رسول الله (ص) يزور قبر عثمان بن مظعون. (٥)

واتفق أصحاب السير والتاريخ أنّ أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون، إلا نادراً ممّن ذكر أنّ أسعد بن زرارة أول من دفن بالبقيع.

١- الموطأ، ٢٤٢:١ - الطبقات، ٣:٣٩٦.

٢- المنتظم، ٣:١٩١؛ ربيع الأبرار، ٤:١٨٧؛ كنز العمال، ١٣:٥٢٥.

٣- أسد الغابه، ٣:٦٠١؛ سير أعلام النبلاء، ١:١٥٩-١٦٠؛ التاريخ الصغير، ١:٤٦ - ٤٧؛ حليه الأولياء، ١:١٠٤؛ تهذيب الأسماء واللغات، ١:٣٢٦؛ صحيح البخارى، ٣:١٦٤ و ٨:٧٤.

٤- تهذيب الأسماء واللغات، ١:٣٢٦؛ الطبقات، ٣:٣٩٦ - ٣٩٧ وفيه أنه كبر عليه أربع تكبيرات؛ سنن ابن ماجه، ١:٤٨١، حديث ١٥٠٢ وفيه أيضاً أنه كبر عليه أربع تكبيرات، ومصادر أخرى كثيرة جداً.

٥- الطبقات، ٣:٣٩٩ - ٤٠٠؛ سير أعلام النبلاء، ١:١٥٤ و ١٥٥؛ العقد الثمين، ٦:٤٩؛ تهذيب الأسماء واللغات، ١:٣٢٦؛ الاستيعاب، ٣:١٠٥٤؛ غربال الزمان: ٣؛ أسد الغابه، ٣:٦٠٠؛ الطبقات، ٣:١٩٠؛ دعائم الاسلام، ١:٢٣٨؛ سنن ابن ماجه، ١:٤٩٨، الحديث ١٥٦١؛ سنن الدارمي، ٣:٢١٢، الحديث ٣٢٠٦.

ولم يكن البقيع قبل دفن عثمان مقبره، وكان يقال له: بقيع الخبيبه، وكان أكثر نباته الغرقد. (١)

وروى أنه (ص) أمر أن يبسط على قبر عثمان بن مظعون ثوب، وهو أول قبر بسط عليه ثوب. (٢)

وروى أيضاً أنه (ص) رشّ قبر عثمان بن مظعون بالماء بعد أن سوى عليه التراب. (٣)

وقيل: إن أول من تبعه إبراهيم ابن النبي (ص)، فلما توفي قال رسول الله (ص): الحق بسلفنا (بسلفك) الصالح عثمان بن مظعون، ودفن إبراهيم إلى جنب عثمان. (٤)

ولما ماتت ابنة لرسول الله (ص) قال رسول الله (ص): الحق بسلفنا الخير (الصالح) عثمان بن مظعون وأصحابه. (٥)

وكان إذا مات ميت قال النبي (ص): قدموه على فرطنا، نعم الفرط لأمتي عثمان بن مظعون، فيدفن عند عثمان بن مظعون. (٦)

ولما توفي عثمان بن مظعون قالت زوجته:

يا عين جودي بدمع غير ممنون

-
- ١- الإصابه، ٢: ٤٦٤؛ أسد الغابه، ٣: ٥٩٩؛ سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٤ و ١٥٥؛ معجم الشعراء، ٢٥٤؛ العقد الثمين، ٦: ٤٩؛ تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦؛ الاستيعاب، ١٠٥٤: ٣ - ١٠٥٥؛ الطبقات، ٣: ٣٩٧؛ المستدرک، ٣: ١٩٠؛ المنتقى فى مولود المصطفى، الفصل الخامس؛ وعنه فى البحار، ١٩: ١٣٢؛ المنتظم، ٣: ١٩١.
 - ٢- دعائم الاسلام، ١: ٢٣٨ - وعنه فى البحار، ٨٢: ٢١.
 - ٣- دعائم الاسلام، ١: ٢٣٩ - وعنه فى البحار، ٨٢: ٢٢.
 - ٤- الاستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - أسد الغابه، ٣: ٦٠٠ - مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - الإصابه، ٢: ٤٦٤ - شذرات الذهب، ١: ٩ - الكافى، ٣: ٢٦٣، الحديث ٤٥ - مسند أحمد، ١: ٢٣٧ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩ وفيه: ألحقك الله بخلفك الصالح عثمان بن مظعون.
 - ٥- أسد الغابه، ٣: ٦٠٠ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - ١٥٧ و ١٦٠ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الكافى، ٣: ٢٤١، الحديث ١٨ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩.
 - ٦- مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - الطبقات، ٣: ٣٩٧ - المستدرک، ٣: ١٩٠.

وأورث القلبَ حزناً لا انقطاع له حتّى الممات فما ترقى له شونى (١)

المراجع:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ليو سف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ، نشر مكتبه نهضه مصر ومطبعتهها.
- ٣ - أسد الغابه فى معرفه الصحابه، لابن الأثير على بن محمد الجرزى.
- ٤ - الإصابه فى تمييز الصحابه، لأحمد بن على بن حجر العسقلانى، دار صادر، بيروت.
- ٥ - الأعلام، لخير الدين الزركلى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩ م.
- ٦ - أعلام الغدير، مراجعه وتنسيق فاضل الميلانى، دار الكتاب العربى، بيروت.
- ٧ - بحار الأنوار، للعلامة المجلسى، دار الكتب الإسلاميه، طهران.
- ٨ - التاريخ الصغير، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار المعرفه، بيروت ١٤٠٦ هـ.
- ٩ - التاريخ الكبير، لإسماعيل بن إبراهيم البخارى، دار الكتب العلميه، بيروت.
- ١٠ - تفسير الحبرى، للحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى، مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، بيروت.
- ١١ - تفسير فرات الكوفى، لأبى القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى، وزاره الإرشاد، طهران.
- ١٢ - تقريب المعارف، للشيخ أبى الصلاح الحلبي، نسخه مخطوطه محفوظه فى المكتبه العامه لآيه الله المرعشى فى قم.
- ١٣ - تنقيح المقال، للشيخ عبدالله المامقانى، نسخه مطبوعه على الحجر.

١- الإصابه، ٢: ٤٦٤ وذكر البيت الأول فقط - أسد الغابه، ٣: ٦٠٠ - حليه الأولياء، ١: ١٠٦ - العقد الثمين، ٦: ٥٠ - الاستيعاب، ٣: ١٠٥٦.

- ١٤- تهذيب الأحكام، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، دارالكتب الإسلاميه، طهران.
- ١٥- تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلميه، بيروت.
- ١٦ - حليه الأولياء، لأحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٧ - خزانه الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبه الخانجي، مصر.
- ١٨ - الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (ع)، نسخه خطيه بخط ياقوت المستعصمي.
- ١٩ - ربيع الأبرار، لمحمد بن عمر الزمخشري، منشورات الشريف الرضي قم ١٤١٠ هـ.
- ٢٠ - رجال حول الرسول، لخالد محمد خالد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢١ - زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن قيم الجوزيه، مكتبه المنار، الكويت ١٤١٢ هـ.
- ٢٢ - سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٣ - سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت.
- ٢٤ - سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٥ - سنن الدارمي، للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٦ - سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- ٢٧ - سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسه الرساله، بيروت.
- ٢٨ - شذرات الذهب، لعبد الحَيِّ بن العماد الحنبلي، مكتبه القدس، مصر.
- ٢٩ - شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربيه.
- ٣٠ - شرح نهج البلاغه، لميثم بن علي بن ميثم البحراني، الطبعة الثانيه ١٤٠٤ هـ.
- ٣١ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، للحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف

بالحاكم الحسكاني، وزاره الإرشاد، طهران.

- ٣٢ - صحيح البخارى، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار الفكر، بيروت.
- ٣٣ - صحيح مسلم بشرح النووى، دار احياء التراث العربى، بيروت.
- ٣٤ - الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت ودار صادر ١٣٧٧ هـ.
- ٣٥ - العبر فى خبر من غبر، للحافظ الذهبى، معهد المخطوطات، الكويت ١٩٦٠ م.
- ٣٦ - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، لمحمد بن أحمد الحسنى الفاسى، طبع القاهره ١٣٨٦ هـ.
- ٣٧ - الغدير فى الكتاب والسنة والأدب، للعلامه عبد الحسين الأمينى، دار الكتب الإسلاميه، طهران.
- ٣٨ - غربال الزمان فى وفيات الأعيان، ليحيى بن أبى بكر العامرى اليمانى، دار الخير ١٤٠٥ هـ.
- ٣٩ - فهارس بحار الأنوار، مؤسسه البلاغ بيروت ١٤١٢ هـ.
- ٤٠ - فهارس شرح نهج البلاغه، وضعها أسدالله اسماعيليان، مكتبها اسماعيليان، قم.
- ٤١ - الكافى، لأبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى، دار الكتب الإسلاميه، طهران.
- ٤٢ - كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، دار الكتاب الإسلامى، حلب.
- ٤٣ - مجمع البيان فى تفسير القرآن، للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى، دارالمعرفه، بيروت.
- ٤٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلى بن أبى بكر الهيثمى، دار الكتاب، بيروت.
- ٤٥ - المستدرک على الصحيحين، للحافظ أبى عبد الله الحاكم، دار المعرفه، بيروت.
- ٤٦ - مسند أبى داود الطيالسى، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود، دار المعرفه، بيروت.
- ٤٧ - مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
- ٤٨ - معجم رجال الحديث، للسيد أبو القاسم الموسوى الخوئى، دار الزهراء، بيروت

- ٤٩ - معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزباني، دار الكتب العلميه، بيروت.
- ٥٠ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، دار الدعوة، استانبول ١٩٨٨م.
- ٥١ - المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان البسوي، مطبعه الإرشاد، بغداد.
- ٥٢ - المناقب، لمحمد بن علي بن شهر آشوب، انتشارات علامه، قم.
- ٥٣ - المنتظم، لعبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلميه، بيروت.
- ٥٤ - من لا يحضره الفقيه، للشيخ محمد بن علي الصدوق، دارالكتب الإسلاميه، طهران.
- ٥٥ - الموطأ، لمالك بن أنس، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٦ - نقد الرجال، للسيد مصطفى الحسيني التفريشي، انتشارات الرسول المصطفى، قم.
- ٥٧ - نهج البلاغه، للشريف الرضي، مع تعليقات محمد عبده، مؤسسه الأعلمي، بيروت.

وراجع أيضاً من مصادر ترجمته مما لم ننقل عنها:

- ١ - صفه الصفوه.
- ٢ - الشعر والشعراء.
- ٣ - المحبر.
- ٤ - التحفه اللطيفه.
- ٥ - تاريخ الخميس.
- ٦ - طبقات خليفه.
- ٧ - تاريخ خليفه.

۸ - سیره ابن هشام.

۹ - نسب قریش.

١٠ - الكامل فى التاريخ.

١١ - تاريخ الطبرى.

١٢ - تفسير الطبرى.

١٣ - تفسير ابن كثير.

١٤ - سنن البيهقى.

١٥ - ديوان أبى طالب.

١٦ - مرآه العقول.

١٧ - التعليقه للوحيد.

وغيرها من مصادر الفريقين.

(٢) عبدالله بن مسعود ورحله الإيمان المباركه

محمد سليمان

أعرف ب- (ابن مسعود) ، اسمى عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، كنيته أبو عبد الرحمن، وقد اختارها لى رسول الله (ص) أمى أم عبد الهذلي، كان أبى حليفاً لبنى زهره. نشأت فى مكّه، وعملتُ أجيراً أرعى غنماً لعُقبه بن أبى مُعيط.

سمعتُ بدعوه رسول الله (ص) للإسلام، وكنتُ يومها غلاماً يافعاً، بعد أن قدم جمعٌ من عمومتى إلى مكّه فرافقتهم، وكان فى بغيتهم شراء عطر، فأرشدوا إلى العباس بن عبدالمطلب الذى كان جالساً عند زمزم، فجلسوا إليه، وجلستُ معهم؛ فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا. . . عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليله البدر، يمشى على يمينه غلام، حسنُ الوجه. . . ، تقفوههم امرأه قد سترت محاسنها، حتى قصد الحجر فاستلمه، ثم استلمه الغلام واستلمته المرأة؛ طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأه يطوفان معه؛ ثم استقبل الركن، فرفع يديه وكبر، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها وكبرت، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فقنت ملياً، ثم سجد وسجد الغلام معه والمرأه، يتبعونه، يصنعون مثلما يصنع، فرأينا شيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكه؛ فأقبلنا على العباس، وقلنا:

يا أبا الفضل، إن هذا أمر لم نكن نعرفه فيكم!

قال: أجل، والله، ما تعرفون هذا؟

فقلنا: من يكون هؤلاء؟

قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والمرأه خديجه بنت خويلد امرأته، والغلام علي بن أبي طالب؛ أما والله ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

فعدت إلى عملي، وقد شغلت نفسي بما رأته؛ وما هي إلا أيام حتى أتيت النبي (ص)، وأسلمت على يديه مبكراً، فكنت من السابقين الأولين، حيث كنت سادس ستة ما على وجه الأرض مسلماً غيرنا.

كما كنت أول من جهر بالقرآن الكريم بعد رسول الله (ص) في مكة؛ قرأت منه آيات بينات، فراحت تدوى في سماء الكعبة، وأفق مكة البعيد، بعد أن اجتمع - يوماً - أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: والله، ما سمعت قريش بهذا القرآن يُجهر لهابه قط، فمن رجل يُسمعهموه؟ فقلت: أنا.

قالوا: إننا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيره تمنعه من القوم إن أرادوه. فقلت: دعوني، فإن الله سيمنعني.

وغدوت من فوري حتى أتيت المقام في الضحى، وما إن صرتُ على بعد خطوات من زعماء قريش، وهم في أُنديتهم حتى صحتُ بصوت عال تجاوبت أصداؤه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (١) وأخذتُ أقرأ هذه السوره المباركه، فيما راح كل زعيم من زعماء قريش - الذين ذهلوا وأدهشوا، وكان صاعقه نزلت عليهم من غرابه ما يسمعون - يلتفت للآخر سائلاً؟ ما يقول ابن أم عبد؟! ويأتيه الجواب: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد؛ وفجأه أسرعوا نحوى وملامح الغضب الذي تملكهم قد ارتسمت على وجوههم، ثم انهالوا عليّ بأيديهم وعصيهم، وقد غادرت الرحمه

١- سوره الرحمن. استدلل البعض بهذه القصة على أن سوره الرحمن مكيه.

قلوبهم، وأنا أقرأ دون توقف حتى بلغت من السوره ما شاء الله أن أبلغ، ثم انصرفت إلى أصحابي، وقد أدمى رأسي من كثرة الجراح.

قالوا: هذا الذي خشينا عليك.

قلت: ما كان أعداء الله أهونَ عليّ منهم الآن، ولئن شتتم لأغاديئهم بمثلها.

فقالوا: لا، حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون.

لقد كان زعماء الشرك يتربصون الدوائر بكل مؤمن بالإسلام، وبكل صادق بآيات القرآن الذي يطعن عقائدهم الضالّه، ويسفّه عقولهم، ولهذا تراهم لا يكتفون بإرسال عيونهم لمتابعتنا ومراقبتنا بل يتبعوننا بأنفسهم. وأذكر أنّي ذهبتُ وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وسعيد بن زيد لُنصلي بعيداً عن عيونهم، في شعب من شعاب مكه، فإذا بنفر من مشركي مكه منهم أبوسفیان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما يطلعون علينا، سبونا وعابونا، فحدث بيننا وبينهم عراك، وكان بيد سعد بلحي جمل ضرب به أحد رجالهم فشح رأسه، فكان أول دم أريق منهم في الإسلام.

ولما رأى رسول الله (ص) ما حلّ بنا من البلاء، وما يُصيبنا من العذاب على أيدي قريش، قال:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإنّ فيها ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»؛ فكانت أول هجره لي، وبعد عودتي منها هاجرتُ إلى يثرب حيث كان رسول الله (ص) قد سبقنا إليها، فملتُ بذلك وسام الهجرتين، فوسام البدريين عندما شاركت في معركة بدر الكبرى، وكان النصر حليف المؤمنين وهم قله، والهزيمة والذلّ نصيب المشركين وهم كثرة.

وقد أمر رسول الله (ص) أن يُلمس أبو جهل الذي أصابه معوذ بن عفراء، فعدتُ إلى ساحه المعركه، وأجلتُ نظري فيها، فوجدتُ أبا جهل في آخر رمق من حياته الآثمه، التي كان من فصولها: الإعتداء على رسول الله (ص) وتعذيب المؤمنين، وقتل سميه أمّ عمار بن ياسر.

قلتُ له: الحمدُ لله الذي أخزأك.

قال: وبماذا أخزاني.. لمن الدائرهِ اليوم؟

قلت: لله ولرسوله.

ثم قال حين رآني على صدره أريد قتله: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا زويعي الغنم.

فقلت له: إنني قاتلك يا أبا جهل!

قال: لست بأول عبد قتل سيده! أما إن أشد ما لقيته اليوم في نفسي لقتلك إياي، ألا يكون وليّ قتل رجل من الأحلاف أو من المطيبين.

فضربته ضربه وقع رأسه بين يديه... وأقبلت برأسه وبسلاحه ودرعه وبيضته فوضعتها بين يدي رسول الله (ص)، وقلت له: أبشر، يا نبي الله، بقتل عدو الله أبي جهل.

فقال رسول الله (ص): أحقاً، يا عبد الله؟ فوالذي نفسي بيده، لهو أحب إليّ من حمر النعم، اللهم قد أنجزت ما وعدتني فتمم عليّ نعمتك. وسجد شكراً لله، ثم شهد لي بالجنة.

بعدها أمر النبي (ص) بوضع قتلي المشركين في القليب، وعندها تذكرت: أن النبي (ص) كان يُصلي يوماً عند البيت، وأبوجهل وأصحابه له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلي جزور بنى فلان، وقد نُحرت بالأمس، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم عقبه بن أبي معيط فجاء به، فنظر حتى سجد النبي (ص)، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئاً، لو كان لي منعه؛ فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله (ص) ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة بعد أن أسرع امرأه فأخبرتها، فطرحته عن ظهره، ورفع رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرّات، فلما سمعوا صوته، شقّ عليهم، وخافوا دعوته، وكانوا يرون أن الدعوه في ذلك البلد مُستجاب، ثم سمى: (اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعقبه بن ربيعة، وشيبه بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميه بن خلف، وعقبه بن أبي معيط)، وعدّ السابع فلم أحفظه.

فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدّ رسول الله (ص) صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر؛ فنالوا بذلك جزاءهم العادل.

ووقعت معركة أحد فكنت من الذين استماتوا بالذب عن رسول الله (ص) والدفاع عنه

أمام السيل المتدافع من مشركى قريش، الذى يستهدف قتل رسول الله (ص) بعد أن حلت بنا هزيمه بعد نصر، كان سببها مخالفه الرماه أمر رسول الله (ص) :

«لا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا» .

وما علمتُ أن أحداً من أصحاب رسول الله (ص) يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) (١) فى أولئك الرماه الذين تنازعوا أمرهم بينهم، فريقٌ سال لعابه حين رأى الغنائم التى خلفها المشركون وراءهم، فترك موضعه، وفريق قليل ثبت مكانه امتثالاً لأمر الرسول (ص) فاستشهد عن آخره.

وفى معركة حنين، ركنا إلى قوتنا وكثرتنا، حتى قال قائلٌ منا: لن نُغلب اليوم من قله، فشددت كتائب العدو علينا شدة رجل واحد، وأصبنا بهزيمه مباغته أول القتال، فتفرقت جموع المسلمين الذين انتابهم الخوف والذعر، فيما راحت جماعه منا تقدر بثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وكنت أحدهم تحيط برسول الله (ص)، الذى علا صهوه بغلته البيضاء وسط المعركة، وهو يصيح بالمنهزمين: إلى أين أيها الناس؟ هلموا إلى - هلموا إلى... أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.

أنا النبى لا كذب أنا بن عبد المطلب

اللهم نزل نصرك، اللهم نزل نصرك... وإذا بالجموع المنهزمه تعود إلى ساحه المعركة، وقد غطت تكبيرتهم وتلبيتهم فضاء الوادى، فكان النصر بعد الهزيمه، وكان الظفر بعد المذله والهوان، وما رجعنا إلا وقتلى المشركين قد ملأت ذلك الوادى، وأسراهم فى الحبال عند رسول الله (ص)

ثم تعال معى - عزيزى - لنقرأ كيف صور لنا القرآن الكريم هذه الواقعة أفضل تصوير بأعظم بيان.

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ

شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

وبدأ رسول الله (ص) بتقسيم غنائم حنين على المسلمين، وعندها سمعت رجلاً يقول: إن هذه القسمة ما عدل فيها، ما أريد بها وجه الله.

فقلت؟ فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟

وأتي النبي (ص) فأخبرته، فتغير لونه حتى ندمت على ما صنعت، ووددت أني لم أخبره.

ثم قال (ص):

«رحم الله موسى، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر».

وأُنزل الله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) (٢)

لقد شهدت مع رسول الله (ص) كل مشاهدته، ولم أتخلف عنه أبداً، ولا غرابه في ذلك، فلقد تشرفت بخدمته، ورافقت في حله وترحاله، حتى صرت صاحب سرّه. قال لي رسول الله (ص):

«إذُنكَ عَلَيَّ أَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي (سَرِي)، وَيُرْفَعَ الْحِجَابُ، حَتَّى أَنْهَاكَ»؛ فكنت ألج عليه، وألبسه نعليه، وأمشى معه، وأستره إذا اغتسل، وأوقفه إذا نام، ولهذا كله ولغيره عرفت عند الصحابه بصاحب السواد والسواك، وصاحب سر رسول الله.

ولهذا أيضاً ترى بعضهم يعدني وأمي من آل النبي (ص) لكثرة دخولنا عليهم ولزومنا لهم؛ قال في الصحابي الجليل حذيفه:

«كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله (ص) ابن مسعود، حتى يتوارى عتاً في بيته. ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) أنه من أقربهم إلى الله زلفاً».

وكانت ملازمتي لرسول الله فرصة مباركة، نافعه لي، تزودت منه إيماناً وحكمه وأدباً، واستقيت منه علماً ومعرفه، حتى صرت فقيهاً في الدين، عالماً بالقضاء وأحكامه، عارفاً

١- التوبة: ٢٥ - ٢٧.

٢- المصدر نفسه: ٥٨.

بالقرآن وعلومه: ناسخه ومنسوخه، متشابهه ومحكمه. . . تلقيت كل ذلك من رسول الله (ص) وبفضل وبركه صحبتي له.

لقد أخذت من في رسول الله (ص) بضعة وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله (ص) أنني أعلمهم بكتاب الله. فما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه، وما سمعت أحداً يرد هذا علي ولا يعييه. ولكنني أذكر أن رجلاً قال لي يوماً: سمعتك تقول:

«لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه المطايا لرحلت إليه» .

فقلت: نعم، قلت: هذا.

فقال: فأين أنت عن علي.

قلت: به بدأت، إنني قرأت عليه.

وأضيف - أيضاً - أنني قرأت سبعين سورة على رسول الله (ص)، وختمت القرآن على خير الناس بعده، علي بن أبي طالب. . . وأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما من حرف إلا وله ظهر و بطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

كما كنت محباً للقرآن، حاملاً له، عارفاً بقراءته، مجيداً لها، حسن الصوت به، وكنْتُ أعدد من القراء، ولفظه القراء هذه لا تطلق إلا علي نخبه قليله تختص بقراءه القرآن، من بين عدد ممن يعرفون القراءه في مجتمعنا الذي غلبت عليه الأمية. وقد قال في رسول الله (ص):

«من سره أن يقرأ القرآن غصاً أو رطباً كما أنزل فليقرأه علي قراءة ابن أم عبد» وأم عبد كنيه أمي.

وشهد لي علي (ع) أنني أول من قرأ آية من كتاب الله على ظهر قلب بقوله:

«أول من قرأ آية من كتاب الله عن ظهر قلبه ابن مسعود» .

وكثيراً ما كان رسول الله (ص) يحب أن يسمع القرآن مني، وذات مره قال لي: اقرأ علي يا عبدالله.

قلت: اقرأ عليك، وعليك أنزل يا رسول الله؟

فقال (ص): إني أحبُّ أن أسمع من غيري.

فأخذتُ أقرأ من سورة النساء، حتى إذا بلغتُ قوله تعالى:

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) فاضت عينا رسول الله (ص) من الخشوع والخشيه والإخبات لله ولتنزيله.

ولطالما جاءني بعض الصحابه إلى بيتي ليسمعوا مني قراءة القرآن وتفسيره، ولأن قراءتي هكذا كانت، ترى الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق من قبل الأمويين، الذي عرف بمكره واشتهر بإجرامه وتعطشه للقتل وتعذيب الناس، تراه يمنع قراءة القرآن كما قرأته، فيقول في ضمن كلمه له يهدد ويتوعد بها الناس: «... ولا أجد أحداً يقرأ عليّ قراءة ابن أمّ عبد إلا ضربت عنقه...» .

وكنتُ من الذين نزلت فيهم:

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (١)

نزلت في ستة نفر وأنا واحد منهم، حينما كنا جلوساً عند رسول الله (ص)، فقال بعض زعماء قريش: إننا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم عنك. فأنزل الله هذه الآية.

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) (٢)

كنت من هذا القليل الذي استثناه الله تعالى، فقد قلنا: والله لو أمرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا، فقال رسول الله (ص): إن من أمتي رجالاً، الإيمان في قلوبهم أنبت من الجبال الرواسي.

(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ) (٣)

١- الأنعام: ٥٢.

٢- النساء: ٦٦.

٣- آل عمران: ١٧٢.

نزلت هذه الآية في الذين أجابوا دعوه الرسول (ص) مع ما فيهم من جراح وآلام شديده في يوم أحد، وكنت منهم، ندبنا الرسول (ص) لنعود إلى المشركين فنقاتلهم.

ولما نزلت (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (١)

قال رسول الله (ص) لى: أنت منهم. فكانت فرحتى بذلك عظيمه جداً.

نلتُ شرف الروايه عن رسول الله (ص) حتى تجدنى فى بعض الكتب الحديثيه أذعى ب- (عبد الله بن المسعود الراوى) ، فقد ورد لى فى كتب الحديث الكثير من الروايات المتفق على صحتها، كما أن جمعاً من أعيان الصحابه والتابعين روى عنى. وما نقلتُ حديثاً عن رسول الله (ص) حتى تغير لون وجهى، وانتفخت أوداجى، وعلتنى كآبه، وانحدر عرقى من جبينى، ودمعت عينى، وأقول فى بدايه نقلى للحديث: أو قريباً من هذا، أو نحو هذا، أو شبه هذا. كل ذلك خوفاً من الزيادة والنقصان، أو السهو والنسيان، فأكون قد حكيت عن رسول الله (ص) ما لم يقله، أو أدخل فى الدين ما ليس منه. أذكر بعض ما رويته:

* من صلى صلاه لم يصل فيها على وعلى أهل بيتى لم تقبل منه.

* سبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفرٌ.

* سألتُ النبى (ص) : أى العمل أحبُّ إلى الله؟ قال:

«الصلاه على وقتها». قلتُ: ثم أى؟ قال (ص) :

«ثم برُّ الوالدين». قلتُ: ثم أى؟ قال (ص) :

«الجهادُ فى سبيل الله». حدثنى بهنّ، ولو استرذته لزادنى.

* إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه.

* إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنه، وإن الرجل ليصدق حتى يكون

صديقاً، وإنَّ الكذب يهدى إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدى إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب حتَّى يكتب عند الله كذاباً.

* سمعت رسول الله (ص) يقول بحق الصحابي الجليل «أبوذر الغفاري»: :

«يرحم الله أباذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابه من المؤمنين» وكان ذلك في مسيره إلى تبوك، حيث وقف بأبي ذر جملته فتخلف عليه، فلما أبطأ أخذ رحله عنه، وحمله على ظهره، وتبع النبي (ص) ماشياً، فنظر الناس وقالوا: يا رسول الله! هذا رجل على الطريق وحده.

فقال (ص): كن أباذر،

فلما تأمله الناس، قالوا: هو أبوذر.

فقال رسول الله (ص): يرحم الله أباذر، يمشى وحده. . . .

وبقيت طيله سنين أفكر بهذا القول حتَّى نفى عثمان أبا ذر إلى الربذه وهو مكان يكرهه كثيراً، فأصابه بها أجله، ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن يغسلاه، ويكفناه ثم يضعاه على الطريق، فأول ركب يمرّ بهما يستعينا به على دفنه، ففعلا ذلك؛ فإذا بي في رهط من أهل العراق، فأعلمتنا إمرأته بموته، حزناً حزناً شديداً، ورحنا نبكى عليه بدموع غزيره، وقلتُ صدق حبيبي رسول الله (ص): لقد سمعته يقول:

«يرحم الله أباذر. . . ، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابه من المؤمنين» ثم واريناه الثرى في سنة ٣٢ هـ.

فلك الله يا أباذر، ما أنصفوك في شيء.

* ومن أدعيته (ص) التي رويتها هذا الدعاء:

ما من عبد أصابه همٌّ، فقال:

«اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو ذكرته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ضياءً صدري، وربع قلبي، وجلاءً حزني، وذهاب همي» إلا أذهب الله همّه، وبدّله مكان حزنه فرحاً.

ولو راجعت كتب التفسير، ومعاجم القراءات لوجدت لى قراءات أختص بها وحدى بلغت أربعاً وسبعين قراءه، وأخرى شاركت فيها آخرين، وتجد لى آراء فى القرآن وتفسير آياته أنفرد بها، وأخرى أشارك فيها غيرى، كما أن لى آراء فى الفقه، وفتاوى، وحكم وأقوال تناثرت فى بطون الكتب، ببركات البيت النبوى الذى عشت فى كنفه، وارتويت من ينبوع إيمانه وعلمه وأدبه وحكمته.

وهذه باقه من حكم وأدعيه وأقوال لى:

* ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضيفٌ على الدنيا، وماله عاريه: فالضيف مرتحل، والعاريه مردوده.

* إن الرجل لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم.

* ما من شىء أولى بطول سجن من لسان.

ومن دعائى: اللهم وسع على فى الدنيا وزهدنى فيها، ولا تزوها (تبعدها) عنى ولا ترغبنى فيها. . . .

وإن لى دعاء ما أكاد أدعه: اللهم إنى أسألك إيماناً لا يبيد، ونعيماً لا ينفد، وقره عين لا تنقطع.

* إن فى كتاب الله آيتين، ما أصاب عبدٌ ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له:

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (١)

(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (٢)

* إن عملتم فى دينكم بالقياس، أحللتكم كثيراً مما حرم الله، وحرمتكم كثيراً مما أحل الله.

ومن خطبه لى:

«أصدق الحديث كتابُ الله، وأوثق العرى كلمه التقوى خير زاد، وأكرم الملل مله

إبراهيم (ع) ، وخير السنن سنّه محمد (ص) . وما قلّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى، لنفسٍ تحيها خيرٌ من إماره لا تُحصيها؛ خير الغنى غنى النفس؛ وخير ما ألقى فى القلب اليقين؛ الخمر جماع الآثام. . . مَنْ يَغْفِرُ يُغْفِرُ لَهُ، مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ، مِنْ عَفَا عَفَى عَنْهُ، . . . السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيره. . . أَحْسَنُ الْهُدَى هُدَى الْأَنْبِيَاءِ، أَقْبَحُ الضَّلَالَةِ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى، أَشْرَفُ الْمَوْتِ الشَّهَادَةُ. . .

عرف الصحابه قدرى، ومنزلتى عند رسول الله (ص) ، وسبقى وفضلى فى الإسلام؛ فقد ارتقيت - يوماً - شجره لأجتنى من ثمرها للصحابه وهم ينظرون إلى دقّه ساقى ويضحكون، فقال لهم رسول الله (ص) : ما يضحككم! أو تعجبون من دقّه ساقيه؟ فوالذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان يوم القيامة من أحد.

وقد سمع على (ع) - يوماً - ثناء جمع من الصحابه علىّ حيث قالوا: ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسه، ولا أشدّ ورعاً من ابن مسعود. فقال (ع) :

«أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم. قال: أللهم اشهد أنّى أقول مثل ما قالوا، وأفضل من قرأ القرآن، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، فقيه فى الدين، عالمٌ بالسنّه» .

وها هو الخليفه الثانى عمر بن الخطاب، يعين عمار بن ياسر والياً على الكوفه، ويجعلنى وزيراً ومعلماً فى كتاب واحد سنه ٢١ هـ، جاء فيه:

«إننى قد بعثتُ عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله (ص) ، من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد أثرتكم بعبد الله على نفسى» .

فكنت فى الكوفه معلماً للقرآن، وفقياً فى الدين، وأميناً على بيت مال المسلمين، حتّى آل أمر الخلافه إلى عثمان، فبعث الوليد بن عقبه بن أبى معيط والياً على الكوفه فى السنه الثانيه من خلافته، وعقبه هذا من ألد أعداء رسول الله (ص) ، وقد قتله على بن أبى طالب بأمر رسول الله صبراً بعد أسره فى معركة بدر، وأنزل الله فيه:

(وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (١)

أما ابنه الوليد فقد أسلم يوم فتح مكه، وكان فاسقاً بنص القرآن:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِبُوا عَلَي مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (٢)

جرت بيني وبين الوليد هذا مشاده وخصومه، بعد أن استقرض مالاً من بيت مال المسلمين ولم يرجعه، فأرسل إلى عثمان يخبره بمطالبتى له بإعادة المال، وبدل أن يقف الخليفة بجانبى كتب إلى: «إنما أنت خازن لنا فلا تتعرض للوليد فيما أخذه من المال». فلم يتأخر جوابى: «كنت أظن أنى خازن لمال المسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا- حاجه لى فى ذلك». ثم خرجت إلى مسجد الكوفه وقلت: «يا أهل الكوفه، فقدت من بيت مالكم الليله مائه ألف لم يأتى بها كتاب أمير المؤمنين، ولم يكتب لى بها براءه...» .

ثم أعلنت استقالتى، وقلت: «مَنْ غَيْرَ غَيْرِ اللَّهِ مَا بِهِ، وَمَنْ بَدَّلَ أَسْخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَا أَرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا وَقَدْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ...» . إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد (ص)، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعه ضلاله، وكل ضلاله فى النار» .

فلما سمع الوليد كل ذلك، كتب كتاباً آخر إلى الخليفة عثمان قال فيه: إنه يعيبك، ويطعن عليك.

فأمر عثمان الوليد بإشخاصى إليه فى المدينه، فما كان من أهل الكوفه إلا أن اجتمعوا بسلاحهم حولى قائلين: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه، فقلت: إنى لا أحب أن أكون أول من فتح باب فتن لا تبقى ولا تذر. فأوصيتهم بتقوى الله، ولزوم القرآن.

ثم خرجت من الكوفه فيما راح أهلها يودعوننى بحزن وأسى قائلين: جزيت خيراً، فلقد علمت جاهلنا، وثبت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا فى الدين، فنعم أخو الإسلام

١- الفرقان: ٢٧ - ٢٨.

٢- الحجرات: ٦.

أنت، ونعم الخليل....

ولمّا وصلتُ مسجد رسول الله (ص) فى المدينة إذ الخليفة يلقى كلمته، فلَمّا رآنى قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبه سوء من يمشى على طعامه يقىء ويسلح.

فقلت: لستُ كذلك، ولكنى صاحب رسول الله (ص) يوم بدر ويوم بيعه الرضوان.

وقد أثار كلام الخليفة أمّ المؤمنين عائشه فقالت: أى عثمان، أتقول هذا لصاحب رسول الله؟

فقال لها: أسكتى.

ثم أمر بإخراجى من المسجد، فضربتُ وأُخرجت.

ومنع عطائى سنتين، وأمر بمقاطعتى، ولم يأذن لى بمغادره المدينة.

وتوجه علىّ (ع) نحو الخليفة قائلاً:

يا عثمان، أتفعل هذا بصاحب رسول الله (ص) بقول الوليد بن عُقبه؟

فقال: ما بقول الوليد فعلتُ هذا، ولكن وجهتُ زيد بن الصلت الكندى إلى الكوفه، فقال له ابن مسعود: إنّ دم عثمان حلال فردّ عليه علىّ (ع): أحلت على زيد على غير ثقه.

ثم حملنى علىّ (ع) إلى منزله، فقام برعايتى وتعاهدنى حتّى شفيتُ من آثار ضربهم لى.

ولما مرضتُ مرضى الذى متّ فيه، دخل علىّ الخليفة عائداً، وقال لى:

ما تشتكى؟

فقلت: ذنوبى.

فقال: فما تشتهى؟

فقلت: رحمه ربي.

قال: ألا أدعو لك طبيباً؟

قلتُ: الطبيب أمرضى.

قال: أمر لك بعطائك؟

قلت: منعتني وأنا محتاج إليه، وتعطيني وأنا مستغن عنه.

قال: يكون لولدك.

قلتُ: رزقهم على الله.

قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

قلتُ: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.

ثم غادر بيتي دون أن يحصل على رضاي.

مات عبد الله بن مسعود عن ستين عاماً، وصلى عليه حبيبه عمّار بن ياسر مع جمع من أصحابه، ودفن ليلاً في البقيع سنة ٣٢هـ.

فسلام عليك يا أبا عبد الرحمن في الخالدين

إنّ الكتب التي ذكرت حياه هذا الصحابي الجليل، وكلّ ما يتعلّق به عديده، أكتفى هنا بذكر ما اعتمده في هذه الترجمة له.

١ - مختصر (تاريخ دمشق لابن عساكر) لابن منظور، تحقيق روجيه النحاس - دار الفكر.

٢ - الكامل لابن الأثير.

٣ - حليه الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ج ١ - إصدار دار الفكر.

٤ - تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري.

٥ - المغازي للواقدي.

٦ - أسد الغابه في معرفه الصحابه - ابن الأثير ج ٣.

٧ - العقد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي.

٨ - ربيع الأبرار ج ٢.

٩ - أحاديث أم المؤمنين عائشه للسيد العسكري.

- ١١ - صحيح مسلم.
- ١٢ - التاريخ الجامع للأصول للشيخ منصور ناصيف.
- ١٣ - أضواء على السنّة النبويّه لمحمود أبو ريه.
- ١٤ - السيره النبويّه لابن هشام ج ١، ج ٢.
- ١٥ - ترجمه الإمام عليّ (ع) من تاريخ مدينه دمشق، تحقيق المحمودى ج ٣.
- ١٦ - معجم القراءات القرآنيه - اعداد الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم.
- ١٧ - تاريخ المدينه المنوره - ابن شبه مجلد ٣ - ٤.
- ١٨ - العده - الشيخ الطوسى.

(٣) مقداد بن الأسود الكندي إيمان، مواقف**إشارة**

محمد سليمان

كان أبى عمرو بن ثعلبه بن مالك البهرانى أو البهراوى طريد قومه الذين يطالبونه بدم سفكه، فلحق بحضرموت وحالف بنى كنده، وتزوج عندهم، ثم ولدت بينهم، لهذا لقبت ب- (الكندى)

ولما كبرت وقع بينى وبين أبى شمر بن حجر الكندى شيخ القبيله نزاع، فشهت سيفى بوجهه، ثم ضربت رجله، وكان جزاء عملى ذلك الموت؛ وقبل أن ينفذ بى العقاب تسللت من سجنهم حيث الصحراء الشاسعه، لا يأوينى مكان، ولا يستقر بى أوان؛ أجوب الصحارى المتراميه الأطراف، أقطع عشرات الأميال عبر الأودية والتلال والجبال، ولم أعبأ بأهوال السفر ومشقه الطريق، وكيف يكون ذلك، وبين جنبى روح تحدثنى بالعزّه والأمل، وفى أن أعيش فارساً عزيزاً يهابنى الآخرون، ولا تريحه ولا تستهويه إلا ميادين القتال وساحات الوغى؟

نزلت من على ظهر فرسى (سبحه) لأستريح قليلاً على ظهر تل، وقد احتوانى العراء

الواسع، سرحت عيناي فيما يحيطني من جهات، حتى وقع بصري على شيء، دقتُ النظر فيه من بعيد.. إنه مضارب بنى زهره، القبيله التي عرفت بمنعتها بين قبائل العرب؛ أسرعُ نحوهم، آويتُ إليهم، وألقت رحلي عندهم، لم يكن لي خيارٌ إلا- أن أحالف الأسود بن عبد يغوث الزهرى، الذي صرتُ أدعى باسمه حتى نزل قوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) (١) فعدتُ إلى اسمي (المقداد بن عمرو بن ثعلبه.. .) ولكنى بقيت معروفاً ب- «ابن الأسود الكندى»، وبقي هذا يلازمني طيله حياتي وبعد مماتي.

كنيتي: أبو الأسود، وأبو عمر، وأبو معبد أحبُّ كناية إليّ، لأنَّ رسول الله (ص) كان يدعوني أبا معبد.

أما صفاتي: فقد كنتُ طويلَ القامة، بطيناً عظيمَ الجثة، قويها، حينما أعلو فرسى تكاد رجلاى تخطان الأرض، أما شعر رأسي فكثير، ولحيتي فكثيفه.. . وختاماً فإنَّ الله - تعالى - منَّ عليَّ بهيئه مهابه.

عشت رداً في مضارب بنى زهره، فاقداً لحقوق كثيره - يتمتع بها أبناء القبيله - وهذا شأن كلِّ محالف؛ رافضاً حاله السلب والنهب، والغزو بغير حق، نابذاً عادات الجاهليه المقيته التي لم تجد رضاً وقبولاً عندي، وكم تمنيت أن أجد من يشاطرنى ذلك كله، ويشاركني الرأي.. . فكانت الفرصه، إنَّها لقائي بعمار بن ياسر وتعرفى عليه، فانتشلتني من ذاك الضياع، بعد أن سبقني إلى نور الإسلام، وعظمه الإيمان، اصطحبتني معه في جوف الليل إلى دار الأرقم، حيث رسول الله (ص) والمؤمنون، أعلنتُ إسلامي بين يديه (ص) فتخلّصتُ نفسي من ظلام الجاهليه، وتغيرت حياتي، فقد ملأ الإيمان قلبي، وأضاء التوحيد بصيرتي، وأخذتُ أروى ظمأى منه، وأنهل من معين الإسلام بنهم وشوق عظيمين؛ حتى صرتُ من الأوائل الذين أظهروا إسلامهم، فتصدت لنا قريش بكلِّ جبروتها، ووسائل قمعها، وسياط تعذيبها، فنالت من أبداننا وأجسادنا شيئاً عظيماً، لكنها لم تنل من عقيدتنا وضمودنا وثباتنا أبداً،

كنا نزداد قوّه أَمَامَ قوّتِها، وشموخاً عظيماً وعزّهضاً إزاء طغيانها وجبروتها.

ولما رأى رسول الله (ص) ما حلّ بنا، واشتداد أذى قريش علينا وملاحقتها لنا أمرنا بالهجرة إلى الحبشه حيث قال: «لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإنّ بها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه. . .» .

فكنّت مع نحو ثمانين من المهاجرين، ممن وطأت أقدامهم أرض الحبشه حيث وجدنا ما قاله لنا رسول الله (ص) مَلِكًا عادلاً، أحسن ضيافتنا، ورفض تسليمنا إلى وفد المشركين من قريش الذى اتبعنا. . . ثم عدنا إلى مكه، ودخلها كلّ واحد منّا تحت أمان وعهد زعيم من زعمائها، وكبير من كبرائها، فعدت مرّه أخرى حليفاً لأحدهم. . . .

هاجر رسول الله (ص) إلى يثرب، وتبعه جمع من الصحابه، ولم أتمكن من اللحاق به (ص) حتى أعدت قريش سريره قتال التحقّت بها مع صاحبى - عتبه بن غزوان - وكان هدفهم قتال سريره أرسلها رسول الله (ص) بقيادة حمزه بن عبدالمطلب، فلما اقتربنا منها انحزنا إليها، والتحقنا بإخواننا الذين سبقونا إلى يثرب.

وفى المدينه لم يدم انتظارنا لقتال المشركين طويلاً حيث تناهت إلينا أخبار عن استعداد مشركى مكه لقتالنا، وجاءوا بجيش فاق عدداً كثيراً، فأقبل رسول الله (ص) علينا ونحن مجتمعون يحدث بعضنا بعضاً عن الأخبار تلك، وقال:

« . . هذه مكه قد ألفت إليكم أفذاذ أكبادهاء . فما ترون فى قتالهم؟ » فتحدث عدد من الصحابه حتى جاء دورى فقلت:

يا رسولَ الله! امضِ لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (ع) :

(فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (أو تل العماد، يعنى مدينه الحبشه) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، . . فاستبشر رسول الله بذلك، وأشرق وجهه، ودعا لى بخير.

وسميتُ عند بعضهم ب- «صاحب المقال المحمود» إشاره إلى قولي هذا لرسول الله (ص) ودفع مقالى ذاك أيضاً الأنصار إلى قولهم: فتمنينا نحن لو أننا قلنا كما قال المقداد، أحبُّ إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيم... .

كما حمل موقفى ذاك وقولى كبار الصحابه على الإشاده به وإكباره وتمنوه، فهذا الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود يقول: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحبُّ إلى مما فى الأرض من شىء؛ كان رجلاً فارساً، وكان رسول الله (ص) إذا غضب احمازت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال، فقال: «أبشر يا رسول الله! فوالله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (ع):

(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)

ولكن والذى بعثك بالحق... لنكونن من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، أو يفتح الله لك.

ثم قام سعد بن معاذ عن الأنصار فقال: ... بأبى وأمى يا رسول الله! إننا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلَّ الله عزَّوجلَّ أن يريك منا ما تقرَّ به عينك، فسر بنا على بركة الله.

ففرح رسول الله (ص) بما سمع من أصحابه، وقال: «سيروا على بركة الله، فإنَّ الله عزَّوجلَّ قد وعدنى إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأنى أنظر إلى مصرع أبى جهل بن هشام وعته بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وفلان وفلان...» .

ثم أمرنا (ص) بالتوجه إلى بدر الذى نزلناه عشاء ليله السابع عشر من رمضان، وكانت الآبار ومنابع الماء إلى جانب المسلمين، وكان عددنا ٣٠٠ رجل كنتُ الفارس الوحيد فيهم، فيما كان عدد المشركين قرابه ألف رجل.. فيهم من الفرسان عدد كثير.

كانت عيوننا متجهه صوب رسول الله (ص) وهو يناجى ربَّه ويدعوه:

«اللَّهُمَّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك، وتكذب رسولك، اللَّهُمَّ فنصرك الذى وعدتني...» .

واشتد أوار المعركة، وخفقت رايات القتال ولمعت الأسنة والسيوف، وعندها تيقنت أن الفروسيه فى الإسلام غيرها فى الجاهليه، وتعلمت وقتها الفرق بينها وهى تحمل رايه الحق وتدافع عنه، وبينها وهى تحمل رايه الضلال وتدافع عن الباطل، إن لها حلاوه وطعماً حينما تكون دفاعاً عن المبدأ الحق والعقيده الصحيحه، لا دفاعاً ولا قتالاً من أجل الثأر والنهب والسطو.

إنه القتال والجهاد والنضال المقدس الذى تعلمته وإخوانى من الإسلام ونبى الإسلام، قتال عظيم هذا الذى ترعاه السماء بآيات القرآن وبإمدادها الربانى، ويرعاه رسول الله (ص) بدعواته التى لا يحجبها عن السماء شىء ولا يمنعها مانع، وتتخلله استغاثه المؤمنين

(إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَدِّينَ) (١)

والرسول (ص) يقول:

«والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» .

فكانت تلك الآيات وهذه الكلمات باعثاً عظيماً قوياً لنا، يثبت أقدامنا ويشد عزمنا نحو الشهاده. . . فكان النصر حليفنا، وكان القتل وكانت الهزيمه والعار والذل يلاحق المشركين، الذين تركوا كبار زعمائهم صرعى على أرض المعركة ينتظرهم القليب الذى أمر بحفره رسول الله لتلقى به جثثهم، كما وقع آخرون أسرى، منهم النضر بن الحارث بن علقمه الذى يكتى أبا القائد وقع أسيراً بيدى، وكان أشد قريش تكذيباً للنبي (ص) وأذى لأصحابه، كما كان ينظر فى كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى وهو من الذين قالوا:

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِّنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا . (٢)

وهو الذى نزلت فيه هذه الآيه:

١- الأنفال: ٩-١٣.

٢- فاطر: ٤٢.

(وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (١)

وكان يقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين؛ وقع هذا أسيراً بيدي وأتيت به إلى رسول الله (ص) وما إن رآه حتى أمر علياً (ع) بقتله.

فقلت: يا رسول الله! أسيرى.

فقال النبي (ص): إنه كان يقول في كتاب الله ورسوله ما يقول.

وأنا أقول: إنه أسيرى.

حتى قال رسول الله (ص): اللّهم أغن المقداد من فضلك.

فقلت: هذا الذي أردت.

فقتله عليّ (ع) صبراً.

وفي معركة أحد، هذه المعركة التي كنت فيها فارساً مقداماً، ومقاتلاً عنيداً... أنزلت هزيمة مروعة بالمشركين الذين ولّوا هاربين، وقد تركوا قتالهم تملأ ساحة المعركة، وكاد النصر النهائى يكون حليفنا لولا أن ترك بعض الرماة مواقعهم التي حددها لهم رسول الله (ص) طمعاً فى الغنائم التي خلفها مشركو قريش وراء ظهورهم، فلمّا أحسّ خالد بن الوليد ومن كان معه من المشركين بضعف هذا الموقع، وثبوا عليه، وقتلوا ما بقى من الرماة، ثمّ عادوا من خلفنا، فوقفّت مع نفر من أجلّ الصحابة مدافعين عن رسول الله (ص) ذابّين بأرواحنا وأجسادنا عنه، إنها لحظات كادت تودى برسول الله (ص) وبدينه لولا رحمه الله تعالى به وبنّا.

ويوم فتح مكة معقل قريش، كنت يومها على ميمنه الجيش الإسلامى الذى يقوده رسول الله (ص) فتهاوت بدخوله (ص) وجيشه الأوثان والأصنام التي كانت تمثل الشرك والكفر كلّ، وقد أحاطت الكعبة من كلّ جوانبها، وبلغ عددها ٣٦٠ صنماً، فأمر رسول الله (ص) بتهديمها وإخراجها من البيت الحرام، وارتفعت رايه التوحيد خفاقةً، وملاً التكبیر سماءً مكّة، وكانت فرحتنا بهذا النصر الذى طال انتظاره، عظيمه، وابتهاجنا به كان كبيراً... .

وإذ نحن في غمره أفراحنا بهذا النصر تناهت إلينا أنباء حشود عظيمه خطيره بلغ تعدادها أكثر من ١٢ ألف مقاتل من قبائل الطائف وفي مقدمتها قبيلتنا هوازن وثقيف، فراح رسول الله (ص) يعدُّ منّا جيشاً كبيراً بلغ تعداده ١٢ ألف مقاتل أو يزيد، وأمرنا بالتحرك، وكان اللقاء في وادي حنين حيث حلت بنا هزيمه مفاجئه، تحوّلت - برحمه من الله - إلى نصر كبير لنا بعد أن ثبت رسول الله (ص) وأكثر من ثمانين من الذين بايعوه حتى الموت وكنّ أحدهم، وبعد أن عاد المسلمون الذين لاذوا بالفرار من ساحه المعركه فاندفعت جموعهم نحو ساحه المعركه التي حمى وطيسها وهم ينزلون بالعدو هزيمه ساحقه.

لم أتخلف أبداً عن معارك رسول الله (ص) وغزواته كما أنى شاركت في معركه اليرموك وفي فتح مصر وحمص ودمشق وغيرها حتى قال لي أحدُ الذين كنتُ أحدثهم عن الجهاد - يوم فتح حمص ودمشق - وقد كبر عمري وضعف جسمي، يومذاك، قال لي: لو قعدت العام عن الغزو.

فقلت: أبت البحوث، فقد قال الله عز وجلّ فيها:

(انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا - (١)) وكنّ في كل تلك المعارك فارساً أخوض غمارها، وأبلى بها بلاءً حسناً، مستبشراً بإحدى الحسينين: الشهاده أو النصر.

قال لي - يوماً - عبد الرحمن بن عوف وقد جلسنا نتحدّث:

ما يمنعك أن تزوّج؟

فقلتُ له: زوّجني ابنتك.

فما كان منه إلا أن أغلظ لي في الكلام وجبهني.

وكان الصحابه إذا أصاب أحدٌ منهم غمٌّ أو غيظ أو فتنه شكى ذلك إلى رسول الله (ص) فقمّت من فوري وأتيت رسول الله (ص) فما إن نظر إليّ حتى عرف الغم في وجهي.

١- التوبه: ٥، سميت بذلك أي ب- «البحوث»؛ لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم، أي استشارتها وفتشت عنها.

وقال: ما شأنك يا مقداد؟

فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأُمِّي، كنتُ عند عبد الرحمن بن عوف جالساً فقال لي:

ما منعك يا مقداد أن تزوج؟

فقلت له: زوّجني أنت ابنتك، فأغلظ لي وجهي.

فقال لي رسول الله (ص): لكنني أزوّجك - ولا فخر - ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب.

فتزوجتها وكانت من العقل والجمال بدرجة عالية مع قرابتها من رسول الله (ص)

نزلت فيّ وفي نفر من أصحاب رسول الله (ص) (ابن مسعود، صهيب، عمار، بلال) هذه الآية:

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)

حين كنّا جلوساً عند رسول الله (ص) وجاء بعض زعماء قريش، فقالوا لرسول الله (ص): إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنك حتى نجلس معك فنزلت فينا تلك الآية.

كما نزلت فيّ وفي رهط من أصحاب رسول الله (ص) هذه الآية:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) (١)

حينما اجتمعنا في دار الصحابي الجليل القدر عثمان بن مظعون، واتّفقنا على أن نصوم النهار ونقوم الليل، ولا ننام على الفرش، ولا نأكل اللحم ولا- الوّدك، ولا- نقرب النساء والطيب، ولا- نلبس المسوح، ونرفض الدنيا ونسيح في الأرض ونترهب ونجّب المذاكير.

فبلغ ذلك رسول الله (ص) فجمعنا، وقال:

«ألم أتبأ أنكم اتّفقتم على كذا وكذا؟». فقلنا: بلى يا رسول الله! وما أردنا إلا الخير.

فقال لنا:

«إني لم أؤمر بذلك، إنّ لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأكل اللحم

والدَّسَم، ومن رغب عن سنَّتِي فليس مِنِّي» .

١- المائدة: ٨٧.

ثم خرج إلى الناس وخطبهم فقال:

«ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام، والطيب والنوم، وشهوات الدنيا؟ أما إنى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهباناً، فإنه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء، ولا- اتخاذ الصوامع، وإن سياحه أمتى الصوم، ورهبانيتها الجهاد؛ وابدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجّوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالشدّيد، شدّدوا على أنفسهم فشّدّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم فى الدّيار والى الصوامع». فأنزل الله تعالى تلك الآيه.

وقلنا: يا رسول الله! كيف نضع بأيماننا التى حلفنا عليها؟ وكنا حلفنا على ما عليه اتفقنا؛ فأنزل الله تعالى:

(لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فى أَيْمَانِكُمْ)

ومما قاله رسول الله (ص) وما سمعته منه: فى

«أمرنى الله - عزّ وجلّ - بحبّ أربعة من أصحابى، وأخبرنى أنه يحبّهم: علىّ، وأبوذر، وسلمان، والمقداد الكندى» .

«ألا إنّ الجنّة اشتاقت إلى أربعة من أصحابى، فأمرنى ربّى أن أحبّهم: فانتدب صُهب، وبلال بن رباح، وطلحه، والزُّبير، وسعد بن وقاص، وحذيفه بن اليمان، وعمار بن ياسر» .

فقالوا: يا رسول الله! من هؤلاء الأربعة حتى نحبّهم؟

فقال رسول الله (ص):

«يا عمّار أنت عرّفك الله المنافقين، وأما هؤلاء الأربعة فأحدهم علىّ بن أبى طالب، والثانى المقداد بن الأسود الكندى، والثالث سلمان الفارسى، والرابع أبوذر الغفارى» .

ومما سمعته منه (ص)

بعث رسول الله (ص) سريه وأمرنى عليها، فلما رجعتُ قال لى (ص):

«كيف وجدت الإمارة يا أبا معبد؟» .

قلتُ: خرجتُ يا رسول الله! وأنا كأحدهم، ثم رأيتُ أنّ لى على القوم فضلاً، ورجعتُ وأنا أراهم كالعبيد لى.

فقال (ص):

«كذلك الإمارة يا أبا معبد، إلا من وقاه الله شرّها، فخذ أو دَع» .

فقلت: لا جرم، والذى بعثك بالحق يا رسول الله! لا أتأمر على اثنين بعدها أبداً.

قلتُ - يوماً - لأصحاب لى: العجب من قوم مررتُ بهم آنفاً يتمنون الفتنة، يزعمون لىتليهم الله فيها بما ابتلى به رسول الله (ص) وأصحابه، وأيم الله، لقد سمعتُ رسول الله (ص) يقول:

«إنّ السعيد لمن جنب الفتن» يردّها ثلاثاً

«وإن ابتلى فصبر» .

وأيم الله، لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنة حتى أعلم بما يموت عليه بعد حديث سمعته من رسول الله (ص) سمعته يقول:

«القلب ابن آدم أسرع انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياً» .

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَ تَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١)

وعقب نزول هذه الآية، سمعتُ رسول الله (ص) يقول:

«ما على ظهر الأرض بيت حجر أو مَيدر إلا- أدخله الله كلمه الإسلام بعزّ عزيز أو ذلّ ذليل: أما بعزّهم فيجعلهم من أهلها، وأما بذلّهم فيدينون بها» .

وما عرفتُ الحزنَ واللوعةَ، وألمَ الفراق وقسوته، حتى داهمنى الخبر المشؤوم (نعى الحبيب رسول الله (ص)) فكان نبأً عظيماً، وفاجعه جسيمه، ما لبثت حتى زلّله الدنيا، وانتشر دويها فى الخافقين... حقاً، إنّها لصدمه، وكيف لا تكون كذلك وقد وصلت برسول الله (ص) القلوب، وجبلت على حبه النفوس، واعتادت على التشرف بطلعته الوجوه، وقد انتشلها من الضلاله إلى الهدى ومن الظلام إلى النور... .

لقد عاهدتك يا سيدى على أن لا أكون أكثر من جندى فى خدمه الإسلام، وفدائى نذر نفسه دفاعاً عنه، فجزاك الله يا رسول الله! عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونسأله - تعالى - أن يرزقنا شفاعتك وصحبتك يوم لا ينفع مال ولا بنون...

* * *

من أحاديثى

كنت مع جمع من أصحابى إذ مرّ رجل فقال لى: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله (ص)! والله لو ددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت.

فاستغضبني قوله هذا، وأقبلت عليه قائلاً:

ما يحمل الرجل على أن يتمنى شيئاً عيبه الله عنه، لا يدرى لو شهده كيف يكون فيه؟

والله، لقد حضر رسول الله (ص) أقوام أكبهم الله على مناخرهم فى جهنم، لم يعينوه ولم يصدّقوه، أوّلا تحمدون الله أن أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم؟ وأنتم مصدّقون لما جاء به نبيكم، قد كفيتم البلاء بغيركم؛ والله، لقد بعث النبي ٩ على أشدّ حال بعث عليه نبي من الأنبياء فى فتره وجاهليه، ما يرون أنّ ديناً أفضل من عباده الأوثان، فجاء بفرقان يفرق به بين الحقّ والباطل، وفرّق بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والدته أو ولده أو جدّه كافراً وقد فتح الله قفله للإيمان... ثم قرأت هذه الآية:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ...)(١).

* * *

توفاه الله تعالى سنة ٣٣ هـ بأرض كانت له تسمى «الجرف» وحمله أصحابه إلى المدينة فدفن فيها.

فسلام عليك فارساً مؤمناً قوياً فى ذات الله مجاهداً فى سبيله، لم تدخر شجاعه ولا نصيحه ولم تبخل بشيء، فكنت حقاً حبيباً لله ولرسوله.

عدتُ فيما كتبت إلى ما تيسر لي من مصادر وهي

- ١ تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج ٢، طبعه دار الكتب العلميه بيروت.
- ٢ الكامل، لابن الأثير.
- ٣ المغازي، للواقدي.
- ٤ العقد الفريد، ابن عبدربه الأندلسي.
- ٥ ربيع الأبرار.
- ٦ أسد الغابه في معرفه الصحابه لابن الأثير الجزري.
- ٧ حليه الأولياء، لأبي نعيم الاصفهاني.
- ٨ الإصابه في معرفه الصحابه لابن حجر العسقلاني.
- ٩ السيره النبويه لابن هشام، ولابن كثير.
- ١٠ الإمامه والسياسه لابن قتيبه، ج ١.

(٤) حمزه بن عبدالمطلب**إشاره**

عباس المهاجر

حمزه بن عبدالمطلب، أسد الله، وأسد رسوله، وأحد نجباء العرب في الحسب والنسب، وأحد سادات قريش وكبار أشرافهم في الجاهليه والإسلام، ومن المسلمين الأوائل، الصحابي، الصنديد، البطل الشجاع، الشاعر، الفصيح، عمّ النبي ٩ وأخوه في الرضاعه، اتصف بالكرم والنخوه والشجاعه، ولد ونشأ في مكه، وعند إعلان إسلامه، أعز الله الإسلام به، لأنه كان من أقوى رجال قريش وأشدّها شكيمه، وقام يمنع الأذى عن الرسول (ص) وصحبه الكرام، وكان من كثره ميله للإسلام وحبّه للرسول (ص) أنه ضرب أبا جهل زعيم المشركين.

شارك الرسول (ص) والمسلمين في محنه الحصار الذي فرضه مشركو قريش عليهم، وهاجر إلى المدينه، وقاد أول سريه في سبيل الله، كما شارك في بقيه الغزوات، وقاتل بين يدي الرسول (ص) ببساله نادره، ضارباً في ذلك أروع أمثله التضحيه والفداء والإخلاص، استشهد في معركة أحد بعد أن أبلى بلاءً عظيماً، وقتل عدداً من زعماء ورؤوس الشرك فثبت بذلك أنه جندي شديد البأس يُقاتل بكفاهه وبسيفين، وبحماس منقطع النظير.

ووبركه استشهاد حمزه، ورهطه الكرام فى معركة أحد، عمّ الإسلام واتسع انتشاره فيما بعد، إذ غرست شهادتهم فى نفوس الصحابه فضيله حبّ الجهاد والتضحيه والإخلاص المتزايد، فالشهيد هو الذى يصنع النصر المستمر، ويصنع الحياه الجديده، ويضع اللبنة الأساسيه والقويه للتاريخ المشرق، الذى تفتخر به الأجيال إلى الأبد.

وما أوجنا إلى إحياء شخصياتنا التاريخيه، أمثال حمزه بن عبدالمطلب وغيرهم من القاده الأفاضل الذين سطوروا صفحات التاريخ بالآثار والأفعال العظيمه والأخلاق الحميده.

إسمه ونسبه وكنيته

هو حمزه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصى بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، وينتهى نسبه بعد ذلك بعدنان. (١)

وأمه هاله بنت وهيب بن عبد مناف بن زهره وهى أم صفيه. (٢) ويلتقى نسب أبيه

من نسب أمه فى كلاب بن مُرّه ويصعد النسبان معاً إلى عدنان ثم إلى إسماعيل بن إبراهيم (ع).

وقد ورد عن نسب أمه فى كلّ من الكتابين «نسب قريش» للمصعب الزبيرى. (٣) وكتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد. (٤) بأنها هاله بنت أهيب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب بن مرّه، حيث يلتقى عمود النسب كما أسلفنا بعدنان فإسماعيل بن إبراهيم.

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد، أنّ عبد مناف بن زهره ولد «وهباً»، وهو جدّ

رسول الله (ص)، لأمه، آمنه بنت وهب. (٥)

وأما كنيته، فهى كما وردت فى تاريخ اليعقوبى:

١- راجع كتاب «نسب قريش» ١ : ٥ وبعدها فى ماده «ولد عدنان».

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ : ١١، ذخائر العقبى ص ١٧٢.

٣- نسب قريش ١ : ١٧.

٤- الطبقات الكبرى ق ١ : ٣ : ٣.

٥- نسب قريش ٨ : ٢٦١.

«وحمزه، وهو أبو يعلى، أسد الله، وأسد رسول الله (ص)». (١)

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى:

«وكان يكنى أبا عماره، وكان له ولد من الولد، يعلى، وكان يكنى به حمزه، أبا يعلى...». (٢)

وكتب عنه «شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى» فى كتابه سير أعلام النبلاء، وهو يكمل على ما سبق، فى ذكر كنياته وألقابه التى كان يلقب بها، فقال عن حمزه بأنه «الإمام، البطل، الضرعام، أسد الله، أبو عماره، وأبو يعلى، القریشى، الهاشمى، المكى، المدنى، ثم البدرى، الشهيد، عم رسول الله (ص) وأخوه فى الرضاعه». (٣)

وتحت عنوان: (ذكر اسمه وكنيته) يقول العلامة الحافظ محب الدين الطبرى:

«ولم يزل اسمه فى الجاهليه والإسلام حمزه، ويكنى أبا عماره، وأبا يعلى... كنيته له، بابنيه عماره ويعلى، وكان يدعى أسد الله وأسد رسوله (ص)».

عن يحيى بن عبدالرحمن بن أبى لبيه عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) قال: «والذى نفسى بيده إنه لمكتوب عند الله عز وجل فى السماء السابعة، حمزه أسد الله وأسد رسوله (ص)» أخرجه البغوى فى معجمه. (٤)

معنى حمزه فى اللغة

أما معنى حمزه فى اللغة العربيه، فهو كما ورد فى كتاب «مختار الصحاح» لمحمد بن أبى بكر الرازى فى ماده ح م ز «حمز الرجل، من باب، ظرف، أى اشتد، فهو حميز الفؤاد، و (حامزه)؛ وفى الحديث عن ابن عباس: «أفضل الأعمال (أحمزها)، أى أمتنها وأقواها». (٥)

١- تاريخ يعقوبى ٨ : ٢٦١.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ ق ١ : ٣-٤ طبقه ليدن.

٣- سير أعلام النبلاء، الذهبى ١ : ١٢٧.

٤- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى : ١٧٣.

٥- مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى : ١٥٤.

ولادته ووفاته

ولد سيدنا حمزه بن عبدالمطلب في مكة المكرمة سنة (٥٤ قبل الهجره/٥٦٨ ميلاديه). وتوفي شهيداً في معركة أحد، سنة (٣ للهجره/٦٢٥ ميلاديه)، (١) ودفن جنوبي جبل أحد، حيث وقعت المعركة في المدينة المنوره في السنه المذكوره آنفاً، فقد ورد في مجله آخر ساعه المصريه، العدد ١٩٧٤٢٠٤٦-١٦ ذى الحجه سنة ١٣٩٣هـ ، تحقيق عن المدينة المنوره بقلم: عدنان العبد جاء فيه.. «وجنوبي الجبل جبل أحد وفي وادي قناه وعلى جانبه توجد قبور الشهداء من أبطال المسلمين وعلى رأسهم حمزه بن عبدالمطلب عمّ رسول الله (ص) وسيد الشهداء». (٢)... وقد «قتل على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجره، وكان يوم قتل، له سبع وخمسون سنه، ودفن هو وابن أخيه عبدالله بن جحش في قبر واحد». (٣)

نشأه سيدنا حمزه بن عبدالمطلب الأولى

يلاحظ من تتبع ودراسه حلقات حياه حمزه بن عبدالمطلب الأولى، أنه نشأ نشأة مستقيمه، خاليه من عيوب وسلبيات المجتمع القريشي، وكبر وسط هذا المجتمع، وهو يجتمع على كل الخصال السليمه، والمواقف الرشيده، فكان يحمل عقلاً نافذاً، وضميراً حياً، ينبض بالشجاعه وحبّ الخير، وكان يعتد بذاته، ولا يحبّ التجبر والتهور، والعدوان على الغير، ويأنف من الظلم، كما كان في نفس الوقت لا- يحبّ أن يعتدى عليه أحد، أو على أقربائه.. وكان الناس يعرفون له قدره ومكانته؛ وكان يحمل معه كلّ الصفات الهاشميه الأصيله، كالصدق، والوفاء، والكرم، والفتوه، والشجاعه بكل معناهها.

ومع قله ورود الأخبار المتناثره في بطون التاريخ في الفتره ما قبل الإسلام، إلا أنها

١- المدائح النبويه المتضمنه لسور القرآن الكريم للسيد هاشم الخطيب هامش الصفحه: ٨٥.

٢- المصدر نفسه: ٨٧.

٣- ذخائر العقبى: ٨٥، في موضوع (ذكر تاريخ مقتله).

جميعاً تؤكد تجسيم الشخصية الكامله فيه، وتؤشر الملامح الصحيحه للإنسان الفاضل الذى سيدخل التاريخ من أوسع وأشرف أبوابه، ويسجل له فيه مجداً خالداً إلى الأبد، وفعالاً دخل التاريخ وسطر له حروفاً نورانية مشحونه بالمجد والخلود وبقاء الذكر. (١)

وكان حمزه صاحب إرادته قويه، عزيز النفس، كريم الطباع، نشأ وقد تأثر بمركز والده عبدالمطلب القائم على الشرف والسياده والرئاسه وحب الناس له، وكان معدن حمزه نقياً، ومعروفاً باستقامه الضمير، ونفاذ البصيره، وحب الخير، والتمثل بالشمائل الطيبه، المبنيه على الإراده والتصميم وسلامه اتخاذ المواقف، ومن هنا دخل حمزه التاريخ ومن أحسن أبوابه، وسجل له التاريخ بدوره جميع مواقفه البطوليه. (٢)

العلاقه بن حمزه ومحمد(ص)

تكشف لنا أخبار حمزه بن عبدالمطلب أنه كان شديد التعلق بابن أخيه محمد بن عبدالله، والرعايه له، والدفاع عنه إذا مسه سوء من أحد، والاستجابه لمطالبه وتلبية رغباته على أتم الاستعداد، وعلى جناح السرعة بالإرادته والتصميم، ودون تردد أو إحجام.

فهو عمّ محمد(ص) وأخوه فى الرضاعه، فقد كتب اليعقوبى عن مولد الرسول(ص): «فكان أول لبن شربه بعد أمه لبن ثويبه مولاة أبى لهب؛ وقد أرضعت ثويبه هذه حمزه وجعفر بن أبى طالب، وأبا سلمه بن عبد الأسد المخزومى...»، (٣) وكان أكبر من رسول الله(ص) بأربع سنين، وقيل ستين. (٤)

وكان حمزه كما بينا سابقاً، يعرف ويشعر بعظمه مكانه ابن أخيه محمد(ص) وكماله، وكان على بينه من حقيقه أمره، ومعرفه جوهره، وصفاته الجيده، وكانت رابطته حمزه بمحمد(ص)

١- حمزه أسد الله ورسوله جميل إبراهيم: ٢٥-٢٦.

٢- المصدر نفسه: ٢٦.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢: ٩.

٤- ذخائر العقبى: ١٧٢.

رابطه عمومه وأخوه وصدائه متفاعله ببعض، ذلك أن الرسول وحمزه كانا من جيل اجتماعي واحد، وسن متقاربه، نشأ كل واحد منهم مع الآخر؛ وكانت تخيم عليهما عائلة عبدالمطلب المعروفه، وقد تأخيا في ظل هذه العائله الطيبه، منذ المراحل المبكره من حياتهما وسارا معاً على الدرب، من الخطوات الأولى.

اشترك محمد(ص) وحمزه بنشأتهما الأولى في أرفع بيوتات العرب في قريش في السيادة والكرم والحلم والشجاعه والمنزله الرفيعه، فمحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وحمزه بن عبدالمطلب، كلاهما يشتركان بالاعتزاز بهذا الفضل الذي رسمه عبدالمطلب وحاز به في المجتمع، فهو سيد بطحاء مكه وزعيم قريش بلا منافس.

وقد اكسب الزمن تاريخ هذه العائله الذي ينتمى إليه كل من محمد(ص) وحمزه بالتجارب الواسعه في الحياه والتبصر في فهم شؤون المجتمع؛ وقد استمرت العلاقات القائمه بين الرسول(ص) وحمزه على مدى الأيام، وهى تزداد قوه على قوه، وتوثقت أكثر فأكثر بعد انضمام حمزه للمسلمين وإعلان إسلامه؛ فكانت علاقتهما على هذا الأساس قائمه على المصير المشترك والمسؤوليه الواعيه، وعلى التضحيه من أجل المبادئ العليا، وهكذا سجّل التاريخ في لوحاته المجيده لكل منهما المواقف المشرفه، والأدوار البطوليه الخالده بأحرف من نور.

إسلام حمزه في الميزان

إن إعلان إسلام حمزه بن عبدالمطلب يعدُّ نصراً عظيماً للإسلام والمسلمين، فهو ممن أعزّ الله به الإسلام، وكان موقفه مع الرسول(ص) والمسلمين قبل إسلامه موقفاً سليماً وطبيعياً... حيث لم يسجل عليه التاريخ أيه بادره سلبيه، أو تشنجاً يشم منه رائحه العناد والمعارضه ضد الدعوه الإسلاميه الأولى... بل بالعكس كان يحب الرسول(ص) ولم يتغير عليه، ولقد دافع عنه وعن المسلمين ضد أبي جهل بل ضرب أبا جهل أمام الملأ، وكان ذلك قبل أن يسلم حمزه.

وقد دُرس الوضع الجديد المتمثل بإسلام حمزه، ووجدوا بأنّ إسلام حمزه فتح صفحه جديده رائعه في تاريخ الدعوه، وفسح المجال الرحب لرغبه جماعات للانضمام إلى هذا الدين

الجديد، لذلك قام المشركون بوضع استراتيجيه جديده، وهى إعلان الحرب الأهليه والنفسيه والاقتصادي، لإلحاق الأذى بالمسلمين، وتعذيبهم، وفرض المضايقات المختلفه عليهم، وإثاره الأراجيف الكاذبه ضدهم، وسبهم ومحاربه مصالحهم وإثاره النزاعات فى وجوههم، وقد عرف حمزه ما تحمله الأوضاع الجديده من نتائج حاسمه، وكان مثال المجاهد الصبور.

ملازمه حمزه للرسول وعدم هجرته إلى الحبشه

لما أصرت قريش على مناصبه النبى (ص) ومن معه العدا، أذن الرسول (ص) لبعض المسلمين بالهجره إلى الحبشه، فقد جاء فى كتاب تاريخ اليعقوبى: «ولما رأى رسول الله (ص) ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب، وما هو فيه من الأمن، بمنع أبى طالب عمه إياه، قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى الحبشه، إلى النجاشى، فإنه يحسن الجوار، فخرج فى المره الأولى اثنا عشر رجلاً، وفى الثانيه سبعون رجلاً، سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوائل، فكان لهم عند النجاشى منزله، وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عما يريد...» (١) «وأقام المسلمون بأرض الحبشه، حتى ولد لهم أولاد، وجميع أولاد جعفر ولدوا بأرض الحبشه، ولم يزلوا بها بأمن وسلام، واسم النجاشى أصحابه» (٢).

وقد بقى حمزه بن عبدالمطلب فى مكه ملازماً للرسول (ص) يتحمل القسط الأكبر من العذاب والقسوه التى وجهتها قريش للرسول (ص) ولم يهاجر إلى الحبشه، وكان سلاحه الإيمان بالله والصبر والثبات.

حمزه والهجره إلى المدينه

بعدهما نال المسلمون أنواع العذاب والمقاومه وصنوف الضغوط المليئه بالقسوه والعنف والإجحاف والعناد من المشركين، أمر الرسول (ص) المسلمين بالهجره من مكه إلى المدينه،

١- تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٩.

٢- المصدر نفسه، ٢: ٣٠.

وكان حمزه ممن استجاب لأمر النبي (ص) وهاجر إلى المدينة تاركاً مسقط رأسه مكة، ما دامت المسأله تتعلق بالمبدإ والعقيدته.

وقد اختلفت الروايات التاريخيه فى منزل حمزه بن عبدالمطلب فى المدينه بعد هجرته من مكه، فبعض الروايات تقول إنه نزل على كلثوم بن الهدم، والأخرى تقول على سعد بن خيثمه، وغيرها تقول على غير هؤلاء المذكورين.

وقد ورد حول هذا الموضوع فى الطبقات الكبرى لابن سعد قال «أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا محمد بن صالح عن عمران بن مناح، قال: لما هاجر حمزه بن عبدالمطلب إلى المدينه نزل على كلثوم بن الهدم، قال محمد بن صالح: وقال عاصم بن عمر بن قتاده: نزل على سعد بن خيثمه».(١)

وورد عن الموضوع نفسه فى السيره النبويه لابن هشام عن ابن إسحاق قال: «قال ابن إسحاق: ونزل حمزه بن عبدالمطلب وزيد بن حارثه وأبو مرشد كنان بن حصن. قال ابن هشام: ويقال: هو ابن حصين. قال ابن إسحاق: وابنه مرشد الفُنيان، حليف حمزه بن عبدالمطلب، وأنسه، وبكشه، موليا رسول الله(ص) على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقاء، ويقال: بل نزل حمزه بن عبدالمطلب على أسعد بن زرارته أخى بنى النجار، كل ذلك، يقال».(٢)

شخصيه حمزه العسكريه

يعود سبب شجاعته إلى عاملين رئيسيين، أولهما صفاته البدنيه اللأئقه، والثانى الصفات المعنويه العالیه التى كانت تتوفر فى جوهر شخصيته... فعن العامل الأول ورد فى طبقات ابن سعد عن صفاته البدنيه: بأنه... «كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير».(٣) وتعتبر هذه

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ ق ١: ٤.

٢- السيره النبويه لابن هشام ٢: ٣٢٩.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ ق ١: ٤-٥.

الصفه البدنيه من الصفات التي يمتاز بها أكثر رجال العرب والعسكريون الشجعان المقاتلون الأشداء.

وأما بالنسبه للصفات المعنويه وهى العامل الثانى، فقد كان حمزه بن عبدالمطلب قوياً جلدأً فى الحروب، لا يعرف التراجع؛ واثق فى نفسه أثناء القتال، وعرف عنه فى الحروب أنه ذلك المجاهد الصبور وكان يقاتل بسيفين كما فعل ذلك فى معركة أحد وبشهادة الصحابه عنه.

فقد ورد فى كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي قال: عن ابن عون، عن عمير ابن إسحاق، عن سعد بن أبى وقاص: كان حمزه يقاتل يوم أحد بسيفين ويقول: «أنا أسد الله»؛ (رواه يونس بن بكير عن ابن عون عن عمير مسترسلاً).^(١)

وخلصه القول كانت شخصيه حمزه العسكريه متكامله ومبنيه على الثقه بالنفس والإقدام فى تنفيذ الواجب بإتقان تام، وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء.

مشاركه حمزه فى الغزوات الأولى

كان حمزه عسكرياً فذاً وجندياً ماهراً فى القتال، يحارب ويجاهد تحت قياده الرسول(ص) وقد شارك فى الغزوات الأولى بعد هجرته من مكه إلى المدينه، ابتداءً من رئاسته لأول سريه غزاها، إلى مشاركته فى معركة أحد والتي نال فيها شرف الاستشهاد، وقد أجمع المؤرخون وكتّاب السير على مشاركته الفعّاله ومساهمته البارعه فى المشاهد الأولى تحت زعامه الرسول(ص) ولم يورد المؤرخون اسم حمزه صراحه فى هذه الغزوات، وإنما ذكروه فى بعضها بشكل صريح وتاره أخرى يلمّحون إلى اسمه بصوره غير مباشره، وكان لحمزه البطل الدور البارز والفعال فى هذه الغزوات، فقد أبدى صنوف الشجاعه والإقدام والإخلاص لله ولرسوله ولعقيدته.^(٢)

١- سير أعلام النبلاء الذهبي ١: ١٣١.

٢- المدائح النبويه، هاشم الخطيب: ٨٤ ٨٥.

سريه حمزه بن عبد المطلب

أجمع المؤرخون وكتّاب السير والمغازى الأولى، على أنّ أول سريه عقدها رسول الله (ص) كانت لحمزه بن عبد المطلب، ووصل حمزه بهذه السريه إلى سيف البحر فى ثلاثين ركباً يعترض غير قريش، وهى منحدره إلى مكه، وقد جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلاثمائة ركب، فانصرف ولم يكن بينهم قتال...

قال محمد بن عمر: هو الخبر المجمع عليه عندنا، أنّ أول لواء عقده رسول الله (ص) لحمزه بن عبد المطلب. (١) وقد جاء فى تاريخ اليعقوبى عن هذه الغزوه فقال: وأقام رسول الله (ص) يتلوّم ويتهاى للقتال حتى أنزل عزّ وجل:

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ). (٢)

والآيه الأخرى قال:

(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ). (٣)

إلى آخر الآيه، فكان الرجل من المؤمنين يُعدُّ بعشره من المشركين، حتى أنزل

عزّ وجل:

(الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ...). (٤)

وأنزل عزّ وجل سيفاً من السماء له غمد، فقال له جبرئيل: «ربك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومك حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأنك رسول الله (ص) فإذا فعلوا ذلك حرمت دماؤهم وأموالهم»؛ فكانت أول سريه سارت هى لحمزه بن عبد المطلب. (٥)

ويقول المدائنى: «إنّ أول سريه بعثها رسول الله (ص) لحمزه بن عبد المطلب فى ربيع الأول

١- الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣ ق ١: ٤.

٢- الحج: ٣٩.

٣- النساء: ٨٤.

٤- الأنفال: ٦٦.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢: ٤٤.

من سنه اثنين إلى سيف البحر من أرض جهينه [وسيف البحر يعنى ساحله] أخرجه أبو عمر وصاحب الصفوه، ولفظه أول لواء عقده رسول الله لحمزه حيث قدم المدينة». (١)

مقتل حمزه بن عبد المطلب

كان حمزه بن عبد المطلب يقاتل بشده، وكان يحارب بيقين، وقد قُتل بعد أن قتل رجالاً من قريش، حيث «رماه وحشى، عبد لجبير بن مطعم فسقط، ومثلت به هند بنت عتبه بن ربيعه، وشقت عن كبده، فأخذت منه قطعه فلاكتها، وجدعت أنفه، فجزع عليه الرسول (ص) جزعاً شديداً، وقال: لن أصاب بمثلك، وكبر عليه خمساً وسبعين تكبيره». (٢)

جاء فى السيره النبويه لابن هشام عن وحشى فقال: «ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشى، يقذف بحربه له قذف الحبشه، قلماً يخطئ بها، فقال له: أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزه عمّ محمد (ص) بعى وطعيمه بن عدى، فأنت عتيق». (٣)

وهكذا خرج وحشى مع رجال قريش ومعهم بعض النسوه وكانت «هند بنت عتبه كلما مرت بوحشى أو مرّ بها، قالت: ويها أبا دسمه اشف واستشف، وكان وحشى

يكنى بأبى دسمه، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل بطن السبخه من قناه على شفير الوداى، مقابل المدينة». (٤)

وقد تكلم وحشى عن قتل حمزه، كما جاء فى السيره النبويه لابن هشام «قال وحشى، غلام جبير بن مطعم: والله أنى لأنظر إلى حمزه يهدّ الناس بسيفه ما يليق به شيئاً، مثل الجمل الأورق، إذ تقدمنى إليه سباع بن عبدالعزى، فقال له حمزه: هلم إلّى يا ابن مقطعه البظور، فضربه ضربه، فكأن ما أخطأ رأسه وهزرت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها

١- ذخائر العقبى : ١٧٦.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ : ٤٧.

٣- السيره النبويه لابن هشام، ٢ : ٦١.

٤- المصدر النفسه ٢ : ٦٢.

عليه، فوَقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي، فغلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي، ثم تنحيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجه غيره»^(١).

تاريخ قتل حمزه بن عبد المطلب

قتل على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وكان يوم قتل له سبع وخمسون سنة، ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد، وفي روايه كان سنّه يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة، وكان أصغر من رسول الله (ص) بأربع سنين^(٢).

بكاء النبي (ص) على حمزه بن عبد المطلب

قال ابن هشام: لما وقف رسول الله (ص) على حمزه قال: «لن أصاب بمثلك أبداً وما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا».

وعن ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن قتلى أحد، انصرف رسول الله (ص) فرأى منظراً ساءه ورأى حمزه قد شقّ بطنه واصطلم [أي قط] أنفه، وجدعت أذناه، فقال: لولا أن تجزع النساء ويكون سنّه من بعدى لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطيور...، ولأمتلنّ مكانه بسبعين قتيلاً- منهم؛ ثم كفن ببرده غطى بها وجهه، وجعل على رجليه شيئاً من الأذخر [الأذخر وهو حشيشه طيبه الرائحة] ثم قدم وصلى عليه عشراً، ثم جعل يجاء بالرجل وحمزه مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان عدد القتلى سبعين، فلما فرغ منهم نزل قوله تعالى:

(اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ).^(٣) إِلَى قَوْلِهِ: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ).^(٤)

١- السيره النبويه لابن هشام، ٢: ٦٩-٧٠.

٢- الطبقات لابن سعد ٣: ٤-٥.

٣- النحل: ١٢٥.

٤- المصدر نفسه: ١٢٧.

لقد عرفنا من خلال هذه الروايات، مدى حزن الرسول (ص) على مقتل حمزه، وإحاطه الرسول (ص) وأصحابه بالجثمان الطاهر لحمزه، وهو مسجى على الأرض، ليكون عليه.

ذكر غسل الملائكة حمزه

عن الحسن ٧: قال رسول الله (ص): «رأيت حمزه تغسله الملائكة». (١)

ذكر وصيته

قال ابن اسحاق: أوصى حمزه بن عبدالمطلب فيما بلغنا إلى زيد بن حارثه، وكان رسول الله (ص) آخى بينه وبينه، أوصى إليه يوم أحد لما حضر القتال، إن حدث به حادث الموت. (٢)

حمزه يطلب من الرسول (ص) أن يشرفه الله برؤيه جبريل

كان ٩ لا- يرفض لحمزه أى طلب، مهما كان نوعه، وقد طلب من الرسول (ص) ذات مره أن يشرفه الله برؤيه جبريل ٧ على صورته، وقد ورد الخبر فى الطبقات الكبرى لابن سعد حيث نقل:

«قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل، قال أخبرنا حماد بن سلمه عن عمار بن أبى عمار: أنّ حمزه بن عبدالمطلب، سأل النبي (ص) أن يُريه جبريل فى صورته، فقال: «إنك لا- تستطيع أن تراه» قال: «بلى». قال: «سأقعد مكانك». قال: فنزل جبريل على خشبه فى الكعبه كان المشركون يضعون ثيابهم عليها، إذا طافوا بالبيت، فقال: «ارفع طرفك فانظر» فإذا قدماه مثل الزبرجد الأخضر، فخر مغشياً عليه». (٣)

١- ذخائر العقبى: ١٨٥.

٢- المصدر نفسه.

٣- الطبقات لابن سعد ٣ ق ١: ٦.

ذكر أنه أسد الله ورسوله

عن يحيى بن عبدالرحمن بن أبي ليبيته، عن أبيه، عن جده، قال: قال (ص): «والذى نفسى بيده إنه مكتوب عن الله عزّ وجلّ فى السماء السابعة حمزه بن عبدالمطلب أسدالله وأسد رسوله» وقال ابن هشام: قال (ص): «جاءنى جبريل فأخبرنى أنّ حمزه بن عبدالمطلب مكتوب فى أهل السماوات السبع أسدالله ورسوله». (١)

ذكر أنه خير أعمام النبى (ص)

عن عبدالرحمن بن عابس عن أبيه قال: قال (ص): «خير أعمامى حمزه». (٢)

ذكر أنه سيد الشهداء

عن جابر بن عبدالله: قال (ص): «سيد الشهداء يوم القيامة حمزه بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر قام ونهاه»؛ وفى روايه: «حمزه خير الشهداء»؛ وعن ابن مسعود قال: قال (ص): «ألا أنبئكم بأفضل الشهداء عندالله بعد حمزه بن عبدالمطلب، قيل: بلى يا رسول الله. قال: رجل أتى أميراً جائراً فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فإن هو لم يقتله لم يجر عليه ذنب ما دام حياً، وإن قتله كان أفضل الشهداء عندالله بعد حمزه بن عبدالمطلب». (٣)

شهاده النبى (ص) له بالجنه

قال (ص): «دخلت البارحة الجنه فإذا حمزه مع أصحابه». (٤)

١- ذخائر العقبى: ١٧٦.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه: ١٧٦ ١٧٧.

حمزه أحد نجباء الرسول (ص)

في روايه عن قطر بن خليفه عن كثير النواء، سمعت عبدالله بن مالك، سمعت علياً يقول: قال (ص): «لم يكن نبى قط إلا وقد أعطى سبعة نجباء ووزراء، وإنى أعطيت أربعة عشر أحدهم حمزه». (١)

اعتزاز علي بن أبي طالب (ع) بعمه حمزه

كان علي بن أبي طالب (ع) يعتزّ جداً بعمه حمزه بن عبدالمطلب، وقد سمي ابنه الحسن أول الأمر بحمزه من كثره محبته له، فقد جاء في باب ذكر تسميتهما الحسن والحسين كالتسا بأمر الله تعالى؛ في كتاب ذخائر العقبى ذلك: «عن علي (ع) قال: «لما ولد الحسن سماه حمزه، فلما ولد الحسين سماه باسم عمه جعفر، قال (ع): فدعاني رسول الله (ص) وقال: إنى أمرت أن أغير اسم هذين، فقلت: الله ورسوله أعلم، فسماهما حسناً وحسيناً». (٢)

علي (ع) لا يفارق ذكر حمزه

كان علي (ع) لا يفارق ذكر اسم عمه حمزه، إجلالاً لقدره واعتزازاً به، وقد ورد ذلك

في كتاب ذخائر العقبى في موضوع: «ذكر برّ علي (ع) به يعني عمه العباس ودعائه

له»؛ وذلك «عن ابن عباس قال: اعتلّ أبي العباس، فعاده علي (ع) فوجدني أضبط

رجليه، فأخذهما من يدي، وجلس موضعي، وقال: أنا أحقّ بعمي منك، أن كان الله عزّ وجل قد توفى رسول الله (ص) وعمي حمزه وأخي جعفرًا، فقد أبقى لي العباس، عمّ

الرجل صنو أبيه وبره به كبره بأبيه، أللهم هب لعمي عاقبتك، وارفع له درجه، واجعله عندك في عليين». (٣)

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي ١: ٢٩٥.

٢- ذخائر العقبى: ١٢٠.

٣- المصدر نفسه: ٢٠٢.

حديث الرسول (ص) على قبر حمزه

ورد في الطبقات الكبرى لابن سعد قال: أخبرنا عبد الله بن سلمه بن قعتب، قال: أخبرنا محمد بن صالح بن يزيد بن زيد عن أبي أسيد الساعدي، قال: أنا مع رسول الله (ص) على قبر حمزه، فجعلوا يجرون النمره، فتنكشف قدماه، ويجرونها على قدميه فينكشف وجهه، فقال رسول الله (ص): «اجعلوها على وجهه واجعلوا على قدميه من هذا الشجر»؛ قال: فرفع رسول الله (ص) رأسه فإذا أصحابه يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قيل: يا رسول الله لا نجد لعمك اليوم ثوباً واحداً يسعه: فقال (ص): «إنه يأتي على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف، فيصيبون رفهاً مطعماً وملبساً ومركباً أو قال: مراكب، فيكتبون إلى أهلهم هلموا إلينا فإنكم بأرض جرده، والمدينه خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يصبر لأواءها وشدتها أحد إلا كنت له شفيحاً، وشهيداً يوم القيامة». (١)

حمزه في عالم الشعراء

يحفل الأدب العربي بكثير من القصائد الشعريه عن سيدنا حمزه بن عبدالمطلب، إما بشكل صريح أو بالكنايه، والأبيات التي قيلت في حقه موزعه بين رثاء له، أو مفاخره لشجاعته، أو ورود اسمه في المدح النبوي.

في ذكر أوصافه

بنوه سراه كهلهم وشبايهم

تفلق عنهم بيضه الطائر الصقر

قُصِيَّ الذي عادي كنانه كلَّها

ورابط بيت الله في العسر واليسر

وأبقى رجالا سادة غير عُزّل

مصاليت أمثال الردينه الشمر

أبو عُتبه الملقى إلى حباؤه

أغرَّ هجان اللون من نفر غر

وحمزه مثل البدر يهتر للندی

نقى الثياب والذمام من الغدر(١)

قال ابن اسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى حمزه بن عبدالمطلب:

أُتَعَرَّفُ الدارَ عفا رُسْمُها

بعْدَكَ صوبُ المسِيلِ الهاطِلِ

بين السَّرادِيحِ فأدْمَانِه

فمَدْفَعِ الرُّوحاءِ فى حائلِ

ساءلْتُها عن ذاك فاستعجمت

لم تدرِ ما مرجوعُه السائلِ

دع عنك داراً قد عفا رُسْمُها

وابكِ على حمزه ذى النائلِ

المالي الشَّيزى إذا أعصفت

غبراءُ فى ذى الشَّيمِ الماحلِ

أظلمت الأرضُ لفقدانه

واسودَّ نور القمرِ الناصلِ

صلى عليه الله فى جنَّه

عاليه مُكرمه الداخِلِ

كنا نرى حمزه جرزاً لنا

فى كل أمر نابنا نازلِ

وكان في الإسلام ذا تُدْرَأُ

يكفيك فقد القاعد الخاذل

غداه جبريل وزير له

نعم وزير الفارس الحامل (٢)

١- السيره النبويه، لأبن هشام ق ١: ١٧٤ قصيده حذيفه.

٢- السيره النبويه ق ٢: ١٥٥-١٥٦.

(٥) عبدالله بن عباس

إشاره

إيماناً وجهاداً و علماً

محسن الأسدی

عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، كنيته أبو العباس، وقيل أبو عبد الرحمن، لقبه الهاشمي والقرشي، شهرته حبر الأمة. أمه أم الفضل أخت ميمونه زوج النبي (ص) اسمها لبابه الصغرى الهلالية. (١) بنت الحارث بن حزن من بني عامر بن صعصعه. في السنه الثالثه قبل الهجره المباركه، (٢) جاء العباس عم النبي (ص) وهو يحمل وليده في خرقه متجهاً به نحو النبي (ص) ليضعه بين يديه المباركتين فضمه إليه وحنكه بريقه. (٣)

كان ذلك أيام كان رسول الله (ص) وأهل بيته وصحبه محاصرين بالشعب، شعب

١- الإصابه ٤: ١٢٢؛ مختصر تاريخ دمشق ١٢: ٢٩٣؛ حليه الأولياء ٣١٤.

٢- المصدر نفسه.

٣- التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور على ناصيف ٣: ٣٦.

بنى هاشم فى مكه. (١) توفى رسول الله (ص) وابن عباس ابن ثلاث عشره سنه، يقول عن نفسه: راهقت الاحتلام فى حجه الوداع.

صفته

كان ابن عباس أبيض طويلاً مشرباً صفره جسيماً وسيماً صبيح الوجه له وفره يخضب بالحناء؛ هذا ما وصفه به ابن منده.

أما ما قاله أبو إسحاق: رأيت ابن عباس رجلاً جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جُمَّه. (٢) وكان إذا قعد أخذ مقعد الرجلين، وكان يخضب بالسواد، ويسمى الحبر والبحر لكثرة علمه وحده فهمه. (٣)

من دعاء رسول الله (ص) له

اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل.

اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل.

ومما قال رسول الله (ص) له: «يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشده، إذاسألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئاً لم يكتبه الله عزّ وجلّ لك لم يقدروا عليه، وعلى أن يمنعوك شيئاً كتبه الله عزّ وجلّ لك لم يقدروا عليه، فاعمل لله تعالى بالرضا فى اليقين، واعلم أنّ فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً». (٤)

١- الإصابه ٤: ١٢٢.

٢- العقد الفريد ٤: ١٢٣.

٣- مختصر تاريخ دمشق ١٢: ٢٩٦ ٢٩٧.

٤- حليه الأولياء ١: ٣١٤. مختصر تاريخ دمشق ١٢: ٣٠٠.

قالوا فيه

قال الإمام علي (ع) فيه: «إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته».

خطب ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ ويفسر، فقال رجل: لو سمعت فارس والروم لأسلمت؛ وعندما قرأ ابن عباس سورة النور وجعل يفسرها قال فيه الخليفة الثاني عمر: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت؛ ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول.

قال فيه ابن عمر: لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً.

عن عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس وأكثر فقهاً، وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع.

وعن مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجهل الناس؛ فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس. (١)

من أقواله في نفسه

عن عبدالله بن بريده، قال: شتم رجل ابن عباس، فقال: إنك لتشتمني وفي ثلاث: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه، ولعلني لا أقاضي عليه أبداً؛ وإني لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي به سائمه ولا راعيه؛ وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم. (٢)

من حكمه وأقواله

منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا.

ذَلَّتْ طالباً فعززت مطلوباً.

١- يراجع في ذلك وفي غيره تاريخ الإسلام.. للذهبي في حوادث سنة ٦٠ ٨٠ ترجمه عبد الله بن عباس مختصر تاريخ دمشق

البداهة والنهاية.. حليه الأدباء طبقات ابن سعد وغيرها من المصادر.

٢- الإصابه ٤ : ١٢٩؛ مختصر تاريخ دمشق ١٢ : ٢٩٣.

ومن أقواله الدقيقه والجميله فى الغوغاء.. والغوغاء: الدُّبَا وهى صغار الجراد، وشُبَّه به سوادُ الناس؛ قال فيهم بعد أن ذُكر الغوغاء عنده: ما اجتمعوا قط إلا ضُرُّوا، ولا افترقوا إلا نفعوا؛ قيل له: قد علمنا ما ضرَّ اجتماعهم، فما نفع افتراقهم؟ قال: يذهب الحجاج إلى دكانه، والحدّاد إلى أكياره، وكل صانع إلى صناعته.

وفى فضل الصداقه على القرابه قال: القرابه تقطع والمعروف يُكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

لا تحقرنّ كلمه الحكمه أن تسمعها من الفاجر... ربّ رميه من غير رام.

لا تمار سفيهاً ولا حليماً فإنّ الحليم يغلبك والسفيه يزدريك.

اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن يدع عنك.

الدنيا العافيه، والشباب الصحه.

من لم يجلس فى الصغر حيث يكره، لم يجلس فى الكبر حيث يحبّ.

وله قول فى الشعر: الشعر علم العرب وديوانها؛ فتعلموه، وعليكم بشعر الحجاز.

وكان ابن العباس فى طريقه من البصره الى الكوفه يحدو الأبل ويقول:

أوبى إلى أهلكِ يارباب

أوبى فقد حان لكِ الإيابُ

وقال لما كفَّ بصره:

إن يأخذ الله من عيني نورهما

ففى لسانى وقلبى منهما نورُ

قلبى ذكىّ وعقلى غيرذى دخَلِ (١)

وفى فمى صارم كالسيف مأثور

أصبت إحدى عينيه فنحل جسمه، فلما أصبت الأخرى عاد إليه لحمه، فقيل

١- الدخل: الفساد والغيبه. البدايه والنهائيه، للحافظ ابن كثير ٨: ٣٠٥.

له فى ذلك، فقال: أصابنى ما رأيتم فى الأولى شفقه على الأخرى، فلما ذهبنا اطمأن

قلبى. (١)

ما قيل فيه من شعر

قال فيه حسان بن ثابت:

كفى وشفى ما فى الصدور ولم يدع

لذى إريه فى القول جدًّا ولا هزلاً

سموت إلى العليا بغير مشقه

فيلت ذراها لا دتياً ولا وغلا

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه

رأيت له فى كلِّ مجمعه فضلاً

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل

بملتقطات لا ترى بينها فصلاً. (٢)

وفى كتاب المجلس للمعافى من طريق ابن عائشه عن أبيه: نظر الحطيئه إلى ابن عباس فى مجلس عمر وقد فرع بكلامه، فقال: من هذا الذى نزل عن القوم بسنه، وعلاهم فى قوله؟

قالوا: هذا ابن عباس، فأنشأ يقول:

إنى وجدتُ بيان المرء نافلاً

يهدى له ووجدت العى كالصمم

المرء يبلى ويبقى الكلم سائراً

وقد يُلامُّ الفتى يوماً ولم يُلْمَ.

وقال فيه معاوية (٣):

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف

لعي ولم يثن اللسان على هجر (٤)

يُصْرَفُ بالقول اللسان إذا انتحى

وينظر في أعطافه نظر الصقر

١- البدايه والنهائيه، ٨ : ٣٠٤.

٢- ديوان حسان بن ثابت.

٣- العقد الفريد ٢ : ١٣٠.

٤- الهجر الهذيان، والقبيح من الكلام.

من وصاياه

عن عكرمه قال سمعت عبدالله بن عباس يقول لابنه علي بن عبدالله: ليكن كنزك الذي تذخره العلم، كن به أشدّ اغتباطاً منك بكنز الذهب الأحمر، فإنني مودعك كلاماً إن أنت وعيته أجمع لك به أمر الدنيا والآخرة:

«لا- تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبه لطول الأمل، ويقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطى فيها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغي الزيادة فيما بقى، ويأمر بما لا يأتي، يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض الجاهلين وهو أحدهم...» (١).

حياته

كان ابن العباس في طفولته برعماً من البراعم الإيمانية، التي ارتوت من ينبوع الرسالة العذب، فقد احتضنته المدرسة النبوية صغيراً، وتربى في كنفها تزقه العلم والأدب والأخلاق، لتجعل منه عالماً مجاهداً في شبابه وكهولته من أجل المبدأ والعقيدة، ومثلاً إيمانياً رائعاً يقتدى به الآخرون.

إنّ من المعالم الشاخصه في حياه ابن عباس: العقيدة الراسخه، والمؤهلات النادره التي منها عقليته المتزنه، وذكاءه الحاد، وحافظته المبكره، فغدا بكلّ هذا عالماً ملئت كتب التفسير والحديث والتاريخ بآرائه ورواياته ومحاوراته؛ كما أنّ شجاعته تشكل هي الأخرى معلماً واضحاً في شخصيته، جعلته يؤدي واجبه الجهادي في ميادين القتال على خير ما يؤدي الشجاع واجبه القتالي، ناهيك عن لباقتة وسرعه بديهته وقدرته العجيبه على المحاوره السياسيه والمناظره العلميه، التي قلّ مثلها، والتي تكشف عن علم واسع، ومعرفه دقيقه، وخبره عميقه، وحجه قويه يتصف بها الرجل.

١- أنظر الأمالى، للشيخ المفيد: ٣٣٠. هذه الوصيه تشبه ماورد عن الإمام علي (ع) مع اختلاف في الألفاظ وزيادة فيها، وقد ذكرها الحراني في تحف العقول: ١٠٥ ١٠٦ تحت عنوان (موعظته (ع) ووصفه المقصرين)، ط: ٥ منشورات مكتبه بصيرتى.

كما أنّ صفتي الأناه والحلم كانتا من مميزات ابن عباس، فالشجاعه هذه الصفه التي تدعو إلى الإقدام والاندفاع قد يتصف بها كثيرون، لكنها إذا ما تعانقت مع صفتي الحلم والأناه تكون صفه عظيمه محموده، وتدل بالتالى على كمال النفس وعظمتها وعلوّ همّتها، وهذا ما كان لابن عباس؛ ففي الوقت الذي كان فيه رجل سياسه وبطل حوار، وصاحب بصيره ورأى ونظر، كان رجل حرب؛ لهذا نرى الإمام علياً قد اتخذته وزيراً له وقائداً ميدانياً يقود جبهه من جبهات القتال حينما تشتد ضراوه المعارك، فميسره الجيش فى حرب صفين كانت له، قاتل فيها قتالاً شديداً، وفي معركة الجمل كان على مقدمه جيش الإمام على (ع) وهكذا فى النهروان.

يرمى به الإمام (ع) مقاتلاً كما يرمى به محاوراً سياسياً بارعاً؛ ففي وقعه صفين حينما لم يكن بدّ من التحكيم، أنظر كيف يصفه الإمام (ع):

«إنّ معاويه لم يكن يضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص... فعليكم بعبدالله بن عباس فارموه به فإنّ عمراً لا يعقد عُقده إلاّ حلّها عبدالله، ولا يحلّ عقده إلاّ عقدها، ولا يبرم أمراً إلاّ نقضه ولا ينقض أمراً إلاّ أبرمه» (١).

وفى كلام آخر له فى شأن الحكّمين قال... فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبدالله ابن عباس، وفى هذا يقول ابن أبى الحديد: يُقال هذا لمن يرام كفه عن أمر يتناول له: ادفع فى صدره، وذلك لأنّ من يقدم على أمر ببدنه فيدفع دافع فى صدره حقيقه فإنه يرده أو يكاد، فنقل ذلك إلى الدفع المعنوى.

هذا فى حربته وسياسته وأما فى محاوراته فقد جرت بينه وبين الخليفه الثانى وعائشه والزبير وطلحه ومعاويه ويزيد وعتبه بن أبى سفيان وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم وعبدالرحمن بن الحكم وزياد بن أبيه وابن الزبير والمغيره وغيرهم جرت بينه وبينهم مناظرات واحتجاجات كثيره، كانت له الحججه عليهم، ومن جميل مناظراته وهى كثيره هذه التى جرت بينه وبين الخليفه الثانى:

١- وقعه صفين، لنصر بن مزاحم منشورات مكتبه المرعشى : ٥٠٠.

قال عمر يا ابن عباس أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ فكرهت أن أجيئه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوه والخلافه، فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عنى الغضب تكلمتُ.

فقال: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزوجل لها، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوه والخلافه فإن الله عزوجل وصف قوماً بالكراهيه فقال:

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ). (١)

فقال عمر، هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنت كرهت أن أقرّك عليها فتزِيل منزلتك منى.

فقلت: وماهى يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغى أن تزِيل منزلتى منك، وإن كانت باطلاً فمثلى أَمَاط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغنى أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً، فإن إبليس حسد آدم ونحن ولده المحسودون. (٢)

ومن محاوراته التى استطاع بها أن يلقى الحججه على الخوارج فعاد منهم ألفا رجل وبقى أربعة آلاف على عنادهم:

لَمَّا أَعْلَنَ الخوارج حربهم على على (ع) وقبل أن يحاربهم، وجّه إليهم عبدالله بن عباس،

١- سورة محمد: الآية ٩.

٢- عبد الله بن سبأ: ١٤٤ ١٤٥، للسيد العسكري.

فلما صار إليهم رَجَبوا به وأكرموه...

قالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟

قال: جئتكم من عند صهر رسول الله (ص) وابن عمه، وأعلمنا بربه وسنه نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار.

فقالوا: إنا أتينا عظيماً حين حكمتنا الرجال في دين الله؛ فإن تاب كما تبتنا، ونهض لمجاهده عدونا رجعنا.

فقال ابن عباس: نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرب ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته؟

فقالوا: أَللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله (ص) أمسك عن القتال للهدنه بينه وبين أهل الحديبيه؟

قالوا: نعم، ولكن علياً محاً نفسه من خلافه المسلمين.

قال ابن عباس: ليس ذلك يزيلها عنه وقد محاً رسول الله (ص) اسمه من النبوه، وقال سُهَيْل بن عمرو: لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك، فقال للكاتب: اكتب «محمد بن عبد الله»، وقد أخذ عليٌّ على الحكمين ألا يجورا، وإن يجورا فعليٌّ أولى من معاويه وغيره.

قالوا: إن معاويه يدعى مثل دعوى عليّ.

قال: فأيهما رأيتموه أولى فولوه.

قالوا: صدقت.

قال ابن عباس: ومتى جار الحكمان فلا طاعه لهما ولا قبول لقولهما؛ فاتبعه منهم ألفان، وبقي أربعة آلاف. (١)

كما أنّ من معالم شخصيته أنه كان أديباً شاعراً وخطيباً بليغاً، فبعد أن أنهى الإمام علي (ع) خطبته قبل معركة صفين محرضاً أصحابه على القتال، قام ابن عباس خطيباً يبين

أحقيه على (ع) وجبهته، وباطل معاويه وجبهته، فى كلام بليغ جميل يدل على عمق إيمانه، وعظيم بيانه، وسعه معرفته، ودقه وعيه، وأنه على بصيره من أمره:

«أحمد لله رب العالمين، الذى دحا تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً؛ ثم خلق فيما بينهنّ خلقاً، وأنزل لنا منهنّ رزقاً، ثم جعل كلّ شىء يبلى ويفنى غير وجهه، الحى القيوم الذى يحيا ويبقى؛ ثم إن الله بعث أنبياء ورسلاً، فجعلهم حججاً على عباده، عُذراً أو نُذراً، لا يطاع إلاّ بعلمه وإذنه، يمنّ بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها، ويعصى [يعلم منه] فيعفو ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا يبلغ شىء مكانه، أحصى كلّ شىء عدداً، وأحاط بكلّ شىء علماً؛ ثم إنى أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، إمام الهدى والنبيّ المصطفى؛ وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون، حتى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمة وانتشر من أمرها، أنّ ابن آكله الأكبّاد قد وجد من طعام أهل الشام أعواناً على بنى بنى طالب (ع) ابن عمّ رسول الله وصهره، وأول ذكر صلى معه، بدرى قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه كلّ مشاهدته التى فيها الفضل؛ ومعاويه وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام؛ واعلموا والله الذى ملك الملك وحده فبان به وكان أهله، لقد قاتل على بنى بنى طالب (ع) مع رسول الله صلى الله عليه، وعلى (ع) يقول: صدق الله ورسوله؛ ومعاويه وأبوسفيان يقولان: كذب الله ورسوله؛ فما معاويه فى هذه بأبرّ ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه فى قتالكم.

فعلّكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصبر، وإنكم لعلى الحق وإنّ القوم لعلى الباطل؛ فلا يكونن أولى بالجدّ فى باطلهم منكم فى حقكم؛ أما والله إنا لنعلم أنّ الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم؛ أللهم ربنا أعنا ولا تخذلنا، وانصرنا على عدونا ولا تخلّ عنا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم» (١).

١- وقعه صفين، لنصر بن مزاحم: ٣١٨، منشورات مكتبة المرعى.

قال معاوية لعمر بن العاص: إنَّ رأس الناس بعد علي هو عبد الله بن عباس، فلو ألقيتَ إليه كتاباً لعلك ترققه به، فإنه إن قال شيئاً لم يخرج عليّ منه، وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل الشام.

قال عمرو: إنَّ ابن العباس لا يُخدع، ولو طمعت فيه لطمعت في علي فقال معاوية: عليّ ذلك، فاكتب إليه كتاباً في ذلك وكتب في أسفله شعراً، كان أوله:

طال البلاء وما يرجي له آسـ

بعد إلاله سوى رفق ابن عباس

فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتى به عليّاً فأقرأه شعره فضحك وقال: «قاتل الله ابن العاص، ما أغراه بك يا ابن عباس، أجه..»

فكتب ابن عباس: «... وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي، ابتدأها عليّ بالحق وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها إلى السرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام. بايع أهل العراق علياً (ع) وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه؛ ولست أنا وأنت فيها بسواء أردتُ الله وأردتُ أنت مصر... فإن ترد شرّاً لا- نسبتكك به، وإن ترد خيراً لاتسبقتنا إليه». (١)

ومن شعره الذي ردّ فيه علي ابن العاص حين خدع أبا موسى الأشعري في قصة التحكيم:

كذبت ولكن مثلك اليوم فاسقٌ

علي أمركم يبغى لنا الشرّ والعزلا

وتزعم أن الأمر منك خديعة

إليه وكلّ القول في شأنكم فضلا

فأنتم وربّ البيت قد صار دينكم

خلافاً لدين المصطفى الطيب العدلا

أعاديتهم حبّ النبيّ ونفسه

فما لكم من سابقات ولا فضلا

وأنتم وربّ البيت أخبث من مشي

على الأرض ذانعلين أو حافياً رجلاً

غدرتم وكان الغدر منكم سجيئاً

كأن لم يكن حرثاً وان لم يكن نسلاً (٢)

١- وقعه صفين: ٤١٣.

٢- المصدر نفسه: ٥٥٠.

إن أعمال الرجل ومواقفه وخطبه وكتبه وأشعاره، التي تجلّى فيها ولاؤه المخلص والصادق للإمام على (ع) بقدر ما جعلته أقرب الناس إلى على (ع) وآثرهم عنده، جعلته عرضه للإتهام والطعن لا لشيء إلا بسبب تلك المواقف وذلك الولاء الذي شهد به الأعداء فضلاً عن الأصدقاء، ولأه متين ثابت نابع من «علّيّ مع الحق والحق مع على»، فهو إذن وليد العقيدة الحقّه.

دقته العلميّه

لقد كان ابن عباس دقيقاً فيما ينقل عن رسول الله (ص) وفيما يقول ويطرح من آراء، يراجع ما يسمعه مرات قبل أن ينقله، لهذا فقد أتم عملهُ العلمي بالدقه والحرص، وكان يبذل قصارى جهده لطلب العلم والحقيقه، ويسعى بكل تواضع بين الصحابه يسأل ويتحقق حتى يتأكد من أى روايه يريد نقلها عن رسول الله (ص) لئلا ينقل حديثاً موضوعاً أو مكذوباً على رسول الله (ص) حتى ورد عنه: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله (ص) إن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فأتى إليه وهو قائل فى الظهيره، فأتوسد ردائى على بابه، يسفى الريح على من التراب، حتى ينتهى من مقيله، ويخرج فيرانى، فيقول يا ابن عمّ رسول الله ما جاء بك؟ هلاً أرسلت إلى فأتيك..؟

فأقول، أنت أحقّ بأن أسعى إليك، فأسأله عن الحديث وأتعلم منه!

ابن عباس مفسراً

يُعد ابن عباس من كبار المفسرين، بل هو الثانى بعد على (ع) فقد قال ابن عطيه: «وكان جلّه من السلف كثير عددهم يفسرون القرآن، وهم أبقوا على المسلمين فى ذلك، فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب (ع) ويتلوه عبد الله بن عباس وهو تجرّد للأمر وكمله، وتبعه العلماء عليه...» (١).

قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فمن علي بن أبي طالب (ع) وكان عليّ يثنى علي تفسير ابن عباس ويحضّ علي الأخذ منه، وكان يقول: «نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس» وقال عنه عليّ (ع): «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».. ويتلوه عبدالله بن مسعود... (١)

هذا ما ذكره القرطبي، وأما ما ذكره السيوطي عن ابن عباس:

وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي (ص): «اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل». (٢)

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله (ص): «نعم ترجمان القرآن أنت».

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود، قال: «نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس».

وأخرج عن الحسن، قال: إنّ ابن عباس كان من القرآن بمنزل.

وعن ابن عمر حينما بلغه تفسير ابن عباس للآية:

(... أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...) (٣)

أنه قال: قد كنت أقول: ما يُعجبني جراه ابن عباس علي تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً.

يقول أحمد أمين عن الإمام علي (ع): كان أستاذاً لعبدالله بن عباس أخذ عنه كثيراً. (٤)

وكان لابن عباس مصحف خاص به ذكره الشهرستاني في مقدمه تفسيره وكان ترتيبه كالتالي:

١ اقرأ... ٢... ٣... والضحى... ٤ المزمّل...

٥ المدثر... ٦ الفاتحة... ٧ تبت يدا... ٨ كورت...

١- الجامع لأحكام القرآن، ١ : ٣٥.

٢- الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي ٤ : ٢٣٤، ٢٤٠.

٣- الأنبياء: ٣٠.

٤- فجر الإسلام : ١٤٩.

- ١٩ الأعلى ١٠ والليل... ١١ والفجر... ١٢ ألم نشرح لك
 ١٣ الرحمن... ١٤ والعصر... ١٥ الكوثر... ١٦ التكاثر...
 ١٧ الدين... ١٨ الفيل... ١٩ الكافرون... ٢٠ الإخلاص...
 ٢١ النجم... ٢٢ الأعمى... ٢٣ القدر... ٢٤ والشمس...
 ٢٥ البروج... ٢٦ التين... ٢٧ قريش... ٢٨ القارعه...
 ٢٩ القيامة... ٣٠ الهمزه... ٣١ والمرسلات... ٣٢ ق...
 ٣٣ البلد... ٣٤ الطارق... ٣٥ القمر... ٣٦ ص...
 ٣٧ الأعراف... ٣٨ الجن... ٣٩ يس... ٤٠ الفرقان...
 ٤١ الملائكة... ٤٢ مريم... ٤٣ طه... ٤٤ الشعراء...
 ٤٥ النمل... ٤٦ القصص... ٤٧ بنى اسرائيل... ٤٨ يونس...
 ٤٩ هود... ٥٠ يوسف... ٥١ الحجر... ٥٢ الأنعام...
 ٥٣ الصافات... ٥٤ لقمان... ٥٥ سبأ... ٥٦ الزمر...
 ٥٧ المؤمن... ٥٨ حم السجده... ٥٩ حم عسق... ٦٠ الزخرف...
 ٦١ الدخان... ٦٢ الجاثية... ٦٣ الأحقاف... ٦٤ الذاريات...
 ٦٥ الغاشية... ٦٦ الكهف... ٦٧ النحل... ٦٨ نوح...
 ٦٩ إبراهيم... ٧٠ الأنبياء... ٧١ المؤمنون... ٧٢ الرعد...
 ٧٣ الطور... ٧٤ الملك... ٧٥ الحاقة... ٧٦ المعارج...
 ٧٧ النساء... ٧٨ والنازعات... ٧٩ انفطرت... ٨٠ انشقت...
 ٨١ الروم... ٨٢ العنكبوت... ٨٣ المطففون... ٨٤ البقره...

١٨٥ الأنفال... ١٨٦ آل عمران... ١٨٧ الحشر... ١٨٨ الأحزاب...

١٨٩ النور... ١٩٠ الممتحنة... ١٩١ الفتح... ١٩٢ النساء...

١٩٣ إذا زلزلت... ١٩٤ الحج... ١٩٥ الحديد... ١٩٦ محمد (ص)...

١٩٧ الإنسان... ١٩٨ الطلاق... ١٩٩ لم يكن... ٢٠٠ الجمعة...

١٠١ ألم السجده...١٠٢ المنافقون...١٠٣ المجادله...١٠٤ الحجرات...

١٠٥ التحريم...١٠٦ التغابن...١٠٧ الصف...١٠٨ المائده...

١٠٩ التوبه...١١٠ النصر...١١١ الواقعه...١١٢ والعاديات...

١١٣ الفلق...١١٤ الناس...

ابن عباس والوضاعون

الوضع: الاختلاق؛ وضع الرجل الحديث: افتراه وكذبه واختلقه. (١) تشير مصادر كثيره إلى أنّ وضع الحديث كان في عهد رسول الله (ص) وفي حياته المباركه، وقد ورد عنه ٩ النهي عنه: «يا أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابه، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار...».

وللوضع عوامله وأهدافه وطرقه؛ ومن طرقه اختيار سند ينتهي إلى صحابي جليل يتمتع بوجود محترم بين الصحابه ومكانه كبيره عند عموم المسلمين وقد يكون ذا مكانه علميه مرموقه ومعروفه، وربما يكون من الذين يستعين به الصحابه في حلّ كثير من المسائل التفسيريه والفقهيه، حتى يُعطى للروايه بكاملها سنداً وامتناً قوّة وأثراً ومقبوليه لدى الآخرين.

لأنّ «الواضع بداهه لا- يختار لاختلاقه إلا الشخصيات الرفيعه من ذوى الشهره الواسعه، لكي تلقى أكذوبته صداها في نفوس الناس بنسبتها إليهم». (٢)

وابن عباس ممن تتوفر فيه هذه الصفات إضافه إلى أنه شخصيه علميه فهو ذات رصيد اجتماعي، وصاحب دور سياسي مطلع على الأحداث، التي مرت في تاريخ الإسلام والمسلمين، كما أنه من عائله كريمه اجتمعت فيها صفات النبيل والسخاء والشجاعه؛ كل هذه الأمور وغيرها جعلت الرجل عرضه للوضع له والمبالغه فيه، للوصول إلى مآرب

١- المعجم الوسيط، ماده وضع.

٢- أنظر المنهج الأثرى في تفسير القرآن الكريم: ٢٤٤؛ ومجله قضايا إسلاميه ٢: ٤٧.

سياسيه من خلال ذلك، كما صار عرضه للوضع عليه نيلاً منه وتبريراً لأفعال أعدائه وأعداء البيت الهاشمي.

يقول أحمد أمين: ويظهر أنه وضع على ابن عباس وعلى (ع) أكثر مما وضع على غيرهما، ولذلك أسباب: أهمها أنّ علياً (ع) وابن عباس من بيت النبوه، فالوضع عليهما يكسب الموضوع ثقّه وتقديساً لا يكسبهما الإسناد إلى غيرهما... وابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون، يتقرب إليهم بكثرة المروى عن جدّهم.

ثم يواصل أحمد أمين كلامه فيقول: وقد روى عن ابن عباس ما لا يحصى كثره، فلا تكاد تخلو آيه من آيات القرآن إلا ولابن عباس فيها قول أو أقوال، وكثر الرواه عنه كثره جاوزت الحد...^(١)

كما أنّ السيد الحكيم يقول:

«لقد ذكرنا في مقدمه كتابنا عن عبدالله بن عباس مختلف العوامل الداعيه للوضع له أو عليه في زمنه وبعد زمنه وعلى الأخص فيما دار من ملاحاه بين السلطه العباسيه ومناوئيه من أئمه الزيديه الراغبين في الحكم، وبالطبع إنّ هذا الرجل وهو مصدر من مصادر شرعيه سلطه الخلفاء العباسيين، التي استندوا إليها أو بعضهم على الأقل عندما ادعوا لأنفسهم وراثه النبوه وتسلسلها في أعقاب العباس حتى وصلت إليهم لا بد وأن يرتفع رصيده في نفوس الرأى العام ويغالى فيه إلى درجه تسمو به وترتفع عن سائر البشر المتعارف، فالكرامات مازالت ترافقه منذ ولادته وحتى نهايه حياته، بينما يهبط رصيده في نفوس الخصوم حتى يجرد عن جَلّ مواهبه وإمكاناته وخلقته».^(٢)

لقد تعرض الرجل وهو حبر الأئمه لمثل هذه الاختلاقات والافتراءات فأسندت له أحاديث وروايات كثيره لا يغيب أكثرها عن نباهه المحقق.^(٣) حتى ورد عن الإمام الشافعي قوله:

١- فجر الإسلام، أحمد أمين: ٢٠٢، ٢٠٣.

٢- محمد تقى الحكيم، قصه بيت المال في البصره: ٣٤٤ مقاله في ثمرات النجف.

٣- ألفت كتب في الموضوعات من الفريقين انظر أصول الحديث للفضلي ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.

«لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيهه بمائه حديث»^(١) كما أنّ علماء التفسير ضعفوا كثيراً من الأسانيد المنتهية إلى ابن عباس حتى وصفها بعضهم بأنها من أوهى الطرق، ضاربين لذلك مثلاً طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقالوا: فإذا انضم إلى ذلك محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب^(٢). والسدي الكبير وصفوه بأنه ضعيف وكذاب^(٣). كما ذكروا مثلاً آخر للوضع كان بطله «نوح الجامع» أبو عصمه نوح بن أبي حريم، قيل له: من أين لك عن عكرمه، عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقّه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبه^(٤). وفي كلام آخر أقرّ بوضعه على ابن عباس^(٥).

كما أنّ الضحاك بن مزاحم الهلالي روى التفسير عن ابن عباس وهو لم يلقه^(٦).

ناهيك عن الإسرائيليات التي لم ينجو منها تراث ابن عباس والتي نشط اليهود في بثّها في عموم تراثنا الإسلامي، ومن هؤلاء اليهود كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام... مع أنّ ابن عباس كان دقيق الملاحظة، أمين الوصف والرواية، واعياً لأفعال هؤلاء، ومدى ما تركه على التراث الإسلامي من آثار، وقد نهى عن الأخذ منهم، ورد عنه: «كيف تسألونهم عن شيء، وكتاب الله بين أظهركم؟»^(٧).

ووقف موقفاً آخر حازماً إزاء الأحاديث الموضوعه والإسرائيليات، فقد قال كما أخرجه البيهقي بسنده عن ابن عباس قال: «إذا حدثتكم بحديث عن رسول الله فلم تجدوا تصديقه في الكتاب، أو هو حسن في أخلاق الناس فإنه كاذب».

١- الإتيقان للسيوطي ٤: ٢٣٩.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

٤- علوم الحديث لأبي عمرو بن الصلاح: ٩٠.

٥- علوم الحديث ومصطلحاته. ص ٢٨٣.

٦- الإتيقان للسيوطي ٤: ٢٣٨.

٧- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد ربه ٣: ٥١.

ومع هذا فقد زخر تفسيره برواياتهم مما حدى بالذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون» وبغيره إلى اتهام ابن عباس بالاطمئنان إليهم، والنقل عنهم، والاستعانة بهم في تفسيره، لعدم امكان نفى ماورد في تفسيره من الإسرائيليات لكثرتها.

ونحن نرى تراث ابن عباس وآثاره عند تحققها ودراستها قد احتوت على كثير من الإسرائيليات والأساطير والكرامات والمعاجز المنسوبة له، إضافة إلى ما تعرض له تراثه من أكاذيب واختلاقات مما جعل هذا التراث غامضاً بعض الشيء ومرتبكاً أو مضطرباً في بعضه الآخر، كما أنه مضطرب كثره وقله، قال بعضهم: لم يتجاوز عدّه أحاديث.

ذكر الآمدي في كتاب الإحكام في أصول الأحكام، أنّ ابن عباس لم يسمع من رسول الله (ص) سوى أربعة أحاديث لصغر سنه. (١)

كما ذكر محمود أبوريه في أضوائه: قال ابن القيم في الوابل الصيب: إن ما سمعه ابن عباس عن النبي (ص) لم يبلغ العشرين حديثاً: وعن ابن معين والقطان وأبي داود في السنن أنه روى تسعة أحاديث وذلك لصغر سنه؛ ومع ذلك فقد أسند له أحمد في مسنده ١٦٩٦ حديثاً. (٢)

ومن الروايات المختلقة لأهداف سياسيه ما رواه الترمذي عن ابن عباس: أنّ رسول الله (ص) دعا للعباس بدعاء قال فيه: «واجعل الخلافة باقيه في عقبه»!

وكذلك عن ابن عباس: ليكونن الملك أو الخلافة في ولدي، حتى يغلبهم على عزهم الحمر الوجوه، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة. (٣)

ابن عباس وبيت مال البصره

ما إن انتهت حرب الجمل بانتصار الإمام علي (ع) وصحبه على ناكثي البيعه حتى بادر الإمام إلى تعيين عبدالله بن عباس والياً على البصره، فقال: «يا معاشر الناس! قد استخلفتُ

١- كتاب الإحكام، للآمدي ٢: ١٧٨، ١٨٠.

٢- أضواء على السنه المحمديه، أبو ريه: ٧١.

٣- المصدر نفسه: ١٣٦.

عليكم عبدالله بن عباس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فأعلموني أعزله عنكم،
فإني أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً، وإني لم أوله عليكم إلا وأنا أظن ذلك به، غفر الله لنا ولكم» (١).

ثم أوصى عبدالله بن عباس بوصاياه قائلاً: «يا ابن عباس! عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه، وأن تبسط للناس وجهك،
وتوسع عليهم مجلسك، وتسعهم بحلمك، وإياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان، وإياك والهوى فإنه يصدك عن سبيل الله،
واعلم أن ما قربك من الله فهو مباعدك من النار، وما باعدك من الله فهو مقربك من النار، واذكر الله كثيراً ولا تكن من
الغافلين» (٢). كان هذا في سنة ٣٦ هـ (٣).

في سنة ٤٠ هـ بدأ أهم حدث في تاريخ هذا الرجل، وبالذات في تاريخ علاقته بالإمام على (ع) فيما يتعلق ببيت مال البصره
وتجاوزه عليه كما زعم، فقد اضطرت أقوال المؤرخين وآراؤهم في هذه المسألة اضطراباً عجيباً، وحقاً ما قاله السيد محمد تقى
الحكيم في دراسته حياه ابن عباس حيث يقول:

«والحق أن هذه القصة من أكثر ما قرأت وأنا أؤرخ لهذه الفتره من حياه ابن عباس في كتابى عنه غموضاً فى فصولها، فقد
اختلف فيها المؤرخون على أقوال لا-التقاء بين ما تباعد من أطرافها، فبعضها ينفى هذه القصة نفياً باتاً ويعتبرها اسطوره من
الأساطير، وعلى رأس هؤلاء عمرو بن عبيد الزاهد المعروف، وبعضهم يثبتها، والمثبتون أنفسهم يختلفون، ويدخل إلى أقوالهم
التناقض فى أكثر من مجال، فبعضهم يتبنى إثباتها بأفضع صورها، فيغالى فى كثره ما أخذ من المال، ثم فى اللهجه التى راسل بها
الإمام، وفى الفتنه التى ألحقها وهو خارج بأموال بيت المال من البصره وهارب بها إلى الحجاز، وعلى رأس هؤلاء من المتأخرين
الدكتور طه حسين فى كتابه (على وبنوه) معتمداً مارواه الطبرى

١- كتاب الجمل، للشيخ المفيد، تحقيق السيد على مير شريفى: ٤٢٠ ٤٢١.

٢- المصدر نفسه: ٤٢٠؛ نهج البلاغه: ٤٦٥ الكلمه: ٧٦؛ الإمامه والسياسه، لابن قتيبه ١: ١٠٥.

٣- الطبرى، حوادث سنة ٣٦ هـ.

وابن عبد ربه وأمثالهما من قدماء المؤرخين^١ بينما يتبنى فريق تقليل ما أخذ من المال وإبقاءه في البصره بعد إرجاع المال والياً من قبل الإمام»^(١).

أما وجهه نظر النافين فقد عبر عنها عمرو بن عبيد وهو يرد على من ينسب له ذلك: «لا، كيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن.. وأى مال يجتمع في بيت مال البصره مع حاجه علي (ع) إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفه في كل خميس ويرشه. وقالوا: إنه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصره هذا باطل»^(٢).

وهنا يقول السيد الحكيم: وكلام عمرو هذا ذو شقين اثنين نختلف معه في حسابهما، فأما إدعائه استمرار بقاء ابن عباس مع علي ثم مع الحسن فهذا من قبيل الروايه، ونحن لانملك تكذيبه فعلاً فيها، وأما الشق الثاني من دعواه فهي قابله للمناقشه، إذ لا تلازم بين تفرغ مال الكوفه وعدم صحه القصه لجواز أن تكون يده قد امتدت إلى المال حين مجيء الخراج وقبل توزيعه من قبله، والحقيقه أن هذا من قبيل الاستحسان المحض، وهو أقرب إلى الاجتهاد في مقابل النص لوصح وروده في هذا المجال.

التهمة الموجهه لابن عباس

الالتهام الأول: ورد في تاريخ الطبرى في حوادث سنه ٤٠ هـ في سبب شخوصه إلى مكه وتركه العراق؛ وخلاصه هذا الاتهام أن الدؤلئ بعد شجار له مع ابن عباس كتب إلى الإمام علي (ع) قائلاً:.... وأن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك...

فكتب الإمام علي (ع) إليه كتاباً وآخر إلى ابن عباس وتالت كتب الإمام وابن عباس ومما جاء في أحد كتب الإمام:

أما بعد فأعلمنى ما أخذت من الجزيه، ومن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟

١- دراسه قيمه تحمل روحاً علميه منهجيه قل نظيرها؛ تناولت هذا الموضوع بالتفصيل تحت عنوان قصه بيت المال في البصره ودور ابن عباس فيها؛ أنظر ثمرات النجف: ٢٣٩ ٢٥٢.

٢- نقلاً عن أمالى السيد المرتضى، ١: ١٢٣، ط السعاده.

فكتب إليه ابن العباس: أما بعد، فقد فهمتُ تعظيمك مرزأه ما بلغك أنى رزأته من مال أهل هذا البلد، فابعث إلى عمك من أحببت فإني ظاعن عنه، والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله بنى هلال بن عامر... (١)

الاتهام الثانى: ورد على لسان قيس بن سعد حينما لحق عبيدالله بن عباس بمعاويه الذى جاء لحرب الحسن ٧ حيث أغراه معاويه بالمال: قام قيس فخطب فى الجند قائلاً: «يا أيها الناس،... إن هذا وأباه، وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط: إن أباه عم النبى ٩ خرج يقاتله ببدر... وإن أخاه ولاءه على أمير المؤمنين على البصره فسرق مال الله ومال المسلمين، فاشترى به الجوارى، وزعم أن ذلك له حلال...» (٢).

الاتهام الثالث: اتهام ابن الزبير.

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال:

«... وإن هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه (يعنى ابن عباس الذى كان يسمعه) كما أعمى الله بصره، يزعم أن متعه النساء حلال... وقد احتمل بيت مال البصره بالأمس..»

هذا كلام من ابن الزبير لم يتركه ابن عباس يذهب سدئى بل تصدى له بحزم وبحجه قويه، ولكن تهمه ابن الزبير له باحتماله مال البصره لم يردّها أو ينفىها ولكنه بين وجهه نظره فيها:

... وأما حملى المال فإنه كان مالاً جبيناه فأعطينا كلّ ذى حقّ حقّه، وبقيت بقيه هى دون حقّنا فى كتاب الله فأخذناها بحقنا...

ونشير هنا إشاره سريعه إلى النتائج فقط التى توصل إليها السيد جعفر مرتضى العاملى، والتى تدل على افتعال القصة واختلاقها من أساسها، ونحيل القارئ الكريم إلى التفاصيل فى كتاب ابن عباس وأموال البصره للسيد العاملى، فقد ناقش الروايات الثلاث (الاتهامات) سنداً ومنتأ.

١- تاريخ الطبرى، حوادث سنه ٤٠ هـ ٣: ١٥٤، ١٥٥، دار الكتب العلميه بيروت.

٢- مقاتل الطالبين: ٧٣ ط الشريف الرضى، قم.

فقد أورد السيد العاملي ملاحظاته وأدلته، التي تحكم على أنّ روايه الطبرى «اللاتهام الأول» بالوضع والافتعال، كما أنه ناقش الاتهام الثانى المنسوب إلى قيس بن سعد والمنقول عن مقاتل الطالبين، ناقشه قائلاً: فيكفى أن نشير بالنسبه إليه إلى ما ذكره بعض المحققين،^(١) من أنه كلام مفتعل، قد دسّ فى بعض نسخ مقاتل الطالبين دون بعض؛ وذلك لأنّ ابن أبى الحديد قد نقل كلام أبى الفرج بعينه، ولم يذكر كلام قيس هذا، وإنما قال عن قيس: «ثم خطبهم، فثبتهم، وذكر عبيدالله، فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو؛ فأجابوه..».

ونقل ابن أبى الحديد مقدّم؛ سيما ونحن نراه ينقل عن أبى الفرج بين قوله: «فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيله»، وقوله «ثم إنّ الحسن سار فى عسكر عظيم» ينقل كلاماً كثيراً ليس فى نسخ المقاتل المطبوعه منه عين ولا أثر.. وابن أبى الحديد قد سمع المقاتل املاءً عن شيوخه؛ فنقله أثبت، إذ يحتمل قوياً أن تكون هوامش قد زادها النساخ فى الأصل اشتباهاً..

والنقاش الثالث تمّ لروايه ابن الزبير «اتهامه» وقد توصل السيد العاملى إلى أنه مع ضعف سند الروايه فإنّ العبارة التي يعير فيها ابن عباس بسرقة أموال البصره هى الأخرى مفتعله، كما أنّ جواب ابن عباس هو الآخر مفتعل، ولم ترد العبارة المزعومه ولا جوابها عند الكثيرين من المؤرخين الذين نقلوا الروايه التي تحمل اتهامات ابن الزبير وجواب ابن عباس عنها.

كما يذكر فى الهامش أنّ المؤرخين قد ذكروا ما عدا مروج الذهب أنّ القضييه جرت بين ابن عباس وعروه بن الزبير لا عبدالله، ولكنها كلها تتفق فى خلوها عن فقره التي تتهم ابن عباس بأموال البصره، وذكر عدّه مصادر.

كما أنه ناقش الروايه سنداً وامتناً وفنّد متنها الذى يذكر أنّ الزبير تزوج أسماء متعه،

١- قاموس الرجال، التستري ٦: ٤٣٩ باب العين.

وأنها علقت بعبداﷲ، ويستبعد هذه الدعوى. (١)

هذا وأن هناك الكثير من العلماء والمؤرخين ينفون هذه التهمة عن ابن عباس، أو تثبت أن ابن عباس بقى والياً لعلی (ع) على البصره، إلى ما بعد مقتله ٧ نستعرض بعضاً منهم وأقوالهم:

قال ابن كثير: «... وتأمّر على البصره من جهه على (ع) وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلى على الصلاه، وزياد بن أبى سفيان على الخراج، وكان أهل البصره مغبطين به: يفقههم، ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطى فقيرهم، فلم يزل عليها حتى مات على (ع) ويقال: إنّ علياً عزله عنها قبل موته...» (٢)

قال ابن حجر فى الإصابه: «فلم يزل ابن عباس على البصره حتى قتل على (ع) فاستخلف على البصره عبداﷲ بن الحارث ومضى إلى الحجاز...» (٣)

أما ابن أبى الحديد فقد قال بعد أن ذكر الكتب المتبادله بين الإمام (ع) وابن عباس: «وقال آخرون هم الأقلون: هذا لم يكن ولا فارق عبداﷲ بن عباس علياً ٧ ولا- باينه ولاخالفه، ولم يزل أميراً على البصره إلى أن قتل على (ع)؛ قالوا: ويدل على ذلك ما رواه أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني من كتابه الذى كتبه إلى معاويه من البصره لما قتل على (ع) ... وكيف يكون ذلك ولم يخذعه معاويه، ويجزّه إلى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أمير المؤمنين ٧ واستمالهم إليه بالأموال، فمالوا وتركوا أمير المؤمنين ٧ فما باله وقد علم التّبوه التى حدثت بينهما، ولم يستمل ابن عباس، ولا اجتذبه إلى نفسه، وكل من قرأ السير وعرف التواريخ، يعرف مشاقه ابن عباس لمعاويه بعد وفاه على (ع) وما كان يلقاه به من قوارع الكلام، وشديد الخصام، وما كان يثنى به على أمير المؤمنين (ع) ويذكر خصائصه وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما».

١- ابن عباس وأموال البصره : ٤٩ ٥٠.

٢- البدايه والنهايه، للحافظ ابن كثير ٨: ٣٠٤، مكتبه المعارف بيروت.

٣- الإصابه ٢: ٣٣٤؛ وانظر عدم مفارقتة للإمام، أمالى المرتضى ١: ١٧٧؛ وقاموس الرجال ٦: ١٥، وانظر أيضاً تذكره الخواص: ١٥٠، ٢٥٢ وتاريخ اليعقوبى ٢: ٢٠٥.

وبعد أن يورد ابن أبي الحديد كل هذا يقول: وهذا عندي هو الأمثل والأصوب، وإن توقف أخيراً.

بعد ذلك يردّ على قول الراوندى الذى يقول: المكتوب إليه هذا الكتاب «كتاب أمير المؤمنين» هو عبيدالله بن عباس، لا عبدالله» فيقول: وليس ذلك بصحيح، فإنّ عبيدالله كان عامل على (ع) على اليمن، ولم ينقل عنه أنه أخذ مالا، ولا فارق طاعه ثم يردف ابن أبي الحديد قوله هذا:

«وقد أشكل علىّ أمر هذا الكتاب، فإن أنا كذبت النقل وقلت: هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين ٧ خالف الرواه، فإنهم قد أطبقوا على روايه هذا الكلام عنه، وقد ذكر فى أكثر كتب السير، وإن صرفته إلى عبدالله بن عباس صدّنى عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعه أمير المؤمنين ٧ فى حياته وبعد وفاته، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرّفه من أهل أمير المؤمنين ٧؟ والكلام يشعر بأنّ الرجل المخاطب من أهله وبنى عمّه».

لهذا نرى ابن أبي الحديد متوقفاً فى هذا بقوله: «فأنا فى هذا الموضوع من المتوقفين».

فإنكارها حقاً أمر صعب «والحقيقه أنّ إنكار هذه القصة من الأساس واعتبارها مختلقه موضوعه كما يذهب إلى ذلك منكروها وهم القله فى المؤرخين.. أمر تأباه طبيعه البحث الموضوعى؛ لأنّ هذه القضايا الكبرى فى التاريخ والتى يكثر الحديث فيها لا تكون بغير منشا انتزاع غالباً» (١).

كما أنّ الايمان بها بهذه السعه التى تستند إلى روايه الطبرى وإلى من سار على ضوئها أمثال ابن الأثير، وابن خلدون، وابن كثير، وصاحب العقد، وطه حسين وغيرهم، أمر كما يقول السيد الحكيم لا يمكن الاطمئنان إليه... فابن عباس «الشخصيه الفذه، الذى قام بدور رئيس فى تأييد الإمام على (ع).. سواء فى حياه الإمام (ع) أو تأييد حق على (ع) وحق أهل بيته بعد وفاته..

والرجل الذى اشتهر بصراحته المثيره ومواقفه الجريئه، والإنسان الذى كان ومايزال يتمتع بالاحترام والتقدير، وله شهره علميه، وأدبيه واسعه، والتي لم تكن لتكون له لو لم يكن يتمتع بالمؤهلات الحقيقيه والنادره، التى رسخت بمعطياتها هذه الشهره الواسعه، وجسدت المثل الحى للشخصيه التى تستحق كل هذا الاحترام، وكل هذا التقدير..»(١).

وكما يقول عنه طه حسين: «من العلم بأمور الدين والدنيا ومن المكانه فى بنى هاشم خاصه، وفى قریش عامه، وفى نفوس المسلمين جميعاً، ما كان خليقاً أن يعصمه عن الانحراف عن ابن عمّه، مهما تعظم الحوادث، وتدلهم الخطوب..» وإن كان طه حسين يثبت تهمة السرقة له.(٢).

فصاحب التاريخ العريض الملىء بالأخلاق والحب والتفانى قولاً وفعلاً دفاعاً عن الإمام ومواقفه، لا يمكن لهذا الرجل أن ينسب إليه مثل هذا العمل «السرقة».

وأخيراً أرى أنّ ما حدّث به اليعقوبى فى تأريخه هو الأنسب والأقرب للصحه ونكتفى بما حدث به:

كتب أبو الأسود الدؤلى وكان خليفه عبدالله بن عباس بالبصره إلى على (ع) يعلمه أنّ عبدالله أخذ من بيت المال عشره آلاف درهم، فكتب إليه يقسم له بالله لتردنها، فلما ردّها عبدالله بن عباس أو ردّها أكثرها كتب إليه على (ع): «أما بعد، فإنّ المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت والسلام».

فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاضى بكلام أمير المؤمنين (ع) أو ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله(ص) كانتفاعى بهذا الكلام.(٣)

والنتيجه باختصار التى توصل إليها السيد محمد تقى الحكيم فى بحثه هذا هى:

١- السيد مرتضى العاملى.

٢- الفتنه الكبرى، للدكتور طه حسين.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٠٥، دار صادر؛ نهج البلاغه ضبط الدكتور صبحى الصالح : ٣٧٨ رقم الكتاب ٢٢؛ تحف العقول، للحرانى : ١٣٨ مع بعض الاختلاف.

(١) الأخذ بروايه اليعقوبى، ففي جوها تلتقى جميع الخطوط والآراء... (١)

(٢) أنّ ابن عباس فى أخذه لهذا المال كان أخذه ينطوى تحت العنوان الأولى وهو حقّ الطبعى فى الخمس، وإنّ إصرار الإمام (ع) على إرجاع المال يناسب وجهه نظره ٧ فى أنّ حرمان بنى هاشم من حقّهم فى الخمس للعنوان الثانوى أجدى على الإسلام فى رأيه من تنفيذ العنوان الأولى «حق بنى هاشم فى الخمس». (٢)

(٣) يؤيد هذه النتيجة قول ابن عباس نفسه ردّاً على اتهام ابن الزبير «على فرض صحه الروايه» من أنه أخذ البقيه من المال التى هى دون حقّه فى كتاب الله تعالى.

وما يؤيد ذلك أيضاً الروايه التى جاءت فى العقد الفريد: كان عبدالله بن عباس من أحبّ الناس إلى عمر بن الخطاب، وكان يقدمه على الأكبر من أصحاب محمد ٩ ولم يستعمله قط، فقال له يوماً: كدت أستعملك، ولكنى أخشى أن تستحلّ الفىء على التأويل، فلما صار الأمر إلى على (ع) استعمله على البصره، فاستعمل الفىء على تأويل قول الله تعالى:

{وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ} (٣)

هذا، وإنّ لكثير من علماء الرجال كلاماً ينصب جله على ما تفرد به الكشى فى رجاله، وفى كلامهم ما يؤيد نراه ابن عباس وبراهته من التهمه المنسوبه إليه، نستعرض بعضاً منهم.

الكشى وابن عباس

فقد ذكر الكشى أحاديث تتضمن قدحاً فى ابن عباس، ومن جمله تلك الأحاديث حديث مفارقتة للإمام على (ع) وأخذه المال من بيت المال البصره، وكتب أمير المؤمنين (ع)

١- ثمرات النجف، قصته : ٢٤٧، ٢٥٠ ٢٥١.

٢- المصدر نفسه.

٣- فجر الإسلام، أحمد أمين : ١٤٧.

وأجوبه ابن عباس عنها. (١)

وفى ذلك يقول السيد الخوئي:

هذه الروايه وما قبلها من طرق العامه، وولاء ابن عباس لأمر المؤمنين وملازمته له ٧ هو السبب الوحيد فى وضع هذه الأخبار الكاذبه، وتوجيه التهم والطعون عليه، حتى إن معاويه لعنه الله كان يلعنه بعد الصلاه مع لعنه علياً والحسينين □ وقيس بن عباده والأشتر!! كما عن الطبرى وغيره، وأقل ما يُقال فيهم إنهم صحابه رسول الله (ص) فكيف كان يلعنهم، ويأمر بلعنهم!؟

وراح السيد الخوئي يبين رأيه فى ابن عباس بوضوح: والمتحصّل مما ذكرنا أنّ عبدالله بن عباس كان جليل القدر، مدافعاً عن أمير المؤمنين والحسينين: كما ذكره العلامة، وابن داود. (٢)

كما قال الشهيد الثانى فى حاشيه الخلاصه: جمله ما ذكره الكشى من الطعن فيه خمسه أحاديث كلّها ضعيفه السند (٣).

وقد ذهب السيد ابن طاووس إلى نفي كل ذلك نفيّاً تاماً، فقد قال فى ابن عباس: حاله فى المحبه والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين ٧ ومولاته، والنصر له، والذنب عنه، والخصام فى رضاه، والمؤازره له، مما لا شبهه فيه، ثم قال معرضاً بأخبار الذم، ومثل الحبر موضع أن يحسده الناس وبياهتوه:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسداً وبغياً إنه لذميم

قال: ولو ورد فى مثله ألف روايه أمكن أن تعرض للتهمه، فكيف بهذه الأخبار الضعيفه الركيكه؟! (٤) فكل ما ورد بخصوص قصه بيت مال البصره وابن عباس هى أخبار ضعفها ابن طاووس.

١- رجال الكشى : ٢٧٩ ٢٨٠ حرف العين.

٢- معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ١١: ٢٥٤، ٢٥٦.

٣- ذكر فى كتاب (فى رحاب أئمه أهل البيت) محسن الأمين ٢: ٢٤١.

٤- المصدر نفسه ٢: ٢٤١.

وأما صاحب الوسائل فى خاتمتها يقول عن ابن عباس: حاله فى الجلاله والإخلاص لأمير المؤمنين ٧ أشهر من أن يخفى، وروى فيه قدحٌ، وهو أجل من ذلك. (١)

وفاته

توفى ابن عباس فى الطائف سنه ٦٨ للهجره، بعد أن أُصيب بالعمى، وصلى عليه محمد بن الحنفية. (٢)
فسلام عليه فى الخالدين.

المصادر

- ١ الإصابه فى تمييز الصحابه، ابن حجر العسقلانى.
- ٢ مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور.
- ٣ حليه الأولياء، أبو نعيم الأصفهانى.
- ٤ التاج الجامع للأصول، منصور على ناصيف.
- ٥ العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسى.
- ٦ البدايه والنهايه، ابن كثير.
- ٧ الإمامه والسياسه، ابن قتيبه الأندلسى.
- ٨ الأمالى، للشيخ المفيد.
- ٩ وقعه صفيين، نصر بن مزاحم.
- ١٠ اخترنا لك: ثمرات النجف؛ قصه بيت المال فى البصره ودور ابن عباس فيها، السيد محمد تقى الحكيم.
- ١١ أكاذيب وحقائق (١) ابن عباس وأموال البصره السيد جعفر مرتضى العاملى.

١- خاتمه الوسائل، للعاملى ٣٠ : ٤١١.

٢- الإصابه ١ : ٩٠؛ البدايه والنهايه، ابن كثير ٨ : ٣٠٥.

١٢ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني.

١٣ قاموس الرجال، التستري.

١٤ الأمالي، للسيد المرتضى.

١٥ تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي.

١٦ تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري.

١٧ تذكره الخواص، ابن الجوزي.

١٨ وسائل الشيعة، الحر العاملي.

١٩ معجم رجال الحديث، السيد الخوئي.

٢٠ فى رحاب أئمة أهل البيت، محسن الأمين العاملي.

٢١ علوم الحديث ومصطلحاته، الدكتور صبحى الصالح.

٢٢ علوم الحديث، ابن الصلاح.

٢٣ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

٢٤ الاستيعاب فى أسماء الأصحاب.

٢٥ ديوان حسان بن ثابت.

٢٦ المنهج الأثرى فى تفسير القرآن الكريم، هدى جاسم أبوطبره.

٢٧ رجال الكشى.

٢٨ شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد.

٢٩ أضواء على السنه المحمديه، محمود أبوريه.

٣٠ تحف العقول، ابن شعبه الحرانى.

٣١ عبدالله بن سبا، السيد مرتضى العسكري.

(٦) جعفر الطيار**إشاره**

حسن محمد

لستُ زاعماً أنّ الصحابه كلهم فى الفضل سواء، أو يكون هذا وقد فضل الله الرسل وهم أكرم الخلق وأقربهم إليه تعالى بعضهم على بعض فقال:

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ). (١)

والتفضيل حاله توافق طبيعه الأشياء؟ فإن كان هذا الزعم ليس من حقى بل ليس من حق الجميع كما هو الحقّ إلا أنى أستطيع وبقوه أن أقول: إنّ الصحابه بعضهم صناعه خاصه أعدّتهم السماء وتفضّلت بهم علينا جميعاً؛ ليصوغوا لنا تاريخاً مليئاً بالخير، وليصنعوا حاضراً كلّ عطاء، وبينوا مستقبلاً زاهراً بالأمل مشرقاً بالحبّ، بعيداً عن العداوه والبغضاء فكانوا جيلاً لا نظير له فيما مضى من تاريخ الرسالات.

فقد نجح هؤلاء، وهم النخبه الطاهره من الأصحاب فى تبليغ أعظم رساله سماويه، استطاعت أن تغير أمه جاهليه بل أمماً أخرى، فغيرت بذلك وجه التاريخ، فاستحقوا بذلك

الفوز في الدنيا والآخرة.

كانوا من ورثه جنه النعيم، يتبوؤون منها غرماً، وينعمون بها، ويمرحون في بحبوحة منها.

ولا- غرابه في ذلك بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه تعالى، وملئوا شوقاً إلى لقائه، فقد كانوا يطلبون الموت ويتحاثون عليه.

كم كانت تربيتك يا رسول الله لهذه الزمره الطيبه مجديه نافعه خالده! وكم كان حبهم لك عظيماً صادقاً، شهد بها أبوسفيان وهو يعيش العداة كله لرسول الله (ص) ولدينه ولمن معه : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كما يحب أصحاب محمد محمداً!

وجعفر من هذه النخبه الطيبه الصادقه، كان صحابياً متميزاً في دينه وولائه، وفي فصاحته وبيانه وحلمه، كما كان مثلاً رائعاً للشجاعه والفداء، أبى إلا أن تكون ساحات الوغى أرضاً له، وإلا لزال السيوف سقفاً له حتى كان شهيداً، ولكن متى؟! بعد أن قطعت يده، وبعد أن تحمل جسمه، وضّم بدنه أكثر من سبعين طعنه رمح، وضربه سيف، ورميه سهم.

نسبه ولقبه وكناه

كان جعفر من سلالة تلك العائله الكريمه في خصالها، الرفيعه في شرفها، المتميزه في سيادتها وزعامتها ورجالها، فهم ساده قريش بل ساده الدنيا على الإطلاق، هذه العشيره التي ضمت أكرم خلق الله محمداً وآله الطاهرين..

فأبوه: شيبه الحمد، شيبه بنى هاشم، أبوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد

مناف بن قصي... واسمه عبد مناف، وقد كنى بأكبر أولاده (طالب)، وقد كان

الكافل الحامى المدافع عن النبى ٩ الذى أحاط رسول الله (ص) بعنايه عظيمه قلّ مثلها، خاصه إذا نظرنا إلى مكانته في مجتمع قريش وبين زعمائها وما يسببه ذلك الدفاع من إحراج أممهم.

وكانت هذه الحمايه من الأهميه لرسول الله (ص) ولدعوته إلى الدرجه التى لم تطمع

قريش في رسول الله (ص) وكانت كاعه عنه حتى توفي عمه أبوطالب، ولم يهاجر إلى المدينة إلا بعد وفاته رضوان الله عليه.

وأمه: كانت أم جعفر الطيار، من تلك النساء القله الطاهرات اللآئي امتازت حياتهن بمواقف جليله في مسيره الأنبياء.

وهي إحدى تلك النساء اللواتي نلن ذكراً جميلاً على لسان خاتم الرسل محمد ٩ تقول الروايه: لما ماتت فاطمه بنت أسد أم علي (ع) وكانت قد أوصت لرسول الله (ص) وقبل وصيتها ألبسها النبي ٩ قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُللِ الجنّه، واضطجعت معها لئيهون عليها».

وفي دعاء خاص لها قال (ص): «اللهم اغفر لأمي فاطمه بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها».

وخرج من قبرها وعيناها تذرّفان.

لقد كانت لرسول الله (ص) بمنزله الأم بكل ما تعنيه هذه الكلمه من معنى، فقد ربتّه في حجرها، وكان شاكرًا لبرّها، وكان يسميها ويناديها بأمي، وقد كانت تفضله على جميع أولادها في البر والرعايه؛ تقول بعض الروايات: كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح رسول الله (ص) كحياً دهنياً.

أمّا إيمانها فهي بدرجة عظيمه، وقد سبقت إلى الإسلام، وكانت من المهاجرات الأول إلى المدينة، وهي بدريه.

فذاك أبوه وهذه أمّه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أول هاشميه تزوّجت من هاشمي، فهو وليد هذه الأسره المباركه.

أمّا لقبه: فكان يلقب بجعفر الطيار كما لقبه رسول الله (ص) ب (ذى الجناحين).

أمّا كنيته: فقد كناه رسول الله (ص) ب (أبي المساكين) وله كنيه أخرى (أبو عبدالله).

إخوته

كان جعفر، الثالث في إخوته، فقد كان طالب أكبر ولد أبي طالب سنّاً ثم يليه عقيل، ثم يلي عقيلاً جعفر، ويلى جعفرأ عليّ (ع) والشىء الملفت للنظر إن لم نقل للعجب أنّ كل واحد منهم أكبر من صاحبه بعشر سنين، وكان عليّ أصغرهم سنّاً. (١)

زوجته وأولاده

بنى جعفر بأسماء بنت عميس الخثعمية، المرأة الصالحة، فولدت له ثلاثة أولاد، وهم محمد وعبدالله وعوف، وقد ولدوا جميعاً في الحبشه في الفتره التي أمضاها جعفر وزوجته مهاجرين هناك، في كنف ملك الحبشه المعروف بالعدل.

إسلامه

كان جعفر الثاني من الرجال الذين أعلنوا إسلامهم، وهناك روايه تقول: إنّه الثالث بعد عليّ (ع) وزيد بن حارثه. (٢)

كما وردت في كفيه إسلامه روايتان تصرحان بأنّه ممّن أسلم باكراً، والدعوه لا تزال في مهدها، وكان إسلامه بأمر من أبيه أبي طالب، حيث كان جعفر برفقه أبيه حينما كان رسول الله (ص) يؤدي صلاته وإلى جنبه ابن عمّه عليّ بن أبي طالب، فلما رأهما يصليان التفت إلى جعفر قائلاً: انزل يا جعفر فصل جناح ابن عمّك، أو أى بنى، صل جناح ابن عمّك؛ وقد وفق جعفر لأن ينال ثواب أول جماعه عقدت في الإسلام، وكانت تاريخاً لبدايه إسلامه.

وفي هذا عثرتُ على روايتين صريحتين في إسلام جعفر، ودفاع أبي طالب عن النبي ٩ وعما هو عليه من أمر الدعوه الجديده؛ كانت الروايه الأولى عن عليّ (ع) يقول فيها:

«بينما أنا مع النبي ٩ في حَيْر (٣) لأبي طالب أصلى، أشرف علينا أبو طالب، فنظر إليه

١- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧؛ وطبقات ابن سعد ١: ٧٧.

٢- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٦: ٦٦.

٣- الحَيْرُ: بالفتح شبه الحظيره أو الحمى، أنظر اللسان: حَيْر.

النبي ٩ فقال: يا عم ألا- تنزل فتصلى معنا؟ فقال: يا بن أخي، إنى لأعلم أنك على الحق...، لكن انزل يا جعفر فصل جناح ابن عمك».

قال: فنزل فصلى عن يسارى، فلما قضى النبي ٩ صلاته، التفت إلى جعفر فقال: «أما إن الله تعالى قد وصلك بجناحين تطير بهما فى الجنة، كما وصلت جناح ابن عمك».(١)

وفى روايه ثانيه يذكرها أيضاً صاحب مختصر تاريخ دمشق عن صلصال بن الدهمس يقول فيها:.. فكان الذى بينهما بين أبيه الدهمس وأبى طالب فى الجاهليه عظيم (عظيماً)، فكان أبى يعثنى إلى مكه لأنصر النبي ٩ مع أبى طالب قبل إسلامى، فكنت أقيم الليالى عند أبى طالب لحراسه النبي ٩ من قومه، فإنى يوم من الأيام جالس بالقرب من منزل أبى طالب فى الظهيره وشده الحر، إذ خرج أبوطالب شبيهاً بالملهوف فقال لى: يا أبا الغضنفر، هل رأيت هذين الغلامين فقد ارتبت بإبطائهما على؟

فقلت: ما حسست لهما خبراً منذ جلست، فقال: إنهض بنا فنهضت، وإذا جعفر بن أبى طالب يتلو أبا طالب، قال: فاقترضنا الأثر حتى خرج بنا من أبيات مكه، قال: ثم علونا جبلاً- من جبالها، فأشرفنا منه على أكمه دون ذلك التل، فرأيت النبي ٩ وعلياً (ع) قائماً عن يمينه، ورأيتهما يركعان ويسجدان قبل أن أعرف الركوع والسجود، ثم انتصبا قائمين، فقال أبوطالب لجعفر: أى بنى، صل جناح ابن عمك، قال: فمضى جعفر مسرعاً حتى وقف بجنب على (ع) فلما أحس به النبي ٩ أخرهما وتقدم، وأقمنا موضعنا حتى انقضى ما كانوا فيه من صلاتهم، ثم التفت إلينا النبي ٩ فرآنا بالموضع الذى كنا فيه، فنهض ونهضنا معه مقبلين، فرأينا السرور يتردد فى وجه أبى طالب، ثم انبعث يقول:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعْفَرًا ثَقْتِي

عِنْدَ مُهِمِّ الْأُمُورِ وَالْكَرْبِ

لَا تَخْذَلَا وَانْصُرَا ابْنَ عَمِّكُمَا

وَإِنَّ أُمَّيَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي

وَاللَّهِ لَا أُخْذَلُ النَّبِيَّ

وَلَا يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِي دُو حَسْبِ

قال: فلما آمنت به ودخلت في الإسلام، سألت النبي ٩ عن تيك الصلاة، فقال: «نعم، يا صلصال! هي أول جماعه كانت في الإسلام» (١).

صفاته

لقد اجتمعت في جعفر خصال كثيره قلما تجتمع في غيره، فقد اتفقت مصادر ترجمته عليها، فإضافه إلى شبابه وفتوته وشجاعته، كان حليماً باراً متواضعاً، وكان يخشى الله خشيه عظيمه، حتى إنه قبل إسلامه كانت نفسه وكأنها قد جبلت على كره المحرمات.

يقول ابن عباس في روايه له: قال رسول الله (ص) لجعفر بن أبي طالب: إن الله تعالى أوحى إلي أنه شكرك على أربع خصال، كنتَ عليهنّ مقيماً قبل أن يبعثني الله، فما هنّ؟

قال له جعفر: بأبي أنت وأمي، لولا- أن الله أنبأك بهنّ ما أنبأتك عن نفسى كراهيه التزكيه: إنى كرهت عباده الأوثان، لأنى رأيتها لا- تضرّ ولا تنفع؛ وكرهت الزنا... وكرهت شرب الخمر، لأنى رأيتها منقصه للعقل، وكنت إلى أن أزيد في عقلى أحبّ إليّ من أن أنقصه؛ وكرهت الكذب، لأنى رأيتته دناءه. (٢)

ما أعظمك يا جعفر في الجاهليه كما ما أعظمك في إسلامك!

كان جعفر جواداً كريماً سخياً سمحاً، فقد قال فيه رسول الله (ص): «أسمح أمتى جعفر».

ولطيب نفسه ومراعاته لضعفاء الناس ومساكينهم، كان رسول الله (ص) يكنيه أبا المساكين.

فعن أبي هريره قال: كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويحدثهم ويحدثونه. (٣)

وعنه أيضاً: كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، وإن كان ليخرج إلينا العكه فنشققها فنلحق ما فيها.

١- مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٦.

٢- المصدر نفسه ٦: ٦٧.

٣- رواه البخارى ٧: ٧٧؛ حليه الأولياء ١: ١١٧.

الهجرة

إنَّ من أعظم ما ناله المسلمون الأوائل هو وسام الهجرة، هذه التي منَّ الله تعالى بها عليهم، لتكون نقطة انطلاقه الكبرى، وانفتاح على العالم الآخر بعيداً عن الحجاز وعبث الظالمين فيه، وأذاهم وتعذيبهم للصفوة المؤمنة^١ فالدعوة في بدايتها وقد حفت بالمخاطر، والمؤمنون بها قلة قليلة ضعيفه لا- حول لها ولا- قوه.. ترقبها عيون قريش هنا وهناك، تتربص بهم ليسوموهم سوء لعذاب، لا لذنب اقترفوه أو جريمه تلبسوا بها، سوى أنهم (فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى). (١) وهجروا دين آبائهم وكبرائهم...

تقول روايه أم سلمه:

لما ضاقت على النبي ٩ مكه، وأوذى أصحابه، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنه في دينهم، وأن رسول الله (ص) لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله (ص) في منعه من قومه ومن عمه، لا- يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله (ص): إن بأرض الحبشه ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه.

فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمناً على ديننا، ولم نخش ظملاً.

فلما رأت قريش أننا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا^٢ ليخرجنا من بلادهم، وليردنا عليهم. فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعه، فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا بعثوا له هديه على حده، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعنا أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا.

أقول: كانت تخشى قريش أن ينطلق الحق من لسانهم ووقع الذي كانت تخشاه.

فقدما علينا، فلم يبق بطريق من بطارقتة إلا قَدَموا إليه هديته، فكلموه، فقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم، ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفع، ثم قَدَموا إلى النجاشي هداياه، فكان من أحب ما يهدى إليه من مكَّة الأَدَمِ؛ فلما أدخلوا عليه هداياه، فقالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم (١) عيناً.

فقال بطارقتة: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم وكانوا هم أعلى بهم، فإنهم لم يدخلوا في دينك فيمنعهم أملك؛ فغضب، ثم قال: لا، لعمر الله، لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادى، واختاروا جوارى على جوار غيرى، فإن كانوا كما تقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً؛ فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟ فقالوا: ماذا نقول؟! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا؛ كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب، فقال له النجاشي:

ما هذا الدين الذى أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا فى يهوديه ولا نصرانيه، فما هذا الدين؟

فراح جعفر رضوان الله عليه يبين له حيث قال:

.. أيها الملك كنا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسئ الجوار، ونستحل المحارم.. وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرّمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقته وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسّن الجوار،

١- .. وأعلى بهم عيناً أى أبصر بهم، وأعلم بحالهم. اللسان: علا.

ونصلى الله تعالى، ونصوم له، ولا نعبد غيره، فقال: هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلّم فاتلّ عليّ ما جاء به.

فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) فبكى والله النجاشى حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم؛ ثم قال: إنّ هذا الكلام ليخرج من المشكاه التى جاء بها موسى؛ انطلقوا راشدين، لا، والله لا أردهم عليهم، ولا أنعمكم عيناً، فخرجنا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبدالله بن أبى ربيعه، فقال عمرو بن العاص: والله لأثنيه غداً بما أستأصل به خضراءهم. (١) فلا أخبرنه أنهم يزعمون أنّ إلهه الذى يعبد عيسى بن مريم عبد.

فقال له عبدالله بن أبى ربيعه: لا تفعل.. فإنهم إن كانوا خالفونا فإنّ لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن، فلما كان الغد دخل عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها؛ فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له فى عيسى إن هو سألكم عنه؟

فقالوا: نقول والله الذى قاله الله تعالى، والذى أمرنا به نبينا (ص) أن نقول فيه: فدخلوا عليه وعنده بطارقه، فقال: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟

وهنا أيضاً كان جعفر رضوان الله عليه هو المحاور فقال له: نقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فدلى النجاشى يده إلى الأرض، فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العويد؛ (٢) فتناخرت بطارقه، فقال: وإن تناخرتم والله، إذهبوا، فأنتم شيوم فى أرضى والشيوم: الآمنون من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فأنا ما أحب أن لى دبراً، وأنى آذيت رجلاً منكم والدبر بلسانهم: الذهب فوالله ما أخذ الله تعالى منى الرشوه حين ردّ على ملكى فأخذ الرشوه منه، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجه إلى

١- خضراءهم: شجرتهم التى منها تفرعوا.

٢- العويد: أى مقدار هذا العود الصغير.

بها، وأخرجنا من بلادى.

فرجعنا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به؛ فأقمنا مع خير جار، وفي خير دار.

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشه ينازعه فى ملكه، فوالله ما علمنا حزناً حزناً قط كان أشد منه فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه، فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشى، فخرج إليه سائراً... فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشى عليه... فوالله ما علمنا فرحنا بشىء قط فرحنا بظهور النجاشى، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكه، وأقام من أقام... (١)

وفى روايه ثانيه ذكرها أبو نعيم فى حليته عن برده عن أبيه:

قال: لما أمرنا رسول الله (ص) أن نطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى، فبلغ ذلك قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعماره بن الوليد، فجمعوا للنجاشى هديه، فقدمنا وقدمنا على النجاشى، فأتيه بالهديه فقبلها، وسجدا له، ثم قال له عمرو بن العاص: إن أناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم فى أرضك.

قال لهم النجاشى: فى أرضى؟ قالوا: نعم، فبعث إلينا.

فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، فانتبهنا إلى النجاشى وهو جالس فى مجلس وعمرو بن العاص عن يمينه، وعماره عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين، وقد قال لهم عمرو وعماره: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان:

أسجدوا للملك.

فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عز وجل.

قال له النجاشى: وما ذاك؟ قال: إن الله تعالى بعث فىنا رسولاً وهو الرسول الذى بشر به عيسى (ع).

قال: من بعدى اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة، ونؤتى

الزكاه، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله ۞ فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله عز وجل: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر، ولم يفترضها ولد.

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه ۞ ثم قال: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده.

وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى (ع) ولولا- ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله، أمكنوا في أرضي ما شئتم ۞ وأمر لنا بطعام وكسوه وقال: ردوا على هذين هديتهما. (١)

وفي حليه الأولياء أيضاً، كان جواب جعفر: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف؛ وكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصله الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنه، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاه والزكاه والصيام.

قال: فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله عز وجل، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عباده الأوثان من عباده الله

عزّوجلّ، وأن نستحل ما كُنّا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، فاخترناك على مَنْ سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك...

ولما أرسلت قريش مبعوثيها إلى الحبشه، يقول ابن هشام في سيرته: فقال (أبو طالب) حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبيتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ

وعمرو وأعداء العدو الأقاربُ

وهل نالت أفعالُ النجاشي جعفرًا

وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم، أبيت اللعن، أنك ماجدٌ

كريمٌ فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطه

وأسبابَ خير كلِّها بك لازب

وأنتك فيضٌ ذو سجال غزيره

ينال الأعداى نفعها والأقارب. (١)

أما لما ذا جعفر؟!

لقد كان جعفر ومعه زوجته أسماء الوحيد من بنى هاشم ممن قد خرج إلى أرض الحبشه مهاجراً، والذي اعتقده أن جعفرًا لم يكن من الذين اضطهدوا من قبل قريش، ولم يتعرض إلى ما تعرض له بقيه المسلمين، لما يتمتع به من منعه عشيرته ومكانتها وإن كان هناك غيره لم تستطع قريش من اضطهاده إلا أن لجعفر قدرات ذاتيه اكتشفها رسول الله (ص) فيه، ستجعل له دوراً رسالياً مهماً في الحبشه، وإذا ما تعرض المهاجرون الذين كان عددهم أكثر من ٨٠ مهاجراً إلى مواقف خطيره، وفي الذب والدفاع عنهم، وعن الدين الجديد، وهذا ما حدث بالفعل، فقد نقلنا تلك الروايات لنلقى الضوء كاملاً على دور هذا الرجل في إقناع النجاشي وبطارقته بمظلوميه المهاجرين، وليس هذا فقط، بل في عرض الإسلام بشكل واضح وجلي، مبيناً خصائص النبي (ص) ودوره في

دعوه قومه إلى هذا الدين، ونبذ عباده الأصنام . . وكل هذا يحتاج إلى شجاعه وجرأه وقدره على البيان والمحاورة، وهذه الصفات جمعت في جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه ، فجعلت رسول الله (ص) يأذن له بالهجرة، بل ويأذن له بالبقاء طيله خمس عشره سنه تقريباً، فقد هاجر سنه خمس من مبعث النبي (ص) وقدم إلى المدينه سنه سبع من الهجره، فنال بذلك وسام الهجرتين.

لقد كان بحقّ رجل الإسلام الأول، ورجل الحوار الأول في تلك البلاد، فمن محاوراته الجميله التي أخرجت عمرو وصاحبه أمام النجاشي . . ما ذكره صاحب تفسير مجمع البيان:

قال جعفر: يا أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ فقال: لا، بل أحرار.

قال: فسلمهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال: لا، ما لنا عليكم ديون.

قال: فلکم فی أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟ قال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منّا؟ أذيتمونا فخرجنا من دياركم ولم يكتف جعفر بهذا بل عقبه بذكر النبيّ وأحكام الإسلام.

أيها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاه والزكاه والعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغى... (١)

فرسول الله (ص) لم يأذن لهم بالهجره للخلاص بأنفسهم وأهليهم فحسب، وإن كان هذا هدفاً سليماً طالما لم يستطع الدفاع عنهم من ظلم قريش وتعسّفها، وهو بعد في أول أمره ولم يؤمر بالجهاد، إلاّ أنه كان يريد منهم أيضاً أن يحملوا هذه الرساله التي جاءت إلى الناس كافه، وأن يكونوا له دعاة في غير مكّه وبلاد الجزيره العربيه، وأن يزيحوا العوائق التي قد تستفيد منها قريش مستقبلاً. . أراد رسول الله (ص) لجعفر وللمهاجرين أن يكونوا دعاة رساله، ورجال حضاره، وبناه تأريخ، ومستقبل زاهر بالإسلام ومبادئه وأن

يستوعبوا الزمن كله والمكان كله والناس كلهم، وهذا ما حدث، فعند عودته جعفر إلى المدينة كان معهم سبعون رجلاً منهم اثنان وستون من بلاد الحبشه، وثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب، فقرأ عليهم رسول الله (ص) سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأُنزل الله فيهم:

(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ). (١)

أما لما ذا الحبشه!؟

لابد لمن يريد أن ينجو من الاضطهاد والعذاب، أن يختار مكاناً آمناً يلوذ به، وإلا فسيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار؛ لهذا فقد تم اختيار هذه البلاد، وكما صرح بذلك رسول الله (ص) حينما أمر المسلمين بالهجرة: «لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». (٢)

إذن، فهى بلاد صدق، وفيها حاكم عادل، فتجد الدعوه ويجد المهاجرون ساحه بلا موانع، يستطيعون التحرك عليها بحريه وأمان؛ كما أنها أرض كانت متجراً لقريش.

يقول الطبرى: ... وكانت أرض الحبشه متجراً لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً. (٣)

وكانت أيضاً بلاداً مفتوحة على كثير من البلدان، فهى بالتالى تشكل ساحه مناسبه لنشر الدعوه الجديده، وبثها فى تلك البلاد وفى غيرها، كما تشكل ساحه ضغط على قريش وتجارها.

وهذا ما حصل بالفعل، فقد وصل تأثير المهاجرين بدءاً بالملك الذى أعلن موقفه من

١- سورة المائده : ٨٤٨٢؛ مجمع البيان ٣ : ٣٦١ .

٢- سيره ابن هشام ١٢ : ٣٢١ .

٣- تاريخ الطبرى ١ : ٥٤٦، رفاغاً : سعه .

الإسلام، ومن المهاجرين، وحمایتهم بقوله: أنا أشهد أنه رسول الله (ص) ... إلى غير الملك من أشرف القوم وأبناء البلاد الآخرين؛ وكما يذكر الطبري: ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرفهم. (١)

شجاعته واستشهاده

بعد عودته رضوان الله عليه إلى المدینه من الحبشه كان رسول الله (ص) بخيبر سنه ٧هـ بعد أن قضى فيها سنين عدداً مهاجراً، وكان بصحبته زوجته أسماء وأولاده الثلاثة محمد وعبدالله وعوف، تقول الروايه المنقوله عن الشعبي... قال: لما فتح النبي (ص) خيبر قدم جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه من الحبشه، فالتزمه رسول الله (ص) وجعل يقبل بين عينيه ويقول: «ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟!». (٢) وقد آخى بينه وبين معاذ بن جبل.

فأقام بالمدینه شهراً، ثم جعله رسول الله (ص) أحد الأمرء الثلاثة على جيش غزوه مؤتة بناحية الكرك بالبلقاء فتوجه إلى هناك حيث خاض معركة لم يخض المسلمون معركة مثلها، كما وصفت، وكان أعداء المسلمين من المشركين الروم قد أدرعوا بالعتاد والأعداء ما يملأ السهل والجبل، وما لا طاقة للعرب ولا للمسلمين به، وكان جعفر أحد قواد الجيش الثلاثة الذين عينهم رسول الله (ص) فعن عروه بن الزبير: أنه بعث ذلك البعث (بعث رسول الله (ص) الجيش إلى مؤتة) في جمادى.. لسنه ثمان من الهجرة، واستعمل عليهم زيد بن حارثه، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبده الله بن رواحه على الناس. (٣)

١- تاريخ الطبري ١ : ٥٤٦.

٢- أنظر مقاتل الطالبين : ٣٠، عن ابن سعد ٤ : ٢٣؛ وابن أبي الحديد ٣ : ٤٠٧؛ والبدايه والنهايه ٤ : ٢٥٦؛ والاستيعاب ١ : ٨١.

٣- أنظر مقاتل الطالبين : ٣٠، عن ابن سعد ٢ : ٩٣، و٤ : ٢٢؛ وابن هشام ٤ : ١٥؛ والبدايه والنهايه ١ : ٢٤١؛ والسيره الحلييه ٣

وقد ذكر الدكتور الجميلي صاحب كتاب: «صحابه النبي (ص)» وصفاً للمعركة ولاستشهاد جعفر: واشتبتك الأسنه، واشتجر الوغى، وعلا رهج الحرب، وأدرك الروم أنهم إزاء فارس لا ضريب له، لا تتلم له ضربه، ولا يغل له سنان، ولا تنبو له ضريبه، فاعتوره الأعداء من كل صوب وجهه، وهو يرميهم ذات اليمين وذات الشمال، يستأصل شأفتهم، ويبيد خضراءهم، وهو ممسك بالرايه بيده اليمنى، فقطعها له، فالتقطها بيده اليسرى، ولا يزال صامداً متماسكاً، إلا أنّ الروم ظلوا يتدافعون إليه، واحتوشوه حتى قطعت يده اليسرى، فاحتضن الرايه بعضديه شهامه حتى الموت، واندفعت الأمور لنهاياتها الحتميه، فقتل جعفر رضى الله عنه، وسقط شهيداً مضرراً بدمائه، مثخناً بجراحه، مزماً في ثيابه، مدثراً ببطوله لا مثل لها.

يقول عبدالله بن عمر: كنت مع جعفر في غزوه مؤته، فالتمسناه، فوجدناه وبه بضع وتسعون ما بين طعنه ورميه.

وقال الزركلى في أعلامه: وحضر موقعه مؤته بالبلقاء من أرض الشام، فنزل عن فرسه، وقاتل، ثم حمل الرايه، وتقدم صفوف المسلمين، فطعت يمناه فحمل الرايه باليسرى فطعت أيضاً، فاحتضن الرايه إلى صدره، وصبر حتى وقع شهيداً وفي جسمه نحو تسعين طعنه ورميه، فقيل: إنّ الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة، وقال حسان:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا

بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر

وقد روى عكرمه عن ابن عباس: أنّ النبي (ص) قال: «دخلت الجنة فرأيت جعفر الطيار مع الملائكه وجناحاه مضرجان بالدم».

يقول بن عوف وهو ممن حضر معركة مؤته عن شجاعه جعفر: لكأنى أنظر إلى جعفر بن أبى طالب يوم مؤته، حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم تقدم فقاتل حتى قتل، قال بن اسحاق: فهو أول من عقر في الإسلام وهو يرتجز:

يا حبذا الجنه واقتراؤها

طيبه وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها

على إن لاقيتها ضرابها

وفيما قاله رسول الله (ص) عن إيمان جعفر الثابت وشجاعته: .. ولما أخذ جعفر ابن أبي طالب الراية، جاءه الشيطان فمناه، وكره إليه الموت، فقال: الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا، ثم مضى قدماً حتى استشهد^٢ فصلی عليه رسول الله (ص) ودعا له، ثم قال رسول الله (ص): «استغفروا لأخيكم جعفر فقد استشهد ودخل الجنة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة».

ولما ورد خبر استشهاد زيد وجعفر وعبدالله، بكى أصحاب رسول الله (ص) وهم حوله فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكي، وقد ذهب خيارنا وأشرفنا وأهل الفضل منا.

فقال (ص): «لا- تبكوا، فإنما مثل أمي كمثل حديقه قام عليها صاحبها فأصلح رواكيها وهيئاً مساكبها، وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً، والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمي خلفاً من حواريه»^(١).

ولما استشهد جعفر وأصحابه أتى رسول الله (ص) بيت جعفر، تقول أسماء بنت عميس زوجه جعفر: لما أصيب جعفر وأصحابه، أتاني رسول الله (ص) ولقد هيأت أربعين مناً،^(٢) من آدم، وعجنت عجيني، وأخذت بنى فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل علي رسول الله (ص) فقال: «يا أسماء! أين بنو جعفر؟» فجنّت بهم إليه، فضمهم إليه وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكي، فقلت: أي رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء، فقال (ص): «نعم، قتل اليوم» فقالت: فقامت أصيح، واجتمع إلي النساء، قالت: فجعل رسول الله (ص) يقول: «يا أسماء! لا تقولي هُجراً، ولا تضربي صدراً».

قالت: فخرج رسول الله (ص) حتى دخل على ابنته فاطمه، وهي تقول: واعماه،

فقال رسول الله (ص): «على مثل جعفر فلتبكي الباكية، ثم قال رسول الله (ص): «إصنعوا لآل

١- مقاتل الطالبين : ٣٢ ٣١ .

٢- في الأصل : «منياً» تحريف ، والمنا : الكيل أو الوزن الذي يوزن به ، وهو أفصح من المنّ ، لغه تميم . اللسان : منن ، منى .

جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم...» ثمَّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ

قال: «أيها الناس، إنّ جعفر بن أبي طالب مرّ مع جبريل وميكائيل له جناحان،

عوضه الله من يديه فسلم عليّ . . وأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا... فقال:

لقيت المشركين فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاث وسبعين طعنه وضربه، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت، ثم أخذته بيدي اليسرى فقطعت، فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل، أنزل من الجنة حيث شئت ... فلذلك سمّي الطيار

في الجنة».

عمره

وقع الخلاف في عمره الشريف حينما استشهد في معركة مؤتة، فقد ذهب الواقدي وغيره إلى أنّ قتله كان سنة ثمان من الهجرة . وعمر جعفر ثلاثاً وثلاثين سنة، وقيل: قتل وهو ابن خمس وعشرين سنة.

في حين ذهب بعض إلى أنّ عمره رضوان الله عليه وقت استشهاده كان ثلاثاً أو أربعاً وثلاثين سنة، وقد نسب هذا إلى أحد أحفاد جعفر، وهو علي بن عبد الله ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حيث قال: قتل جعفر وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

هذه هي خلاصه بعض الأقوال في عمره، وكلها مردودة، فقد رفض أبو الفرج الأصفهاني صاحب مقاتل الطالبين هذا، حيث قال: وهذا عندي شبيه بالوهم؛ لأنه قتل في سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله (ص) إحدى وعشرون سنة، وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علي (ع) بعشر سنين، كان لعلي حين أسلم سنون مختلفه في عددها، فالمكثر يقول: كانت خمس عشره، والمقل يقول: سبع سنين .

وكان إسلامه في السنه التي بعث فيها رسول الله (ص) لا خلاف في ذلك، وعلى أي الروايات قيس أمره علم أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين.

وذكر أبو الفرج في الهامش بأن ابن عبد البر جزم بأن سنّه كانت إحدى وأربعين سنة. (١)

وهذا القول الأخير مبنى على كون عمر جعفر حين إسلامه كان عشرين سنة.

وما ورد في الرواية أعلاه من كون عمره ٣٣، ٣٤ فهو خطأ؛ لأنّ الأخذ بها يجعل عمر جعفر حين إسلامه ١٢ سنة أو ١٣ سنة، وبالتالي فهو يساوي عمر الإمام علي (ع) أو يقاربه، إن لم يكن أصغر سنّاً من الإمام، إذا ما أخذنا بروايه المكثرتين من كون عمر الإمام كان ١٥ سنة وقت إسلامه، وهذا يخالف كل المصادر التاريخية التي أجمعت على كون جعفر أكبر سنّاً من الإمام علي (ع) بعشر سنين.

فعمر جعفر وقت استشهاده قد لا يمكن القطع به بل يمكننا أن نقول: إنه بعد تجاوزه الأربعين سنة بقليل، أما تحديده ب ٤١، أو ٤٢ على وجه الجزم أمر قد لا يخلو من مجازفه، وهو ترجيح لروايه السن على أخرى بلا مرجح قوى، وأما كون عمره خمساً وعشرين سنة، فهو أمر لا يستحق الوقوف عنده.

صلاة جعفر

ومما علّمه رسول الله (ص) صلاة خاصّه، تسمى بصلاة الحبوه والتسييح.

فقد روى أبو حمزه الثمالي عن أبي جعفر (ع) قال: «قال رسول الله (ص) لجعفر بن أبي طالب: يا جعفر ألا أمنحك، ألا أعطيك، ألا أحبوك، (٢) ألا أعلمك صلاة إذا أنت صليتها لو كنت فررت من الزحف، وكان عليك مثل رمل عالج، (٣) وزبد البحر ذنوباً غفرت لك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: تصلى أربع ركعات إذا شئت، إن شئت كلّ ليله، وإن شئت كلّ يوم، وإن شئت فمن جمعه إلى جمعه، وإن شئت فمن شهر إلى شهر، وإن شئت فمن

١- مقاتل الطالبين، انظر شرح المواهب ٢ : ٢٧١ .

٢- أمنحك وأعطيك وأحبوك متقاربه المعاني، والمنحه: العطيّة؛ والحباء: العطاء ومنه الحبوه باعتبار اعطاء النبي (ص) لجعفر (ع).

٣- الرمل العالج أي المتراكم، وعوالج الرمل هو ما تراكم منه .

سنه إلى سنه، تفتتح الصلاة ثم تكبر خمس عشره مره، تقول: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، ثم تقرأ الفاتحه وسوره، وتركع فتقولهنّ في ركوعك عشر مرّات، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر مرّات، وتخزّ ساجداً وتقولهنّ عشر مرّات في سجودك، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثم تخزّ ساجداً وتقولهنّ عشر مرّات، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثم تنهض فتقولهنّ خمس عشره مره، ثم تقرأ فاتحه الكتاب وسوره، ثم تركع فتقولهنّ عشر مرّات، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر مرّات، ثم تخزّ ساجداً فتقولهنّ عشر مرّات، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثم تسجد فتقولهنّ عشر مرّات، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثم تتشهد وتسلم، ثم تقوم وتصلّى ركعتين أخراوين تصنع فيهما مثل ذلك ثم تسلم.

قال أبو جعفر (ع): فذلك خمس وسبعون مره في كلّ ركعه ثلاثمائه تسبيحه تكون ثلاثمائه مره في الأربع ركعات ألف ومائتا تسبيحه يضاعفها الله عزّوجلّ ويكتب لك بها اثنتي عشره ألف حسنه، الحسنه منها مثل جبل أحد وأعظم». (١)

وعن أجر من صلاها، سئل الإمام أبو عبد الله (ع) «عمّن صلّى صلاه جعفر، هل يكتب له من الأجر مثل ما قال رسول الله (ص) لجعفر؟ قال: إي والله». (٢)

قالوا فيه

إذا ما نظرنا في الذي ورد في جعفر من أقوال وروايات .. يمكننا أن نتصور من خلال ذلك شخصيته ومكانته وما يملكه من قدرات، فمن أقوال الرسول (ص) فيه:

«خير الناس حمزه، وجعفر وعلي». (٣)

«رأيت جعفرأ ملكاً، يطير في الجنة مع الملائكه بجناحين». (٤)

١- من لا يحضره الفقيه ١ : ٣٧٠ .

٢- المصدر نفسه ١ : ٣٧١ .

٣- شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٤٠٧ .

٤- طبقات ابن سعد ٤ : ٢٦ ؛ وأسد الغابه ١ : ٢٨٧ ؛ الإصابه ١ : ٢٤٩ .

وقال (ص) مخاطباً جعفرًا: «أنت أشبهت خَلْقِي وُخْلَقِي». (١)

«نحن بنو عبدالمطلب سادات أهل الجنة: رسول الله (ص) وحمزه سيد الشهداء، وجعفر ذو الجناحين، وعلي (ع)، وفاطمة (عليها السلام)، والحسن (ع)، والحسين (ع)». (٢)

وفى روايه أخرى قال فيها رسول الله (ص) :

«نحن سبعة «بنو عبدالمطلب» سادات أهل الجنة، أنا، وعلي أخى، وعمى حمزه، وجعفر، والحسن والحسين، والمهدى». (٣)

أمّا ما قاله صاحب حليه الأولياء أبو نعيم الأصفهاني في مقدمه ترجمه جعفر: ومنهم الخطيب المقدم، السخي المطعام، خطيب العارفين، ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلى القبلتين، البطل الشجاع، الجواد الشعشاع، جعفر بن أبي طالب (ع)، فارق الخلق ورامق الحق.

وأما ما قاله فيه صاحب سير أعلام النبلاء ..

السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبدالله، ابن عم رسول الله.

ومن شعر حسان بن ثابت في بني هاشم ومنهم جعفر:

رَأَيْتَ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا

شُعُوبَ وَقَدْ خُلِفْتُ فِيمَنْ يُؤَخَّرُ

فَلَا يُبْعَدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا

جَمِيعاً وَنِيرَانُ الْحُرُوبِ تَسَعَّرُ

غَدَاهُ غَدَاً بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ

إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيِّهِ أَزْهَرُ

وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ

وَقَاراً وَأَمراً حَازَ مَا جِئْنَا بِأَمْرٍ

وما زال للإسلام من آل هاشم

دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تَزَالُ وَمَفْحُزٌ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ
عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمَتْحِيزِيُّ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعَصَّرُ

- ١- ابن أبي الحديد ٣ : ٤٠٧ ؛ الإصباحه ١ : ٢٤٨ .
- ٢- مختصر تاريخ دمشق ٦ : ٦٨ .
- ٣- المصدر نفسه .

بِهِمْ تُفْرَجُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ

عَمَّاسٍ (١) إِذَا مَا ضَاقَ بِالْأَمْرِ مَضْدَرٌ

وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ نَزَلَ حِكْمُهُ

عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ وَالْكِتَابُ الْمَطْهَرُ (٢)

وَفِي رِثَاءِ جَعْفَرٍ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

هَدَّتِ الْعَيُونَ وَدَمَعَتْ عَيْنُكَ يَهْمَلُ

سَخًّا كَمَا وَكَفَّ الضَّبَابُ الْمُخْضَلُ (٣)

وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا

مِمَّا تَأَوَّبَنِي شِهَابٌ مُدْخَلُ (٤)

وَجِدًّا عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا

يَوْمًا بِمَوْتِهِ أُسْنَدُوا لَمْ يُنْقَلُوا

صَلَى إِلَاهُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْيَةٍ

وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلُ (٥)

صَبَرُوا بِمَوْتِهِ لِلإِلهِ نَفْسُهُمْ

عِنْدَ الْحِمَامِ حَفِيزَةً أَنْ يَنْكُلُوا (٦)

إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَائِهِ

قَدَّامَ أَوْلَاهُمْ وَنِعَمَ الْأَوَّلِ (٧)

حَتَّى تَفَرَّقَتْ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ

حَيْثُ التَّقَى وَعَثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّلِ (٨)

والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادتْ تُأْفَلُ (٩)

- ١- أمر عَماس: شديد مظلم، لا يُدرى من أين يؤتى له. اللسان: عمس.
- ٢- الديوان: ٢٣٥، باختلاف في الرواية؛ مقاتل الطالبين: ٣٢٣٣.
- ٣- الشعر في ابن هشام ٤: ٢٧؛ ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٤؛ والبدايه والنهائيه ٤: ٢٦١. همل الدمع: سال، وسحا:
- ٤- المدخل: النافذ إلى الداخل.
- ٥- المسبل: الممطر.
- ٦- الحمام: الموت؛ وينكلوا: يرجعوا هائنين لعدوهم.
- ٧- بعد هذا البيت في سيره ابن هشام: فمضوا أمام المسلمين كأنهم فنق عليهن الحديد المرفل
- ٨- في سيره ابن هشام «حتى تفرجت» والوعث: الرمل الذي تغيب فيه الأرجل، ومجدل: مطروح على الجداله، وهي الأرض؛ وفي ابن أبي الحديد: «... التقى جمع الغواه».
- ٩- تأفل: تغيب، وفي القرآن (فلما أفلت قال إني لا أحب الآفلين) وفي سيره ابن هشام بعد هذا البيت:

[قَوْمٌ بِهِمْ نَصْرَ الْإِلَهِ عِبَادَهُ

وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُتَنَزَّلُ (١)]

وَبِهَدْيِهِمْ رَضِيَ الْإِلَهُ لِحَلْقِهِ

وَحَدَّاهُمْ نَصْرَ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ (٢)

بِيضُ الْوَجْهِ تَرَى بُطُونَ أَكْفِهِمْ

تَتَدَى إِذَا اعْتَدَرَ الزَّمَانُ الْمُمَجَّلِ (٣)

ومن أبيات لحسان، وهو يرثي جعفر بن أبي طالب:

لقد جزعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لي

مَنْ لِلجَلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلَّهَا (٤)

بعد ابن فاطمه المبارك جعفر

خير البريه كلَّها وأجلَّها

فسلام عليك يا جعفر في الخالدين

١- الزيادة من النسخة الخطية وفي سيره ابن هشام «عصم الإله» وفيها بعد البيت: فضلوا المعاشر عشره وتكرماً وتنهدت أحلامهم

من يجهل لا يطلقون إلى السفاه حُباهم ويرى خطيبهم بحق يفصل

٢- ويروى «بجدهم» قال أبوذر: «من رواه بالحاء المهملة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم» ومن رواه بالجيم المكسورة فهو معلوم.

٣- الممحّل: الشديد القحط وفي أ، ب: «قوم بهم نظر الإله لخلفه».

٤- العقاب: اسم لرايه الرسول .

(٧) أم المؤمنين خديجه (عليها السلام)**إشارة**

محمد سليمان

فى بيت من البيوت العريقه، وذات السمعه الطيبه، والمكانه العاليه فى الحجاز، ولدت سيدتنا خديجه لأبوين قرشيين:

فأبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرّه بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر من كنانه ... من قريش، فهو من بنى أسد، وقدمات فى حرب الفجار، التى قامت فى الجاهليه فى الأشهر الحرم بين قريش وقيس عيلان، ويومذاك كان عمر خديجه إذا ما أخذنا بروايه أنّ عمرها حين زواجها من الرسول (ص) أربعون سنه ثلاثين سنه.

وأما أمّها فهى فاطمه بنت زائده بن الأصم بن فهر بن لؤى بن غالب، فهى تجتمع مع زوجها خويلد فى لؤى بن غالب... من كنانه من قريش.

خديجه القرشيه الأسديه تلتقى نسباً مع النسب الكريم لرسول الله (ص) فى جدّه الرابع «قصى» فهو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى... وهى بالتالى أقرب نسائه إليه (ص).

كانت تدعى فى الجاهليه بالطاهره، وسيده نساء قريش، وسيده قريش، وهى يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً... وفى لفظ كان يقال لها سيده قريش؛ لأن الوسط فى ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل، يقال: فلان أوسط القبيله، أعرقها فى نفسها... (١)

عمرُ خديجه

الاهتمام بعمرها أمر طبيعى جداً؛ لأنه جزء من دراسه حياتها المباركه بعد أن اقترنت برسول الله (ص) وصارت حياتها جزءاً من حياته الشخصيه والدينيه بكل أبعادها.

ولكن هذا الاهتمام بدلاً من أن يولد لدينا القطع بعمرها، عمق الاختلاف فيه تبعاً لاختلاف الروايات والأخبار، وبالتالي الآراء عن ولادتها، وعن عمرها، وحياتها حين اقترانها بالرسول الكريم (ص) راحت اعتماداً على تلك الروايات أقوال قدماء المؤرخين بالذات، وأقوال من جاراتهم من الكتاب المحدثين، توسع ذلك الاختلاف وتثبتته، ولم تستطع حسمه بما تقدمه من أدله؛ وابتداءً نشير إلى بعض روايات سنّها ومصادرهما:

فعن ابن عباس: كانت خديجه يوم تزوجها رسول الله (ص) ابنه ثمان وعشرين سنه. (٢)

وعن حكيم بن مزاحم (ابن اخيها): تزوج رسول الله (ص) خديجه وهى ابنه أربعين سنه، ورسول الله (ص) ابن خمس وعشرين سنه؛ ويقول مزاحم: وكانت أسنّ منى بستين، ولدت قبل الفيل بخمس عشره سنه، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشره سنه. (٣)
(فقد ولد (ص) بعد وقعه الفيل بخمسين يوماً...). (٤)

وذكر الواقدي: أنها كانت لما تزوجها رسول الله (ص) بنت خمس وأربعين سنه.

وعن البيهقى والحاكم:... وأن عمره (ص) كان خمساً وعشرين، وعمرها خمساً وثلاثين.

١- السيره الحلبيه ١ : ١٣٧، باب تزوجه (ص) خديجه بنت خويلد (عليها السلام).

٢- مختصر تاريخ دمشق ٢ : ٢٧٥.

٣- المصدر نفسه.

٤- الطبقات الكبرى لابن سعد ١ : ١٠٠؛ أنساب الأشراف للبلاذرى : ٩٢.

كما أنّ هناك من يقول: إنها ابنة ٢٥ سنة، أو ٣٠ سنة.

يقول صاحب كتاب اتحاف الورى بأخبار أمّ القرى: خطب النبيّ (ص) إلى خديجه نفسها، وكانت ابنة أربعين سنة، ويقال: ابنة خمس وأربعين ويقال: ثمان وأربعين سنة، ويقال: ست وأربعين، وقيل: ثلاثين، ويقال: ثمان وعشرين.

فالأقوال إذن فى مسأله عمرها مختلفه، وقد ذهب جلال مظهر فى كتابه محمد رسول الله (ص) سيرته وأثره فى الحضاره إلى (أنها كانت ابنة ٢٥ سنة) دون أن يذكر سبباً مرجحاً لذلك.

فى حين اعتمدت بنت الشاطئ فى كتابها نساء النبيّ روايه الأربعين، التى اعتمدها الطبرى والواقدى ورواها حكيم بن مزاحم؛ وهيكمل هو الآخر اعتمد فى كتابه حياه محمد، ما اعتمده الطبرى والواقدى.

وقد ذكر كل من الدكتور عبدالصبور شاهين، وإصلاح عبدالسلام فى أمهات المؤمنين: وقد أجمعت كتب التاريخ والسيره، إلا روايه واحده فى الطبقات على أنّ السیده خديجه كانت فى الأربعين من عمرها، عند زواجها.

إنّ ما ذكره بعيد عن الدقه، فأين هو الإجماع، وهذه المصادر وكتب التاريخ بين أيدينا قد ذكرت روايات متعدده، وكلها تشير إلى الاختلاف فى سنّها؟!!

وذهب ابن اسحاق، كما فى مستدرک الحاكم، إلى أنّ خديجه كانت فى الثامنه والعشرين من العمر. (١)

فى حين ذهب العقاد فى كتابه: «فاطمه الزهراء والفاطميون» إلى اعتماد روايه ٢٨، ٢٥ سنة، حيث يرى أنّ المرأه فى بلاد كجزيره العرب يبكر فيها النمو، ويبكر فيها الهرم، فلا تتصدى للزواج بعد الأربعين.

وهذا ردّ صريح على من أخذ بروايه الأربعين، الذين أخذوا فى اعتبارهم أنّ السیده

١- مستدرک الحاكم ٣: ١٨٢، وقد كان كلام ابن اسحاق بلا إسناد .

خديجه قد تزوجت قبل رسول الله (ص) من عتيق بن عائذ ومن بعده من أبي هاله زُراره، وأنجبت لهما أولاداً، ثم مكثت بعد وفاه زوجها الثانى مدّه ليست قصيره، راغبه فى تنميه ثروتها وأموالها، التى ورثتها من أبيها الذى كان ثرياً ومن قبيله ذات مال وفير، ومن زوجيها، عازفةً عن الزواج الثالث؛ لأنّ كلّ من تقدّم لزواجها كما زعم إنما كان تدفعه الرغبه فى ثروتها، ولأنّها لم تجد فيهم من الشرف والأمانه والصدق، هذه الصفات التى كانت تنشدها، حتى تستطيع أن تأمنه على أموالها وتجارتها، حتى قدر لرسول الله (ص) أن يضارب بتجارتها، وقد قبلت به لمعرفتها بأنه الصادق الأمين، وهو الذى عُرف بهذا بينهم، وفعلاً سافر إلى الشام ببضاعته، وعاد ببضاعه أخرى وفيره، وأرباح عاليه لم تعهدا من قبل، مع ما حدّثها عنه غلامها ميسره، الذى كان برفقه محمد وخدمته، فزادت معرفتها به، وعظم تعلقها به، ورأت فيه ما كانت تتمنى، فتزوجته.

وقد استعان أصحاب روايه الأربعين بذيل الروايه نفسها عن حكيم بن مزاحم على تأييد ما ذهبوا إليه، وذيلها يقول: إنها توفيت فى شهر رمضان سنه عشر من النبوه، وهى يومئذ ابنه خمس وستين سنه. (١)

وأخذ على هذا الرأى: أنها كيف أنجبت فى هذه السن المتأخره؟!

وأجيب عن ذلك بأنه من المشاهد وجود نساء قد أنجن بعد الأربعين، بل بعد الخمسين أيضاً، وهذا الأمر يتوقف على توفر عوامله، التى منها صحه المرأه واستعدادها وقابليتها وبيئتها، وما تعيشه المرأه من رفاهيه فى حياتها واستقرار وراحه، وهو ما توفر للسيدة خديجه؛ علماً بأن هناك من يقول: إنّ آخر ما أنجبت خديجه (عليها السلام) فاطمه الزهراء (عليها السلام) وهى فى الخمسين، إن لم تكن أقل من ذلك من عمرها المبارك، ومعنى هذا أنها لم تنجب بعد الخمسين سنه وكانت هذه الفتره ١٥ سنه.

فالمدائنى قال: ولدت فاطمه قبل النبوه بخمس سنين.

وفى روايه جعفر بن سليمان: ولدت فاطمه سنه إحدى وأربعين من مولد النبى (ص).

وعن أبي جعفر (ع): «... فقال العباس: أما أنت يا فاطمه فولدت وقريش تبني الكعبة، والنبى (ص) ابن خمس وثلاثين سنة».

فهذه الروايات تبين أنّ فاطمه (عليها السلام) وهى آخر مولود لخديجه ولدت وخديجه بعد لم تتجاوز الخمسين من عمرها، وعلى روايه الأربعين كانت البعثة، وخديجه (عليها السلام) فى الخامسة والخمسين من عمرها.

وقد ترد بعض الملاحظات على مسأله التمسك بروايه ٤٠ وأنها قد تزوجت مرتين.

١ لماذا هذا الإصرار على التمسك بروايه الأربعين، وعدّها هى المشهوره، وهى روايه من عدّه روايات: (٤٥ سنة، ٢٨ سنة، ٢٥ سنة، ٣٠ سنة...) أليس هذا ترجيحاً بلا مرجح؟

٢ امرأه بهذا العمر (٤٠، ٤٥ سنة) وفى أجواء كأجواء الحجاز الحاره جدّاً، التى يسرع الكبر فيها إلى الإنسان، وقد تقدم لخطبتها كما تقول الأخبار أعظم قریش نسباً ومالاً ورفضتهم، بل وتمناها وتهالك عليها كلّ شريف وعظيم، فقد كان ممّن خطبها عقبه بن أبى معيط، والصلت بن أبى يهاب، وكان لكلّ واحد منهما أربعمائه عبد وأمه، وخطبها أبو جهل بن هشام، وأبو سفيان، (١) فهل كلّ هذا يكون من أجل امرأه بهذه السنّ المتأخره، ومن أجل امرأه عاشت بيّتين (بيت عتيق، وبيت «أبو هاله») وأنجبت واحداً على روايه، واثنين على روايه أخرى، وثلاثه على روايه ثالثة، وهم (هند والحارث و بنت اسمها زينب)، (٢) وترملت بعدهما وعاشت سنين أخرى؟!

أو يصح هذا، وهم قادرون بما عندهم من شرف ومال وجاه أن يتزوجوا بما يحلو لهم من النساء من بيوتات عربيه أخرى، ذات شرف وعفه ومال وجمال؟!

ثم إنّ زوجيها السابقين لم يكونا بدرجة عاليه من المكانه، ومع هذا قبلت بهما وهى فى شبابها، فكيف وقد تقدم بها العمر ترفض زعماء قریش وأشرافها؟! وإن قيل إنها قررت تنميه ثروتها، فإنّ هذا ادعاء سطرته أقلام الكتاب، ولا يصلح أن يكون مبرراً يفرض

١- البحار ١٦ : ٢٢.

٢- جوامع السيره النبويه، ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٥٤٦هـ، دار الكتب العلميه بيروت .

عليها ما دامت لم تصرح به، علماً بأنّ في قبال هذا الادعاء إدعاءً يقول: إنها إنما رفضتهم جميعاً، لعدم توفر الصفات التي تريدها فيمن تقدم لخطبتها، وهو ادعاء أقوى من ادعاء الكتاب؛ لأنه من أقرب الناس لها.

قال أبو القاسم الكوفي: إنّ الإجماع من الخاص والعام، من أهل الأنام ونقله الأخبار، على أنه لم يبق من أشرف قريش، ومن ساداتهم، وذوى النجده منهم، إلّا- من خطب خديجه، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول الله (ص) غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشرف قريش، وأمرؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيم أبى طالب فقيراً، لا- مال له؟! فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجه، يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش وأشرفها على ما وصفناه؟! ألا يعلم ذوو التمييز والنظر أنه من أبين المحال، وأفظع المقال؟! (١)

٣ وفي الاستغاثه ذكر بعض أنه كانت لخديجه أخت اسمها هاله، (٢) تزوجها رجل مخزومي، فولدت له بنتاً اسمها هاله، ثم خلف عليها رجل تميمي يقال له أبو هند فأولدها ولداً اسمه هند، وكان لهذا التميمي امرأه أخرى قد ولدت له زينب ورقيه، فماتت ومات التميمي، فلحق ولده هند بقومه، وبقيت هاله أخت خديجه والطفلتان اللتان من التميمي وزوجته الأخرى، فضمتهم خديجه إليها، وبعد أن تزوجت بالرسول (ص) ماتت هاله، فبقيت الطفلتان في حجر خديجه والرسول (ص) ... وكان العرب يزعمون أنّ الربيبه بنت، ونسبتا إليه (ص) مع أنهما ابنتا أبى هاله زوج أختها، وكذلك كان الحال بالنسبه لهند نفسه. (٣)

أريد من هذا كله أن أقول: إنّ ما يناسب صفات هذه السيده، وما يلائم كلّ ما قيل بحقّها، ورغبه الآخرين فيها، وما يبعدنا عن مسأله كلّ ما يرد من إشكالات حول عمرها وقدرتها على الانجاب، وما دامت الروايات كلها قد تكون بمستوى واحد، وليس لواحد

١- لها ذكر في كتب الأنساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش، لمصعب الزبيرى: ١٥٧ ١٥٨.

٢- الاستغاثه ١: ٧٠.

٣- الصحيح في سيره النبيّ (ص)؛ الاستغاثه ١: ٦٨٦٩؛ رساله مطبوعه طبعه حجريه في آخر مكارم الأخلاق: ٦.

على الأخرى ترجيح، أرى أنّ الأخذ بروايه ٢٥، أو ٢٨ كما ذهب إليه العقاد أولى، لأنّ هاتين الروايتين تناسبان واقع حياه هذه المرأه لاغير.

أما زواجها السابق لمرتين فهو أيضاً محل تأمل وتوقف، وقد وردت أدله وأقوال على أنها باكر كما ذهب إلى ذلك كل من أحمد البلاذرى، وأبو القاسم الكوفى فى كتابيهما، والمرضى فى الشافى، وأبو جعفر فى التلخيص: أنّ النبى (ص) تزوج بها وكانت عذراء.

هذا ما نقله ابن شهر آشوب فى المناقب فى ترتيب أزواجه (ص) حيث يقول: تزوج بمكّه أولاً خديجه بنت خويلد قالوا: وكانت عند عتيق بن عايد المخزومى ومن ثم عند أبى هاله زراره بن نباش الأسدى.

وروى أحمد البلاذرى، وأبو القاسم الكوفى فى كتابيهما، والمرضى فى الشافى، وأبو جعفر فى التلخيص: أنّ النبى (ص) تزوج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر فى كتابى الأنوار والبدع: أنّ رقيه وزينب كانتا ابنتى هاله أخت خديجه. (١)

الزواج المبارك

استجمعت أحاسيسها وراحت تستمع فرحةً مسرورةً لحديث غلامها ميسره، الذى صحب النبى (ص) وهو يضارب فى تجاره لخديجه (عليها السلام) فى الشام، وراح يحدثها عن سيره محمد (ص) معه، وعن أخلاقه، وطباعه، وصفاته الجميله، وعمّا كان يراه من كراماته التى لم ير ميسره مثيلاً لها من قبل، على كثره سفراته مع آخرين، فأعجبت به، وقد أسر كلّ مشاعرهما، وامتلك كلّ عواطفهما، وتحركت فى قلبها أسرارها، وكأنها تريد لهذا الحديث ألا يتوقف أو ينتهى، ثم راحت تحدّق فى مستقبل فتى بنى هاشم الصادق الأمين، الذى غدا صدقه يملأ الآفاق، وأمانته يلهج بها كلّ لسان، ماذا يخبئ المستقبل لهذا اليتيم الهاشمى، وما هو ذاك الشأن العظيم الذى ينتظره؟!

لقد تمثلت أمام عينها شخصيته بكلّ ما فيها من نبل صفاته، ورقه شمائله، وعظيم وكرم

أخلاقه، وجمال روحه، وشرفه، وفضله على الجميع.

لاحت من ميسره نظره إلى سيدته، فردت طرفها، وعلتها العفه، وهى أنبل نساء عصرها حياءً، وأعظمهن خلقاً، فانقلبت غبطتها تلك وفرحتها إلى حب لم تحس به من قبل، والى ود ما لامس مثله أحاسيسها أبداً، وإلى إكبار وتكريم ولجا قلبها ملاً كل منهما عليها حياتها . . . وهى التى تمردت على واقع نساء قومها، وامتنعت أمام أعظم قريش شرفاً ونسباً وثراءً ومكانه . . . فالتفتت بعد حين إلى أختها على قول، وإلى صديقتها نفيسة بنت منبه على قول آخر: لتسرّها بأن ما قاله ميسره عن محمد قد نفذ إلى روحها، وأنها وجدت فيه ما كانت تتمناه، ولم تجده فيمن تقدم لخطبتها، فما كان من نفيسة وقد سرّت بما سمعته إلا أن بادرت إليه على روايه فقالت له: ما يمنعك أن تتزوج؟

قال (ص): ما بيدي ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءه، ألا تجيب؟

قال: فمن هي؟!

قالت: خديجه.

قال: كيف لى بذلك؟!

فقالت نفيسة، وقد علت ملامح وجهها الفرحة: على ذلك، وسارعت لتبلغ خديجه بما سمعته من محمد (ص).

وفى روايه: وكانت لبيبة حازمة، فبعثت إليه تقول: يا ابن عمّ، إنى قد رغبتُ فيك لقرابتك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك. (١)

لقد خصّ بها الله بكرامه اذخرها لها، وكانت له من الشاكرين، واختارها لمكانتها وصفاتها لتكون امرأه خاتم رسله، وسيد الأولين والآخرين محمد بن عبدالله (ص).

لم يتأخر محمد (ص) فى إبلاغ عمّه (أبوطالب) وعشيرته بذلك، كما لم تتأخر خديجه (عليها السلام) فقد أبلغت عمّها عمرو بن أسد، الذى حضر، ودخل رسول الله (ص) عليه فى عمومته، ومعه

بنو هاشم وسائر رؤساء مُضَر، فخطب أبوطالب فقال:

«أحمد الله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضى مَعَدَّ، وعُنصر مُضَر، وجعلنا حَصَنَه بيته، وسُوَّاس حَرَمِه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إنَّ ابن أخى هذا محمد بن عبدالله لا يُوزن به رجل من قريش إلا رجح به شرفاً ونُبلاًً وفضلاًً وعقلاًً فإن كان فى المال فلا، فإنَّ المال ظلُّ زائل، وأمر حائل، وعاريه مسترجعه، ومحمد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجه، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى هذا، وهو مع هذا والله له نَبأ عظيم، وخطر جليل أو «له والله خطب عظيم ونَبأ شائع».

فتزوجها وأصدقها عشرين بكرة، وقيل اثنتى عشره (اثنتين وعشرين) أوقيه ذهباً ونشأً (نصف أوقيه)، والأوقيه أربعون درهماً، والنشَّ عشرون درهماً؛ فذلك خمسمائة درهم.

وفى روايه: فقال لأعمامه . . . فجاء معه حمزه عمه حتى دخل على خويلد [خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن خويلد بن أسد، وقيل بل عمرو بن أميه عمها، وكان شيخاً كبيراً وهو الصحيح، على ما فى نهايه الأرب ١٦ : ٩٨، وعند ابن سعد فى الطبقات ١ : ١٣٢ وعن جمهوره النسب للكلبى: ٧٤ وهو عمرو بن أسد ابن عبد العزى، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق للأسد لصلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو ابن أسد شيئاً].^(١)

إذن فقد اشتهر أنَّ عمها عمرو بن أسد، هو الذى زوّجها، وإن قيل: إنَّ الذى زوجها أخوها عمرو بن خويلد؛ لأنَّ أباه مات قبل حرب الفجار، وهذا كله يكذب المزاعم، التى رويت من أنَّ أباهاً زوّجها بعد أن سقته خمراً... لتحصل بذلك على موافقته، لأنه لا يوافق من تزويجها من فقير يتيم.

ففى روايه أحمد فى مسنده: حدَّثنا أبو كامل، ثنا حمّاد، عن عمّار ابن أبى عمار، عن ابن عباس فيما يحسب حمّاد أنَّ رسول الله (ص) ذكر خديجه (عليها السلام) وكان أبوها يرغب عن أن

يزوجه، فصنعت هي طعاماً وشراباً، فدعت أباهاً وزُمرأً من قريش فطعموا وشربوا ثم ثملوا، فقالت لأبيها: إنَّ محمداً يخطبني فزوجهني إياه، فزوجه إياه، فخلقتة (طيبته، وفي المسند «فجملته») وألبسته حُلَّةً كعادتهم، فلما صحا نظر، فإذا هو مخلَّق فقال: ما شأنى؟ فقالت: زوجهنى محمداً، فقال: وأنا أزوجه يتيماً أبى طالب! لا لعمرى، فقالت: أما تستحي؟ تريد أن تسفه نفسك معى عند قريش بأنك كنت سكران، فلم تزل به حتى رضى.

وقد روى طرفاً منه الأعمش، عن أبى خالد الوالى، عن جابر بن سُمرة أو غيره.

كما ذكر مختصر تاريخ دمشق روايه نسبت إلى عمار بن ياسر تشبه هذه الروايه.

وهذا ما نفاه الواقدي بعد نقله بقوله:

وهذا غلط، والثبت عندنا المحفوظ من حديث محمد بن عبدالله بن مسلم، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم؛ ومن حديث ابن أبى الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ ومن حديث ابن أبى حبيب، عن داود بن الحصين، عن عكرمه، عن ابن عباس، أنَّ عمَّها عمرو بن أسد زوجه رسول الله (ص) وأنَّ أباه مات قبل الفجار. (١)

وقد بلغت تلك الروايه من الضعف والسخف درجه كبيره، فهى إضافه إلى منافاتها لأخلاق هذه السيده المباركه، حتى قبل زواجها برسول الله (ص) فقد شهد لها فى الجاهليه بسمو الخلق والنجا به والشرف، وبرجائه عقلها وقوه شخصيتها، مع ما لها من المكانه الكبيره عند أهلها وعشيرتها، ممَّا جعلها موضع فخر واعتزاز، وممَّا يؤهلها لاقتناع أبيها على فرض حياته بهذا الزواج.

يقول صاحب السيره الحلبيه عنها: إمراه حازمه أى ضابطه جلده، أى قويه شريفه أى مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامه ومن الخير... فامرأه تحمل هذه الصفات لا- أظنها بحاجه إلى أن تستعين بأسلوب يتنافى مع كلِّ ما منَّ الله تعالى عليها من صفات كريمه،

وقد وصفت خديجه نفسها بهذا الأسلوب حسب الروايه بقولها إلى أبيها: تريد أن تسفه نفسك معى عند قريش بأنك كنت سكران! فهو إذن أمر معيب عندهم فكيف

ترتكبه؟! وإضافهً إلى هذا فإن الروايه تتنافى مع الروايه الأخرى التى نالت إجماع أكثر المؤرخين، من أن أباهما توفى من قبل، وأن عمها هو الذى زوجها، وعلى روايه ضعيفه أن أحاها زوجها.

وتم هذا الزواج المبارك، بعد رجوع النبى (ص) من سفره إلى الشام بشهرين وخمسه وعشرين يوماً، وقبل بعثته نبياً بخمس عشره سنه، وبعد أن أكمل (ص) خمساً وعشرين سنه وشهراً وعشره أيام من عمره المبارك،^(١) وأخذت هذه السيده مكانها الذى اختارته السماء لها لتكون بجانبه (ص) وهو يستعد لتحمل مهام أعظم رساله سماويه إلى الناس كافة، فكانت للرسول (ص) نعم الزوجه، ونعم السكن، ونعم النصير، وكان لها أحسن حظ طالما انتظرتة وتمنته، ولم ينجو هذا الاقتران من حسد وبغض وغضب، فقد أحدث هزه بين الرجال، الذين سبق لهم أن توافدوا على عتبه بابها، وهم يحملون معهم كل المغريات ليخطبوا يدها، إلا أنهم عادوا من حيث أتوا خائين بعد أن رفضتهم، ولم تعبأ بما حملوه معهم من مال، ولم يجد شرفهم وزعاماتهم أى أثر فى نفسها، فلاذ بعضهم بالسكوت، والبغض والحسد يأكلان قلبه، فى حين لم يتمالك بعض آخر أحاسيسه ولسانه فقال: ما هذا إلا سحر، مسكينه خديجه، فقد سحرها اليتيم فشغفت به.

كما غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشرف قريش، وأمرأؤهم، فلم تتزوجى أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيماً أبى طالب، فقيراً لا مال له!؟

فما كان من خديجه بعدما سمعت بذلك كله إلا أن صنعت طعاماً ودعت نساء قريش وكان بينهن نساء المبغضين، فلما اجتمعن وأكلن قالت لهن: معاشر النساء بلغنى أن بعولتكن عابوا علىّ فيما فعلته من أنى تزوجت محمداً، وأنا أسألكم هل فيكم مثله، أو فى بطن مكّه شكله من جماله وكماله وفضله وأخلاقه الرضيه؟! وأنا قد أخذته لأجل ما قد رأيتُ منه، وسمعت منه أشياء ما أحد رآها، فلا يتكلم أحد فيما لا يعنيه، فكفّ كلّ منهن

ومنهم عن الكلام (١).

وقد تابع الزوجان حياتهما المباركة هذه، وجهادهما الدؤوب، وقدر لخديجه أن تكون في قلب الأحداث الجسم المملؤه بالآلام والشدائد المضنيه، ووهبت كل ما تملكه من ثروه وهو كثير، ووضعت بين يدي رسول الله (ص) ليضمه إلى سيف على (ع).

أنجبت له (ص) كل أولاده إلا إبراهيم، فهو من ماريه القبطيه وهم القاسم وبه كان (ص) يكنى والطيب والطاهر على قول وقد ماتوا صغاراً رضعاً قبل بعثته المباركة، ورقيه وزينب على قول وأم كلثوم وفاطمه الزهراء التي تزوجها الإمام على (ع).

ولم يتزوج رسول الله (ص) غيرها طيله حياتها المباركة معه، التي دامت قرابه خمس وعشرين سنه.

إسلامها

من بركات الله تعالى الخاصه بهذه المرأه أن من عليها بأن اختارها لتكون أول نساء العالمين إسلاماً، وأسبقهن تصديقاً برسول الله ودعوته، وأخلص نسائه جهاداً، وأعظمهن وفاءً وطاعه له، وأصبرهن تحملاً لما لاقاه رسول الله من ضروب الأذى والتضييق، وأكثرهن بذلاً وعطاءً في سبيل الله ورسوله، فعن عبدالله بن مسعود: إن أول شيء علمت من أمر رسول الله (ص) قدمت مكه مع عمومه لى أو ناس من قومي نبتاع منها متاعاً، فكان فى بغيتنا شراء عطر، فأرشدنا إلى العباس بن عبدالمطلب، فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه، فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض، ... كأنه القمر ليله البدر، يمشى على يمينه غلام، حسن الوجه ... تقفوههم امرأه، قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ثم استلمه الغلام، واستلمته المرأه، ثم طاف بالبيت سبعاً والغلام والمرأه يطوفان معه، ثم استقبل الركن، فرفع يديه وكبر، وقامت المرأه خلفهما، فرفعت يديها وكبرت، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فقنت ملياً، ثم سجد وسجد الغلام معه والمرأه، يتبعونه، يصنعون

مثلما يصنع، فرأينا شيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكة، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين حدث فيكم، أو أمر لم نكن نعرفه فيكم.

قال: أجل، والله، ما تعرفون هذا؟ قال: قلنا: لا، والله ما نعرفه، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام على بن أبي طالب، والمرأه خديجه بنت خويلد امرأته، أما والله، ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

لقد آمنت برسول الله (ص) ولم يسبقها إلى ذلك إلا الإمام على (ع) كيف لا يكون كذلك، وقد قرأت بما ألهمها الله تعالى، وبما منحها من قدره وحكمه وبصيره ونظره ثاقبه لمستقبل الصادق الأمين مستقبلة وأنه ذو شأن كبير، ومقام كريم ومنزله محموده؟!!

لقد واكبت مسيرته المباركه وهو في غار حراء، بخدمتها الصادقه وكلماتها الطيبه، التي تدل على مدى اخلاصها ونباهتها وصفائها: «وهيات خديجه لزوجها ما يناسبه من حياه، فلما لجأ للتحنث في غار حراء، كانت تعدُّ له ما يحتاجه من طعام وشراب خلال الفتره، التي اعتكف فيها بالغار، فلما جاءه الوحي كانت أول من صدقه، وعانت معه صراع قريش ضده، وكانت البلسم الشافي لجراحه من هؤلاء المعتدين، ودخلت معه الشعب عندما قرر ساده قريش أن يقاطعوا المسلمين...» (١).

كانت تسمعه كلمات رقيقه هادئه، كلما دخل بيتها عائداً من غار حراء، كلمات ملؤها الحنان والحب؛ تدعوه أن يطمئن، وتدعوه أحياناً أن يهدأ وينام، فكان يقول لها: «مضى عهد النوم يا خديجه!».

لقد كانت كلماتها تلاحقه وهو في بيته، وهو خارج منه، وهو في الغار، وهو يدعو عشيرته للإيمان، وهو في دار الأرقم يدعو الناس سرّاً، وهو في كل مكان في مكة يقارع قريشاً وشركها جهراً، وهو يرى أعداءه والمتربصين به، والمبغضين له، فكانت تخفف عنه كل معاناته، وكل ما يلقاه من أذى وتكذيب وعت من قومه.

وكان (ص) يصرّح ويفضي لها بكلّ شيء؛ يقول ابن هشام في سيرته: وآمنت به خديجه

بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، فخفف الله بذلك عن نبيه (ص) لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلاّ فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه، وتصدقه وتهوّن عليه أمر الله، رحمها الله تعالى. (١)

ومن كلماتها له (ص) أيضاً: «أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبداً، والله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدى الأمانه، وتحمل الكلّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الدهر.

فى شعب أبى طالب

ما انفكت قريش تصعد عداءها لرسول الله ودعوته الجديده، ولم يتوقف عملها فى تجذير ذلك العداء فى نفوس أبنائها قولاً وعملاً وكلمة ازداد رسول الله (ص) وصحبه التزاماً بموقفهم وثباتاً على مبادئهم، ازداد عداء قريش لهم وأذاها، وقد رأت أنّ أهله وعشيرته قد وفروا له الرعايه والحمايه، فعزمت على شنّ حملتها على هذه الأسره، وارتأت أن تتخذ وسيله غير الحرب فى أول أمرها فلعلّها تصل إلى أهدافها دون قتال، وما يجزّه هذا القتال من ويلات وانقسامات بين قبائلها، فاجتمع زعماءها وكتبوا الصحف، التى قرروا فيها:

مقاطعه بنى هاشم على المستويات الاجتماعيه والاقتصاديه، فلا يتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم، ولا يكلمونهم، ولا يزورون مرضاهم، ولا يشيعون موتاهم، وأكرهوهم أن يلزموا الشعب، وهو طريق بين جبلين.

أما نتائج هذه المقاطعه التى استمرت حوالى ثلاث سنوات فقد كانت قاسيه جداً على بنى هاشم، ومسهّم بسببها الضرّ، بل الجوع والحرمان... ولم تنقض إلاّ بعد أن أشفق بعض القرشيين على بنى هاشم بسبب ما نالهم من أذى وعذاب، فخرقوا هذه الوثيقه، وعادوا إلى الاتصال بهم. (٢)

وهناك روايه: أنّ الأرضه أتت على كلّ شىء فى الصحف، ولم تدع إلاّ اسم الله

١- السيره النبويه، لابن هشام ١: ٢٤٠.

٢- المصدر نفسه ١: ٢٣١، ١١٠؛ ابن القيم ٢: ٤٦.

جلّ وعلا، وقد أوصى الله لمحمد بذلك، فنقل ذلك إلى عمّه أبى طالب، فتحدى أبوطالب جماعه المشركين، وأحضروا الصحيفة فظهر صدق محمد.

هذه خلاصه المقاطعه التي كانت خديجه ضحيةً من ضحاياها، فقد أصابها الضرر أيما إصابه، وعانت معاناه عظيمه من آثار هذه المحاصره الظالمه، ولكنها لاذت بالصبر، ووقفت إلى جانب رسول الله (ص) موقفاً، يندر أن تقف مثله امرأه، وكان لشخصيتها ومكانتها وهبتها في النفوس الأثر الكبير، إلى درجه أنها صارت من أسباب قيام خلاف ونزاع أدى إلى انهيار موقف قريش، وترك العمل بالصحيفه، وفشل المقاطعه.

ففي السيره النبويه: أنّ أباً جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً إلى خديجه بنت خويلد زوجه الرسول وعمّه حكيم، فتعلق به أبو جهل، وقال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم، والله، لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكه، فجاءه أبوالبختري، وقال له: مالك وله؟ إنه طعام كان لعمته رغبتٌ إليه فيه، فكيف تمنعه؟ فأبى أبو جهل، وقام نزاع كان من أسباب إغفال الصحيفة ونهايه المقاطعه. (١)

كما كان لهشام بن عمرو بن الحارث العاملي الذي كان من أقرباء خديجه دور آخر في بذر الخلاف بين زعماء المقاطعه، فقد كان أكثر الناس إقداماً على مساعده المحصورين المقاطعين، فكان يدخل أحمال الطعام إلى بنى هاشم في الشعب، وأرادت قريش معاقبته.

فانبرى أبوسفیان وقال: دعوه، رجل وصل رحمه، أما والله إنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن. (٢)

مكانتها في قلب الرسول (ص)

لم تتحمل أمّ المؤمنين عائشه، وهي ترى رسول الله (ص) يذكر أمّ المؤمنين خديجه، فقالت: ما زلت تذكر بحسره وألم، عجوزاً من عجائز قريش، حمراء الشدين، هلكت من عده

١- السيره النبويه، لابن هشام ٢: ٥.

٢- تاريخ قريش: ٣١٦ للدكتور حسين مؤنس.

سنين، وقد أبدلك الله خيراً منها!

فما كان من رسول الله (ص) بعد أن تغير وجهه الكريم، إلاّ وزجرها غاضباً، وقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها» ولم يكتف (ص) بهذا، بل راح يذكر مناقبها التي ما فتئ يعيشتها (ص) في حياته المباركة: «آمنت بي حين كفر الناس، وصدقنتني إذ كذبتني الناس، وواستني بماليها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء».

فقال عائشه في نفسها: والله لا أذكرها بعدها أبداً. (١)

وقبل ذلك لم تتوقف غيره أم المؤمنين عائشه من أم المؤمنين خديجه، التي احتلت تلك المكانة العظيمه من قلب رسول الله (ص) وظهر ذلك كله في مواقف عمليه للرسول الكريم، حتى بعد وفاتها سلام الله عليها.

رأته عائشه يوماً وقد ذبح شاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجه منها»، وهنا أيضاً، لم تتوقف عائشه عن أن تسمعه شيئاً، فقال (ص): «إني لأحب حبيها». (٢)

وظلت الغيره لا- تنفك عن قلبها من سيدتنا خديجه، لا لشيء فالأمر كله بعد موتها إلاّ لأنها سبقتها إلى نفس رسول الله (ص) وإلى قلبه، فاحتلته بما امتلكته من خلق عال، وشرف رفيع، وايمان صادق، وجهاد خالص، وذكر طيب، وبما قدمته من حياتها التي استرخصتها، وثروتها وأموالها، كل ذلك وضعت بين يديه المباركتين؛ لنيل مرضاه الله، ولتعيته (ص) وهو يحمل أعظم رساله، وأخطر مسؤوليه تبليغيه تغييريه، عرضتها السماء، وعرفتها الإنسانيه.

وحيثما نصره الله تعالى وفتحت أبواب مكه له، وكان وقتها قد مرّ على وفاتها أكثر من عشر سنوات، وكانت كلّ تلك السنين مليئه بالأحداث والشؤون المريره، ولكنها مع كلّ ذلك لم تشغله عن ذكره لخديجه أقام في قبه ضربت له هناك إلى جوار قبرها حيث روحها التي تخفق حوله، فتريحه، وتؤنسه، وترافقه وهو يشرف على فتح مكه، ويطوف

١- الاستيعاب ٤ : ١٨٢٤ .

٢- المصدر نفسه.

بالكعبه، ويحطم رموز الكفر والشرك، وهو بين لحظه وأخرى يرمق دارها، حيث نبع الحب، وحيث السكينه والموده والحنان والتضحيه.

وفيما قالته أم المؤمنين عائشه: كان رسول الله (ص) إذا ذكر خديجه لم يكذب يسأم من ثناء عليها واستغفار، فذكرها ذات يوم فاحتملتنى الغيره، فقلت: لقد عوضك الله من كبيره السن، قالت: فرأيت رسول الله (ص) غضب غضباً أسقطت في جلدى، وقلت في نفسى: اللهم إنك إن أذهبت غضب رسول الله عنى، لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت، فلما رأى النبى (ص) ما لقيت، قال: «كيف قلت؟ والله، لقد آمنت بى إذا كفر بى الناس، وآوتنى إذ رفضنى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، ورزقت منى الولد إذ حرمتموه منى».

قالت: فعدا وراح على بها شهراً.

أما ما ورد فيها عن رسول الله (ص)

فعن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليهما: أن رسول الله (ص) قال: «أمرت أن أبشر خديجه ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

قال ابن هشام: القصب ههنا: اللؤلؤ المجوّف. (١)

وعن عائشه، قالت: ما غرت من أحد ما غرت على خديجه، ولقد هلكت

قبل أن يتزوجنى رسول الله (ص) بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة. (٢)

وقال ابن هشام: وحدثنى من أثق به، أن جبريل (ع) أتى رسول الله (ص) فقال: «أقرئ خديجه السلام من ربها، فقال رسول الله (ص): يا خديجه، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك، فقالت خديجه: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام».

١- الروض الأنف؛ وانظر سيره بن هشام ١: ٢٤١.

٢- المصدر نفسه.

عام الحزن

شاءت السماء أن تمتحن هذا القلب الكبير، وقد امتحنته مرات ومرات، ولكن هذه المرّة في زوجته التي أبت إلا أن تعيش كبيره وتموت كبيره، والتي كانت له وزير صدق على الإسلام،^(١) وكانت شريكته في حياته كلّها، في دعوته، وفي تبليغه لها، وفي جهاده وتضحياته.

لقد رحلت عنه في السنه العاشره من البعثه النبويه، ودفنت في مقبره الحجون بمكّه، بعد أن رحل قبلها بشهور على قول وبأيام على قول آخر عمّه أبوطالب الذي كان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعه وناصرأ على قومه.^(٢)

لقد رحلت هذه المرأه العظيمه، لتنتهى برحيلها ورحيل أبى طالب العم المدافع والمحامى القوى أولى مراحل رساله السماء، التي شكلت الفتره المكيه الأولى بكلّ آلامها وأحداثها، كما كانت الفتره التأسيسيه لهذه الرساله المباركه، وكان لوجوديهما المباركين الأثر العظيم فى تشكيل تلك المرحله التي دامت قرابه عشر سنوات، وفى بقائها واستمرارها وثباتها.

لقد رحلت هذه السيده المباركه، بعد أن وصل نداء الإسلام الحبشه، وتجاوز صداه بقاع الحجاز، وبعد أن حملته قلوب صادقته ونفوس مضحيه، وأياد قويه.

رحلت هذه السيده الجليله، وغابت عن دنياه، ولكنها لم ترحل عن قلبه النابض بمواقفها الصادقه.

رحلت هذه المرأه المباركه، ولكنها ظلت ماثله دائماً أمامه، ولم ينس ذكراها أو يتأس عنها، أو يدخل قلبه غيرها، أو يحتل مكانها منه، بل ولم تستطع أى واحد من نساته مهما بذلت من جهد أن تبعد طيفها عنه (ص) وهو الذى ما فتئ يذكرها، وكان ذكره لها يثير غيره بعض نساته، وكانت أشدهن غيره أمّ المؤمنين عائشه، فبذلت ما تستطيعه من أجل أن تنسيه ذلك الطيف الجميل، وتلك الذكرى العطره، أو أن تخمد أو على الأقل تخفّف ذلك من قلبه فما استطاعت، مع أنها كانت فى مطلع صباها ونضاره شبابها.

فسلامّ على خديجه فى الخالدين

١- سيره بن هشام ٢: ٤١٦.

٢- المصدر نفسه.

(٨) عمار بن ياسر

إشاره

رايه الحقّ المبين

محسن الأسمى

مع ما تعرضت له من ظلم وتعسف وتجاوز كان أخطرها وأقساها، تبرئه المعتدى، وتبرير أفعاله، وكييل المدح له، وإتهام البريء وإدانته وذمه وسبه بوسائل خبيثه، وبأحاديث موضوعه على رسول الله (ص) بقيت صحبه رسول الله (ص) مدرسه رساليه عظيمه مقدسه.

كما لا يقدر عظمته تلك، ولا يضرّ قدسيتها أبداً أنه كما كان فيها المتفوقون كان فيها دون ذلك بكثير، وكما كان فيها المجاهدون المخلصون، كان فيها المتخاذلون، وكما كان فيها المؤمنون الصادقون حقاً، كان فيها غير ذلك.

لقد كان فيها الذين زادتهم إيماناً وثباتاً، وكانت شفاءً لما في قلوبهم، وكان فيها الذين ما ازدادوا إلا نفوراً وإلا أذى وتخريباً لها.

وخلصه القول: كان فيها محسنٌ وظالم لنفسه مبين، وهم بالآخره بين شقى وسعيد.

(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ... خَالِدِينَ فِيهَا...) * (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا). (١)

لقد تعرضت هذه المدرسه المباركه لحالتي الإغواء والابتلاء، فارتفعت أعلام وسقطت أخرى، وتألفت نفوسٌ وهوت غيرها، وفاز جمع وخاب آخر؛ ومع هذا كله وغيره الكثير، بقيت هذه المدرسه المحمديه أعظم مدرسه عرفتها الدنيا! ونموذجاً فذاً لم يعهد مثله التاريخ، وكيف لا تكون كذلك؟ وقد راحت السماء تغذيها وتمدها وتنمّيها وتجذرها في قلوب مؤمنه صادقه، راحت غير عابئه بما يحيط بها من أذى، ومن تعسف، ومن ظلم، وقسر، واضطهاد، تبشر بآيات الله وسنّه نبيه، لتحملها مفاهيم ومبادئ وأحكاماً إلى الناس كافه؟!!

لقد خلقت قلوباً أبيه، ونفوساً كبيره يحتضنها رجالٌ أفذاذ، صحابهٌ أجلاء، تركوا آثارهم على تاريخنا، بل على تاريخ الإنسانيه عطاءً وعلماً، وتضحيهً وجهاداً، وأخلاقاً وآداباً.

لقد آمن هؤلاء والإسلام يعيش أخرج ظروفه وأقساها، من حيث القله والضعف والهوان، في ساحه يحيطها الأعداء من كل مكان؛ آمنوا وقدموا كل ذاك العطاء وكل تلك التضحيات، بسبب ولائهم الصادق لرسول الله (ص) وحبهم العظيم له، ولما حمله من قيم السماء؛ وهو ما شهد به أبوسفیان يوم كان زعيماً لأعداء الله ورسوله: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كما يحب أصحاب محمد محمداً.

وعمار وأبوه ياسر وأمه سميّه من هذه الفئه المؤمنه حقاً، ومن هذه النخبه الطاهره، ومن هؤلاء الأصحاب، الذين سجلوا لنا أمثله رائعه وكبيره للإيمان، وللتضحيه، والفداء، والصبر، والحلم، تشهد بذلك سجون قريش وسياطها، وحديدتها المحماه، ورماحها القذره، التي حملتها نفوسٌ سيئه، وقلوبٌ قاسيه، وأياد ملطخه بدماء البراءه والطهاره، كما تشهد لهم بذلك الصبر رمضاء مكه وشمسها المحرقه، وما ذلك إلا لأنهم دعوا إلى الله:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

إنّ الكتابه عن «أبو اليقظان» هذا الرسالي، الذي وفقه الله تعالى ليعيش أجواء الرساله، وأفياء مدرستها تلك، بكلّ صدق ووعى وثبات كتابه عن أبيه ياسر، الذي منّ الله عليه ليكون أول شهيد عرفته المرحله الأولى من مراحل الإسلام ودعوته، وهي ما زالت في أول خطوه لها، كما أنّ الكتابه عنه كتابه عن أمّه التي حظيت هي الأخرى بأول وسام للشهاده في الصدر الأول للإسلام، بل هي كتابه عن كلّ المعذبين أمثال بلال وصهيب وخباب... والدين الجديد يخطو خطواته الأولى إلى قلوب الناس لهديهم وإرشادهم، وإنقاذهم من الظلم والضلاله والضياع إلى حيث برّ الأمان في الدنيا، وإلى حيث النجاه في الآخره.

قبل الهجره النبويه الشريفه بسبع وخمسين سنه، في مكّه، في حي بني مخزوم، ولد عمّار بن ياسر، من أب عربي يمنيّ وهو ياسر بن عامر بن مالك الكنانى المذحجى العنسى القحطانى؛ قدم ياسر من بلاد اليمن مع أخويه الحارث ومالك باحثين عن أخ رابع لهم في رحله طويله شاقه، انتهت بهم إلى مكّه، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، فيما ألقى ياسر عصاه بها، وحالف أبا حذيفه بن المغيره بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، فاقترن بسميه بنت خياط من جوارى أبي حذيفه، ثم أعتقه هذا الأخير بعد أن ولد لهما عمار، ومن هنا صار عمّار وهو العربي القحطانى مولى لبني مخزوم؛ ولكنهما (ياسر وسميه) بقيا مع أبي حذيفه إلى أن مات.

كان عمّار يقول: كنتُ تريباً لرسول الله (ص) لسنّه، لم يكن أقرب به سنّاً مني، كما كان أخاً لأمّ سلمه زوج الرسول (ص) من الرضاعه. (١)

صفاته

كان عمّار آدم اللون، طويلاً، جعد الشعر، حيث توجد شعرات في مقدم رأسه، وفي مؤخره أيضاً وما بينهما صلح، فيه حبشيه، مجدّع الأنف، أشهل العينين، لا يغير شبيهه، بعيد

ما بين المنكبين، وكان شجاعاً قوياً ذا فصاحة وبيان ورأى سديداً.

ومن صفاته أيضاً أنه كان طويل الصمت، طويل الحزن والكآبه، وكان عامه كلامه عائداً بالله من فنتته. (١)

إسلامه

وفى قصة إسلامه التي وقعت، وكان له من العمر أربع وأربعون سنة، فى دارالأرقم، التي كانت تدعى بدار الإسلام؛ لأنها الدار التي كان يتم فيها إسلام الراغبين، باعتراف الدين الجديد؛ يقول عمار: لقيت صهيب بن سنان على باب دارالأرقم، ورسول الله (ص) فيها، فقلتُ له: ما تريد؟ قال لى: ما تريد أنت؟ فقلتُ: أردتُ أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا، ثم مكثنا يوماً على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون؛ وكان عمار وأبواه وكذلك أخوه عبدالله من المبادرين لاعتناق الدين الإسلامى، ومن الأوائل الذين أظهروا إسلامهم وجهروا به، فنالوا بذلك وسام السابقين وفضلهم، بعد أن حرم منهما كثيرون؛ ولم ينجو كلٌ منهم بسبب ذلك من سخط وغضب مشركى قريش وزعمائهم، أبى جهل وشركائه، ونقمه بنى مخزوم الذين تولوا تعذيبهم، وأنزلوا بهم ألوان العذاب وصنوفه، باءت كلُّها بالفشل، ولم تنل من صمودهم، ولم يحصل الطغاه إلا شيئاً أباحه عمار.

وكان ذلك الصمود كله والثبات كله بسبب عمق العقيدة فى نفوسهم، ومكانتها فى قلوبهم، وكانت لزياره رسول الله (ص) لهم فى الأبطح، ودعائه وأقواله لهم دور كبير فى ذلك الثبات، «صبراً أبا اليقظان، صبراً آل ياسر... فإنَّ موعدكم الجنة».

لقد كانت صدورهم وصدور من معهم كصهيب وبلال وخباب... أقوى من الحجارة الرمضاء الملتهبه بحرارتها، وكانت أجسادهم أقوى من مكاوى النار التي ينزلونها عليهم، ومن دروع الحديد التي ألبسوها لهم وصهروهم بالشمس، وأصبر من كلِّ شىء حتى بلغ

الجهد منهم كلّ مبلغ، ففارقت روح سميّه الدنيا ونالت بذلك وسام أول شهيد في الإسلام، لم يسبقها أحدٌ إلى هذا الوسام من الرجال أو النساء (١). بعد أن ربطت بين بعيرين وطعنها أبو جهل رأس الشرك والنفاق بحربه في قُبلها فقتلها، وقتل بعدها زوجها، فكان هو الآخر أول شهيد من الرجال عرفته الساحة الإسلاميه يومذاك.

لقد كان عمار وأبوه وأمه قوماً من المستضعفين في مكّه، وهم الذين لا عشائر لهم تدفع عنهم، وليست لهم منعه ولا قوه، فكانت قريش لا تخشى أحداً فيهم، فتذيقهم أشدّ العذاب في رمضاء مكّه وفي نهارها؛ لعلهم يرجعون عن دينهم، ويتخلون عن محمد ودعوته، وما كيد هؤلاء المشركين إلاّ في تباب.

لقد ترك ذلك التعذيب آثاره على هذه الأجسام المتشربه بحلاوه الإيمان لسنين طويله مرّت عليها، فهي على ظهر عمار حتى آخر حياته.

تقول الروايه التي يقول فيها محمد بن كعب القرظي: أخبرني من رأى عمار بن ياسر متجرداً من سراويل، قال: فنظرت إلى ظهره فيه خيط كبير، فقلت: ما هذا؟ قال: هذا مما كانت تعذبني به قريش في رمضاء مكّه. (٢)

أقوال النبي (ص) في آل ياسر

كانت لآل ياسر مكانه مرموقه عند رسول الله (ص) وحظى عمار بالذات بمنزله رفيعه عنده (ص) لا ينالها إلاّ ذو حظ عظيم؛ فقد كان كثير الترحيب به، وكان يدفع عنه، ويضفي عليه من الكنى والألقاب، والصفات الحسنه، ما جعله موضع احترام عند المسلمين عامه، والصحابه خاصه.

فقد سمّاه (ص) الطيّب المطيّب، وكان يناديه أبا اليقظان، ومن دعائه وأقواله (ص) فيهم: اصبروا آل ياسر، فإنّ موعدكم الجنه، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت؛ كان ذلك منه (ص)

١- الطبقات ٣: ٢٤٧.

٢- مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٢٠٨.

حينما يمرّ بهم في الأبطح وهم يعذبون.

وفي روايه عمرو بن ميمون:

عذّب المشركون عماراً بالنار، فكان النبي (ص) يمرّ به، فيمرّ يده على رأسه ويقول: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمّار، كما كنت على إبراهيم»، ثم يقول: «تقتلك الفئة الباغية». (١)

وفي روايه: «... وقاتله وسالبه في النار».

وعن هانئ بن هانئ قال: استأذن عمار على علي (ع) فقال: «اأذنوا له، مرحباً بالطيب المطيب، سمعت رسول الله (ص) يقول: عمّار مُلئ إيماناً إلى مشاشه»؛ (ما تحت عظامه).

وضرب (ص) مرّه خاصرته وقال: «هذه خاصره مؤمنه».

وفي الدفاع عنه، ومنع من يريد أذيه عمار، قال (ص): «مَنْ حَقَّرَ عَمَاراً حَقَّرَهُ اللهُ... وَمَنْ عَادَى عَمَاراً عَادَاهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَاراً أَبْغَضَهُ اللهُ، عَمَارٌ جَلَدُهُ بَيْنَ عَيْنَيْ». «

ودخل عمّار على رسول الله (ص) يشكو خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله، لقد حَمَشَ قوماً (ساقهم بغضب) قد صلوا وأسلموا، ثم وقع بخالد عند النبي (ص) وخالد جالس لا يتكلم، فلما قام عمار وقع به خالد، فقال النبي (ص): «مه يا خالد! لا تقع بأبي اليقظان، فإنه من يُعَادَهُ اللهُ، ومن يُبْغِضُهُ اللهُ، ومن يُبْغِضُهُ اللهُ، وَمَنْ يُسْفِهَهُ اللهُ». (٢)

وعن رسول الله (ص): «... ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أَرشدهما».

... «دم عمار ولحمه حرام على النار أن تأكله أو تمسه».

وقال أنس: قال (ص): «ثلاثه تُساق إليهم الجنة: علي وعمار وسلمان».

وفي روايه، «أربعة: علي وعمار وسلمان والمقداد».

وليس هذا قد ورد في فضله فحسب، بل كان (ص) يقول للمسلمين: «اهتدوا بهدى عمّار». (٣)

١- مختصر تاريخ دمشق، ١٨ : ٢١٢.

٢- كتاب المغازي، للواقدي ٣ : ٨٨٣.

٣- مختصر تاريخ دمشق ١٨ : ٢١٢.

عمار وآيات قرآنيه

ذكرت بعض الروايات والأخبار أنّ هناك آيات قرآنيه نزلت فى عمار أو فى جمع كان عمار أحدهم، وأنّ هناك غيرها فسّرت فيه، ومن هذه الآيات:

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...)(١)

والذى ورد فى ذلك أنّه لما جهر عمار وأبواه بإسلامهم، وعرفت بهم قريش وبنو مخزوم، عذبوهم أشد العذاب، وألبسوهم أدرع الحديد، ثم صهروهم تحت الشمس على أن يتركوا الإسلام وهم يأبون من ذلك، حتى ورد أنّ عمار بن ياسر كان يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدري ما يقول ... فقتلوا أمّه وقتلوا أباه، وأما عمار فقد أعطى معذبيّه ما أرادوا منه.(٢)

ذكر المفسرون أنّ هذه الآيه نزلت فى عمار بن ياسر، وقيل فى جماعه أكرهوا وكان عمار أحدهم، وهم عمار وياسر أبوه وأمّه سميه، وصهيب، وبلال، وخباب عذبوا وقتل أبوعمار وأمّه، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه، ثم أخبر سبحانه بذلك رسول الله (ص) فقال قوم: إنّ عماراً قد كفر، فقال رسول الله (ص): «كلاً، إنّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه (فرقه) إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فجاء عمار رسول الله (ص) وهو يبكي، فقال (ص): «ما وراءك؟ فقال: شرّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير.

فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه، ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، وفى روايه أنّ رسول الله (ص) قال له بعد أن سمع مقالته: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئناً بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد».(٣) وهذا ما اجتمع أهل التفسير عليه.(٤)

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ

١- النحل : ١٠٦ .

٢- مختصر تاريخ دمشق ١٨ : ٢٠٨ .

٣- أنظر تفسير مجمع البيان؛ والتفسير الكبير للرازي وغيرهما.

٤- ابن عبد البر فى الاستيعاب .

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (١)

لم تنزل قریش تذييق فريقتاً مَمَّن آمن بالله ورسوله سوء العذاب، فلعلها تحققت مرادها منهم، أن يكفروا بمحمد ورسالته، ويعودوا إلى ملتهم الأولى، عباده اللات والعزى... لكن محاولاتها هذه لم تنفعها شيئاً، إنما الذى حصل هو أن تعذيبها لهم كل ما ازداد شدة وقسوة، ازداد معه صمود المعديين، فقرر هؤلاء الهجره عن هذه البلاد فى أول فرصه لهم، وهذا ما تم بالفعل فهاجروا جميعاً الى حيث هاجر رسول الله (ص) إلى المدينه المنوره، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

تقول الروايه: كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدرى ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدرى ما يقول، وبلال وعمار بن فهيره وقوم من المسلمين، وفيهم نزلت هذه الآية. (٢)

يقول الشيخ الطبرسى: نزلت فى المعديين بمكّه مثل: صهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم مكنهم الله بالمدينه، وذكر أن صهيباً قال لأهل مكّه: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم، وإن كنت عليكم لم يضركم، فخذوا مالى ودعوني، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول الله (ص) فقال له أبوبكر: ربح البيع يا صهيب، ويروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، قال له: خذ هذا ما وعدك الله فى الدنيا، وما آخره لك أفضل، ثم تلا هذه الآية. (٣)

وقال الواحدى فى أسبابه: نزلت فى أصحاب النبى (ص) بمكّه: بلال، وصهيب، وخباب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكّه فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى المدينه بعد ذلك. (٤)

١- النحل: ٤١.

٢- مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٢٠٨.

٣- تفسير مجمع البيان، للطبرسى ٦: ٥٥٧، وفى تفسير الآيه من سوره النحل.

٤- أسباب نزول القرآن، للإمام أبى الحسن الواحدى: ٢٨٥.

لقد بَوَّأهم الله تعالى مكاناً محموداً بين إخوانهم المسلمين المهاجرين والأنصار، وجعل لهم ذكرى طيبة تتناقلها ألسنة المؤمنين المجاهدين، وصاروا قدوه حسنه لكل المجاهدين ضد الطغيان والتعسف، ولهم بالآخرة جنة الخلد حيث النعيم المقيم؛ ولا غرابه في ذلك، فقد أعطى عمار وإخوانه كلَّ شيء، وقدموا أنفسهم رخيصة، وتحملوا عذاباً ما أقساه وأعظمه! فأعطاهم الله تعالى حسن الدنيا وأجر الآخرة ونعيمها.

(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ...)* (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ). (١)

لم ينفك طغيان قريش وكبرياؤها يلاحق هذه الفئة المؤمنة، بعد أن عجزت كل محاولاتهما وأساليبها القذرة في إطفاء نور الرسالة وإخمادها، فبدأوا بأسلوب آخر: أن اطردهم يا محمد هؤلاء «عمار وصهيب وبلال وخباب...» فجلس معك وقد تتبعك؛ كم لهذا الموقف من شبه بموقف قوم نوح حيث قال زعمائهم وكبرائهم:

(وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ). (٢)

فلعلَّ هدف مشركى قريش أو بعض المؤلفه قلوبهم لم يكن إلا زرع بذره الشقاق بين محمد وأصحابه، إذا ما طردهم من مجلسه ليجلس زعماء قريش بدلاً منهم، وكم لهذا الموقف من أثر على نفوسهم وهم يرون معدِّبهم مقدمين فى مجلس رسول الله (ص) وهم مبعدون عنه، وكم ستكون ذلتهم كبيره وقاسيه عليهم؟! وهل هذه مكافأتهم، وهل هذا جزاء صمودهم وثباتهم؟!

وهنا تدخلت السماء لما لهذا الأمر من خطوره، لتمنع مثل هذه المحاولات ولتقف بحزم إزاءها، ولتزيد تكريمها لهذه الفئة الرسالية.

روى الثعلبى بإسناده عن عبدالله بن مسعود، قال: مرَّ الملاء من قريش على رسول الله (ص) وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا:

١- الأنعام : ٥١ .

٢- هود : ٢٧ .

يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهم؟ هؤلاء الذين من الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، فأنزل الله تعالى:

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)

وقال سلمان وخباب: فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينه بن حصين الفزاري وذوهم من المؤلفه قلوبهم، فوجدوا النبي (ص) قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم، وقالوا: يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك؛ فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعداء، ثم إذا انصرفنا، فإن شئت فأعدهم إلى مجلسك، فأجابهم النبي (ص) إلى ذلك، فقالا له: أكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفه وأحضر علياً (ع) ليكتب.

قال: ونحن قعود في ناحيه إذ نزل جبريل (ع) بقول:

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) إلى قوله:

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ).

فنحى رسول الله (ص) الصحيفه، وأقبل علينا ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربكم على نفسه الرحمه؛ فكنا نقعد معه. (١)

وعن عكرمه، قال: جاء آل شيبه وعتبه ابنا ربيعه، ونفرٌ معهما سَمَاهم أبوطالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك محمداً يطرد موالينا وحلفاءنا، فإنما هم عبيدنا وعُسَفاؤنا؛ كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، فأتى أبوطالب النبي (ص) فحدثه بالذى كلموه، فأنزل الله عز وجل الآية. (٢)

قال: وكانوا بلالاً وعمار ابن ياسر مولى أبى حذيفه بن المغيره، وسالماً مولى أبى حذيفه بن عتبه، وصبيحاً مولى أسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو وغيرهم. (٣)

١- تفسير مجمع البيان، للطبرسى، فى تفسير الآية .

٢- العسيف: الأجير المستهان به، أنظر اللسان: عسف.

٣- مختصر تاريخ دمشق ١٨ : ٢١٠.

(وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (١).

... فكاننا «سلمان وخباب وعمار...» نَقْعِدُ مَعَهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، قَامَ وَتَرَكَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ...) قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَقْعِدُ مَعَنَا وَيَدْنُو حَتَّى كَادَتْ رُكْبَتُنَا تَمْسُ رُكْبَتَهُ، فَإِذَا بَلَغَ السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا قَمْنَا وَتَرَكَنَاهُ حَتَّى يَقُومَ، وَقَالَ لَنَا: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْتَنِي حَتَّى أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي، مَعَكُمْ الْمَحْيَا وَمَعَكُمْ الْمَمَاتُ» (٢).

وَيَذْكَرُ الطَّبْرَسِيُّ رِوَايَةَ أُخْرَى فِي تَفْسِيرِهِ لِلآيَةِ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ: نَزَلَتْ فِي سَلْمَانَ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَصَهْبِيبٍ، وَعِمَارٍ، وَخُبَابٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ فُقَرَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ص) وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ قَلُوبَهُمْ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَهُمْ عَيْنُهُ بِنِ الْحَصِينِ وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَذَوُوهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ جَلَسْتَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَنَحَيْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ رِوَايَحِ صَنَانِهِمْ، وَكَانَتْ عَلَيْهِمْ جِبَاتُ الصُّوفِ، جَلَسْنَا نَحْنُ إِلَيْكَ وَأَخَذْنَا عَنكَ، فَلَا يَمْنَعُنَا مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْكَ إِلَّا هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ قَامَ النَّبِيُّ (ص) يَلْتَمِسُهُمْ فَأَصَابَهُمْ فِي مَوْخِرِ الْمَسْجِدِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْتَنِي...» (٣).

وهناك آيات أخر قال بعضهم: إنها في عمار نزولاً أو تفسيراً، منها:

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ) (٤).

وهو قول ابن عباس ومقاتل، (٥) عن أبي بكر بن عياش (٦).

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

قال ابن عياش أيضاً: عمار (وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) مَوَالِيَهُ بَنُو الْمَغِيرَةِ (٧).

١- الكهف: ٢٨.

٢- مجمع البيان، للطبرسي ٣: ٤٧٣.

٣- مجمع البيان للطبرسي ٦: ٧١٨ في تفسير الآيه من سورة الكهف؛ أسباب النزول للواحدى.

٤- الزمر: ٩.

٥- أسباب النزول للواحدى؛ مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٢١٠.

٦- معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ١٣: ٢٨٨.

٧- المصدر نفسه.

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ). (١)

القليل هم عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر، وهو قول عكرمه.

وفى مجمع البيان: (إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) قيل: إِنَّ القليل الذى استثنى الله هو ثابت بن قيس بن شماس، وقيل هو جماعه من أصحاب رسول الله، قالوا: والله لو أمرنا لفعلنا، فالحمد لله الذى عافانا، ومنهم عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر، فقال النبى (ص): «إِنَّ من أمتى رجالاً الإيمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى». (٢)

(ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار). (٣)

قال مجاهد: يقول أبو جهل فى النار: أين عمّار، أين بلال؟

وقيل: نزلت فى أبى جهل والوليد ابن المغيرة وذويهما يقولون: ما لنا لا نرى عمّاراً وخباباً وصهيباً وبلالاً، الذين كنا نعدّهم فى الدنيا من جملة الذين يفعلون الشرّ والقبيح ولا يفعلون الخير؟! (٤)

(أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (٥)

عن عكرمه: أنها نزلت فى عمار بن ياسر، «وهو الذى يأتى آمناً يوم القيامة» وفى أبى جهل «الذى يُلقى فى النار».

(أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا...). (٦)

عن عكرمه: فى أبى جهل وعمار (صاحب النور).

١- النساء : ٦٦.

٢- مجمع البيان فى تفسير الآيه.

٣- سوره ص : ٦٢.

٤- مجمع البيان . والتفسير المنير للدكتور الزحيلي فى تفسير الآيه .

٥- فصلت : ٤٠ .

٦- الأنعام : ١٢٢ .

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...)(١).

فعن ابن عباس: بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد بن المغيرة في سرية قال: ومعه في السرية عمار بن ياسر إلى حي من قريش، أو من قيس، حتى إذا دنوا من القوم جاءهم النذير فهربوا، وثبت رجل منهم، كان قد أسلم هو وأهل بيته، فقال لأهله: كونوا على رجل حتى آتيكم؛ قال: فانطلق حتى دخل في العسكر، فدخل على عمار بن ياسر، فقال: يا أبا اليقظان، إني قد أسلمت وأهل بيتي، فهل ذلك نافع أم أذهب كما ذهب قومي؟ قال: فقال له عمار: أقم، فأنت آمن؛ قال: فرجع الرجل فأقام، وصبحهم خالد بن الوليد، فوجد القوم قد أذروا، وذهبوا، فأخذ الرجل، فقال له عمار: إنه ليس لك على الرجل سبيل، إني قد أمنت، وقد أسلم، قال: وما أنت وذاك؟ أتجير علي وأنا الأمير؟! قال: نعم، أجير عليك، وأنت الأمير، إن الرجل قد أسلم، ولو شاء لذهب كما ذهب قومه، قال: فتنازعا في ذلك حتى قدما المدينة، فاجتمعا عند رسول الله (ص) فذكر عمار للنبي (ص) الذي كان من أمر الرجل، فأجاز أمان عمار، ونهى يومئذ أن يجير رجلاً على أمير، فتنازع عمار وخالد عند رسول الله (ص) حتى تشامتا؛ فقال خالد: أيشتمني هذا العبد عندك؟ أما والله لولاك ما شتمني.

قال: فقال نبي الله (ص): «كف يا خالد عن عمار، فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله عز وجل، ومن يلعن عماراً يلعنه الله»، قال: وقام عمار فانطلق، فاتبعه خالد وأخذ بثوبه، فلم يزل يترضاه حتى رضى عنه، قال: وفيه نزلت:

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...)(٢). الآية.

صفحات أخرى من حياته المباركة

أبو اليقظان واحد من الذين حظوا بوسام الهجرتين وأوسمه آخر، هاجر الهجرة الأولى مع من هاجر من المسلمين، وكانت يومذاك إلى الحبشة (وإن تردد بعضهم في هجرته إلى

١- النساء : ٥٩ .

٢- مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٢١٤؛ أسباب النزول للواحدي، سورة النساء، الآية.

الحبشه واختلفوا فى وقوعها)، (١) من بعد ما ظلموا وعذبوا واضطهدوا أيما اضطهاد من قبل مشركى مكه وطغاتها، وبعد أن سمعوا قول رسول الله (ص): «لو خرجتم إلى أرض الحبشه! فإنَّ فيها ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده، وهى أرض صدق حتى يجعل الله فرجاً مما أنتم فيه». (٢)

وأما الهجره الثانيه فكانت إلى المدينه، وما إن وطأت قدماه تراب هذه الأرض، وكان اللقاء برسول الله (ص) حتى آخى (ص) بينه وبين حذيفه بن اليمان، ثم راح عمار يجمع أحجاراً لىبنى بها مسجداً لرسول الله (ص) فكان مسجد قباء، وكان عمار أول من بنى مسجداً فى الإسلام.

ولم يكتف عمار بذلك فقد اشترك مع الصحابه الآخرين فى بناء مسجد النبى (ص) فلما قدم النبى (ص) المدينه قال: «ابنوا لنا مسجداً، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: عرش كعرش موسى، ابنوه لنا بلبن»؛ فجعلوا يبنون ورسول الله (ص) يعاطيهم اللبن على صدره، ما دونه ثوب، وهو يقول:

اللهم ، إنَّ العيشَ عيشُ الآخره

فاغفر للأنصار والمهاجره

فمرَّ عمار بن ياسر، فجعل رسول الله (ص) ينفض التراب عن رأسه ويقول: «ويحك يا بن سميّه، تقتلك الفئه الباغيه».

لقد كان عمار إلى جوار رسول الله (ص) الذى كان هو الآخر يحمل الحجاره معهم، ويومها كان عمار يرتجز ويقول:

نحن المسلمون نبتنى المساجدا

ورسولُ الله (ص) يرَدّد مع المسلمين: المساجدا.

وراح عمار ينشد ما كان يرتجزه على (ع):

لا يستوى من يعمر المساجدا

يظلّ فيها راکعاً وساجدا

أو: يدأب فيها قائماً وقاعدا

١- البدايه والنهايه؛ ومختصر تاريخ دمشق، ترجمه عمار ٣ : ٦٩.

٢- الطبرى ١ : ٥٤٧.

ومن تراه عانداً معانداً

عن الغبار لا يزال حائداً

أو: من يرى عن الغبار حائداً

يقول ابن هشام في سيرته: ... فدخل عمار وقد أثقلوه باللبن؛ فقال: يا رسول الله! قتلوني، يحملون عليّ ما لا يحملون.

وعن مجاهد: رأهم رسول الله (ص) وهم يحملون الحجارة على عمار، وهو بيني المسجد، فقال: «ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، وذلك فعل الأشقياء الأشرار».

كما كان ممن شهدوا بيعه الحديبيه التي تمت تحت الشجرة المعروفه، وهي شجرة السمره، وسميت هذه البيعه ببيعه الرضوان، وجاءت هذه التسميه من الرضا الوارد في الآيه النازله فيها:

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا). (١)

وكما كان عمار من السابقين إلى اعتناق الإسلام، كان من المبادرين إلى الاشتراك في معارك الإسلام الكبرى، فشهد بدرًا فنال بذلك وسام البدرين وأحدًا، والخندق، ومعركة حنين، كما لم يتخلف عن مشاهد ومعارك الإسلام الأخرى حتى بعد وفاه رسول الله (ص) فقد شارك في معارك الردة، اليمامة، وفي الفتوحات الإسلامية زمن الخلفاء، وكان له دور كبير في معركتي الجمل وصفين التي استشهد فيها.

وفي حفر الخندق: كان لعمار مع كونه صائماً السبق في ذلك، يقول جابر بن عبد الله: إن رسول الله (ص) والمسلمين لما أخذوا في حفر الخندق، جعل عمار بن ياسر يحمل التراب والحجارة في الخندق، فيطرحه على شفيره، وكان ناقهاً من مرض، صائماً، فأدركه الغشى، فأتاه أبو بكر، فقال: أربع على نفسك (كفّ وارفق) يا عمار، فقد قتلت نفسك، وأنت ناقه من مرض، فسمع رسول الله (ص) قول أبي بكر، فقام، فجعل يمسح التراب عن

رأس عمار ومنكبه وهو يقول: «يزعمون أنك متّ، وأنك قد قتلت نفسك؛ كلاً والله حتى تقتلك الفئة الباغية».

وفي معركة اليمامة سنة ١١هـ ضد المرتدين مسيلمة الكذاب وجنده، وقع قتال وصفه الطبري بقوله: ثم التقى الناس ولم يلقيهم حربٌ قطّ مثلها من حرب العرب، فاقتتل الناس قتالاً شديداً. (١)

وكان لعمار بن ياسر أيضاً دور كبير فيها، وفي تثبيت المسلمين وتحقيق النصر، وقد أصيبت أذنه يومها، فعن ابن عمر أنه قال: رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخره وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنه تفرّون، أنا عمار بن ياسر، هلّم إلّي، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تذبذب، وهو يقاتل أشدّ القتال. (٢)

وكان جدد أذنه موضع فخر له، فيما راح آخرون يعيرونه به، فإذا ما اختلفوا معه وتنازعوا، قالوا له: أيها العبد المجدّع! فكان يجيبهم: غيرتموني بأحبّ أذني إلّي، أو خير أذني.

وفي عهد الخليفة الثاني تولى عمار ولاية الكوفة لأكثر من سنة، وقد جاء فيما كتبه عمر إلى أهل الكوفة: أما بعد، فإنّي قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبدالله بن مسعود معلماً (قاضياً) ووزيراً، وإنهما من نجباء أصحاب محمد (ص) ممن شهدا بدرأ، فاسمعوا لهما وأطيعوا (واقعدوا بهما)، وقد آثرتمكم بهما على نفسي. (٣)

إلى غير ذلك من الأوسمة الكبيرة التي حاز عليها هذا الصحابي الجليل.

مروياته

دُكر في عدّه الرجال أنّ يعقوب بن شيبه صنف مسند عمار بن ياسر، وهناك في جامع المسانيد والسنن مسند لعمار، دُكر فيه من روى عنه، كما دُكرت فيه مروياته عن

١- تاريخ الطبري ٢ : ٢٧٩.

٢- مختصر تاريخ دمشق ١٨ : ٢١٩.

٣- المصدر نفسه؛ والاستيعاب.

رسول الله (ص)؛(١) كما ذكر صاحب الأعلام أنّ عماراً روى اثنتين وستين روايه عن رسول الله (ص) ومما رواه:

قال: سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «إنَّ طول صلاة الرجل وقصر خطبته مِثْنُهُ، فأطيلوا الصلاة، وأقصرُوا الخطبة، فإنَّ من البيان سحرًا». (٢).

قال عمار: قال رسول الله (ص): «كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين عزّاً».

وعن ابن عباس، عن عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول الله (ص) حين احتبس عن قلاده عائشه بذات الجيش، فلما طلع الفجر أو كاد نزل آيه التيمم؛ فمسحنا الأرض بالأيدى، ثم مسحنا الأيدى إلى المناكب ظهراً وبطناً، وكان يجمع بين الصلاتين في سفره. (٣).

وفى روايه أخرى لعمار، كما فى أسباب النزول للواقدي: عرّس رسول الله (ص) بذات الجيش، ومعه عائشه زوجته، فانقطع عقد لها من جذع ظفار، فحبس الناس ابتغاء

عقدها ذلك حتى أضاء الفجر، وليس مع الناس ماء؛ فأنزل الله تعالى على رسوله (ص) قصه التطهر بالصعيد الطيب، فقام المسلمون فضربوا بأيديهم الأرض ثم رفعوا أيديهم، فلم يقبضوا من التراب شيئاً، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب، ويطون أيديهم إلى الأباط. (٤).

من دعائه وأقواله الأخرى

نسبت لعمار أقوال كثيرة وأدعيه، تدلنا على عمق إيمانه وحكمته، وكان منها:

كان عمار بن ياسر مع جماعه فى المسجد وعنده أعرابى، فذكروا المرض، فقال الأعرابى: ما مرضتُ قط، فقال عمار: ما أنت؟! أو لست منا؟! إنَّ المسلم يُبتلى بالبلاء، فيكون كفاره

١- جامع المسانيد والسنن، لعماد الدين الدمشقى ٩ : ٣٢٩ ٣٨٨.

٢- مختصر تاريخ دمشق ١٨ : ٢٢٠، ومعنى الحديث أنّ ذلك مما يعرف به فقه الرجل، اللسان: مأن.

٣- كتاب المغازى، للواقدي ٢ : ٤٣٥.

٤- أسباب النزول، للواقدي فى سبب نزول آيه التيمم ، الآية: ٤٣ من سورة النساء .

خطاياہ فتحات كما يتحات ورق الشجر، وإن الكافر يُبتلى، فيكون مثله كمثل البعير عُقل، فلا يدرى لم عُقل، وأطلق فلا يدرى لم أطلق. (١)

ومرّ عمار بن ياسر على ابن مسعود يَزُسُّ داره، فقال: كيف ترى يا أبا اليقظان؟ قال: أراك بنيت شديداً، وأمّلت بعيداً، وتموت قريباً. (٢)

ومن أقواله: كفى بالموت موعظه، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً. (٣)

ومن دعائه رضوان الله عليه: «اللهم اجعلني من عبادك الصالحين، وأعطني من صالح ما تعطي عبادك الصالحين، من الأمانه، والإيمان، والأجر، والعافيه، والمال، والولد النافع غير الضار ولا المضر، ولا الضال ولا المضل». (٤)

وعن عبدالرحمن بن أزي، عن عمار أنه قال وهو يسير على شط الفرات: «اللهم لو أعلم أن أرضي لك عنى أن أتردى فأسقط، فعلت؛ ولو علمت أن أرضي لك عنى أن ألقى نفسى فى هذا الماء فأغرق فيه، فعلت». (٥)

قال عمار: «كنت أنا وعلّى (ع) رفيقين مع رسول الله (ص) فى غزوه العشيره، فنزلنا

منزلاً، فرأينا رجالاً من بنى مُدَلج يعملون فى نخل لهم، فقلت: لو انطلقنا! فنظرنا إليهم

كيف يعملون، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعه، ثم غَشَّينا النعاس، فعدنا إلى صور من النخل، فمنا تحته فى دقاء من التراب، فما أيقظنا إلا رسول الله (ص) أتانا وقد ترَبَّنَا فى ذلك التراب، فحرَّك علينا برجله، فقال: «قم يا أبا تراب، ألا أخبرك بأشقى الناس؟ أحمر ثمود عاقر الناقه، والذي يضربك يا علّى على هذا يعنى قرنه فيخضب هذه منها،

وأخذ بلحيته». (٦)

١- مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٢٢٢.

٢- المصدر نفسه، يرسس يصلح . انظر اللسان : رسس .

٣- المصدر نفسه.

٤- مختصر تاريخ دمشق ٢٢٤: ١٨.

٥- حليه الأولياء ١: ١٤٢، ١٤٣.

٦- تاريخ الطبرى ٢: ١٢٤.

البشارة والشهادة

فى الوقت الذى ما زالت سىاط الجلادين تلاحق جسد عمار، كانت كلمات البشير النذير محمد بن عبدالله (ص) هى الأخرى تلاحقه، لتكون شفاء له ورحمه: «صبراً يا آل ياسر، فإنّ موعدكم الجنة؛ ويح ابن سميّه! تقتله الفئة الباغية؛ أبشر عمارُ تقتلك الفئة الباغية؛ آخر زادك من الدنيا ضياح لبن».

قال رسول الله (ص) لعلّى (ع) عندما ذكر عماراً: «أما أنه سيشهد معك مشاهد أجراها عظيم، وذكرها كثير، وثناؤها حسن».(١)

«أى أبشري عمار فإنك ستموت شهيداً بيد فئة ظالمه، وهى جماعه معاويه، التى كانت ضد عليّ وجيشه رضى الله عنهم، وكان عمار فى جيش عليّ (ع) بصفين، فلما استشهد صلى عليه عليّ (ع) ودفن هناك رضى الله عنهم... وفيه أنّ علياً (ع) كان على الحق، وأنه كان أحقّ بالخلافه، لا شك فى هذا، وفيه معجزه للنبيّ (ص) لأنه إخبار بغيّب وقع؛ هذا ما قاله الشيخ منصور على ناصف من علماء الأزهر الشريف فى تاجه الجامع للأصول.(٢)

الشهادة التى جاءت تسعى إلى عمار، وراح يسعى إليها بعد أن طال انتظاره لها قرابه خمسين سنه، حتى وافته وهو يربو على التسعين من عمره المبارك؛ لينال بها أرفع درجات العاملين، وأعلى درجات المجاهدين، فوقع شهيداً، وقد أنخنته الجراح، وضرخته الدماء، وصار جسده موضعاً التقت به ضربات البغاه مع آثار سىاط المشركين من قبل حين أظهر إيمانه بدعوه رسول الله (ص).

وهذا هو الخيار الذى ارتآه عمار لنفسه، أن يقف بجانب عليّ (ع) وأن لا يحيد عنه أبداً، وكيف يحيد وقد عهد إليه رسول الله (ص): «يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع عليّ ودع الناس، إنه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من الهدى».

١- كنز العمال ١١ : ٧٢٣؛ حليه الأولياء، أبو نعيم ١ : ١٤٢.

٢- التاج الجامع للأصول ٣ : ٣٧١ الهامش.

لقد كان عمار رايه للحق والهدى، فقد ذكر عبدالله بن سلمه: رأيتُ عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً، آدم، طوالاً، أخذ الحربه بيده، ويده ترعد، فقال: والذي نفسى بيده، لقد قاتلتُ بهذه الرايه مع رسول الله (ص) ثلاث مرّات وهذه الرابعه، والذي نفسى بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفتُ أنّ مصلحتنا على الحقّ وأنهم على الضلاله (على الباطل). (١)

وفيما قاله عمرو بن العاص: ولكننا كنا نراه (ص) يحب رجلاً، قالوا: فمن ذلك الرجل؟ قال: عمار بن ياسر، قالوا: قتيلكم يوم صفين، قال: قد والله قتلناه. (٢)

لقد كان عمار بحق الرايه التي من انضوى تحتها فالجنه مأواه، ومن زاغ عنها فالنار مثواه.

تقول الروايه: جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود، فقال له: يا أبا عبدالرحمن، إنّ الله عزّوجلّ، قد أمّنا من أن يظلمنا، ولم يؤمنا من أن يفتننا، رأيتُ إن أدركتُ فتنه؟ قال: عليك بكتاب الله، قال: رأيتُ إن كان كلهم يدعو إلى كتاب الله؟ قال: سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سميّه مع الحق».

وفي حديث آخر عن ابن مسعود أيضاً، جاء رجل إليه فقال: إن الله أجاز أهل الإسلام من الظلم ولم يُجرهم من الفتن، فإن وقع فما تأمرني؟ قال: أنظر عمار بن ياسر أين يكون فكن معه، فإنني سمعت رسول الله (ص) يقول: «عمار يزول مع الحق حيث يزول». (٣)

وهذا هو بعينه ما وقع يوم التقى الجمعان في صفين ورفعت المصاحف، واضطرب الناس، فكان ابن سميّه الرايه الخفاقه التي تصدع بالحق، وتجهر به وتدعوهم أن هلموا إليّ.

لقد أسمعَتْ لو ناديتَ حياً

ولكن لا حياه لمن نادى

فأبوا إلا رايه الضلاله رايه لهم يقاتلون تحتها ومن أجلها.

لقد كان عمار مع الحق في حله وترحاله، في حركته وسكونه، في قوله وفي فعله؛ كما

١- مختصر تاريخ دمشق ١٨ : ٢٠٦ .

٢- المصدر نفسه ١٨ : ٢١٤ .

٣- المصدر نفسه ١٨ : ٢١٥ .

كان متيقناً أنّ ما قاله رسول الله (ص) واقع لا محاله ولا يقع غيره؛ فقد اشتكى عمار شكوى ثقل منها، فغشى عليه، فأفاق، تقول مولاه له: ونحن نبكى حوله، فقال: ما يبكيكم؟ أتحسبون أنى أموت على فراشى؟ أخبرني حبيبي رسول الله (ص) أنه تقتلني الفئه الباغيه، وأنّ آخر زادي من الدنيا مذقه لبن.

وفي حديث آخر: إني لست ميتاً من وجعي هذا، إنّ رسول الله (ص) عهد إلى أنى مقتول بين فئتين من المؤمنين عظيمتين، تقتلني الباغيه منهما. (١) وكان هذا الحديث الذي عرفت به الفئه الباغيه حديثاً متواتراً ومن أصح الحديث، وحين لم يقدر معاويه على إنكار هذا الحديث قال: إنما قتله من أخرجه، وقد أجاب على (ع) عن قول معاويه هذا بأن قال: «فرسول الله (ص) إذا قتل حمزه حين أخرجه». (٢)

وهذا ما حدث بالفعل، فقد بغى معاويه بن أبي سفيان وجنده على أمير المؤمنين على بن أبي طالب، فكانت وقعه عظيمه بينهما في صفين وقف فيها عمار وكان معه ثمانون بدرياً، ومائه وخمسون مّمن بايع تحت الشجره، وجمع كبير من القراء، وكان مجموع من شهد معه من الصحابه ألفين وثمانمائه. (٣) وراح ضحيتها الآلاف، وكان بينهم الكثير من الصحابه والتابعين، الذين استشهدوا دفاعاً عن الحقّ ورايته التي يحملها عمار.

وهنا لا بدّ لنا من وقفه قصيره، فنقول: لقد كانت معركة صفين أمراً لا بدّ من وقوعه، فهو النتيجة الطبيعيه للصراع بين الإسلام الحقيقي ووارثيه، والإسلام الآخر المحرّف ووارثيه أيضاً، وهى بالتالى لا تختلف ولا تقل أهميه وخطوره عن معارك الإسلام الكبرى بدر وأحد والخندق وحنين... ضد الشرك والمشركين، وهذا ما طواه عمار بكلمته المشهوره: أيها الناس هل من رائج إلى الله تحت العوالى (الرماح)؟ والذى نفسى بيده، لنقاتلهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله؛ وأكّده هذا وهو يشقّ طريقه مقاتلاً بين الصفوف فى صفين وهو يقول:

١- مختصر تاريخ دمشق ١٨ : ٢١٨؛ المدقه : الطائفه من اللبن الممزوج بالماء، أنظر اللسان: مدق.

٢- الروض المعطار فى خبر الأقطار، للحميرى : ٣٦٣ ٣٦٤.

٣- البدايه والنهايه ٧ : ٢٥٥؛ والمستدرک للحاكم ٣ : ١٠٤.

نحن ضربناكم على تنزيهه

فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ إلى سبيله. (١)

وهذا ما بين لنا تأكيد النبي (ص) أنّ عماراً تقتله الفئة الباغية، واعدته لهذه العبارة في كثير من المناسبات: إذا رأى عماراً قالها له، وإذا مرض عمار وظن زائروه أنه ميت قالها رسول الله، إذا اشتكى عمار من ألم أو من شيء آخر أعادها رسول الله عليه؛ وكان (ص) يحرص أن يُسمع قوله هذا الآخرين، ولم يكتف (ص) بهذا بل كان يصرح ويبين هدف القتال الذي سيقع قطعاً، وهذا الهدف متمثل بقوله عن عمار: ... يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار. وأنه ستقتلك الفئة الباغية وأنت مع الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني. (٢) وأن آخر شراب له ضياع لبن.

كلّ هذا وغيره ليدلهم (ص) على الحق المبين في وقت قد تلتبس الأمور فيحلّ الغموض بدل الوضوح، وتقع الفتنة وبتيه بعض ويضطرب آخرون، فأشار إلى الرمز وإلى الدليل، إنه عمار بن ياسر وإنه بالتالي عليّ بن أبي طالب «يا عمار إن رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس، إنه لن يدلك علي ردى ولن يخرجك من الهدى».

لقد كان عمار الميزان، وكان الحجج الأخيره على المخالفين والمناوئين «الناكثين والمارقين والقاسطين» الذين أعماهم حقدهم وبغضهم لعلي (ع) عن أن يروا الحقّ الناصع، والهدى المبين فيه ومن خلاله.

وأخيراً وقعت معركة صفين، ووقف عمار خطيباً: اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أفذف بنفسى في هذا البحر لفعلت، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم رضاك في أن أضع ظبه سيفى في صدرى، ثم أنحنى عليه حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإنى لا أعلم

١- شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد ٢: ٨١٠؛ ومروج الذهب ٢: ٤٢٢.

٢- كنز العمال ١١: ٣٥١.

اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أنّ عملاً من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته. (١) وبدأ القتال وتحدثت الأخبار:

أنّ عماراً كان صائماً، وقد غربت الشمس فأتى بلبن فشربه، ثم قال: إنّ النبيّ (ص) قال: «هذه آخر شربه أشربها من الدنيا، أو آخر زادك من الدنيا ضياح لبين»؛ فقام فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

وعن أبي سنان الدؤلّي صاحب رسول الله (ص) قال: رأيتُ عمار بن ياسر دعا بشراب، فأتى بقدر من لبن فشرب منه، ثم قال: صدق رسول الله (ص)، واليوم ألقى الأحبه محمداً وصحبه.

إنّ رسول الله (ص) قال: «إنّ آخر شيء تزوده من الدنيا ضيحه لبين» ثم قال مبيناً يقينه بأنه قطعاً على الحق المبين، وأنّ خصمه على الباطل، أنظره يقول: والله لو هزمونا حتى يبلغونا سعفات هجر، لعلمنا أنا على حق وهم على باطل؛ ولأنه رايه الحق والهدى ترى أصحاب رسول الله (ص) في معركة صفين يتبعونه في كلّ مكان يتواجد فيه من ساحه القتال، وهو ينادى: أين من يبغى رضوان ربّه، ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟

وفى روايه أخرى: فى يوم من أيام صفين التى وقعت على قول من أول ذى الحجه سنه ٣٦، وانتهت فى ١٣ صفر سنه ٣٧، وعلى قول الطبرى كان وصول الإمام على (ع) وجنده إلى صفين فى أواسط ذى القعدة سنه ٣٦ أو فى العشرين منه، وعلى روايه المسعودى أنّ مقامهم بصفين كان مائه يوم وعشره أيام، كان فيها نحو تسعين أو سبعين وقعه رجع عمار إلى موضعه من المعركة فاستسقى، فأتته امرأه من بنى شيان من مصاخهم بعس فيه لبين. فدفعته إليه، وروى أنّ الذى سقاه أبو المخاريق، (٢) فقال: الله أكبر، الله أكبر، اليوم ألقى الأحبه تحت الأسنه، صدق الصادق.

وبذلك أخبرنى الناطق، وهو اليوم الذى وعدتُ فيه، ثم قال: أيها الناس هل من رائح

١- الكامل ٣ : ١٥٧؛ البدايه والنهايه ٧ : ٢٩٢، ٢٦٧؛ الطبرى ٦ : ٢١.

٢- الطبرى؛ الزوائد ٧ : ٢٤٣.

إلى الله تحت العوالى (الرماح)، والذى نفسى بيده لثقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله، وفى قول أنه نادى إنى لقيتُ الخيار وتزوجت الحور العين؛ اليوم نلقى محمداً وحزبه؛ وانطلق يجول فى ساحه المعركه وهو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله

فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

على مقربه من عمّار، وقف أبو الغاديه، وهو من جيش معاويه، يستحضر موقف عمار من الخلافه الثالثه فقد كان له موقف يتسم بالقوه والصلابه من هذه الخلافه، التى لم تقض بالحق، ولم يكن صاحبها ولا ذوو قرباه من الذين يعدلون، وكانت خيمه انضوى تحتها أعداء الدين، ورتع فيها المنافقون؛ كل هذا دفع عماراً لهذا الموقف الذى يقول عنه ابن كثير: «كان عمار يحرض الناس على عثمان ولم يقلع ولم يرجع ولم ينزع...» (١) وراح أبو الغاديه يراقب عماراً، فلعلّ فرصه تحدث ليتمكن منه ويدهامه فيقتله. وكان عمار ينادى صاحبه هاشم بن عتبه: يا هاشم الجنه تحت ظلال السيوف، والموت فى أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزينت الحور العين؛ اليوم ألقى الأحبه محمداً وحزبه. (٢)

يقول أبو الغاديه: فلما كان يوم صفين، جعل عمار يحمل على الناس؛ فقيل: هذا عمار، فرأيتُ فرجه بين الرئتين وبين الساقين. فحملتُ عليه فطعنته فى ركبته، فوقع فقتلته. (٣) وفى روايه أخرى: فاختلفت أنا وهو ضربتين، فبدرته فضربته، فكبا لوجهه ثم قتلته. (٤)

ولما قتل رضوان الله عليه اختصم فى قتله اثنان، فقال عمرو بن العاص: والله، إن يختصمان إلا فى النار، والله، لوددتُ أنى متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنه. (٥)

١- البدايه والنهايه ٧ : ١٧١.

٢- الطبرى ٦ : ٢٣.

٣- الطبقات، لابن سعد ٣ : ٢٤١.

٤- الزوائد ٩ : ٢٩٨.

٥- أحاديث أم المؤمنين عائشه: ١١٧ .

وقد صلى عليه الإمام على (ع) ودفن في صفين؛ وقد نسب إلى الإمام على (ع) بعد استشهاد عمار رضوان الله عليه، قوله:

ألا أيها الموتُ الذي ليس تاركى

أرحنى فقد أفنيت كلَّ خليل

أراك مضراً بالذين أحبهم

كأنك تنحو نحوهم بدليل (١)

كان ذلك في سنة ٣٧هـ عن عمر ناهز الثلاث والتسعين سنة.

فسلام عليك يا أبا اليقظان في العالمين

١- ديوان الإمام على (ع): ١٢٥، تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي.

(٩) أم سلمه

إشاره

(وَ أَرْوَاهُ أُمَّهَاتُهُمْ)

حسن الحاج

إنّ الكتابه عن أم المؤمنين أم سلمه وحياتها المضيئه، كتابه عن أظهر بيت عرفته الدنيا، وأعظم مكان صنعته السماء وباركته، وكيف لا- يكون كذلك، وقد رعته يد الغيب؛ ليكون مبعث الطهر كله ونبع الخير كله، ومصدر العطاء كله، ومشعلاً للهدايه، ومدرسه للخلق الكريم، والأدب الرفيع، وقدوة ورحمة للعالمين.

لقد كان هذا البيت مأوى الرساله ومهبط الوحى، ومنزل القرآن ومبعث النور، الذى حمله صاحب هذا البيت رسول الله (ص) الذى وصفه الله تعالى فى كتابه الكريم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فكان هذا الخلق يواكب البيت الأول للدين الجديد، وصارت عفته محط إعجاب من حوله، وصار القدوه لهم والأسوه الحسنه، فربوا أم بعدوا عنه.

ولما يتركه من آثار خطيره إذا ما عصفت حوله المغريات على مسيره الرساله والرساليين، تولته السماء، وراحت ترسل آياتها الكريمه مبينه أهميه هذا البيت ومرشده

نساءه إلى مكانتهنّ ودورهنّ الرسالي ووظيفتهنّ.

وفي الوقت الذي ضاعفت السماء العذاب لمن تأتي منهّن بفاحشه، جعلت الأجر مرّتين لعملهنّ الصالح؛ لخطوره تواجدهنّ في هذا البيت وأنهنّ القدوه، التي يجب أن تكون صالحه، والأسوه التي يجب أن تتحلّى بأرقى درجات الإيمان والخلق الكريم: (يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشهٍ مبينهٍ يضاعف لها العذاب ضعفين)، (ومن يفت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرّتين وأعدنا لها رزقاً كريماً). (١)

ثمّ راحت السماء تبين مكانتهنّ، وخطورتهنّ وتكاليفهنّ ما دامت قد ارتبطت حياتهنّ بهذا البيت الكريم نساءً لرسول الله (ص): (يا نساء النبيّ لستين كاحدٍ من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكنّ ولا تبرزن تبرج الجاهليّه الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله...). (٢) وكان لابد لهذا الطهر ولتلك العفه من ستر فكان الحجاب (يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ...). (٣)

لقد كانت أمّ سلمه أول نساء هذا البيت بعد أمّ المؤمنين خديجه بنت خويلد (عليها السلام) وعياً لدورها الرسالي، كما كانت أكثر نساء النبي التزاماً بهذا كله، وأسرعهنّ طاعه الله ورسوله، وعاشت حياتها الإيمانيه ومسؤوليتها الرساليه، ووظيفتها الشرعيه على أكمل وجه، حتّى وفقت لأن تكون أفضل نساءه (ص) وأصدقهنّ، وأخلصهنّ في تحمّل أمانه هذا البيت الكريم ورسالته، بعد أن قُدر لها أن تكون من نساءه (ص) وعاشت في كنفه، وظلت في بيته كأتقى نساءه، وأفضلهنّ بعد خديجه (عليها السلام) طهارهً وعفه وإيماناً وجهاداً وعلماً؛ فقد راحت تتغذى من علمه (ص) وأدبه وسنته، وتستقي من مصدر الوحي الذي مافارق منزلها، وبرزت أمّاً للمؤمنين بنصّ القرآن الكريم، وهو وسام منحه السماء، وحفظت أمّ سلمه ذلك،

١- سورة الأحزاب : ٣١.

٢- المصدر نفسه: ٣٢ ٣٣.

٣- المصدر نفسه: ٥٩.

ورعته، ووعته مسؤوليه كبرى، وراحت تكثر الشكر لله تعالى على هذه النعمة، مما جعلها مثلاً أعلى في إيمانها وعبادتها وورعها، فنالت بذلك حبَّ الله تعالى، وحبَّ رسوله (ص) وأهل بيته الطيبين، والمؤمنين جميعاً على مرَّ الأجيال.

لقد كانت أم سلمة ترى هذه الأمومه تكليفاً عظيماً، ومسؤوليه كبيره، لها حقوقها، وعليها واجبات كثيرة لا بدَّ من رعايتها، فكانت بحقَّ أمّاً للمؤمنين بحنانها، وشفقتها، ورعايتها لهم، واهتمامها بهم، وخوفها عليهم، وحرصها لهم.

لقد كانت وكما عودتنا في حياتها المباركة المبادره إلى كلِّ ما يرضى الله تعالى ورسوله، ولم تتناول عليه (ص) أبداً طيله حياتها معه، كما تناولت عليه بعض نساءه، وكان هذا سبباً لأذيته (ص) فحينما رأى رسول الله (ص) أن بعض نساءه كنَّ يخلقن له المتاعب، ومطالبتهنَّ بالنفقة والزينه، حتى ورد قول بعضهنَّ له: لعلك ترى أنك إن طلقنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا؛ وهذا الموقف دفع رسول الله (ص) إلى أن يعتزلهنَّ تسعه وعشرين يوماً، فكان موقفهنَّ هذا سبباً لنزول آيه التخيير: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً). (١)

فبادرت هنا أم سلمة قائلة: قد اخترتُ الله ورسوله، فنالت بذلك سبق الاختيار هذا، وفضله وأجره، ثم قامت بعدها ببقية نساءه (ص) فعانقته، وقلنَّ مثل الذى قالت أم سلمه، ولم تتخلف عن هذا إلا واحده وهى فاطمه بنت الضحّاك، فإنها اختارت الدنيا، ففارقها رسول الله (ص) وبقيت فى شقاء طول حياتها. (٢)

فى بيت كريم

هند (وقيل رمله وهو ضعيف) بنت سهيل، أبى أميه بن المغيره بن عبدالله بن عمر بن

١- سورة الأحزاب : ٢٨ ٢٩.

٢- البحار ٢٢ : ٢٠٤؛ الميزان فى تفسير الآيه.

مخزوم القرشيه، وكان أبوها جواداً كريماً سخياً، عرف بذلك في الجاهليه ولقبته العرب بزاد الركب، حين كان هذا اللقب لا يُطلق إلا على ثلاثة أو أربعة أشخاص، راحت الأمثال تضرب بجودهم، وسارت بذلك الركبان، كان هو أحدهم.

فإذا ما كان أحدهم في سفر فإن رفقاء سفره مهما كثروا يتحمل عنهم زادهم وطعامهم طيله الرحله التي جمعتهم، ويرفض أن يحمل رفقاؤه شيئاً من ذلك؛ قال صاحب لسان العرب في ماده زود. (١)

وأزواد الركب من قريش أبوأمية بن المغيره، والأسود بن المطلب بن أسد ابن عبدالعزيز، ومسافر بن أبي عمرو بن أميه، وكانوا إذا سافروا، فخرج معهم الناس، فلم يتخذوا زاداً معهم، ولم يوقدوا، يكفونهم ويغنونهم؛ وهناك من يقول: إنهم أربعة، فأضاف زمعه بن الأسود بن المطلب بن أسد. (٢)

أمياً أمها، فهي عاتكة بنت عامر بن ربيعه بن مالك بن جذيمه، أو خذيمه بن علقمه الكنانيه، من قبائل بني فراس الأشراف الأمجاد؛ وعلقمه جدّها كان يلقب بجذل الطعان، وذكرته كتب التاريخ بأنه رجل كريم يعطى ولا يبخل، وجود ولا يمنع.

وهناك من يقول: إن أمها هي عاتكة بنت عبدالمطلب بن عبد مناف عمه رسول الله (ص).

وقال آخر: إنها ليست بنت عاتكة هذه وإنما هي بنت زوجها.

وعلى فرض كونها بنتاً لعاتكة بنت عبدالمطلب، أو بنتاً لزوج عاتكة، فهي أخت لكل من عبدالله وزهير ابني عمه رسول الله (ص).

كما أنها أخت لعمار بن ياسر الصحابي الجليل من الرضاعه، وكانت قد تزوجت أخاً لرسول الله (ص) من الرضاعه أرضعتها ثويبه، مولاه أبي لهب وترباً له، وابن عمته بزه بنت عبدالمطلب، وأحد أشراف بني مخزوم رأياً وشجاعه وكرماً وجوداً، من المسلمين الأوائل وممن هاجر الهجرتين، وهو أبوسلمه عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن

١- ابن منظور في لسان العرب ٤ : ١٨١ ، وغيره من مصادر التاريخ.

٢- ذكر ذلك في الهامش صاحب كتاب نساء أهل البيت عن المحبر: ١٣٧ وعن المنمق: ٣٦٨ ٣٦٩.

مخزوم، وكان ذاك قبل أن يمنَّ الله تعالى عليها لتكون أمًّا للمؤمنين بنصَّ القرآن الكريم، بعد أن تَلَطَّفَ اللهُ تعالى عليها لتكون زوجه لحبيبه رسول الله (ص).

وكانت كما يقول الذهبي من أجمل النساء، وأشرفهنَّ نسباً.

قالت أمُّ المؤمنين عائشه عن جمال أمِّ سلمه: «لَمَّا تزَوَّجَ رسول الله (ص) «أمَّ سلمه» حزنْتُ حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفْتُ حتى رأيتها، فرأيتُ أضعاف ما وُصفت به».

إذن، فكلُّ من أصلها العريق، ومنبتها الكريم، أضفى على حياتها صفات عظيمه وخلقاً كريماً، واكبها طيله حياتها المباركه، وميزها عن غيرها من النساء.

يقول عنها أحمد خليل جمعه في موسوعته القيمه «نساء أهل البيت»: لو ألقينا الأضواء على حياه أمِّ سلمه قبيل الإسلام؛ لألفينا أنها امرأه ذات شرف وطهر في أهلها، وذات نسب مُعَرِّقٍ في المعالي، ومنبت كريم حسيب في قومها بنى مخزوم، ثم هي بعد ذلك كلّه، ابنه واحد من كرماء قريش، وأنداهم كفاً، وأجودهم عطاءً، فأبوها زاد الركب أحد الأجواد الذين سارت الأمثال والركبان بالحديث عن جودهم، فكانوا إذا سافروا، وخرج معهم الناس، لم يتخذوا زاداً معهم، ولم يوقدوا ناراً لهم، فيكفونهم ويغنونهم.

ولا ريب أن هند بنت أبي أمية، قد تأثرت بهذه البيئه الكريمه، التي عاشتها في مطلع فجر حياتها، وأرت مارأت من مكانه أبيها، وكرامته وكرمه بين الناس، فلا عجب أن تكون هي الأخرى، ذات يد معطاء، ونفس صافيه، تعرف مكانَ الرحمه، فتفجر البر في نفوس الناس تفجيراً. (١)

إسلامها وهجرتها

في بدايه نور الإسلام ورغم عناد الوليد بن المغيره، زعيم بنى مخزوم، أسلمت أمُّ سلمه وزوجها، وبعد ما ثارت حفيظه مشركى مكه، وعظم غيظهم، واشتد أذاهم للمسلمين، هاجرت معه إلى الحبشه فكانا أول المهاجرين، فنالت بذلك وسام أولى المهاجرات.

يقول النووى فى تهذيبه نقلاً عن ابن الأثير: أوّل مهاجرة من النساء أمّ سلمة (١). وما إن عادت وزوجها إلى مكّة من الحبشه، مكان هجرتها الأولى، حتى استعدا للهجرة مرّه أخرى إلى المدينة، بعد أن توفى أبوطالب عمّ رسول الله (ص) وحاميه، فعادت بذلك قريش إلى اضطهاد المسلمين، فصدر أمر رسول الله (ص) بالهجرة إلى المدينة، فكان زوجها أبوسلمة أوّل المهاجرين حيث هاجر قبل بيعه العقبة بسنه، وقد حلّت مصيبه مؤلمه بهذه الأسره الكريمه.

تقول الروايه عن أمّ سلمه:

قالت: لما أجمع أبوسلمه على الخروج الأوّل إلى المدينة رحّل لى بعيره، ثمّ حملنى عليه وحمل معى ابنى سلمه فى حجرى، ثمّ خرج يقود بى بعيره، فلما رأته رجال بنى المغيره قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبنا هذه علام تتركك تسير بها فى البلاد؟

قالت: فزعوا خطام البعير من يده، فأخذونى منه، وغضب عند ذلك بنو عبدأسد، رهط أبى سلمه، قالوا: لا والله لا نترك ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجادبوا ابنى سلمه بينهم، حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو أسد، وحبسنى بنو المغيره عندهم، وانطلق زوجى أبوسلمه إلى المدينة، ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى.

فكنتُ أخرج كلّ غداه فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكى حتى أمسى، سنه أو قريباً منها، حتى مرّ بى رجل من بنى عمّى أحد بنى المغيره، فرأى مابى فرحمنى، فقال لبنى المغيره: ألا تخرجون من هذه المسكينه، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنتها؟ فقالوا لى: ألقى بزوجك إن شئت، وردّ بنو عبدأسد عند ذلك ابنى.

فارتحلّت بعيرى، ثمّ أخذتُ ابنى فوضعتّه فى حجرى، ثمّ خرجتُ أريد زوجى بالمدينه، ومامعى أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم، لقيت عثمان بن طلحه بن أبى طلحه [وكان مشركاً] أخا بنى عبدالدار، فقال: إلى أين يا بنت أبى أميه؟

قالت: فقلتُ: أريد زوجى بالمدينه.

قال: أو ما معك أحد؟

فقلت: لا والله إلا الله وابني هذا.

قال: والله مالك من مترك.

فأخذ خطام البعير، فانطلق يهوى بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، حتى أقدمني المدينة.

فلما نظر إلى قريه بنى عامر بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القريه وكان أبوسلمه بها نازلاً فأدخلها على بركه الله؛ ثم انصرف راجعاً إلى مكّه.

وهنا كانت تقول أم سلمه: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمه، وما رأيتُ صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحه؛ وهناك روايه أخرى تحمل كلاماً آخر لها تقول فيه:

«فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أكرم منه، ولا أشرف منه، كان إذا بلغ منزلاً من المنازل ينيخ بعيري، ثم يستأخر عني، حتى إذا نزلت عن ظهره واستويت على الأرض، دنا إليه وحطّ عنه رحله، واقتاده إلى شجره وقيده فيها، ثم يتنحى عني إلى شجره أخرى فيستريح جوارها، فإذا حان الرواح، قام إلى بعيري، فإذا ركبت، أخذ خطامه وقاده»؛ (وقد أسلم في الحديبيه وهاجر إلى المدينة، ثم شهد فتح مكّه، وتسلم مفتاح الكعبه من رسول الله (ص) هذا عن هجرتها إلى المدينة.

أمّا عن هجرتها الأولى إلى الحبشه، وكانت برفقه زوجها أبي سلمه، فقد تفردت روايتها عن تلك الهجره بدقه وصفها لها، وللدور العظيم الذي أداه جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه؛ تقول روايه أم سلمه التي اتسمت بقوه بيانها وفصاحتها، ودقه تصويرها لأحداثها، حتى عدت روايتها للهجره من أوثق مصادر الهجره.

تقول روايتها:

لما ضاقت على النبي (ص) مكّه، وأوذى أصحابه، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنه في دينهم، وأن رسول الله (ص) لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله (ص) في منعه

من قومه ومن عمه، لا- يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله (ص): «إنَّ بأرض الحبشه ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه».

فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخيردار إلى خيرجار، أمناً على ديننا، ولم نخش ظملاً.

فلما رأت قريش أننا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده، وليردنا عليهم؛ فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا بعثوا له هديه على حده، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعنا أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا.

أقول: كانت تخشى قريش أن ينطلق الحق من لسانهم ووقع الذي كانت تخشاه.

فقدما علينا، فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا إليه هديته، فكلموه، فقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم، ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل؛ فقالوا: نفعنا، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، فكان من أحب ما يهدى إليه من مكه الأدم؛ فلما أدخلوا عليه هداياه، فقالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجأوا بدين مبتدع لانعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً. (١)

فقلت بطارقه: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم وكانوا هم أعلى بهم، فإنهم لم يدخلوا في دينك فيمنعهم أملك.

فغضب، ثم قال: لا- لعمرالله، لا- أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم، وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادى، واختاروا جوارى على جوار غيرى، فإن كانوا كما تقولون رددتهم

١- وأعلى بهم عيناً، أى أبصر بهم، وأعلم بحالهم. اللسان: علا.

عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض إلي عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟ فقالوا: ماذا نقول؟! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا (ص) كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب، فقال له النجاشي:

ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا في يهوديه، ولا نصرانيه، فما هذا الدين؟

أيها الملك كنا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسئ الجوار، ونستحل المحارم وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقته وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسب الجوار، ونصلي لله تعالى، ونصوم له، ولا نعبد غيره.

فقال: هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلم فأتل علي ما جاء به؛ فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) فبكى والله النجاشي، حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم.

ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى؛ انطلقوا راشدين، لا، والله لا أردهم عليهم، ولا أنعمكم عيناً، فخرجنا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبدالله بن أبي ربيعة، فقال عمرو بن العاص: والله لأثنيه غداً بما أستأصل به خضراءهم؛ (١) فلأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد.

فقال له عبدالله بن أبي ربيعة: لا تفعل، فإنهم إن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن، فلما كان الغد دخل عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها؛ فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟

١- خضراءهم: شجرتهم التي منها تفرعوا.

فقالوا: نقول والله الذى قاله الله تعالى، والذى أمرنا به نبينا (ص) أن نقول فيه؛ فدخلوا عليه وعنده بطارقتة، فقال: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟

نقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فدللى النجاشى يده إلى الأرض، فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العويد،^(١) فتناخرت بطارقتة، فقال: وإن تناخرتم والله، اذهبوا، فأنتم شيوم فى أرضى والشيوم: الآمنون من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فأنما ما أحب أن لى دبراً وأنى آذيت رجلاً منكم والدبر بلسانهم: الذهب فوالله ما أخذ الله تعالى منى الرشوه حين رد على ملكى فأخذ الرشوه منه، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجه إلى بها، وأخرجا من بلادى؛ فرجعا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به؛ فأقمنا مع خير جار، وفى خير دار.

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشه ينازعه فى ملكه، فوالله ما علمنا حزناً حزناً قط كان أشد منه فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه، فأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشى، فخرج إليه سائراً، فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشى عليه؛ فوالله ما علمنا فرحنا بشىء قط فرحنا بظهور النجاشى، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكه، وأقام من أقام.^(٢)

وأخيراً عادت أم سلمه وزوجها ومعهما أولادهما (زينب وسلمه وعمر ودره) الذين ولدوا هناك على قول فى دار هجرتها الحبشه، عادوا جميعاً إلى مكه، وكانت عوده المهاجرين إلى مكه إما خفاءً أو بجوار أحد من وجوه مكه بعد أن وردتهم أخبار بأن أهل مكه قد أعلنوا إسلامهم وآمنوا برسالة محمد (ص) فلما وصلوا مكه عرفوا أن لا صحه لما سمعوا، فدخلوها متخفين أو لائذين بوجه من وجوه أهل مكه، فدخلت أم سلمه وزوجها فى جوار أبى طالب بن عبدالمطلب وهو خاله.

١- العويد : أى مقدار هذا العود الصغير.

٢- مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٥، ٦٤، ٦٣.

وهناك من يقول: إنها وزوجها هاجرت هجرتين إلى الحبشه: الأولى في رجب سنه خمس من المبعث، والثانيه بعدها بعدة شهور بعد أن رجع المسلمون المهاجرون ظانين إسلام قريش، فاشتد أذى قريش لهم، فأذن لهم الرسول (ص) بالهجره مره ثانيه. (١)

رحيل «أبو سلمه»

كان صحابياً مجاهداً هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وقد أبلى فيها بلاءً حسناً، وبعدها شهد أحدًا فلم يقل بلاؤه فيها عن بدر، حتى ثخن بالجراح، فشفي منها إلا جرح كان غائرًا في عضده اندمل ظاهره دون باطنه، ومع هذا فقد استعمله رسول الله (ص) على المدينة مرّة، ومرّه أخرى قاد بأمر رسول الله (ص) سرية، ومعه مائه وخمسون رجلاً إلى قطن وهو جبل لبني أسد في نجد.

ترك ابنه عمر يشرح لنا كل ذلك حيث قال: خرج أبي إلى أحد فرماه أبو سلمه الجشمي في عضده بسهم فمكث شهراً يداوى من جرحه ثم برئ الجرح؛ وبعث رسول الله (ص) أبي إلى قطن (وهي جبل من أرض بني أسد ناحيه فيد وفي الطبقات: بيد. (٢)) في المحرم، على رأس خمسه وثلاثين شهراً، فغاب تسعاً وعشرين ليله ثم رجع؛ فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنه أربع؛ والجرح منتقض، فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخره سنه أربع من الهجره. (٣)

لقد كان الهدف من غزوه أبي سلمه هو منع بني أسد من الهجوم على المسلمين في المدينة، بعد أن بلغه أي بلغ رسول الله (ص) أن قائد بني أسد يحرضان قومهما لغزو المدينة ونهب أموال المسلمين فيها؛ (٤) فكان لحملته دور كبير في إعادته ماخسره المسلمون في

١- طبقات ابن سعد ١: ٢٠٣ ٢٠٧.

٢- معجم البلدان ٤: ٣٧٤.

٣- الطبقات ٨: ٨٨.

٤- غزوات الرسول، لمحمود شيت خطاب.

أحد من معنويات، بعد أن نالت النصر على أعدائهم.

وراح هذا الصحابي الجليل يواصل جهاده في الوقت الذي لم يندمل جرحه الذي راح هو الآخر يتسع، مما دفع أبوسلمه إلى أن يلازم فراشه.

مما أنعم به الله تعالى على هذا المجاهد أن يكون رسول الله (ص) وهو أخوه من الرضاعة وابن عمته وحببيه حاضراً لحظات حياته الأخيرة، يودعه ويسبل يديه ويغلق عينيه ويدعو له: «اللَّهُمَّ اغفر لأبي سلمه وارفع درجته في المقربين».

ثم صَلَّى عليه؛ ويروى أنّ الرسول (ص) كبر في هذه الصلاة تسع تكبيرات، ولما انتهى من الصلاة سأله أصحابه عن ذلك فقال: لو كبرتُ على أبي سلمه ألفاً لكان أهلاً لذلك.

الزواج المبارك

رحل عنها أبوسلمه، وتركها ذات عيال، أربعة أولاد: سلمه وقد وُلِدَ بالحبشه، وعمر، ودره، (رقيه) وبره، وقد غَيَّرَ اسمها رسول الله (ص) إلى زينب، قائلاً: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منك (منكم)، سموها زينب».

وقد كبر سنّها، وراحت مع كلّ آلامها على زوجها، الذي ماجفت دموعها لفقده، فقد كانت تحبّه حبّاً عظيماً ترعى صغارها، وتتذكر ما كان يوصيها به أبوسلمه في مرضه الذي توفي فيه، عبر حوار دار بين الاثنين، أحدهما كان مسجّجاً، والآخر يذرف دموعه بألم وحرقة ومرارة.

قالت أم سلمه: بلغني أنه ليس امرأ يموت زوجها وهو من أهل الجنّة، ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنّة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها؛ فتعال اعاهدك على ألا تتزوج بعدى، ولا أتزوج بعدك.

قال أبوسلمه: أ تطيعيني؟

قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك.

قال: فإن مت فتزوجي بعدى، ثم قال: اللهم ارزق أم سلمه بعدى رجلاً خيراً مني

لا يُحزنها ولا يؤذيها. (١)

وإني لأذكر ما كان يقوله أبو سلمه ويدعو به، وهو ماتعلمه من رسول الله (ص): «إذا أصاب أحدكم مصيبه فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحسب مصيبتى، فأجرنى فيها، وأبدلنى بها ما هو خير منها».

وتقول أم سلمه: لما احتضر أبو سلمه قال: اللهم اخلفنى فى أهلى بخير؛ فلما قبض قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أحسب عندك مصيبتى؛ وأردت أن أقول (وهنا توقفت أم سلمه قليلاً- قبل أن تقول): وأبدلنى بها خيراً منها، فقلت: ومن خير من أبى سلمه؟!؟

وفى روايه أنها قالت: من هذا الفتى الذى هو خيرٌ من أبى سلمه؟ وفى أخرى قالت: أى المسلمين خيرٌ من أبى سلمه، أول بيت هاجر إلى رسول الله؟!؟

قالت: فما زلت حتى قلتها. (٢)

وهى فى هذا الحال وبعد أن انتهت عدتها تقدم لخطبتها بعض كبار الصحابه: أبوبكر، فلم توافق عليه، وجاءها خاطباً عمر بن الخطاب وهو من أرحامها، يلتقى نسبه ونسبها فى كعب، فعمر بن نفيل بن عبد العزى... بن عدى ابن كعب؛ وأمّا أم سلمه فهى بنت أبى أمية... بن مخزوم بن يقظه بن مره بن كعب؛ فى حين وجدت أن موسوعه أمهات المؤمنين قد ذكرت أن فى زاد المعاد فى ١: ٤١ أن أم سلمه خاله عمر بن الخطاب، فأمه حنتمه بنت هاشم بن المغيره، وأم سلمه بنت سهيل بن المغيره.

أقول: إنها هنا وبحسب ما ذكره ابنه عمّ أمه وليست خالته، ولهذا تقدم لخطبتها فردته بقوه. (٣)

أرسل لها رسول الله (ص) من يبلغها برغبته فى الزواج منها؛ تقول: أرسل لى رسول الله (ص) حاطب بن أبى بلتعه يخطبنى له؛ فقلت: مرحباً برسول الله وبرسوله. أخير

١- الطبقات ٨: ٨٨٧.

٢- المصدر نفسه ٨: ٧٨.

٣- موسوعه أمهات المؤمنين، هامش: ١٤٣.

رسول الله أنى فى خلال، لا- ينبغى لى أن أتزوج رسول الله؛ وراحت بكل أدب وحياء وعفه تبيّن له هذه الصفات؛ وهى: أنى أمرأه مُصبيه، أى ذات أولاد؛ وأنى غيّر؛ وأنه ليس أحد من أوليائى شاهداً، وأنا امرأه قد دخلت فى السن.

فبعث لها رسول الله (ص): «أما قولك: إنى مُصبيه، فإنّ الله سيكفيك صبيانك؛

وأما قولك: إنى غيرى، فسأدعو الله أن يُذهب عنك غيرتك؛ وأما الأولياء، فليس أحد منهم، شاهد أو غائب، إلا سيرضانى؛(١)

وأما ما ذكرت من السن، فقد أصابنى مثل الذى أصابك».

فتزوجها رسول الله (ص) فى السنه الرابعه، وقيل الثالثه، فى العشرالأواخر من شهر شوال، وقد زوجة إياها سلمه بن أبى سلمه ابنها، وأصدقها رسول الله (ص) فراشاً حشوه ليف، وخدماءً وصحفه ومجشئه.(٢)

وبذلك صارت أم سلمه لوجه لرسول الله (ص) وولجت بيته المبارك، وكانت غرفتها غرفه أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، التى توفيت فى أول العام الرابع للهجره، وهى أول من توفى من نسائه اللاتى كنّ عنده بعد أم المؤمنين خديجه.

وفى أول يوم زواجها أخذت أم سلمه تتفحص حجرتها لتعرف ما بها، قالت: فإذا جره فاطلعت فيها، فإذا فيها شىء من شعير، وإذا برحى، وبرمه، وقدر، فنظرت فإذا فيها كعب من إهاله، فأخذت ذلك الشعير وطحنته، ثم عصدته فى البرمه، وأخذت الكعب من الإهاله فأدمت به، فكان ذلك طعام رسول الله، وطعام أهله ليله عرسه.(٣)

وكانت المكافاه التى قدّمها رسول الله (ص) لسلمه على ما قدمه هذا الأخير فى زواج أمه من رسول الله (ص) أن زوجة رسول الله (ص) أمامه بنت حمزه سيدالشهداء، وأقبل (ص) على أصحابه قائلاً: ترون كافاتى؟

١- الطبقات ٨ : ٨٧.

٢- السيره النبويه لابن هشام ٤ : ٦٤٥؛ المجشئه: الرحى، يُقال: جششتُ الطعام فى الرحى، إذا طحنته طحناً غليظاً، ومنه الجشيش والجشيشه.

٣- الطبقات ٨ : ٩٢.

حبّها للجهاد

لم يكلف الإسلام المرأة بالقتال وجنّبها إياه، وإن تحمّلت أعباءه وآثاره، فقد كانت المرأة المسلمة تبادر إلى الخطوط الخلفية للمعارك وحتى الأمامية أحياناً، لتضميد الجرحى ومداواتهم، وتجهيز المقاتلين بما يحتاجون إليه، من ماء، وطعام، وعدّه، وسداد. وأمّ المؤمنين أمّ سلمة كانت واحده من اللواتي قمن بدورهنّ هذا، ونالت شرف الجهاد والمجاهدين، بعد أن صحبت رسول الله (ص) في غزواته ومعاركه في غزوه المريسيع، وفي فتح خيبر، وفي حصاره للطائف، وغزوه هوازن، وثقيف، كما أنّها رافقته في رحلته الأولى إلى مكّه، حيث تمّ صلح الحديبيه.

طالما تمت هذه المرأة مع غيرها من المؤمنات أن يكلفهنّ الله سبحانه وتعالى بالجهاد إلى جنب إخوانهنّ من المؤمنين طمعاً في أجره العظيم وثوابه الجزيل وشرفه الكبير في الدّنيا والآخرة فقلن: «ليت الله كتب علينا الجهاد، كما كتب على الرجال، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم».

فكان قولهنّ هذا وأمنيتهنّ سبباً في نزول الآية الكريمة: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) (١).

منزلها مهبط الوحي

كانت حجرتها مهبط الوحي، فقد ورد أنّ من مكارمها أنها رأت جبرئيل (ع) وهو في صورة دحية الكلبي، فقد ورد عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضوان الله عليه حيث قال: «أُنبِئْتُ أَنَّ جَبْرَائِيلَ (ع) أَتَى النَّبِيَّ (ص) وَهُوَ عِنْدَ أُمِّ سَلْمَةَ، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) لِأُمِّ سَلْمَةَ: وَمَنْ هَذَا؟

قالت: هذا دحية الكلبي.

قالت: والله ما حسبتُهُ إلا إياه. (١)

ومن مكارمها أيضاً نزول آية التطهير: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) في بيتها.

فبعد أن جمع رسول الله (ص) كلاً من علي وفاطمة والحسن والحسين وضمهم تحت كساء واحد، نزل جبرئيل بهذه الآية المباركة عليهم، تنظر أم سلمة إلى مقام به رسول الله (ص) من جمعهم وضمهم تحت كساء واحد، ولأنها على قدر كبير من المعرفة والمنزلة، ولأنها السباقة إلى كل خير وإلى كل ما ينفعها في آخرتها ودينها أيضاً، ولأنها تعرف منزله المجتمعين، راحت تمنى بل طلبت الانضمام إليهم بقوه، وأن تكون معهم، لتنال بذلك مما أعده الله تعالى لهؤلاء الصفوة من خير وبركة.

وكيف لا تتمنى أن تكون معهم وهي تسمع رسول الله (ص) ودعاءه: أَللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلَ بَيْتِي، أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً.

فتبادر إلى ذلك قائلة:

فأنا منهم يانبي الله!؟

ويأتيها الجواب من رسول الله (ص):

«أنتِ على مكانك، وأنتِ على خير» أي أن مكانك محفوظ أمةً للمؤمنين، وموقفك يتسم بالخير والصحة، ولكنك لست من أهل بيتي الذين خصهم الله تعالى بخصائص، وتفردوا بصفات اختارها الله لهم دون غيرهم، وميزهم بها على جميع خلقه.

وكان لأم سلمة شرف روايه هذا كله حيث قالت: «دعا رسول الله حسناً وحسيناً وفاطمة، فأجلسهم بين يديه ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». (٢)

فعن عطاء بن أبي رباح عن أم سلمة: أن النبي كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمه فيها

١- التاج الجامع للأصول ٣: ٣٨٣.

٢- تاريخ الطبري؛ تاريخ ابن كثير؛ الترمذي في صحيحه.

جزيره، فدخلت بها عليه، فقال (ص) لها: ادعى زوجك وابنيك .. إلى أن قالت: فأنزل الله عز وجل هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ... ثم قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أَللَّهُمَّ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة: فأدخلتُ رأسى البيت، فقلتُ: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال (ص): «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ».

تحدثت روايه أخرى عن أنها من أهل البيت بنص رسول الله (ص) وهى ماكانت تسعى إليه طيله عمرها المديد: حدّثوا أنه كان يوماً عندها وابنتها زينب هناك، فجاءته الزهراء (عليها السلام) مع ولديها الحسن والحسين ؑ فضمّهما إليه، ثم قال: (رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

فبكت أم سلمة فنظر إليها رسول الله (ص) وسألها فى حنو: «مايكيك؟»

أجابت: يا رسول الله خصصتهم، وتركتنى وابنتى.

قال: «إِنَّكَ وَابْنَتُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ» (١).

ومن حبها لأهل البيت ؑ: أن جعلت ابنها عمر بن أبى سلمة فى جيش على (ع) ولها مواقف أخرى سنأتى على ذكر بعضها.

أبو لبابه الأنصارى

«إن نزلتم على حكمه (حكم رسول الله (ص)) فهو الذبح».

هذا مقاله أبو لبابه الأنصارى لزعماء يهود بنى قريظه، فقد غزاهم رسول الله (ص) فى السنه الخامسه للهجره، وحاصرهم حتى جهدهم الحصار، قذف الله فى قلوبهم الرعب، فبعثوا إلى رسول الله (ص) أن يرسل إليهم صاحبه «أبا لبابه ابن عبد المنذر الأنصارى»؛

ليستشيره في أمرهم؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فزق لهم.

وسألوه: يا أبا لبابه، أترى أن نزل على حكم محمد؟

فأجاب: نعم، إنه الذبح، وأشار بيده إلى حلقه.

فما زالت قدماه من مكانهما حتى عرف أنه خان الله ورسوله؛ وانطلق على وجهه، فربط نفسه إلى عمود من عمد المسجد، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت.

ولما بلغ رسول الله (ص) خبره، وكان قد استبطأه، قال: «أما أنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه».

أو أنّ الانصاري المذكور كان واحداً من جماعه تخلفوا عن رسول الله (ص) في غزوه تبوك على روايه ثانيه؛ وكلُّ منهما لا شك ذنب كبير وخطير.

أوتق لأحد السبيين المذكورين نفسه بساريه المسجد النبوي، معترفاً بما جنته نفسه، وبقي هكذا ست ليال، كانت تأتيه امرأته في كل صلاه فتحمله للصلاه، ثم يعود فيرتبط بالجذع رافضاً أن يُطلقه غير رسول الله (ص) وقد رفض هو الآخر إطلاقه حتى يأتيه أمر الله تعالى به، وكان رسول الله منتظراً لذلك.

وشاءت السماء أن يكون منزل أم سلمه مهبطاً للوحي يحمل الآيه الكريمه:

(وَ آخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا...)(١)

تقول أم سلمه: سمعت رسول الله (ص) من السحر وهو يضحك.

قالت: قلت: مم تضحك يا رسول الله (ص) أضحك الله سنك؟

قال: «تيب على أبي لبابه».

قالت: قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟

قال: «بلى، إن شئت».

فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب.

فقلت: يا أبا لبابه، أبشر فقد تاب الله عليك.

قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه.

فقال: لا والله حتى يكون رسول الله (ص) هو الذى يطلقنى بيده.

فلما مرّ عليه رسول الله (ص) بعد نزول الآية خارجاً إلى الصلاة، أطلقه. (١)

ومن بيتها أيضاً انطلقت توبه السماء على الثلاثة: (كعب بن مالك، وهلال بن أميه، ومراره بن الربيع) الذين تخلفوا من الصحابه عن غزوه تبوك.

يقول واحد منهم وهو كعب بن مالك، مبيناً دور أم سلمه وإحسانها اليه:

... ونهى النبى (ص) عن كلامى وكلام صاحبى، ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا، فلبث كذلك حتى طال على الأمر، وما من شى أهم إلئى من أن أموت فلا يصلى على النبى (ص) أو يموت رسول الله (ص) فأكون من الناس بتلك المنزل، فلا يكلمنى أحد منهم، ولا يصلى على، وفى روايه: أن رسول الله (ص) قال: «أقسم بالله، لا أطلقهم حتى أوامر بإطلاقهم، ولا أعذرهم حتى يكون هو يعذرهم، فأنزل الله توبتنا على نبيّه (ص) حين بقى الثلث الآخر من الليل، ورسول الله (ص) عند أم سلمه، وكانت أم سلمه محسنه فى شأنى، معنيه فى أمرى؛ فقال رسول الله (ص): «يا أم سلمه تيب على كعب».

قالت: أفلا أرسل اليه فأبشره؟

قال: «إذا يحطمكم الناس (يدوسونكم ويزدحمون عليكم) فيمنعونكم النوم سائر الليله» حتى إذا صلى رسول الله (ص) صلاه الفجر، آذن بتوبه الله علينا. (٢)

الرشيد الشفيح الحازمه

ذكرت مصادر التاريخ دورها الرشيد فى السنه السادسه للهجره، وقد صحبت الرسول (ص) وهو يريد مكه للعمره، فصدته قريش، ومنعته والمسلمين من دخول مكه؛ وبعد

١- السيره النبويه (لابن هشام ٣: ٢٣٨؛ وأسباب النزول للواحدى: ٢٦٣؛ مجمع البيان للطبرسى، الآية من سوره التوبه.

٢- المغازى فى حديث كعب بن مالك؛ ومسند أحمد وغيرهما.

أن تمت كتابه شروط صلح الحديبيه، واضطربت الأمور بين المسلمين، وكان الأمر ينذر بخطر جسيم بينهم.

تقول الروايه: ... أمر النبي (ص) أصحابه أن يقوموا فينحروا ثم يحلقوا، فما قام منهم رجل، فقال ذلك ثلاث مرات، ومامنهم من يستجيب.

فدخل على زوجته أم سلمه التي كانت معه يومذاك، فاضطجع، فقالت: مالك يارسول الله؟

فذكر لها مالقى من الناس، وأنه أمرهم بالحلق والنحر مراراً فلم يجيبوه، وهم يسمعون كلامه، وينظرون إلى وجهه الشريف.

قالت أم سلمه: التمس لهم العذر يارسول الله (ص) إنهم يرون الكعبه ويرون ديارهم، ثم يحرمون من دخول مكه.

ثم قالت: يانبي الله أتحب ذلك؟

أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمه واحده حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك؛ فإن ذلك سيقطع أملهم.

فقام فخرج فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك، ونحر بدنته، ودعا حالقه.

فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً. (١)

كما كانت شفيعه للمؤمنين، وهذا جزء من مسؤوليتها كأم لهم، فقد شفعت لأخيها عند رسول الله (ص) حيث قالت للنبي (ص) وهي تغسل رأسه: كيف ينفعني عيش، وأنت عاتب على أخي؟

فرأت من النبي (ص) رقه فأومأت إلى خادمها، فدعت أخاها، فلم يزل بالنبي (ص) يذكر عذره، حتى رضى الله عنه. (٢)

وشفعت لأبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعبدالله بن أميه بن المغيره، وقد كانا

١- الطبرى ٢ : ٧٨٦.

٢- الكامل فى التاريخ ٢ : ٣٧٨.

من الذين يؤذونه (ص).

وقد كلمته أم سلمه فيهما ورجت أن يصفح عن زلتها فيما مضى، فقالت: يارسول الله لا- يكن ابن عمك، وابن عمك وصهرك أشقى الناس بك؛ قال (ص): «لا حاجة لي بهما؛ أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال».

قال أبو سفيان بن الحارث لما سمع بذلك: والله لتأذن لي، أو لآخذن بيد بئى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً.

فلما سمع الرسول (ص) بذلك رق لهما، فدخل وأسلما؛ وسرت بذلك أم سلمه.

أما حزمها وقوه شخصيتها، فقد ظهرت بوضوح فى مواقفها الحكيمه القويه من عائشه، وحفصه، وفى موقفها من قريبها عمر بن الخطاب.

تقول بنت الشاطى: وبدا واضحاً أن أم سلمه تعرف لنفسها قدرها، وتأبى على عائشه أو سواها المساس بكرامتها، وقد أعزها مجد عتيق موروث، وآخر حديث مكتسب؛ وكذلك أبت على «عمر» أن يتكلم فى مراجعه أمهات المؤمنين لزوجهن الرسول (ص) وقالت له منكرة: عجباً يا بن الخطاب، قد دخلت فى كل شىء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله وأزواجه!

قال عمر: فأخذتني أخذاً كسرتني به عن بعض ما كنتُ أجد. (١)

الفتنه

«استحى أن ألقى محمداً (ص) هاتكةً حجاباً قد ضربه عليّ».

هذا جزء من كلمه طويله قالتها لعائشه، حينما هبت هذه الأخيره تقارع الإمام علياً (ع) وتقف بجانب طلحه والزبير تحرض الناس ضد الإمام (ع) من على ناقته، فكان دورها خطيراً جداً فيما وقع من فتنه بين المؤمنين، وفيما وقع من بغى على الإمام (ع) فى

معركه الجمل في البصره.

قالت لعائشه كلمات تتصف بالقوه والشده: أئى خروج هذا الذى تخرجين؟!

نصّ كلمتها لعائشه حينما جاءتها هذه الأخيره لتخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، وقد قالت عائشه لها: يا بنت أبى أميه، أنت أول مهاجره من أزواج رسول الله (ص) وأنت كبيره أمهات المؤمنين، وكان رسول الله (ص) يقسم لنا من بيتك، أو كان يشير إلى بيتك عندما يؤتى بالهدايا، ومن بيتك يبعث إلينا بسهامك (بسهامنا)، وكان جبرئيل أكثر ما يكون فى منزلك.

فقالتم أم سلمه: لأمر ما قلت هذه المقاله!

ثم لما سمعت برغبتها أو مسيرها مع كل من طلحه والزبير لشن حربهم ضد الإمام على (ع) كتبت تقول:

«فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو؛ أما بعد فقد هتكت سده بين رسول الله (ص) وأمته، وحجاباً مضروباً على حرمة، قد جمع القرآن ذبولك فلا- تسحبها، وسكر خفارتك فلا- تبتذليها، والله من وراء هذه الأمه لو علم رسول الله (ص) أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك، أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطه فى الدين؟ فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع؛ جهاد النساء غضّ الأطراف، وضّم الذبول، وقصر المواده، ماكنت قائله لرسول الله (ص) لو عارضك ببعض هذه الفلوات، ناصبه قلوبك قعوداً من منهل إلى منهل؟ وغداً تردين على رسول الله (ص) وأقسم لو قيل لى: ياأم سلمه أدخلى الجنة لا استحييت أن ألقى رسول الله (ص) هاتك حجاباً ضربه على، فاجعليه سترك، وقاعه البيت حصنك، فإنك أنصح لهذه الأمه ما قعدت عن نصرتهم، ولو أتى حدثتك بحديث سمعته من رسول الله (ص) لنهشت نهش الرقشاء المطرقه، والسلام. (١)

وهناك روايه لكلمتها هذه تختلف عنها قليلاً.

ثم راحت أم سلمه تعلن تأييدها للإمام على (ع)؛ تقول عنها بنت الشاطى: ثم حاولت

من بعده (ص) أن تتجنب الخوض في الحياه العامه، إلى أن كانت الفتنه الكبرى، فاندفعت توازر الإمام علياً (ع) ابن عم الرسول (ص) وزوج ابنته الزهراء (عليها السلام) وأبا الحسن والحسين □.

وودت لو تخرج فتنصره، لكنّها كرهت أن تبلى وهي أمّ المؤمنين بمثل ذاك الخروج، فجاءت «علياً (ع)» وقدمت إليه ابنها «عمر» قائله:

يا أمير المؤمنين، لولا أن أعصى الله عزّ وجلّ، وأنتك لا تقبله مني؛ لخرجتُ معك؛ وهذا ابني عمر، والله لهو أعزّ عليّ من نفسي، يخرجُ معك فيشهد مشاهدك.

وفعلًا شهد عمر مشاهد الإمام (ع) ومنها معركة الجمل، واستعمله على فارس وعلى البحرين.

ومما يدلُّ على حبّها لآل الرسول (ص) وخاصه للإمام علي (ع) ودفاعها عنه ما كتبتّه إلى معاويه، مستنكره ما كتبه إلى عماله أن يلعنوا علياً (ع) على المنابر، ففعلوا، فكان ما كتبه رضوان الله عليها: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب، ومن أحبّه، وأنا أشهد الله أن الله أحبّه، ورسوله... لكن معاويه لم يلتفت إلى كلامها. (١)

وكيف لا يكون حبّها لآل البيت □ عظيمًا ثابتًا، وقد رافقت رسول الله (ص) في حياته ومسؤولياته ووعت كلّ ماسمعته عنهم، خاصه وهو يلقي آخر خطبه له في حجّه الوداع: «من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه، أَللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

استوقفتها هذه الكلمات كثيرًا، وراحت تتأمل ما تحمله كلماته (ص) هذه وغيرها بوعي وأناة، حتى دخلت قلبها ومشاعرها، فثبتت ولاؤها لأهل البيت □ وانطلقت تقول كلمه الحقّ، وتكشف الظلم، وتشجب كلّ فرقه، وتقيم دعائم الوحده بين المسلمين، على أساس حبّها لله تعالى ولمحمد وآله □.

علمها وروايتها

كانت جليله القدر، جزيله الرأى، ملتزمه، تقيه، عارفه بالقرآن الكريم وأحكامه، راويهً للسنة الشريفه، شارحه لأحكامها، مبينه لها، طالما اجتمع حولها النساء يستمعن لها ويتعلمن منها وينقلن عنها، ويسترشدن بآرائها ويتحاكمن إليها كما تفعل بعض نساء النبى (ص) وقد انتفع الرجال بعلمها وروايتها ونصائحها وآرائها حتى عدت مصدراً من مصادر التفسير والفقه والروايه والتأريخ والسيره النبويه.

وقد بلغ عدد مواروته من الأحاديث ثلاثمائة وثمانيه وسبعين حديثاً.

يقول أحمد خليل جمعه عنها: وأم سلمه رضى الله عنها قد وعت الحديث الشريف، وتفقهت بأمر الدين والشريعة الغراء، حتى كانت تعد من فقهاء الصحايات، وممن يرجع إليها فى بعض الأمور والأحكام والفتاوى، وخصوصاً فيما يخص فقه المرأة المسلمه، وفيما يتعلق ببعض أحكام الرضاع، أو الطلاق، أو ماشابه ذلك؛ وقد ورد أن سيدنا عبدالله بن عباس كان يرسل، فيسألها عن بعض الأحكام.

كما كانت تعد من جمله من يرجع إليهم بالفتيا من الصحابه، وقد روى عنها كل من عبدالله بن عباس، وأبوسعيد الخدرى وابنها عمر بن أبى سلمه، ومن النساء عائشه، وابنتها زينب بنت أبى سلمه؛ ومن التابعين سعيد بن المسيب والشعبى، ومجاهد، وعطاء بن أبى رباح، وسليمان بن يسار، وعروه بن الزبير، وآخرون؛ ومن النساء طيره أم الحسن البصرى، وهند بنت الحارث الفراسيه، وصفيه بنت شيبه، وصفيه بنت محسن وغيرهن. (١)

ومن روايتها

استأذن أبو ثابته مولى على (ع) على أم سلمه، فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابته، ثم قالت: يا أبا ثابته أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً، فقالت: وفقت،

١- نساء أهل البيت: ٢٤٦ ٢٦٥ وانظر الهوامش.

والذى نفسى بيده لقد سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «علّيتُ مع الحقِّ والقرآن، والحقُّ والقرآن مع عليّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

قالت أم سلمة: أَعَدَفُ (١) رسول الله (ص) على عليّ (ع) وفاطمة (عليها السلام) والحسن والحسين □ خميصه سوداء، ثم قال: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ لَا إِلَى النَّارِ، أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي»؛ قالت: قلتُ: وأنا يا رسول الله؛ قال: «وَأَنْتِ».

وقريب من ذلك ما روتَه ابنتها زينب مع اختلاف يسير، حيث قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) كَانَ عِنْدَ أُمِّ سَلْمَةَ، فَجَعَلَ حَسَنًا فِي شَقٍّ، وَحُسَيْنًا فِي شَقٍّ، وَفَاطِمَةَ فِي حَجْرِهِ، وَقَالَ: (رَحِمَتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). (٢) وأنا وأم سلمة جالستان، فبكت أم سلمة، فقال: «ما يبكيك؟» قالت: يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي؛ فقال رسول الله (ص): «إِنَّكَ [وابنتك] من أهل البيت». (٣)

ومما روتَه، قالت: قال لنا رسول الله (ص): «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا: خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَوَمَّنُ عَلَيَّ مَا تَقُولُونَ»؛ فلما مات أبو سلمة أتيتُ النَّبِيَّ (ص) فأخبرته، فقال: «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِهِ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عَقْبًا حَسَنًا، فَقُلْتُ ذَلِكَ؛ فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مِنْهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، رَسُولَ اللَّهِ».

وعنها قالت: كان النَّبِيُّ (ص) إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ». (٤)

عن زينب بنت أبي سلمة، عن أمها أم سلمة رضى الله عنها، قالت: سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَأَنْتُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْرَنَ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً».

١- أَعَدَفُ: بغير فداٍ ففاء: أرسل وغطى، ومنه غداً المرأة، وهو ماتستر به وجهها: ١٥٤ من كتاب أزواج النَّبِيِّ (ص) للإمام محمد بن يوسف الدمشقي.

٢- سورة هود: ٧٣.

٣- ذكره صاحب كتاب أزواج النَّبِيِّ عن الطبراني فى الكبير ٢٤: ٢٨١ ٢٨٢ وغيره.

٤- ربيع الأبرار ٤: ١٩٦.

ولما قدم ابن أبي جهل المدينة، فجعل يمرّ في الطريق، فيقول الناس: هذا ابن أبي جهل؛ فذكر ذلك لأُم سلمه، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى رسول الله (ص) فذكرت له ما سمعت: فخطب (ص) الناس وقال: «لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات» (٢).

ولما سئلت: ما أكثر دعاء رسول الله (ص) إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: «يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

قالت: فقلتُ له: يا رسول الله، ما أكثر دعاءك «يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»؟!

قال: «يا أم سلمه، إنه ليس من آدمي إلا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله، ماشاء الله أقام وما شاء أزاغ» (٣).

ومما روته بحق أخيها من الرضا عمار بن ياسر، الذي طالما رعته، وغضبت له حينما فعل به عثمان فعلته القدره، شتمه وأمر به فأخرج من مجلسه، وقد أثقلوه باللبن حينما شارك في بناء مسجد رسول الله (ص) في المدينة، فقال: يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون.

وهنا قالت أم سلمه: فرأيت رسول الله (ص) ينفض وفرته بيده، وكان رجلاً جعداً، وهو يقول: «ويح ابن سميّه ليسوا بالذي يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية» وارتجز عليّ بن أبي طالب (ع):

لا يستوى من يعمر المساجدا

يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومن يرى عن الغبار حائداً

فأخذها عمّار بن ياسر، فجعل يرتجز بها (٤).

١- البخارى، ومسلم، فى الأفضيه؛ والنسائى فى القضاء؛ والشافعى فى الأم.

٢- ربيع الأبرار ٢ : ٨٤١.

٣- العقد الفريد ٣ : ٢٢.

٤- السيره النبويه لابن هشام ٢ : ١١٤.

وفاتها

أبت أم سلمة وقد عرفت جيداً قدر نفسها أن تموت دون أن تترك خلفها دروساً ينتفع بها الآخرون، فحياتها بكل مفاصلها كانت مفعمة مليئة بالأحداث سواء قبل إسلامها، وهي تعيش في بيت عرف كما قلنا بالكرم والشرف والإباء، أم في حياتها الأولى مع أبي سلمة زوجته الصالحة، أم في إسلامها وهجرتها وتصويرها لهجرتها، حتى كانت روايتها أوثق وأدق روايات الهجرة، أم في هجرتها الثانية إلى المدينة وأحداثها، وما رافقها من آلام، أم في زواجها المبارك الذي اختارته السماء، وهي تعيش أطهر بيت مع أعظم إنسان عرفته الدنيا، لم تكن حياتها معه إلا طاعة وإيماناً وتصديقاً وخدمة وجهاداً، حتى لم يعثر على خطأ لها على كثره ما ترتكبه النساء من أخطاء، وما تصنعه من متاعب.

ورغم ما عانته من غيره وحسد أم المؤمنين عائشة، وكذلك أم المؤمنين حفصة، وما خلقتا لها من متاعب وصعاب؛ كانت تقابل كل ذلك بحكمه وهدوء، حتى تبعد هذا البيت عن كل ما يتعب صاحبه (ص) ويعكّر عليه حياته، أو يشغله عن مهامه العظيمة...

وبقيت محافظه على سيرتها، وإن طال عمرها حتى تجاوز الثمانين عاماً، فكانت آخر من توفى من زوجاته (ص) ويبدو أنه قدر لهذه المرأة الصالحة المخلصه لزوجها ولأهل بيته، أن تشارك رسول الله (ص) عزاءه وحزنه، فقد بلغها استشهاد الإمام الحسين (ع) فوجمت لذلك، وغشى عليها، وحزنت حزناً شديداً، ولم تلبث بعد ذلك إلا يسيراً، ثم انتقلت إلى رحمه الله. (١)

وأما بنت الشاطي فتقول: وتقدم العمر بأم سلمة حتى امتحنت، كما امتحن الإسلام وأمتة، بمذبحة «كربلاء» ومصارع الإمام الحسين وآل البيت صلوات الله عليهم، على الساحة المشثومه.

توفيت رضى الله عنها بعدما جاءها نعي الحسين بن علي (ع). (٢)

١- الرسول في بيته، الدكتور أحمد شلبي : ٧٨.

٢- نساء النبي (ص)، الدكتور بنت الشاطي : ١٥٠ ١٥١.

ويكفيها فخراً أنّ رسول الله (ص) توفي وهو راض عنها، وعن أولادها الذين تكفلهم برعايته، وتربيته.

وبقيت هذه المرأة ورضا رسول الله (ص) يلاحقها ويواكبها، حتى غدت وبيتها «مركز الإشعاع العلمي والفقهى للصحابة والتابعين والعلماء من شتى الأمصار»^(١).

توفيت سنة إحدى وستين وقليل سنة اثنتين وستين في عهد يزيد بن معاوية، وشيعها المسلمون تشييعاً عظيماً، حتى مرقدتها الأخير في مقبره البقيع في المدينة المنوره.

١- نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعه : ٢٦٩.

(١٠) أبوذر الغفارى

إشارة

«وحده»

محمد سليمان

كان معلماً بارزاً فى فكره وعلمه ووعيه، وفى عبادته وجهاده، وفى زهده وثورته، وفى صدقه وإخلاصه وحبّه لله تعالى ولرسوله (ص) وفى التزامه بما عاهد الله تعالى عليه بمقارعه الظالمين وكشف ظلمهم وزيفهم، والدفاع عن المحرومين؛ حتّى غدا بحقّ مدرسةً ثائرةً جوّالّةً، لا تعرف التوقف ولا الاستقرار، ولا تبحث عن الطمأنينة والراحة، ولا تخشى فى الله لومه لائم.

وبقى هذا الرجل الصحابى الجليل، حياةً متحركةً ثائرةً وقيّمةً عاليةً شامخةً رائدةً فى مواقفها، مثاليةً فى صدقها، شجاعاً فيما تقوله وتفعله، فلا تهزّه المحن، ولا يرهبه وعيدُ الطغاه، ولا يخيفه تهديدهم، ولا تغريه أموالهم، ولا تلينه ابتساماتهم.

كان سبّاقاً للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان عملاقاً فى تصديّه لكلّ انحراف فى الأمة... كان يريد لهذه الأمة ولحكّامها أن يعيشوا الإسلام سلوكاً وعبادةً وجهاداً وحكماً

وإدارة... كان يريد للحكام أن يكونوا خَدَمَةً صادقين للأمة، لا جابره عليها، وكان يريد للأمة أن لا تكون ذليلة صاغرة أمام حكامها إذا ما انحرفوا، وأن لا تسير خلفهم معصوبه العينين، بل موقظه لهم، ومدافعه عنهم إذا ما صدقوا... لهذا نراه قد ركب المركب الصعب يصارع هاتين النزعتين: نزعه الطغيان لدى الحكام المستبدين والأغنياء المترفين، ونزعه الخنوع والصغار فى الأمة.

فراح يلاحق الحكام والمترفين ويعلنها بلا- هواده صرخةً مدويةً عاليةً كاشفةً بذخهم وتعاليمهم وكبرياءهم وبعدهم عن الله وشرائعه... ويبشّرهم بعذاب أليم.

وأيضاً راح يلاحق الأمة ليوقظها من سباتها ويشحذ هممها المعطلة؛ لكى تقف أمام المترفين حكاماً وأفراداً لتقبلهم عن طريقها، وتبعدهم عن مسيرتها، وإلا حلت بها الكارثة واستحقت القارعه.

وراح صوته هذا مدوياً عبر القرون، وغدا أنشودةً ترددها شفاه الثوار جيلاً بعد جيل؛ إنه أبو ذر الغفارى، «يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده».

مع أنّ الاختلاف وقع فى تسميته، فهو برير بن جندب، وهو برير بن جناده، وهو جندب بن عبد الله، وهو جندب بن السكن، أو جناده بن السكن، وهو يزيد بن جناده. (١)

إلا أنّ جندب بن جناده هو الإسم الذى عرف به، وهو بعد ذلك ابن سفيان ابن عبيد من بنى غفار، من كنانة ابن خزيمه الحجازى، بينما ساق ابن سعد فى طبقاته نسبه الى غفار بن مُليل بن ضميره بن بكر بن عبد مناه بن كنانة؛ لينتهى به الى خزيمه ابن مُدركه ابن إلياس بن مضر بن نزار.

هذا أبوه ونسبه، وأما أمّه فهى رمله بنت الوقيعه أو الرقيعه وهى أيضاً من بنى غفار. (٢)

كنيته: «أبوذر» و لقبه «الغفارى» وقد اشتهر بهما، وطغى على اسمه الذى بات لا يعرف

١- سير أعلام النبلاء، للذهبي.

٢- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، حرف الذال، الجزء الثامن والعشرون : ٢٧٧.

إلا عند الخاصة.

وأما صفاته فقد كان آدمَ ضخماً جسيماً كث اللحية والشعر وقد غلب عليه الضعف، وأرهقه الفقر وقله ذات اليد، ولكنه مع كل ما هو فيه علا إيمانه حتى جاوز عنان السماء.

وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوياً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم على حدّه فيه، وقد آخى رسول الله (ص) بينه وبين سلمان الفارسي؛ فاتته معركة بدر، وشهد فتح القدس. (١)

إسلامه

أما كيفية إسلامه، فالذي يظهر من بعض المصادر أنّ أباذر كان موحداً، فقد عرف أنه كان يتعبد ويكثر من العبادة قبل إسلامه، ففي روايه عبدالله بن الصامت عن أبي ذر نفسه أنه قال: إني صليتُ قبل أن يُبعث النبيُّ بسنتين.

قلت: أين كنت توجّه؟

قال: حيث وجهني الله؛ كنتُ أصلي حتى إذا كان نصف الليل سقطتُ كأني خرقة.

وفي روايه أخرى، عن عبدالله ابن الصامت أيضاً، قريبه من الأولى: ... قال: وقد صليتُ يا بن أخي قبل أن ألقى رسول الله (ص) بثلاث سنين.

قلتُ: لمن؟

قال: لله.

قلتُ: فأين توجّه؟

قال: حيث يوجهني ربّي، أصلي حتى إذا كان آخر الليل أُلقيتُ كأني خفاء (كساء) حتى تعلوني الشمس. (٢)

وقد روى عن ابن عباس رضوان الله عليه في قصه إسلام أبي ذر أنّه قال:

١- سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢: ٤٧.

٢- أنظر في ذلك: مختصر تاريخ دمشق ٢٨: ٢٧٨ وغيره.

ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟ قلنا: بلى، قال: قال أبو ذر: «كنت رجلاً من غفار، فبلغنا، أنّ رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبيّ، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل فكلمه، واثنتي بخبره، فانطلق فلقية ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ قال: والله، لقد رأيت رجلاً يأمر بالحقّ، وينهى عن الشرّ، فقلت: لم تشفني من الخبر، فأخذت جراباً وعصاً، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأكون في المسجد، فمرّ عليّ (ع) فقال: كأنّ الرجل غريب؟ قلت: نعم، قال: فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه، لا يسألني عن شيء، ولا أخبره؛ فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء، فمرّ بي عليّ (ع) فقال: ما آن للرجل أن يعود؟ قلت: لا، قال: ما أمرك، وما أقدمك هذه البلدة؟ قلت: إن كتمته عليّ أخبرتك، قال: فإني أفعل، قلت: بلغنا أنه قد خرج رجل يزعم أنه نبيّ، فأرسلت أخي ليكلّمه، فرجع ولم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه.

قال: أما إنك قد رشدت لأمرك، هذا وجهي إليه فاتبعني، فادخل حيث أدخل، فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط، وامضى أنت؛ قال: فمضيت معه حتى دخل، ودخلت معه على النبيّ (ص) فقلت: يا رسول الله، أعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليّ، فأسلمت مكاني، فقال لي: يا أبا ذر، أكنتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل؛ قلت: والذي بعثك بالحقّ لأصرخنّ ما بين أظهركم».

فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فقال: يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ فقاموا، فضربتُ لأموت، وأدركني العباس، فأكبّ عليّ ثمّ قال: ويحكم! تقتلون رجلاً من غفار، ومتجركم وممرّكم على غفار؟ فأقلعوا عني.

فلما أصبحت الغد رجعت، فقلت ما قلتُ بالأمس، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فضرّبوني، فأدركني العباس، فأكبّ عليّ. (١)

وعن أبي ذر قال: كنت رابع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة، وأنا الرابع، فأنتيت النبي (ص) فقلت: سلام عليك يا نبي الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله (ص) فقال: «من أنت؟» قلت: «أنا جندب رجل من بني غفار، قال: فرأيتها في وجه النبي (ص) حيث ارتدع، كأنه ودّ أني كنت من قبيله أرفع من قبيلتي؛ قال: وكنت من قبيله فيها رقه (قله) كانوا يسرقون الحاج بمحاجن لهم. (١)

وهناك روايات أخرى في أول إسلامه اكتفينا بهذه دونها.

سيرته

كان أبوذر معروفاً في قومه وعند غيرهم بأنه رجل شجاع كريم، وعزيز، وكبير، وعارف، وحكيم، وقبل حمله لهذه الصفات هناك من يقول إنه كان أيضاً من قطاع الطرق، وقد لا تكون هناك غرابه في ذلك فهو ابن بيئته ومحيطه الذي نشأ فيه وإن كنت لا أميل إليه ولا تطاوعني نفسي في ذكر ما قيل، فدراستي لأبي ذر، واطلاعي على ما يتحلى به هذا الرجل، من نبل، وشرف حتى في جاهليته، يمنعني كل ذلك وغيره عن تصديق هذه الرواية.

تقول الرواية: كان أبوذر رجلاً يصيب الطريق، وكان شجاعاً ينفرد وحده بقطع الطريق ويغير على الصيرم في عمايه الصبح على ظهر فرسه، أو على قدميه كأنه السبع، فيطرق الحي، ويأخذ ما يأخذ، (٢) ثم تمرّد على عادات قومه السيئه قبل إسلامه، وعرف بالصلاح.

فلما قذف الله تعالى في قلبه الإسلام، تحولت حياته إلى حياه خصبه معطاء، وغنيه بالعبر والمثل والدروس، وتجسيد للقيم يثير العجب والإجلال له، فإضافه إلى قوه الإيمان وصلابته التي يتمتع بها أبوذر، ورسوخ جذوره في نفسه المباركه، وإضافه إلى زهده ونسكه وشجاعته وحلمه... كان هناك الصدق الذي أخذ بعداً عظيماً واسعاً في حياته

١- مختصر تاريخ دمشق ٢٨: ٢٨٣ ٢٨٥.

٢- المصدر نفسه ٢٨: ٢٨٤ ٢٨٥.

الإيمانيه والجهاديه، هذه الصفه التي تحلّى بها خلقه الشريف ولم يحد عنها قيد أنمله أبداً؛ ميّزته عمّا حوله من الصحابه والتابعين؛ فكان بحق من (أَوْلِيكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ). (١) بل تفرد بها حتى كاد أن لا يوازنه فيها أحد؛ وكان أباذر خلق للصدق، وهو جدير به.

يقول رسول الله (ص) فيه: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء بعد النبيين امرءاً أصدق لهجاً من أبي ذر».

وفى روايه أبي الدرداء: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذى لهجه أصدق من أبي ذر». (٢)

حقاً لقد كانت شهادته عظيمه من رسول الله (ص) الذى لا ينطق عن الهوى لأبى ذر، يقول الدكتور الجميلى بعد ذكره لتلك الروايه: أعظم صفه لأعظم رجل، من أعظم نبي... إنها صدق اللهجه، وهى من أجل دقائق النعوت الموسوم بها أهل الصدق؛ وهى نادره فى عنصر البشر، وجرثومه الناس التى امتزج طبعها بشهوه الدنيا، وحبّ الحياه، وكلفوا بزخرف الفانيه وتهالكوا عليه.

ولا جرم أنّ أباذر المشهود بصدق لهجته من النبي الصادق المصدق، لا جرم أنه حرى به، وقمين بشخصه أن يصدق عليه أيضاً قوله (ص): «يرحم الله أباذر... يمشى وحده... ويموت وحده... ويبعث وحده». (٣)

لقد كلفه صدقه أن يعيش وحيداً، وأن يعيش بعيداً، وأن يموت غريباً...

لقد تمرد أبوذر على واقعه كلّه بعد فتره من نشأته فى قبيله غفار، التى عرف أفرادها واشتهر رجالها بأنهم قطاع طرق، وبأنهم ساده السطو والسرقه والغدر والقتل، رجل تمرد على هوى نفسه وعلى بيئته التى ولد فيها ونشأ وترعرع بين أحضانها، وراح يصدع بأن

١- البقره: ١٧٧.

٢- أنظر أحمد؛ والترمذى؛ وابن ماجه؛ والطبرانى.

٣- صحابه النبي (ص) الدكتور السيد الجميلى: ٢٥٠.

الصدق زينه الرجل، وجمال له، وراح يربى نفسه على قول الحق ولهجه الصدق مهما كلفه ذلك من تغريب وتبعيد وتعذيب، ولم يكتف بذلك فقد فاجأ الجميع بإيمانه، وصدع به صرخه مدويه لا غموض فيها تهز ما حوله، جاهراً بشهادته لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أعلنها فى وسط لا- معين له به، ولا- ملجأ يلجأ إليه، ولا- مأوى يأوى، وكانت قريش بكامل عزها وجبروتها وطغيانها... فنال بذلك وسام رابع رجل، أو خامس رجل لينضم إلى السابقين الأولين، أولئك المقربون.

إنها صرخه الحق التي أطلقها أمام أعين الظالمين، وكادوا ينكلون به ويقتلون به، بعد أن أذاقوه سوء العذاب، حتى غشى عليه مرات عديده، ولولا- أن تدخل هنا العباس بن عبدالمطلب، ليقتلوه؛ فقد راح يحذرهم ويخيفهم من عواقب ما تقترفه أيديهم، وراح أيضاً يذكرهم بأن أباذر هذا من غفار بعد أن أنساهم طغيانهم وحقدهم ذلك وأهلها معروفون من هم، فإن تتعرضوا له بالأذى، فإن قبيله غفار ستتعرض لقوافلكم التجاريه، إذ إن طريقكم إليه لا تحويل عنه.

فعندئذ توقفوا عن تعذيبه، وأطلقوا سراحه، فغادر الرجل مكة لا إلى الحبشه كما هاجر إليها إخوانه من المسلمين، ولكن إلى عشيرته وقومه، لينذرهم، وكان ذلك استجابته لأمر رسول الله (ص)...: «فهل أنت مبلغ عنى قومك؟».

عاد إلى قومه وبقى فيهم، ولم يهاجر إلى المدينه إلا- بعد غزوه تبوك / لبيدأ من هناك مرحلته التبليغيه، فالأقربون أولى بالمعروف، وهل هناك معروف أعظم من هدايتهم لدين الله تعالى، وإنقاذهم مما هم فيه من انحراف وفجور وسطو واعتداء على الأبرياء وطرق التجاره، التي قدر لغفار أن تكون مركزاً لمرورها؟! وبالتالي تخليص الناس من أذاهم، إلى غير ذلك من المنافع إذا ما آمنوا واتقوا / فكان بحق رسول خير لهم..

وفعلاً- كانت البدايه حيث علا فى أوساطهم قول الحق بكل وضوح وصراحه صادقه، أن هلموا للإيمان، وأن انطقوا بالشهادتين تناولوا بذلك عز الدنيا وخير الآخرة؛ ولأن دعوته تبعث من قلب صادق، فما أسرع ما لاقت آثارها، وجنت ثمارها...! أخذنا يا أباذر إلى

حيث نبع الخير والبركة إلى حيث رسول السماء؛ لكي نضع أيدينا على يديه المباركتين فنترود منه، ونعاهده على أن نكون جنداً له، ونضع سيوفنا إلى جنب سيوف المسلمين، لنصون الحق وأهله.. ونترك كل ما اقترفناه من حيف وظلم وأذى للآخرين.

قدم قومه على رسول الله (ص) يتقدمهم الصحابي الجليل أبوذر الغفاري ليسمع قوله ٩:

«غفار غفر الله لها... وأسلم سالمها الله».

علمه

كان أبوذر عالماً عارفاً بالقرآن والحديث، أشاد بعلمه جلّ الصحابه، وقد سئل الإمام على بن أبي طالب (ع) عنه، فقال: «عَلِمَ العلم ثم أوكى».

(أوكى على ما فى سقائه: إذا شدّه بالوكاء: كلّ سير أو خيط يشدّ به فم السقاء...) فربط عليه ربطاً شديداً.

وفى قول آخر له ٧: «أبوذر وعاء مُلئ علماً، ثم أوكى عليه، فلم يخرج منه شيء، حتى قبض».

وفى قول ثالث له ٧ عن أبي ذر: «وعى علماً عجز فيه (أعجز عن كشف ما عنده من العلم) وكان شحيحاً حريصاً؛ شحيحاً على دينه، حريصاً على العلم، وكان يكثر السؤال، فيعطى ويمنع، أما إنه قد مُلئ له فى وعائه حتى امتلأ».

وفى عبارته ٧: «عجز فيه» يبدو أنه أراد أعجز عن كشفه؛ وقد ورد فى طبقات ابن سعد: أعجز عن كشف ما عنده من العلم.

والذى يبدو أنه (أوكى عليه) لأنه لم يجد من يحمله ويستمع إليه كما نرى هذا فى موضوع المقاطعه الآتى، وهذا ظلم آخر يضاف إلى مظلوميه الرجل، وإلاّ ما فائده العلم الذى يبقى مكنوزاً فى صدر صاحبه حتى القبر؟ ثم إظهار العلم للآخرين مستحب، بل قد يكون أحياناً واجباً، وفيه أجر عظيم؛ ولا أظنّ أباذر كان فيه من الزاهدين.

يقول مالك بن أوس فى روايته:

قدم أبوذر من الشام، فدخل المسجد وأنا جالس، فسلم علينا، وأتى ساريه، فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم قرأ: (أَلِهَاتُكُمْ التَّكَاثُرُ) حتى ختمها، واجتمع الناس عليه، فقالوا له: يا أباذر، حدثنا ما سمعت من رسول الله (ص)، فقال لهم: سمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول: «في الإبل صدقتها، وفي البقر صدقتها، وفي البر صدقته، من جمع ديناراً أو درهماً، أو تبراً، أو فضه لا يعده لغريم، ولا للنفقة في سبيل الله كوي به».

قلت: يا أباذر، أنظر ما تخبر عن رسول الله (ص)، فإن هذه الأموال قد فشت؛ فقال: من أنت يا بن أخي؟ فانتسبت له، قال: قد عرفت نسبك الأكبر، ما تقرأ (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...) وكثيراً ما كان يردد هذه الآية، وآية: (أَلِهَاتُكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ).

روايته

عرف عنه أنه كان مواظباً على ملازمته لرسول الله (ص) والاستفادة منه، وكان يطيل الجلوس عنده، حتى إن رسول الله (ص) كان يبتدئ أباذر إذا حضر، ويتفقده إذا غاب، وكان أكثر أصحاب رسول الله (ص) سؤالاً لهذا فقد روى عن رسول الله (ص) قرابه ٢٨٠ حديثاً، وراح بعض الصحابه يروون عنه، فقد روى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وحذيفه بن أسيد، وابن عمر، وجبير بن نفير، وأبومسلم الخولاني، وزين بن وهب، وأبو الأسود الدؤلي، وربيع بن جراش، والمعمر بن سويد وغيرهم...

ومما رواه عن رسول الله (ص) عن جبريل، عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي، إنكم الذين تخطؤون بالليل والنهار، وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبا لي، فاستغفروني أغفر لكم».

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم،

لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل منكم، لم يزد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كلّ واحد منهم ما سأل، لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً، إلاّ كما ينقص البحر أن يُغمس المحيط غمساً واحدةً.

يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم، فمن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلو منّ إلاّ نفسه». (١)

ومن رواياته أيضاً، قال رسول الله (ص): «يكون في جهنم عقبه كؤود لا يقطعها إلاّ المخفون».

وفي المصافحه والمعانقه سئل أبوذر: هل كان رسول الله (ص) يصافحكم إذا لقيتموه؟

قال: ما لقيني قط إلاّ صافحني، ولقد جئت مره، فقيل لي: إنّ النبي ٩ طلبك، فجئت فاعتقني، فكان ذلك أجود وأجود.

وقال أيضاً: أرسل إلى رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه، فأتيته، فوجدته نائماً، فأكبت عليه، فرفع يده فالتزمني.

ومن الجدير بالذكر أنّ أباذر هو أول من حيّا رسول الله (ص) بتحيه الإسلام. (٢)

دعاء الرسول (ص) له ووصاياه

راحت أذنيه رسول الله (ص) ووصاياه تواكب أباذر، وهو يخطو خطواته في طريقه اللاحب؛ فكان ٩ كثيراً ما يدعو له حين يراه وفي غيبته، راجياً من الله تعالى تسديده وإعانتة على تجاوز الصعاب والمشاق التي يعلم رسول الله (ص) بأنّ الرجل سيواجهها في

١- سير أعلام النبلاء ٢: ٤٨.

٢- مختصر تاريخ دمشق ٢٨: ٢٨١.

حياته؛ ويظهر من ذلك أنّ ما كان مكلفاً به أمر مهم وخطير وأنّ مسيرته شائكة، وأنّ كلّ ما فعله رضوان الله عليه كان بأمر من رسول الله (ص) ووفقاً لرغبته ٩ ورضاه.

يقول: أوصاني حبي (أى رسول الله) بخمس:... وأن أقول الحقّ ولو كان مرّاً... «وكيف أنت عند ولاء يستأثرون عليك» قلت: (يا رسول الله) أضع سيفى على عاتقى وأضرب حتى ألقك.

أمرنا رسول الله ألا نغلب على أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعلم الناس السنن.

قال له رسول الله (ص): «يا أبأذر، أنت رجل صالح، وسيصيبك بعدى بلاء»

قلت: فى الله؟

قال: «فى الله».

قلت: مرحباً بأمر الله.

فمنذ أول بادره إيمانيه ظهرت على لسان أبى ذر وهى نطقه بالشهادتين... كلفه رسول الله (ص) بأن يكون داعيةً ومبلغاً لرساله السماء.

بمن تأمرنى يا رسول الله؟

فأجابه (ص): : ترجع إلى قومك حتى يبلغك أمرى...

فهل أنت مبلغ عنى قومك... عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟

وأين؟! إنها دعوه خطيره، فهى لقومه غفار، هذه القبيله التى عرفت بالجاهليه من بين قبائل العرب بقسوتها وشدتها، وحبها للغزو، وتفانيها من أجل السطو والنهب الذى كان مصدر عيشها.

نعم بعثه (ص) مبلغاً لمفاهيم السماء وقيمها فى عشيرته، التى كانت مضرب المثل بين قبائل العرب وغيرهم فى السطو وبث الرعب فى قلوب الماره، حتى صار المار بديارهم يحسب ألف حساب قبل أن يخطو خطوه فى طريقه... كانوا يرقبون الحاج بمحاجن لهم، وكانوا حلفاء الليل والظلام، والويل والويل لمن يسلمه الليل إلى واحد من قبيله غفار كما يقول خالد

فعملية التغيير التي ألقاها رسول الله (ص) على عاتق هذا العبد الصالح ليست أمراً سهلاً أبداً؛ لهذا نرى رسول الله (ص) يلاحق أباذر في تحركاته، ويكثر له من الدعاء في أن يسدده الله تعالى وأن يثبته؛ وفعلاً استطاع أبوذر وكما تقول مصادر التاريخ أن يهدى أكثر من نصف قبيلته وبقي النصف الآخر ليعلن إسلامه على يدى رسول الحق (ص).

وكان من أذعيتة (ص) التي طالما كررها له:

ألهم أغفر لأبى ذر وتب عليه.

آجرك الله يا أباذر...

أما من وصاياها (ص) الأخرى

فعن أبى ذر: دخلت المسجد فإذا رسول الله (ص) فقال: «يا أباذر ألا أوصيك بوصايا إن أنت حفظتها نفعك الله بها؟

قلت: بلى بأبى أنت وأمى.

قال: جاور القبور تذكر بها وعيد الآخرة، وزرها بالنهار، ولا تزرها بالليل، واغسل الموتى؛ فإن في معالجه جسد خاو عظه، وشيع الجنائز، فإن ذلك يحرك القلب ويحزنه، واعلم أن أهل الحزن في أمن الله، وجالس أهل البلاء والمساكين، وكُل معهم، ومع خادمك، لعل الله يرفعك يوم القيامة، والبس الخشن الصيفيق من الثياب، تذللًا لله عز وجل وتواضعًا؛ لعل الفخر والبطر لا يجدان فيك مساغًا، وتزين أحياناً في عباده الله بزينة حسنة تعففاً وتكرماً، فإن ذلك لا يضررك إن شاء الله وعسى أن يحدث الله شكرًا». (١)

و من أقواله ووصاياها التي تتسم بالحكمة

كانت له أقوال ووصايا تتسم بالحكمة، وتنم عن خبره وتجربته، وعن إيمان متجذر في

نفسه وقلبه، كما تكشف عن أن الرجل يتمتع بعقل قوى وذهن حاد ونفس صلبه وهمه عاليه؛ كما أنّ هذه الوصايا تبين لنا أنّ أباذر كان مخلصاً صادقاً محبباً لهذه الأمه، وراعياً لها، لهذا نراه لم يبخل عليها بشيء، ومن كان سخياً بنفسه وحياته في سبيلها فهل نراه يبخل عليها بكلماته وأقواله ووصاياه، إن رأى فيها مصلحة لها؟! قالوا: يا أباذر، إنك امرؤ ما يبقى لك ولد.

فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في الفناء، ويدخرهم في دار البقاء.

قالوا: يا أباذر، لو اتخذت امرأة غير هذه؟

قال: لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إلي من امرأة ترفعني.

قالوا: لو اتخذت بساطاً ألين من هذا؟

قال: ألهم غفراً، خذ مما خوّلت ما بدا لك.

بعث حبيب بن مسلمه إلى أبي ذر وهو بالشام ثلاثمائة دينار، وقال: استعن بها على حاجتك، فقال أبوذر: ارجع بها اليه، فما أحد أغنى بالله منا، لنا ظل نتواري به، وثله من غنم تروح عليها، ومولاه لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إنى لأتخوف الفضل.

إنّ لك في مالك شريكين: الحدثان (الليل والنهار) والوارث، فإن استطعت ألا تكون أبخس الشركاء حظاً فافعل.

وشتمه رجل: فقال له: يا هذا، لا تُغرق في شتمنا، ودع للصالح موضعاً، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

إنى لأقربكم مجلساً من رسول الله (ص) يوم القيامة، إنى سمعت رسول الله (ص) يقول: «إن أقربكم منى مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا بهيئه ما تركته فيها» وإنه والله ما منكم أحد إلا وقد تشبث منها بشيء.

وقال رسول الله (ص): والذي بعثك بالحق لالقيتك إلا على الذي فارقتك عليه.

كان قوتي على عهد رسول الله (ص) في كلّ جمعه صاعاً، فلست بزائد عليه حتى

ألقاه.

دخل شباب من قریش علی ابي ذر مّمن يريدون إيداءه فقالوا له: فضحّتنا بالدنيا، وأغضبوه، فقال: ما لي وللدنيا، وإنما يكفني صاع من طعام في كلّ جمعه، وشربه من ماء في كلّ يوم.

إلى غير ذلك من الوصايا النافعة والأقوال الحكيمه..

مواكبه رسول الله (ص) له

حقاً لقد تربي هذا الصحابي الجليل في بيت النبوه فنهل من أخلاقها، وتأدب

بآدابها؛ وكان رسول الله (ص) يواكبه، فإن وجد فيه ما يشين نبهه عليه، وإن وجد فيه

خيراً ثبته عليه، وكان أبوذر طوع بنان رسول الله (ص) منقاداً له أيما انقياد، ويسمع منه ويقتدى به.

يقول ابن سويد: نزلنا الربذه، فإذا رجل عليه برد، وعلى غلامه برد مثله، فقلنا له: لو أخذت بردَ غلامك هذا فضممته إلى بردك هذا فلبسته كانا حُلَّةً (الحله عند العرب ثوبان، ولا تطلق على ثوب واحد)، واشتريت لغلامك برداً غيره.

قال: إني سأحدثكم عن ذلك: كان بيني وبين صاحب لي كلام، وكانت أمّه أعجميه، فنلتُ منها، فأتى النبي (ص) ليعذره مني، (يقال: من يعذرني من فلان؟ أي من يقوم بعذري إن أنا جازيته بسوء صنيعه).

فقال لي رسول الله (ص): «يا أباذر، سابت فلاناً؟» فقلت: نعم، قال: «فذكرت أمّه؟» فقلت: من سابت الرجال ذكر أبوه وأمّه، فقال لي: «إنك امرؤ فيك جاهليه» قلت: على حال ساعتى من الكبر؟ قال: «على حال ساعتك من الكبر، إنهم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه».

سمع رسول الله (ص) أباذر يقول حدثان إسلامه لابن عمّه: يا بن الأمه، فقال له ٩: «ما ذهب عنك أعرابيتك بعد».

هكذا كان ٩ يواكب أصحابه المخلصين ويسددهم ويقومهم، ويقتلع ما فيهم من آثار الجاهليته، وما تركته بيئتهم في نفوسهم، والإنسان ابن بيئته، ليبدلها بأخلاق إسلاميه، وآداب قرآنيه، بعيده عن حالات التعصب التي طالما كان يقول عنها: دعوها فإنها تنته، دعوها فإنها تنته.

كرمه

عرف عنه أنه كان كريماً، كثير الإحسان، رغم فقره وضعفه، وقله ما في يده، ولم يترك بعد وفاته شيئاً في بيته، حتى أنه لم يجدوا عنده ما يكفن به.

فمن كرمه:

دفع رسول الله (ص) إلى أبي ذر غلاماً، فقال: «يا أباذر، أطعمه ممّا تأكل، واكسّه مما تلبس».

فلم يكن عنده غير ثوب واحد، فجعله نصفين، فراح إلى رسول الله (ص) فقال: «ما شأن ثوبك يا أباذر؟».

فقال: إنّ الفتى الذى دفعته إلىّ أمرتنى أن أطعمه مما آكل، وأكسوه مما ألبس، وإنه لم يكن معى إلاّ هذا الثوب فناصفته.

فقال رسول الله (ص): «أحسن إليه يا أباذر».

فانطلق أبوذر فأعتقه.

فسأله رسول الله (ص): «ما فعل فتاك؟».

قال: ليس لى فتى، قد أعتقته.

قال (ص): «آجر ك الله يا أباذر».

يقول عطاء بن مروان: رأيت أباذر فى نمره (شملة فيها خطوط بيض وسود، وبرده من صوف يلبسها الأعراب) مؤتراً بها، قائماً يصلى، فقلت: يا أباذر، مالك ثوب غير هذه النمره؟ قال: لو كان لى لرأيتة علىّ، قلت: فإنى رأيت عليك منذ أيام ثوبين، فقال:

يا بن

أخى، أعطيتهما من هو أحوج منى إليهما، قلت: والله إنك لمحتاج إليهما، قال: أَللهم غفراً، إنك لمعظم للدنيا، أليس ترى على هذه البرده؟ ولى أخرى للمسجد، ولى أعنز نحلها، ولى أحمره نحتل عليها ميرتنا، وعندنا من يخدمنا ويكفينا مهنة طعامنا، فأى نعمه أفضل مما نحن فيه؟ (١).

مواقفه

الذى لا- يهاب الموت لا- يهاب ما دونه؛ لهذا نرى أباذراً لا يخشى بأسهم، ولا يخاف طغيانهم، ولا يكثر بظلمهم، ولا يابه بتهديهم وإنذارهم ووعيدهم... إنه كان يخشى فقط وعيد السماء وإنذارها.

بايعنى رسول الله (ص) خمساً، وواثقنى سبعاً، وأشهد على تسعاً ألا أخاف فى الله لومه لأئم، وفى قول آخر له ٩: «هل لك إلى بيعه ولك الجنة؟»

قلت: نعم، وبسطة يدي فقال رسول الله (ص) وهو يشترط على: «أن لا تسأل الناس شيئاً» قلت: نعم، قال: «ولاسوطك إن سقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه». (٢).

فكان هذا عهده وهو الوفى به، وكانت تلك صرخاته المتتاليه ضد الظالمين والمترفين، عناقيد غضب تنهال على رؤوسهم، وكان لسانه سيفاً صارماً يكشف زيفهم، ويعرى مواقفهم وادعاءاتهم...

كانت كل أمنياته أن يحذف ويلغى كل انحراف من حياه هذه الأمة، فهو يخشى إن بقى هذا الانحراف أن يتجذر، ويصبح وكأنه هو الصحيح وغيره خطأ، وكان يخشى على هذه الأمة أن تذهب بعيداً عمّا بناه رسول الله (ص) وارتأته السماء؛ لهذا ولغيره تصدى أبوذر، وتحمل عواقب هذا التصدى.

كانت له مواقف عديده شهد بها التاريخ ومؤرخوه تتسم بالقوه والشده، صبت كلها ضد حكام عصره، والأغنياء، وثوراتهم بغير حق... فكانت دروساً قيمه للأجيال فى مقارعتها

١- طبقات ابن سعد ٤: ٢٣٥.

٢- مختصر تاريخ دمشق ٢٨: ٢٩٣ ٣٩٤.

للظلم والظالمين، والترف والمترفين، وراحت مواقفه الجريئه هذه أنشودة لا يتخلى عن إنشادها المناضلون، ولا يعزف عن التغنى بها المجاهدون، وراح يترسمها الأحرار في كل مكان وزمان، وقد سببت له ابتلاءات كثيرة كان يستعذبها، لأنها في الله والله، «يا أباذر، أنت رجل صالح، وسيصيبك بعدى بلاء»، قلت: في الله؟ قال (ص): «في الله»، قلت: مرحباً بأمر الله.

كانت كلمات رسول الله تلاحقه، وكان هو الآخر يستحضرها في كل خطواته وأقواله، أمرنا رسول الله (ص) ألا نغلب على أن نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونعلم الناس السنن.

وكان في جهاده هذا يستوحى كل مواقفه وكلماته من السماء ورسولها، ولا يغير ولا يبدل: والله، ما كذبت على رسول الله (ص) ولا أخذت إلا عنه، وعن كتاب الله عز وجل.

والله إنى لعلى العهد الذى فارقت عليه رسول الله (ص)، ما غيرت، ولا بدلت.

لقد بايعت رسول الله على أن لا تأخذنى فى الله لومه لائم.

قصد أبوذر الشام واستقرّ بدمشق حيث الثروه المبدده، والإسراف الفاحش، والدنيا الفارغه، وحيث الترف والمترفين، إلى جانب ذلك كله وجد الفقر المدقع والحاجه القاتله، فأعلنها مدويه صرخه ضد الأغنياء ليبروا الفقراء، ثورة ضد الطغاه لينصفوا الرعيه، كان صوتاً عالياً ضد أصحاب الأموال، ليمدوا يد العون لإخوانهم.

كانت بحق ثورة كبرى ضد الطبقيه القاتله التى تنخر بالمجتمع المسلم، وتهدد كيانه وتطيح بقيمه ومبادئه.

يقول الدكتور الجميلى:

لقد كان يرى أنّ المال فتنه تثير الغفله والريبه والشبهات حول أولى الأمر، هذا رأيه، وهذا فهمه، وتلك طبيعته المفطوره على الطهر، والنقاء، والنظافه، والتنزه عن مجرد الارتياب.

كان يشتد به الضيق عندما يرى أمراء المؤمنين يتمرغون فى القصور، ومن ورائهم يرى الجياع المتربين ذوى الخصاصه، يتضورون متهاكين، فكان دائماً يردد قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ

يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ. (١)

حمل رداءه، واشتمل بردته، وسار إلى بلاد الشام حيث ثم معاوية ابن أبي سفيان يقطن ويستمتع بالخصوبه والفيء والمروج الخضمر، حيث الثروات والقصور المنيفه والضيع الوارفه الظلال، ولم يسكت على الثورة الضاربه في داخل كيانه، لكنها انطلقت على لسانه، فصرخ في الناس.

«عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه».

فإن أمير القوم أول من يجوع إذا جاعوا، وآخر من يشبع إذا شبعوا.

كان يأتي معاوية في عقر داره في مجلسه، ويعلمها واضحه لا لبس فيها: خياركم أزهدكم في الدنيا، وأرغبكم في الآخرة، وشراركم أرغبكم في الدنيا وأزهدكم في الآخرة.

كانت معارضة أبي ذر معارضة قويه، يُخشى بأسها، ويعمل حسابها لأنها صادرة من نفس أبيه عاليه، وهمه شامخه، شايعها كثير من صحابه رسول الله (ص) والتفوا حولها. (٢)

سحب أبوذر فضل رداءه قائلاً: «لا حاجه لي في دنياكم» قال ذلك بعدما استدعاه الخليفه الثالث من دمشق، تلبيه لطلب معاوية حيث كتب لعثمان: إن كان لك بالشام حاجه فأرسل إلى أبي ذر.

فكتب إليه عثمان يأمره بالقدوم عليه، وبعدها سمع قول عثمان له: «ابق معي هنا بجاني، تغدو عليك اللقاح وتروح».

فكان جوابه رضوان الله عليه:

نعم «لا حاجه لي في دنياكم».

«لا حاجه لي في ذلك تكفي أباذر صيريمته.. دونكم معاشر قريش دنياكم فاخذموها ودعونا وربنا.. لم تكن هذه كلمات فقط، وإنما كانت مواقف هزت كيان الظالمين، وأرست قواعد للإيمان الصحيح، والمواقف المبدئيه الصلبه.

١- التوبه: ٣٤ ٣٥.

٢- صحابه النبي (ص)، للدكتور الجميلي: ٢٥٢.

و من تلك المواقف

كان أبوذر أشدَّ الصحابه غضباً على ما فعله الخليفة الثالث، حين ولى الخلافة، فقد قام بتوزيع كثير من أموال بيت المال على من يرغب، وهو عطاء غير مسؤول، فقد أعطى مروان ابن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث ابن الحكم ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم.

فوقف أبوذر موقفاً مليئاً بالقوه والشده والغضب، وراح يتلو قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

وجرت محاورات كانت فى بعض جوانبها تتسم بالجرأه، وأثبت له خطأ تصرفاته، وأنها بعيدة عن الشرع فى الوقت الذى راح كثير من الصحابه وقد ملئت قلوبهم غيظاً وضيقتاً على أفعال الخليفة يميلون إلى تأييد أبوذر فى مساعيه وجهوده، من أجل إيقاف هذا الانحراف أو الحد منه، وبدلاً من أن يتعظ الخليفة بذلك، أخذته العزه بنفسه مؤيداً من قبل المستفيدين، فقد أصدر أمره بإبعاد الصحابى الجليل أبوذر عن المدينه إلى الشام، وكان ذلك سنه تسع وعشرين للهجره، وفعلاً التحق أبوذر بالشام، وهناك راح ينكر على معاويه أموراً كثيره وانحرافات خطيره، فما كان من معاويه إلا أن يرسل له ثلاثمائة دينار كى يستميله إلى جانبه، أو على الأقل يخرس صوته.

فقال له أبوذر: إن كان من عطائى الذى حرمتونه عامى هذا قبلتها، وإن كانت صلته فلا حاجه لى فيها.

ولما رأى قصر الخضراء الذى بناه معاويه بدمشق، لم يلد أبوذر بالسكوت، بل أعلنها واضحه جليه أمام معاويه: يا معاويه! إن كانت هذه الدار من مال الله فهى الخيانه، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف.

فلم يحر معاويه جواباً، بل لاذ بالسكوت منتظراً نزول الظلام، فبعث إليه بألف دينار، فما كان من أبى ذر إلا أن أنفقها فى سبيل الله.

ولما صلى معاويه صلاه الصبح، دعا رسوله، فقال: اذهب إلى أبى ذر فقل: أنقذ جسدى

من عذاب معاويه، فإنني أخطأت.

قال: يا بني، قل له: يقول لك أبوذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار، ولكن انظرنا ثلاثاً حتى نجمع لك دنانيرك.

فلما رأى معاويه أن قوله صدق فعله؛ كتب إلى عثمان: أما بعد؛ فإن كان لك بالشام حاجه أو بأهله، فابعث إلى أبي ذر فإنه وغل صدور الناس. (١)

فما كان من عثمان إلا أن كتب إلى معاويه: أما بعد، فاحمل جندباً على أغلظ مركب وأوعره.

فوجه معاويه من سار به الليل والنهار. (٢) وكان ذلك سنة ثلاثين بعد أن قضى سنة في دمشق، وأما في تاريخ يعقوبى: فكتب إليه أن احمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيته.

أما في مروج الذهب: فحملة على بعير عليه قتب يابس، معه خمسة من الصقالبه يطرون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت أفخاذه وكاد أن يتلف.

ومع كل ذلك لم يترك أبوذر جهاده وصرخته بالحق والعدل ضد كل ظلم وانحراف وتعدى؛ فلما قدم أبوذر المدينة جعل يقول مخاطباً الخليفة: تستعمل الصبيان، وتحملى الحمر، وتقرب أولاد الطلقاء؛ فما كان من الخليفة إلا أن سيره إلى الربذه. (٣)

المقاطع

وخلال فتره مناهضته للحكام وللأغنياء الذين استحوذوا على الأموال بغير حق، وقبل نفيه إلى الربذه لإبعاده عن الأمه، تعرّض الرجل الجليل المسنّ إلى مضايقات كثيرة وأذى عظيم، فإضافةً إلى منعهم عطاءه من بيت المال منع الناس من الاتصال به، وحضور مجالسه

١- سير أعلام النبلاء ٢: ٥٠.

٢- أنساب الاشراف ٥: ترجمه عثمان.

٣- المصدر نفسه.

وحلقات دروسه، فقد كانت لأبي ذر حلقات للتفسير والحديث والفتيا، وكان الناس يحتشونه، بعض يطلب تفسير آيه، وبعض يستفتيه، وآخر يقول له: حدّثنا عن رسول الله (ص) فكانت هذه الحاله وهى كثره الذين يستفتونه، ويأخذون العلم منه، تلقى فى قلوب بعضهم الخشيه منه، حتى منعه بعض أمراء عصره من ذلك، ولكى لا يتصل به أحد فيتأثر بآرائه، راحوا يلاحقون مجالسه، ويحظرون الاستماع إليه.

يقول أبو كثير: حدّثنى أبى قال: أتيت أباذر وهو جالس عند الجمره الوسطى، وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأتاه رجل، فوقف عليه، فقال: ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه ثم قال: أرقب أنت على؟!

لو وضعت المصمامه (السيف القاطع) على هذه وأشار بيده إلى قفاه ثم ظننت أن أنفذ كلمه سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا على لأنفذتها.

وفى روايه أن رجلاً أتى أباذر فقال:

إن المصدقين يعنى جباه الصدقه ازدادوا علينا، فنغيب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا؟

قال: لا، قف مالك عليهم فقل: ما كان لكم من حقّ فخذوه، وما كان باطلاً فذروه، فما تعدّوا عليك جعل فى ميزانك يوم القيامه.

وكان على رأسه فتى من قريش، فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتوى؟

فرفع رأسه إليه ثم قال له: أرقب أنت على؟! لو وضعت المصمامه.

يقول الأحنف بن قيس: أتيتُ المدينه، ثم أتيتُ الشام، فجمعتُ (أى شهدت الجمعة) فإذا أنا برجل لا ينتهى إلى ساريه إلا فرّ أهلها، يصلّى ويخفّ صلاته، فجلستُ إليه، قال: قم عنى لا أعرك بشرّ، فقلت: كيف تغرّنى بشرّ؟ قال: إنّ هذا يعنى معاويه نادى مناديه أن لا يجالسنى أحد.

وفى روايه أخرى له: كنتُ جالساً فى حلقه بمسجد المدينه، فأقبل رجل لا تراه حلقه إلا فروا حتى انتهى إلى الحلقه التى كنت فيها، ففروا، وثبتت، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا أبوذر صاحب رسول الله (ص)، قلت: فما يُفرّ الناس منك؟

قال: إني أنهاهم عن الكنوز، قلت: فإن أعطيتنا قد بلغت وارتفعت، أفتخاف علينا منها؟ قال: أما اليوم فلا، ولكن يوشك أن يكون أثمان دينكم، فإذا كان أثمان دينكم فدعوهم وإياها.

وكل هذا وغيره لم يثنه عن عزمه، وعن الوفاء بعهده الذي عاهد عليه رسول الله (ص) وراح يواصل ثورته وكفاحه ضد كثر المال، بعد أن رأى أنه عصب خطير وعظيم في حياة الناس؛ لهذا فقد راح ينادى أن للفقراء حقاً في مال الأغنياء، وأنه نصير للفقراء، فاجتمع حوله الكثيرون، وناوَاه آخرون ممن كان هواهم جمع المال.

يقول الأحنف بن قيس كما في سير أعلام النبلاء: (١)

قدمت المدينة، فبينما أنا في حلقة فيها ملاً من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم، فقال: بشر الكنازين برّضف (الحجارة المحماه) يُحمى عليهم في نار جهنم.

قال: فوضع القوم رؤوسهم، فما رأيت أحداً منهم رجع إليه شيئاً، (أى أجابه بشيء) فأدبر، فتبعته حتى جلس إلى ساريه، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم، فقال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً، إن خليلي أبا القاسم دعاني، فقال: «يا أباذر» فأجبت، فقال: «تري أحداً» فنظرت ما عليه من الشمس، وأنا أظنه يبعث بي في حاجه له، فقلت: أراه، فقال: «ما يسرنى أن لى مثله ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير».

ثم هؤلاء يجمعون للدنيا، لا يعقلون شيئاً! فقلت: ما لك ولإخوانك من قريش، لا تعتر بهم، وتصيب منهم؟

قال: لا وربك ما أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله.

إضافهً إلى كل ذلك فإنه لم ينجو من الاتهامات الأخرى، التي اعتاد الحكام على ملء وسائل إعلامهم بها ضد من يخالفهم، فقد اتهموه بأنه من الخوارج ومثير الفتن حتى اضطرت هذه الأمور أحياناً إلى التصدى لها وتفنيدها في مجالسهم، فقد دخل يوماً على

عثمان، وهو فى مجلسه يحيطه جمع، فقال له وقد حَسَرَ عن رأسه: والله ما أنا منهم... يريد الخوارج ومثيرى الفتن.

وكيف يكون من هؤلاء، وهو الصادق القائل لرسول الله (ص): والذى بعثك بالحق لالقيتك إلا على الذى فارقتك عليه.

خرج من مجلس الخلافه قاصداً الربذه، وهو يقول: للخليفه الذى قال له: نأمر لك بنعم من نعم الصدقه، تغدو عليك وتروح لا حاجه لى فى ذلك، تكفى أباذر صريمته؛ ثم راح يخاطبهم: دونكم معاشر قريش دنياكم فأخذموها، ودعونا وربنا.

المنفى الأخير «الزبده»

لقد كان الصراع الذى خاضه أبوذر طيله عمره الشريف ضد الحكام واستئثارهم، وضد ثروتهم المتزايد، بعيداً عن المبادئ والقيم وحاجه الناس وعوزهم؛ لا بد أن ينتهى إلى إبعاده عن الساحة على أقل التقادير وهذا ما جرى بالفعل.

وخير ما يصور لنا جهاد الرجل، وإخلاصه، ومناواته للظالمين، نهج البلاغه.

يقول الإمام على (ع) وهو يودعه: «يا أبا ذر، إنك غضبت لله، فارج من غضبت له؛ إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك فى أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعهم، وما أغناك عما منعوك! وستعلم من الرابع غداً، والأكثر حُسدًا؛ ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً، ثم اتقى الله ليجعل الله منهما مخرجاً! لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأجوك، ولو قرضت منها لأمنوك» (١).

اشتد مرضه الذى ألم به، وانتابه ضعف شديد جعله وجود بنفسه وحيداً فى غربه قاتله، وقد فقد المعين، وغاب عنه الناصر إلا ابنته، وعلى روايه زوجته، وماذا تستطيع البنت أن تقدم لأبيها، وهو يصارع سكرات الموت؟!

رمقها بنظره فرآها تبكى، عرف معنى بكائها، فقال لها: ما يبكيك؟

قالت: مالى لا أبكى وأنت تموت بفلاه من الأرض، ولا يدان لى بتغييبك وليس عندى ثوب يسعك كفنأ لى ولا لك؟! ولا بد منه لعشك، قال: فأبشرى ولا تبكى، إنى سمعت حبيى رسول الله (ص) يقول: «لا يموت بين امرأين من مسلمين ولدان أو ثلاثه فيصبرا ويحتسبا، فيريان النار أبداً».

وإنى سمعت رسول الله (ص) يقول لنفر وأنا فيهم: «ليموتنّ رجل منكم بفلاه من الأرض، يشهده عصابه من المؤمنين».

ثم أردف قائلاً: وليس من أولئك النفر أحد إلا مات فى قريه أو بجماعه؛ فأنا ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت، فأبصرى الطريق.

فقلت: أنى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق؟!!

فقال: اذهبى وتبصرى.

وطلب منها أن تعلق مرتفعاً من الجبل تؤشر للماره؛ كى يحضر بعضهم إليه ساعه الوفاه، فكانت تشدّ إلى كتيب، ثم ترجع إلى أبى ذر المحتضر.

فبينما هما على هذه الحاله، وإذا برجال كأنهم الرخم تجدد بهم رواحهم؛ ورأوا هذه المضطربه تلوى بطرف رداها إليهم، فأسرعوا إليها حتى وقفوا عليها وهى تنادى:

يا عباد الله المسلمين، يا عباد الله الصالحين.

سألوها ما بك؟ وما تريدن؟

هذا أبوذر صاحب رسول الله (ص) هلك غريباً، ليس لى أحد يعيننى عليه!

صاحب رسول الله (ص)؟

نعم

فنظر بعضهم بعضاً، وحدوا الله على ما ساق إليهم واسترجعوا وقالوا: فداؤه آباؤنا وأمهاتنا.

أسرع إليه القوم، وفيهم مالك الأشتر بن الحارث النخعى، وأسرعوا حتى دخلوا عليه.

فقال أبوذر لهم: ابشروا فإنى سمعت رسول الله (ص) يقول لنفر وأنا فيهم: «ليموتنّ رجل منكم بفلاه من الأرض تشهده عصابه من المؤمنين» ما من أولئك النفر رجل إلا وقد هلك في قريه أو جماعه، والله ما كذبت ولا كذبت، أنتم تسمعون أنه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنأ لى أو لامرأتى، لم أكفن إلا فى ثوب لى أو لها.

إنى أنشدكم الله، إنى أنشدكم الله، أن لا يكفننى رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً، وليس من أولئك النفر إلا وقد قارف ما قال، إلا فتى من الأنصار فقال: (أنا أكفئك يا عم، أكفئك بردائى هذا أو فى ثوبين فى عبيتى من غزل أمى) قال أبوذر: (أنت تكفننى) ثم قال: (بسم الله وبالله وعلى مله رسول الله (ص) ولفظ نفسه الأخير).

وهكذا انظفاً هذا المصباح، وضاع هذا الصوت، ومات هذا البطل المجاهد العظيم؛ استرجع القوم على عظم المصيبة، وبكوا ثم شرعوا فى تجهيزه، وتنافسوا فى كفنه. (١)

حتى خرج من بينهم بالسواء، وتولى غسله مالك الأشر، وصحبه حتى فرغوا، ولفه مالك الأشر فى برد يمانى كان قيمته ٤٠٠٠ درهم وصلى عليه، ودفنوه على قارعه الطريق؛ ثم مسح الأشر القبر بيده وقام عليه وقال:

(أللهم هذا أبوذر صاحب رسول الله (ص) عبدك فى العابدين، وجاهد فىك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكراً، فغيره بلسانه وقلبه، حتى جفى، ونفى، وحرّم، واحتقر؛ ثم مات وحيداً غريباً...) إلى آخر ما قاله. (٢)

وكانت وفاته فى آخر ذى القعدة الحرام، سنه إحدى وثلاثين بعد الهجرة. (٣)

أما ابنته، أو زوجته على روايه، فقد حملها القوم معهم إلى المدينة، وسلّمها مالك الأشر إلى الإمام على ابن أبى طالب (ع) معززةً مكرّمةً محترمةً إلى ما شاء الله. (٤)

١- تنقيح المقال فى علم الرجال ٢: ٤٩ باب الميم فى ترجمه مالك الأشر.

٢- المستدرک، للحاكم النيسابورى ٣: ٣٤٥.

٣- أنساب الأشراف، للبلاذرى ٥: ٥٦.

٤- معالم الزلفى: ١٠٦، سير أعلام النبلاء ٢: ٤٧ ٤٨.

وأنهى أبوذر في سنة ٣٢ هـ ، حياة جليله وعظيمه، كانت كل مفاصلها في عين الله تعالى / ليجد نداء الحق أمامه:

(أَنْ تَلُكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

فدفن رضوان الله عليه في مكان على قارعه الطريق في الربذه، وهي من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبه من ذات عرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة. (١)

وقد حفرت عندها آبار وقناه، وأشهر آبارها (بئر الوسيط) راح أهالي القرى المجاوره والقوافل يرتوون من مائها العذب، وغرست بجوارها أشجار النخل والرمان وغيرهما، وتعرف اليوم باسم قريه واسطه تقع عند الكيلومتر ١٢٦ للذهاب من المدينة إلى جده أو مكة المكرمة على حافه الطريق المبلط بالأسفلت بانحراف قليل عن الجاده القديمه، تقع مدرستها الابتدائيه ومركز شرطتها وبيوت القريه وبساتينها على جانب الطريق الأيسر، لها سوق وبساتين ومزارع أنشئت مع امتداد الطريق، وتسقى من قناه تسمى ب (سقىا الوسيط) ويمر أغلب الحجاج بهذه الناحيه، ولا يعرفون عنها شيئاً. (٢)

«رحم الله أبا ذر، يحشر وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده».

هذا ما قاله رسول الله (ص) حينما رآه، وقد أبطأ بعيره في غزوه تبوك، فحمل متاعه على ظهره، وتبع أثر الرسول (ص) ماشياً حتى لحق به.

فسلام عليك يا أباذر في الخالدين.

١- معجم البلدان ٣: ٢٤.

٢- أبوذر في سطور، محمد رضا: ١٩ بتصرف.

(١١) أبو أيوب الأنصاري

إشاره

(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)

حسن الحاج

تلك هي مدرسه مباركه، أصلها ثابت وفرعها في السماء لا يضربها من كبا، ولا يعكر صفوها من ولى وجهه بعيداً عنها، وكيف يكدر مسيرتها من شطط، ويضعف كيانها من جفا، وما هو رسول الله (ص) قائم عليها، يؤسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان، يمدّها بعطائه الذي لا ينضب، وبخلقه الذي لا يحد ولا يتوقف، ويعلمه الذي لا يبور؟!!

فكان منهم الصادقون حقاً، وكان منهم الصالحون، وكان منهم الشهداء، وهكذا ظلّت شجرتها خضراء مورقه معطاء بفضل دمائهم وجهودهم ومواقفهم، رغم ما تعرّضت له من كيد وتآمر، وما توغّل في صفوفها من نفاق، وما حيك حولها من اتهامات، وأثير عليها من شبهات.

فالصحابه والصحبه مدرسه قلّ نظيرها، وفقد شبيهاها في التاريخ، إنهم طليعه آمنوا برّبهم فزادهم الله هدًى؛ لهذا لا تجد مثيلاً لهم في حياتنا قديماً وحديثاً إلا من رحم ربّي،

نخبه صالحه تفرّدت بصفات وخصائص، راحت تتمّناها الأجيال المؤمنه، وتتحلّى بها، وهى تكدح متمّيه رضوان الله وجنانه.

إنّ من يقرأ حياتهم مهاجرين وأنصاراً، يضع يده على مزايا عاليه، وأخلاق رفيعه، ومناقب راقيه، وبساله وجهاد، تحلّى بكلّ هذا وبغيره من قيم السماء جمع كثير منهم، حتّى إنك تجد وكأنّ بعضاً منهم اصطفته السماء، واصطنعته يد الغيب لمهام رساليه، وليبقى نموذجاً فذاً، ومثلاً يتحدّى، وحبّه على غيره ممّن عاصروه والذى جاؤوا من بعدهم.. (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

لقد حظيت هذه الشريحه من الصحابه، بنصيب وافر من رعايه الرسول الكريم ٩ واهتمامه، وهديه، وتربيته، وتعليمه، فراحت تستوعب كلّ ذلك بوعى ورغبه، وتمثّلت ما اكتسبته من رسول الله (ص) أسلوباً عملياً، ومواقف صلبه لم تهن، ولم تنكل، ولم تنقلب، ولم تغتير، ولم تبدّل، ولم تحد عن منهجه، ولم تتجاوز خطاه، ظلّت مستقيمه على مبادئها، وفيه لقيمها، حتّى غدت أمّه رساليه، فحملت أعباءً عظيمه، ومخاطر جسيمه.

والأنصار هؤلاء: (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)، (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ).

وروى عن رسول الله (ص): «لولا الهجرة لكنّ امرأ من الأنصار»؛ وهذا الصحابيّ الجليل واحد منهم.

فهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبه بن عبد بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النّجار بن ثعلبه بن الخزرج، المعروف ب: «أبو أيّوب الأنصارى الخزرجى المالكى»

من أشراف الأنصار وساداتهم؛ صحابى جليل آخى رسول الله (ص) بينه وبين مصعب بن عمير.

مضيف رسول الله (ص)، بهذا عرف هذا الصحابى الجليل، فقد أكرمه الله تعالى بكرامه أعلت فى الدنيا قدره، حين اختار بيته من دون البيوت؛ ليحلّ فيه رسول الله (ص) حين هاجر

من مكّه، ورحل (ص) من قباء إلى المدينة، فبعد أن اقتربت قافلته (ص) من تخوم هذه البلده الطيبه، وطأت قدماه الشريفتان أرض المدينة مهاجراً، وراحت تحييه بدءاً بسعيفات نخلها التي استقبلته بظلالها الوارفه، ومروراً بقلوب أهلها التي راحت هي الأخرى تستقبله بأفضل ما يتلقّى به مقبلاً، وتطلّعت عيونهم إليه، وفتحت له أفئدتهم... وانتهاءً ببيوتها التي أشرعت أبوابها.. وحسب هذا الأنصاري بذلك فخراً وشرفاً وكرامه.

دعوها إنّها مأموره!

فقد راح رسول الله (ص) يصوّب ناظريه إلى حيث المكان الذي عينته السماء لتبليغ دعوتها، وحمل رسالتها إلى الناس كافّه... فشدّ (ص) رحاله عبر صحراء محرقة ملتهبه، ورياح مغبره تلفح وجهه الشريف... وعبر هضاب صعبه وصخور صمّاء ووديان جافّه... حتّى اقتربت قافلته (ص) من تخوم يثرب... إنّها معاناه شاقّه وتعب مرير..

علت وجهه المبارك ابتسامه، وهو يلمح معالم هذه البلده الطيبه، وسرعان ما ينظر خلفه، حيث مدينته التي ولد ونشأ بين هضابها وجبالها ولصق بها، وتعلّق قلبه بحبّها، يودّعها بدموع منهمره وفؤاد حزين...

هاهى يثرب، وها هو النور قد قدم، وها هى الجموع عند ثنيات الوداع، وقد أحاطت برسول الله (ص) من كلّ جانب، يتسابقون للترحيب به، ولخدمته وضيافته؛ كم هى أمنيّه عظيمه عاشت فى نفوسهم جميعاً، صغيراً وكبيراً، أن يحلّ هذا المهاجر الكريم بين ظهرانيهم؟! ومن هو صاحب الحظّ الأوفر الذى ادّخرته السماء، ليضع رسول الرحمه رحله عنده؟!!

راحت أصواتهم تعلقو، وأهازيجهم تملأ ذلك المكان، وقد فتحت له قلوبهم وتطلّعت له عيونهم؛ وراح كلّ واحد منهم يهلك نفسه أمنيّه وحسره، ليتشرف بضيافه رسول الله (ص) وهم يعترضون ناقته، آخذين بزمامها.

نحن بنو سالم... أقم عندنا فى العدد والعدّه والمنعه.. نحن بنو بياضه،... هلمّ إلينا، إلى العدد والعدّه والمنعه،... نحن بنو ساعده... نحن بنو الحارث... نحن بنو النجار...

اغمرنا بالسعادة يا رسول الله، انزل فدورنا لك عامره، حتى راحت دموعهم تنهمر توسلاً به (ص) وخوفاً من أن لا يلتي طلبهم.

لم تفارق محيياًه (ص) ابتسامه الشكر لهم والثناء عليهم، ولم يزد على قوله لهم: «خلوا سبيلها، فإنها مأموره» أي الأمر ليس بيدي إنه بيد السماء، فقد أمرت هذه الناقه بشيء وهي منقادته إليه، وها هو زمامها مرسلًا، فخلوا سبيلها، وما زالت عيونهم تلاحقها وقلوبهم تحفّ بها.

رمق (ص) السماء بطرفه: «اللهم خِر لي، واختر لي».

كان أبو أيوب الأنصاري أحدهم، وقد ابتلت لحيته بدموع الأمل والفرح، وراحت نفسه تتوق إلى أن تكون صاحبه تلك الضيافة وتلك الحظوة، حقاً لا ينالها إلا ذو حظّ عظيم.

لقد بركت الناقه في أرضه.. لكنّها نهضت ثمّ عادت ورسول الله (ص) يرخي لها زمامها، لا- يثنيها به.. وبركت بجوار بيته واستقرت... فنزل رسول الله (ص) عنها وقد ملئت أسارير وجهه بشراً وسروراً.

وخطى نحوه صاحب الحظّ الأوفر والسعادة العظمى، أبو أيوب وقد علا وجهه الفرح والغبطه، إنّه الرجل إذن أحمله، وراح يحمل رحله، وكأنّه يحمل كنوز الدنيا وما فيها، واتجه به إلى بيته، وسمع رسول الله (ص) يقول للناس وهم يدعونه إلى منازلهم: «المرء مع رحله» فراحت العيون تغبط أبا أيوب على هذا النصيب الوافر والحظّ الوافي.

مع روايه الطبري

إنّ رسول الله (ص) ركب ناقته وأرخى لها الزمام، فجعلت لا تمرّ بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم، وقالوا له: هلّم يا رسول الله إلى العدد والعدّه والمنعه، فيقول لهم (ص): «خلوا زمامها فإنها مأموره» حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، فبركت على باب مسجده، وهو يؤمئذ مربدٌ لغلّامين يتيمين من بني النجار في حجر معاذ بن عفراء، يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ابنا عمرو ابن عباد بن ثعلبه بن غنم بن مالك بن النجار، فلما بركت لم ينزل عنها رسول الله (ص)، ثمّ وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله (ص) واضح

لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها، ثم رجعت إلى مبركها أول مره، فبركت فيه ووضعت جرائنها، ونزل عنها رسول الله (ص)، فاحتمل أبو أيوب رحله، فوضعه في بيته، فدعته الأنصار إلى النزول عليهم، فقال رسول الله (ص): «المرء مع رحله».

فنزول على أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب في بني غنم بن النجار، وسأل رسول الله (ص) عن المرشد لمن هو؟ فأخبره معاذ بن عفراء، وقال: هو ليتيمين لي، سأرضيهما.

فأمر به رسول الله (ص) أن يبني مسجداً، ونزل على أبي أيوب، حتى بنى مسجده ومساعنه، وقيل: إن رسول الله (ص) اشترى موضع مسجده ثم بناه.

وقد أعقب هذه الروايه بما قاله أنس بن مالك: كان موضع مسجد النبي (ص) لبني النجار، وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهليته، فقال لهم رسول الله (ص): ثامنوني به، فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلا ما عند الله.

فأمر رسول الله (ص) بالنخل فقطع، وبالحرث فأفسد، وبالقبور فنبشت، وتولى بناء مسجده (ص) هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار. (١)

فقد شاءت السماء أن يكون جوار مبرك هذه الناقه مسجداً عظيماً، ثاني الحرمين الآمنين بعد مكه المباركه، ومدرسه للقرآن وعلومه، وموضعاً يحكم فيه بين العباد، وترسم فيه مناهج السياسه وخطط الحرب، إنه بقعه مباركه طالما كانت مكاناً آمناً وملتقى عظيماً تهفو إليه قلوب المؤمنين، يتحلقون حول رسول الله (ص) يبلغهم ما توحيه السماء من آيات مباركه وأحكام تنظيم حياتهم، ويملاً قلوبهم إيماناً ويثبت أقدامهم، ويلبى حوائجهم، ويجب عن أسئلتهم، ويقضى بينهم، حتى غدا هذا المكان من المقدسات الكبرى، يؤمه الملايين من المسلمين والمؤمنين، يأتونه من كل بقاع الدنيا، ترفع فيه الدعوات، ويبتهل فيه إلى العلى القدير، وتذكرهم أجواؤه بتلك الوجوه الطاهره أنصاراً ومهاجرين، وهم يضعون أسسه، ويرفعون بناءه.

وأن يكون ضريحاً يضم الجسد الطاهر لخاتم النبيين (ص) وأن ترد في فضله الروايات

والأحاديث لتبين فضله وعلو مكانه.

لقد كان بيت الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي مكث فيه رسول الله (ص) شهراً قبل ابتناؤه المسجد مؤلفاً من طبقتين؛ طبقه سفلى فوقه علّيه، آثر رسول الله (ص) أن ينزل الطبقه السفلى منه، ليبقى الآخر لأبي أيوب وأهله.

لمّا حلّ الليل، وقد آوى نبيّ الرحمة (ص) إلى فراشه، صعد أبو أيوب وزوجته إلى حيث فراشهما في الطبقه الثانيه، فانتبه أبو أيوب إلى عمله واستنكر فعلته قائلاً لزوجته:

ويحك، ماذا صنعنا؟!

أ يكون رسول الله (ص) أسفل، ونحن أعلى منه؟!

أنحشى فوق رسول الله (ص)؟!

أنصير بين النبيّ والوحي؟! إنّنا إذن لهالكون، ولم تسكن نفساهما بعض السكون إلّا حين انحازا إلى جانب العليه الذي لا يقع فوق رسول الله (ص)! والتزمه لا يبرحانه ماشيين على الأطراف متباعدين عن الوسط.

فلما أصبح أبو أيوب قال للنبيّ (ص): والله ما أغمض لنا جفنٌ في هذه الليله لا أنا ولا أمّ أيوب.

فقال عليه الصلاه والسلام:

وممّ ذاك يا أبا أيوب؟!

قال: ذكرتُ أنّى على ظهر بيت أنت تحته، وأنّى إذا تحرّكت تناثر عليك الغبار فأذاك، ثمّ إنّي غدوت بينك وبين الوحي.

فقال له الرسول (ص):

هوّن عليك يا أبا أيوب، إنّهُ أرفق بنا أن نكون في السّفلى، لكثره من يغشانا من الناس.

قال أبو أيوب:

فامتثلت لأمر رسول الله (ص) إلى أن كانت ليله بارده، فانكسرت لنا جرّة وأريق ماؤها في العُلّيه، فقمّت إلى الماء أنا وأمّ أيوب، وليس لدينا إلّا قطيفه كُنّا نتخذها لحافاً، وجعلنا

ننشف بها الماء خوفاً من أن يصل إلى رسول الله (ص).

فلَمَّا كان الصباح غدوت على الرسول صلوات الله عليه وقلت: بأبي أنت وأُمِّي، إنِّي أكره أن أكون فوقك، وأن تكون أسفل مِنِّي، ثم قصصت عليه خبر الجزه، فاستجاب لي، وصعد إلى العُلِّيِّه، ونزلت أنا وأُمُّ أُيُوب إلى السُّفْلِ.

إنَّه لقاء عظيم مبارك لأبي أُيُوب برسول الرحمة، وهو اللقاء الثاني، بعد أن كان واحداً من ثلاثه وسبعين رجلاً، وكانت معهم امرأتان، وهم الذين بايعوا رسول الله (ص) ببيعة العقبه الثانيه، فقد قويت بهم شوكة الإسلام والمسلمين، وكانوا بها للمهاجرين إخواناً، وداراً يأوون إليها، ويأمنون بها، وكانت هذه المصافحه الثانيه ليد رسول الله (ص)، الأولى كان فيها مبايعاً مؤمناً، والثانيه مبايعاً مضيقاً.

من رواياته

قال: قلتُ يارسول الله، ما هذه الأربع ركعات التي تصلِّيها عند الزوال؟ قال: «هذه الساعه تفتح فيها أبواب السماء فلا ترتج حتى تصلِّي الظهر، فأحبُّ أن أقدم خيراً».(١)

وعنه أيضاً أن رسول الله (ص) قال: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن.(٢)

وله أيضاً أن رسول الله (ص) قال: «لا تهاجروا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، هجره المؤمن ثلاث، فإن تكلموا وإلا أعرض الله عنهما حتى يتكلموا».(٣)

وعنه أيضاً أن رسول الله (ص) قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ليلته بثلاث القرآن؟».

فأشفقنا أن يأمرنا بأمر نعجز عنه، قال: فسكتنا. فقال ثلاث مرّات: «أن يقرأ بثلاث القرآن فإنه من قرأ الله الواحد الصمد، فقد قرأ ليلته ثلث القرآن».(٤)

١- حليه الأولياء ١٠: ٢١٨.

٢- المصدر نفسه ٧: ٧٣٤.

٣- المصدر نفسه ٧: ٩٥.

٤- المصدر نفسه ١: ١١٧.

ومما رواه أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله (ص) فقال: دلّني على عمل أعمله يدنيني من الجنّة، ويباعدني من النار، قال (ص): «تعبد الله، لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصلّ ذا رحمك».

قال: فأدبر الرجل.

فقال رسول الله (ص): «إن تمسّك بما أمر به دخل الجنّة».(١)

وله أيضاً: قال رسول الله (ص): «من أخلص لله تعالى أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه».(٢)

ومن حكمه (ص): «من أراد أن يكثر علمه، وأن يعظم حلمه، فليجالس غير عشيرته».

مكانته

كان أبو أيوب من الواعين للحاله التي انتابت المجتمع الإسلامي أيام الخلافة الثالثة، وما دبّ في هذه الأمة من فساد وانحراف، فبادر هو وجمع من الصحابه لعلّي (ع) قائلين له: إنّ هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما صنع عثمان، وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة، فأبسط يدك نبايعك، تصلح من أمر الأمة ما قد فسد.

ولمّا وقع حصار بيت عثمان من قبل الثوّار الذين راحوا يحيطون ببيته من كلّ جانب، بعد أن يسوا من تلبيه الخليفة لمطالبهم التي وعدهم بها مراراً ولم يف، فلم يقصد غيره لإمامه صلاه الجماعة في مسجد رسول الله (ص)، فجاء مؤذّن المسجد يومذاك سعد القرظ إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع) في ذلك اليوم، فقال: مَنْ يصلّي بالناس؟

فقال عليّ (ع): نادِ خالد بن زيد.

فنادى خالد بن زيد، فصلّى بالناس.

وهنا يقول الطبري في تاريخه: فإنّه لأوّل يوم عرف أنّ أبا أيوب خالد بن زيد.

١- حليه الأولياء ٤: ٣٧٤.

٢- المصدر نفسه ٥: ١٨٩.

فكان يصلّي بهم أياماً، ثم صلّى عليّ (ع) بعد ذلك بالناس. (١)

وشبهه بهذا ما حدّث به عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر، قال: لَمَّا حُصِرَ عثمان صلّى بالناس أبو أيّوب أياماً، ثم صلّى بهم عليّ (ع) الجمعة والعيد. (٢)

وهذا الأمر يدلّنا على أنّ لأبي أيّوب مكانه مرموقه في قلوب الناس، وله منزله رفيعه عند الإمام عليّ (ع) فاختره دون الآخرين ليؤمّ المسلمين.

وكان ابن عباس يجله كثيراً، ويحفظ له موقفه من رسول الله (ص) فقد قدّم أبو أيّوب البصره، فنزل على ابن عباس وكان الأخير والياً عليها، ففرغ له بيته، وقال له: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله (ص) ثم قال له: كم عليك من الدين؟

قال: عشرون ألفاً.

فأعطاه أربعين ألفاً وعشرين مملوكاً، ثم قال له:

لك ما في البيت كلّه.

موقفه من معاويه

بعد معارك الإسلام الكبرى شارك أبو أيّوب الأنصاري في معارك أخرى خاضها الإمام عليّ (ع) ومنها معركة صفين، فقد كان إلى جوار الإمام عليّ (ع) ضدّ معاويه وجنده.

سئل أبو أيّوب يوماً: يا أبا أيّوب قد أكرمك الله بصحبه نبيّه ٩ ونزوله عليك، فما لى أراك تستقبل الناس تقاطلهم، تستقبل هؤلاء مرّةً وهؤلاء مرّةً؟

فقال: إنّ رسول الله (ص) عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين، فقد قاتلناهم؛ وعهد إلينا أن نقاتل مع عليّ القاسطين، فهذا وجهنا إليهم، يعنى معاويه وأصحابه؛ وعهد إلينا أن نقاتل مع عليّ المارقين، فلم أرهم بعد. (٣)

١- تاريخ الطبرى ٢: ٦٩٤.

٢- المصدر نفسه.

٣- مختصر تاريخ دمشق ٧: ٣٤٠.

وحيثما أراد الإمام (ع) الرجوع إلى صفين لحرب معاوية ثانياً، كان أبو أيوب قائداً من قيادات الجيش، فقد عقد الإمام (ع) لابنه الحسين (ع) في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخرى، وهو ينادى بأعلى صوته:

«الجهاد الجهاد عباد الله! ألا وإنني معسكر في يومى هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج!».

إلا أن الغدر المتمثل بضربه ابن ملجم قد حال بينه وبين مراده، وكما يقول أحد أصحابه بعد استشهاده٧: ... فكنا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان. (١)

ولمّا وجد معاوية أن أبا أيوب الأنصارى أشدّ الأنصار عليه، وأن له دوراً مهماً، ومكانه رفيعه عند عليّ (ع) راح يرأسه، فلعله يستميله بعض الشيء، ولا أقلّ يزرع الشكّ في مولاته للإمام عليّ (ع) وفي تشويه مواقفه، فكتب إليه كتاباً، وكان سطرّاً واحداً:

عن الأعمش وهو أحد أعلام كتاب صفين أنه قال:

كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصارى، صاحب منزل رسول الله (ص) وكان سعيداً معظماً من سادات الأنصار، وكان من شيعه عليّ (ع) كتاباً... قال فيه: لا تنسى شيئا أبا عذرتها، ولا قاتل بكرها، أو أمّا بعد، فإنني ناسيتك ما لا تنسى الشياء.

فلما قرأ أبو أيوب كتابه المختصر هذا، لم يدر ما هو، فأتى به عليّاً٧ وقال: يا أمير المؤمنين، إن معاوية ابن آكله الأكباد، وكهف المنافقين، كتب إليّ بكتاب لا أدري ما هو، فقال له عليّ (ع): وأين الكتاب؟ فدفعه إليه فقرأه وقال: نعم، هذا مثلّ ضربه لك، يقول: ما أنس الذي لا تنسى الشياء، لا تنسى أبا عذرتها؛ والشياء: المرأه البكر ليله افتضاضها، ولا تنسى بعلها الذي افترعها أبداً، ولا تنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها أو لا تنسى ثكل ابنها، وكذلك لا أنسى أنا قاتل عثمان. (٢)

١- أنظر نهج البلاغه، لصبحى الصالح: ٢٦٤.

٢- وقعه صفين: ٣٦٦؛ والإمامه والسياسه: ١٦٩ ١٧٠.

فكتب إليه أبوأيوب: إنّه لا تنسى الشيباء ثكل ولدها، وضربتها مثلاً لقتل عثمان، فما نحن وقتله عثمان؟ إنّ الذي ترّبّص بعثمان، وثبط أهل الشام عن نصرته لأنّ، وإنّ الذين قتلوه غير الأنصار، والسلام.

دوره في فتنه الخوارج

وكان لأبي أيّوب الأنصاري دوره المتميّز في الحوار مع الخوارج، وإقناع شريحه واسعه منهم، بأن يعتزلوا الحرب قبل وقوعها، أو تحييد جمع منهم وإبعادهم عن قتال مرير أطاح بمن لم يزد نداء الخير والحقّ إلاّ عناداً ونفوراً، فقد خرج إليهم الإمام عليّ (ع) وقد عبأ الناس لقتالهم بعد أن سفكوا الدم الحرام، فجعل عليّ ميمنه جيشه حُجر بن عدى، وعليّ ميسرته شبت بن ربيعي، وعليّ روايه معقل بن قيس الرياحي، وعليّ الرجاله أبا قتاده الأنصاري، وعليّ أهل المدينه وهم سبعمائه أو ثمانمائه رجل، قيس بن سعد بن عباده الأنصاري؛ فيما راح الصحابي الجليل أبوأيوب الأنصاري يقف على الخياله. (١)

وعبأت الخوارج مقاتليها، فجعلوا عليّ ميمنتهم زيد بن حصين الطائي، وعليّ الميسره شريح بن أوفى العبسي، وعليّ خيلهم حمزه بن سنان الأسدي، وعليّ الرجاله حرقوص بن زهير السعدي.

بعد هذا الحشد الكبير للفريقين، واستعدادهم للقتال، وبعد نداءات ومواعظ الإمام عليّ (ع) المتكرّره، رفع الإمام (ع) أخيراً رايه أمان، وكان إلى جواره أبوأيوب الأنصاري، الذي راح يناديهم بأعلى صوته بعد أن أذن له الإمام (ع) قائلاً: مَنْ جاء هذه الرايه منكم ممّن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفه أو إلى المدائن، وخرج من هذه الجماعه فهو آمن؛ إنّه لا حاجه لنا بعد أن نصيب قتله إخواننا منكم في سفك دمائكم.

وعلى إثر خطابه رضوان الله عليه، قال فروه بن نوفل الأشجعي وهو من كبار

١- الطبري؛ وأنظر الإمامه والسياسه ١: ١٦٩.

الخوارج: والله ما أدري على أى شىء نقاتل علينا! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لى بصيرتى فى قتاله أو أتباعه، وأنصرف فى خمسمائه فارس حتى نزل البندنجين والدسكره.

وخرجت طائفه أخرى متفرقين فنزلت الكوفه، وخرج إلى على منهم نحو من مائه، وبقى منهم ألفان وثمانمائه خرجوا زاحفين على جيش الإمام على (ع) بقياده صاحبهم عبدالله بن وهب، فاستقبلت المراميه وجوهم بالنبل، وعطفت عليهم الخياله بقياده أبى أيوب الأنصارى من الميمنه والميسره، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم. (١)

ولمّا أراد الإمام على (ع) الانصراف من معركة النهروان والتي انتهت بانتصار عظيم له، وهزيمه ساحقه للخوارج، وقف خطيباً مرتين، ومما قاله فى خطبته الأولى، بعد أن حمد الله تعالى:

«أما بعد، فإنّ الله قد أحسن بلاءكم، وأعزّ نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى معاويه وأشياعه القاسطين، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون».

فكان جوابهم أن قالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا، وكلت أذرعنا، وتقطعت سيوفنا، ونصلت أسنّه رماحنا، فارجع بنا نحسن عدّتنا.

إلاّ أنّهم ما إن أقبل بهم الإمام (ع) ونزل بهم معسكر النخيله حتى راحوا يتسلّلون ويدخلون الكوفه حتى تركوا علينا وما معه إلاّ نفر يسير.

ثم ارتقى المنبر ثانيه واستحثّهم واستنهضهم مرّه أخرى لقتال عدوّهم معاويه، فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه:

«أيّها الناس، استعدّوا للمسير إلى عدوّ فى جهاده القربه إلى الله، ودرك الوسيله عنده، فأعدّوا ما استطعتم من قوّه ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله وكفى به وكيلاً».

ولم يجد فيهم العزم على ذلك، فقال لهم: عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا فى

سبيل الله (ثَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ)،^(١) وبعدها انتهى الإمام من خطبته، قام أبو أيوب الأنصاري خطيباً فقال:

إِنَّ أمير المؤمنين أكرمهُ الله قد أسمع من كانت له أذنٌ واعية، وقلبٌ حفيظ، إِنَّ الله قد أكرمكم به كرامه ما قبلتموها حقَّ قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عمِّ رسول الله (ص)، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده، يفقهكم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فوالله لكأنكم صمُّ لا تسمعون، وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيون.

عباد الله، أليس إنَّما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، وشاع في الإسلام، فذو حقٍّ محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، وملقى بالعراء، فلمَّيا جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحقِّ، ونشر بالعدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمه الله عليكم، ولا- تتولَّوا مجرمين، ولا- تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، اشحذوا السيوف، وجدّدوا آله الحرب، واستعدّوا للجهاد، فإذا دُعيتم فأجيبوا، وإذا أمرتم فأطيعوا، تكونوا بذلك من الصادقين.^(٢)

مواقف أخرى

كان هذا الصحابي مؤمناً تقياً مجاهداً واعياً يبحث عن الحقِّ، ويتحرّاه في كلّ نواحي حياته، في قوله وفعله، ويقف بقوّه مدافعاً عن الحقِّ والعدل، فتراه واحداً من شيعه عليّ (ع) حينما رأى أنّ عليّاً مع الحقِّ والحقّ مع عليّ، مبتغياً رضا الله تعالى الذي نذر له حياته، وفي عبادته تراه ذلك الرجل الذي إن صلّى كانت صلاته صلاه مودّع، وإن تكلم فلا يتكلّم بما يضطرّه للاعتذار، وإن تعامل مع إخوانه كان اليأس شعاره ممّا في أيديهم، فقد كانت القناعه ديدنه وسلوكه المتميّز، فهو بين عابد مودّع قتله الشوق لمولاه، وبين عازف إلا من رحمه الله تعالى، وبين مقاتل ملأت قلبه الرحمه حتّى على أعدائه الذين هم أعداء الدين والحقِّ، فتراه

١- التوبه: ٣٨.

٢- الإمامه والسياسه ١: ١٦٩ ١٧٣.

يوعظهم ويناديهم بلسان عطوف قبل أن يهزّ رمحه ويتنشل سيفه، ليجد له موقعه في أعداء الله.

ولا ريب في ذلك، وقد راح ينتهل من معين النبوة الصافي، ومن صحبه رسول الله (ص) كان يستمع لنبى الرحمة ٩ ويعى ما يسمع، قال له: «إذا صلّيت فصلّ صلاة مودّع، ولا تكلمن بكلام، تعتذر منه.. والزم اليأس ممّا فى أيدي الناس».

هذا فى عبادته، وأمّا فى شجاعته فقد كان شعاره رضوان الله عليه: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا)، فلم يتخلف عنه، فى بدر وأحد والخندق، وفى كلّ المعارك والمشاهد التى خاضها، والتى كان لها دور واضح فى معالم حياته، فقد ملأت عليه كلّ وجوده، ولم تترك له وقتاً يبعد به عن الأسنّه والرماح، أو يأخذ قسطاً من الراحة بين أحبّته ولمشاغله الخاصّه.

كانت حياته رضوان الله عليه همّاً متواصلاً للإسلام ولدعوته المباركه، يترقّع عن الفتن الصغيره، والمطامع الزائفه، محلّقاً بناظريه إلى حيث الهدف الأعلى الذى يرضى الله ورسوله.

لقد وهب أبوأيوب الأنصارى حياته، وماله، وحشاشه قلبه للجهاد فى سبيل إعلاء كلمه الإسلام، ولا يهتمّ من يكون على رأس قياده الجيش، وشعاره (ما علىّ من استعمل علىّ)، ما دام الهدف هو الإسلام ودعوته، فكان مع مكانته العاليه لا يريد أن يعيش إلاّ جندياً تحت رايه لا إله إلاّ الله، وأن يعيش مأموماً لا إماماً لهذا تراه لا يبغى عنواناً بقدر ما يأمل أن ينال الشهاده فى سبيله تعالى، وأن يرزقه الله خير الدنيا وخير الآخره، فراحت بطولاته تتجلى فى كلّ معارك الإسلام الكبرى التى خاضها جندياً مخلصاً، وفدائياً متفانياً، وحسبه فخراً أنّه مع شدّه تواضعه نال حظوه تلو أخرى منذ أن آمن، وحتىّ أثخن بالجراح وهو مقاتل عنيد تحت رايه الإسلام، وصدق من قال: ما زال أبوأيوب شاخصاً فى سبيل الله حتىّ دفن بأرض الروم.

نعم، كان أبوأيوب فى كلّ معاركه يلقى بنفسه فى لهواتها لا يابه بعدّه ولا عدد، ويدافع عن كلّ من يسير بسيرته هذه، ويتهالك فى الفداء واقتحام حشود أعدائه.

تقول الروايه: كُنّا بمدينه الروم، فأخرجوا إلينا جمعاً عظيماً من الروم، وخرج إليهم مثله أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبه بن عامر صاحب رسول الله (ص) فحمل رجل من المسلمين على

صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح به الناس وقالوا: سبحان الله، يلقى بيده إلى التهلكه.

وهنا خشى أبو أيوب من أن يسرى هذا التأويل للآيه فيتبط عزائم قومه وجند الإسلام، فقام وسط الجند وقال:

أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآيه على هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآيه فينا معاشر الأنصار، إنا لما أعز الله الإسلام وكثر نصره، قلنا بعضنا لبعض سرّاً من رسول الله (ص): إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر نصره، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله عز وجل على نبيه ٩ يرد علينا ما قلنا أو ما هممنا به: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). (١)

فكانت التهلكه الإقامه في أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو.

ثم تقول الروايه:

وما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. (٢)

في وصيه له وهو جندي مقاتل في أرض الروم:

إذهبوا بجثمانى بعيداً بعيداً في أرض الروم، ثم ادفنوني هناك؛ (ما عليّ من استعمل عليّ) شعاره هذا.

كان هذا وهو يرى جموع المسلمين يصوبون أنظارهم إلى حيث القسطنطينيه، وراح يحدث نفسه: إنها الشهاده التي طالما حدثت بها نفسى ولم أوفق لها.. امتطى جواده، وامتشق سيفه.. وعلاه رمحه.. وراح يصول ويجول مقاتلاً عنيداً يردد كلمه «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» حتى أثنى بالجراح.

تقدّم أحدهم نحوه، وقد وجده يصارع سكرات الموت في ساحه الوغى، لا بد أن تكون له حاجه.

هل لك يا أبا أيوب من حاجه؟

١- سورة البقره: ١٩٥.

٢- مختصر تاريخ دمشق ٧: ٣٤١؛ أسباب النزول للواحدى: ٦٠.

«إذهبوا بجثمانى بعيداً بعيداً فى أرض الروم ثم ادفنوني هناك».

إنه اليقين بالفتح والنصر، وكأنه يريد أن يقول: إنى أريد مواصلة القتال بروحى، وأريد أن أواكب أعلام النصر الخفّاقه، وصهيل خيولكم، ووقع أقدامكم، وصلصلة سيوفكم.. لا أريد أن أكون بعيداً عن أجواء المعركة وغبارها، ولا أريد أن تتنى الجراح عن خوض غمارها حتى النصر.

فى وسط تلك المدينة (القسطنطينيه) اسطنبول فى تركيا اليوم، مدينة الألف مسجد المليئه بالأذان الذى يشقُّ أذنى أبى أيوب فى كلِّ حين.. وهو يرّد:

(هذا ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ).

رقد جثمان ذلك الفارس العنيد الذى كانت الشهاده أمنيته، منذ أوّل لحظه التقى بها برسول الرحمه، فكان مضيّفه فى الدنيا لينزل عند رسول الله (ص) فى الدار الآخره ضيفاً عزيزاً كريماً، كما نزل عنده رسول الله ضيفاً عظيماً.

وظلّ هذا الجثمان وهذا المرقد مزاراً حتى للروم أنفسهم، الذين راحوا يتعاهدون قبره، ويرمّمونه، ويزورونه، ويستسقون به إذا قحطوا.

كانت وفاته رضوان الله عليه بالقسطنطينيه سنه خمس وخمسين، وقيل: فى سنه اثنتين وخمسين، وقيل: سنه خمسين، تقول الروايه: لم يزل أبوأيوب مجاهداً فى سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينيه.

ولما توفى دفن مع سور المدينة وبني عليه، فلما أصبحوا أشرف عليهم الروم فقالوا: يا معشر العرب، قد كان لكم الليله شأن.

فقالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا... وقد أوصى بهذا لئلا يكون أحد من المجاهدين ومن مات فى سبيل الله أقرب إليكم منه.

ولما عرف الروم مكانه هذا المجاهد، تعهدوا قبره وبنوا عليه قبه بيضاء، وأسرجوا عليه قنديلاً، وإذا أمحلوا كشفوا عن قبره فأمطروا. (١)

وكانت وصيته الأخيره رضوان الله عليه:

إذا متُّ فاحملوني، فإذا صاففتم العدو، فادفوني عند أقدامكم... وسأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله (ص) لولا حالي هذه ما حدثتكموه، سمعتُ رسول الله (ص) يقول:

«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

(١٢) خُتَابُ بِنِ الْأَرْتِّ

إِشَارَةٌ

من

(الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

حسن محمّد

الحديث عن مدرسه رسول الله (ص) الأولى لا ينتهى ولا يقف عند حدّ، فما إن نختم الكلام عن تلميذ من تلامذتها، وشخصيه من شخصياتها، وعظيم من عظمائها، وشهيد من شهدائها.. حتّى يجزّنا الحديث أو يبدأ عن آخر هو فى العظمه لا- يقلّ عن صاحبه، وفى التضحيه والإيثار لا يكون أدنى منه.. وفى صدق الإيمان وعمقه لا أظنه إلا مساوياً له أو قد سما عنه، فهم يتبارون بإيمانهم، ويتسابقون لنيل أرقى مراتبه ودرجاته فى الدنيا وفى الآخره.

إنّها مدرسه عظيمه ذات آفاق واسعه، وجذور عميقه ثابتة، فهى شجره أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كلّ حين؛ لأنّ صانعها ومؤسّسها عظيم، راحت يداه

المباركتان تمدّانها بقوّه، وراح قلبه الحانى يخصّيهما بحنانه وشفقتة، وراح علمه يُصبّ عليها، ولا ينضب له نبّع، ولا يضوى له طلع، إنّه ماء موصل وطلع نضيد..

وها نحن الآن أمام شخصيه من شخصيات هذه المدرسه النبويه المحمّديه الأصيله، أمام صحابى جليل انتشله الإسلام من واقع مرير، قنّ ضعيف وعبد ذليل، فإذا هو فارس مُهاب، ومقاتل شجاع، يحسب له أعداؤه ألف حساب... فكان عظيماً من عظماء الإسلام.. من فرسان الجهاد فى سبيله تعالى، يدعو إلى الحق لا لغيره، ويدعو إلى العدل لا لسواه، ويدعو للإسلام الحنيف لا لدين غيره وكيف يدعو لغيره، وهو يعلم أنه: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ). (١) إنّه قومه فى المبادئ والقيم، وفى الصدق والإخلاص، حتّى نال حظوه كبيره عند رسول الله (ص) وعند المسلمين ومن قبلهم عند الله تعالى.

وَنِعَمَ مَا قَالَ عَنْهُ إِمَامُ الْمُؤَحِّدِينَ عَلِيٌّ (ع): «رَحِمَ اللَّهُ خُبَابًا! أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَجَاهَدَ طَائِعًا، وَعَاشَ زَاهِدًا، وَابْتَلَى فِي جِسْمِهِ فَصْبِرَ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا». (٢)

لقد كان سلاحه اليقين والتقوى، قلبٌ مملوء بهما، وكفّ صلبه تمسك سيفاً أبى صاحبه أن يضعه مادام الإسلام بحاجة إليه، لم يفتأ هذا السيف يطارد الكفر والشرك والطغيان، فقد شهد مشاهد رسول الله (ص) كلّها، تراه فى بدر يعلو هامات الأعداء، وتراه فى أحد هو الآخر يمزق جموعهم، وتراه فى معارك الإسلام الأخرى فارساً جوّالاً بين الصفوف، لا يهاب عدوّاً ولا يخاف باطلاً.

كان هذا الصحابى الجليل من أولئك الأوائل الذين حظوا بأن يكونوا قاعده الانطلاق الأولى للإسلام، والنخبه الصالحه له، بعد أن آمنت به دعوه، وجاهدت فى سبيله صادقاً، يوم لم تكن هناك مطامع دنيويه ييغونها، ويوم لم تكن هناك منافع شخصيه يحوزونها، بل عذاب مستمرّ، وصبر دائم، وجهاد متواصل ضد المشركين، الذين راحوا يكيدون لهم الكيد

١- سورة النحل: ٤٢.

٢- أنظر العقد الفريد، لابن عبد ربه ٣: ٢٠١.

كله، ويزوقونهم أنواع العذاب.

لقد آمنت هذه الطليعه إيماناً خالصاً وأحبت رسول الله (ص) حباً صادقاً، وسعت في الدفاع عنه يوم كان وحيداً لا يقف معه إلا نخبه صالحه من عشيرته وعدد قليل من أصحابه، لا يشوبهم شك فيه ولا ينتابهم ريب في دعوته وصدقه؛ لقد ادرعت هذه العصابه بالإيمان، والإيمان وحده لتقاوم ما صبّ عليها من بلاء، وما نالته من أذى وعذاب، خاصه هؤلاء الذين هم ضعاف المجتمع الحجازى يومذاك، العبيد، طبقه سخّرت لمصالح اقتصاديه وتجاريه وخدميه، قام على أكتافها المجتمع المكي، خدّمته بأقل الأثمان، رغيف خبز لا غير، ووضع ذليل، وسخريه تنصبّ عليهم من أسيادهم، وسيط تنهال على ضلوعهم وظهورهم.

لقد كان خباب واحداً من أولئك الذين وصفهم المشركون الطغاه بأنهم «الأرذلون»، وراحت هذه التسميه يطلقونها عليهم، ويعيرونهم بها، حتى بعد أن أعلن هؤلاء الزعماء المشركون إسلامهم، بقيت في نفوسهم وعلى ألسنتهم، بغض قديم، وسخريه متأصله لم يتخلّوا عنها، حتى بعد إعلانهم الشهادتين.

لفظه ليست جديده، إنّها قديمه قدم دعوه التوحيد، وقد رافقت أكثر من آمن بدعوه نوح وهود وصالح وإبراهيم... (أ تُوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ). (١) (وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادْيِ الرَّأْيِ). (٢) إنّهُ استعلاء، بل طغيان اتصف به هؤلاء الذين أرادوا علواً في الأرض وأرادوا فيها فساداً، يسمّون أنفسهم أشراف القوم، أو ساداتهم، وزعماءهم!

إنّها الجاهليه العمياء التي لا ترى لأصحاب الدعوات الصالحه أى فضل وأى كرامه، ما دام الذين سبقوا إليها هم من ضعاف الناس، وأقلهم مالاً وسلطاناً.

كيف يؤمن طغاه قريش برسالة محمد ٩ وقد سبقهم إليها عمّار، وأبوه ياسر، وأمه سميه، وخباب،...؟!

لقد أدرك خباب الفرق بين الحريه والعبوديه، فنأى عن الثانيه مصوباً وجهه نحو الأولى،

١- الشعراء: ١١١.

٢- هود: ٢٧.

وكان يعلم الثمن الباهظ الذى سيدفعه فداءً لعمله هذا، يعلم أنّ الثمن قد يكون حياته، لكنّه رأى أنّ الموت بعزٍّ خيرٌ من الحياه بذلّ، الموت مؤمناً أفضل من الموت كافراً، الموت قوياً أجمل من أن يموت ضعيفاً.

لقد أدرك خيِّاب البون الشاسع بين الحقّ والباطل: (...بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ). (١) فنبد الباطل، وأعرض عنه، والتحق بصفوف الحقّ متجاوزاً ما ستركه فعله هذا عليه من عذاب واضطهاد وتشريد.

لقد أدرك خيِّاب طعم العلم وذلّ الجهل، فأدار بوجهه بعيداً عن جاهليه عمياء نحو (نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ...). (٢) لهذا فقد خلد خيِّاب واخوانه، وخلد ظالموهم أيضاً، إلا أنّ الفرق كبير، والبون شاسع بين الفريقين، وبين الخلودين، فأولئك دخلوا التاريخ مؤمنين مجاهدين غير ظالمين، وقد خلدوا فيه وهم يحملون هذه الصفات العظيمة؛ فيما دخل هؤلاء التاريخ طغاه متجبرين ظالمين، وقد خلدوا فيه أيضاً، وهم يحملون أبشع الصفات وأقذرها؛ فشتان شتان بين الخلودين!

خَبَاب، الأرت، لَفَه

ما إن يقرأ شخص، أو يسمع باسم هذا الصحابى الجليل، حتّى يلتفت إلى غرابه اسمه، دون أسماء الصحابه الآخرين، فيعود إلى معاجم اللغه، ليرى ماذا تقول فى خَبَاب وفى الأرت، فيجد أنّ الخبب: هو نوع أو ضرب من العدو، أو الرمل، أو هو السرعه، وقد خبّت الدابّه تخبّ بالضمّ، خبّاً، وخبياً، وخبياً.

وهناك قول آخر: إنّ الخبب هو أن ينقل الفرس أيا منه جميعاً، وأياسره جميعاً أيضاً،

١- سورة الحجّ: ٦٢.

٢- سورة المائده: ١٥ ١٦.

وقيل: هو أن يراوح كل من الفرس والبعير بين يديه ورجليه.

ومن العجب أن هذه كلها من صفات الفارس والفروسيه.

إلا أنني عثرت على معنى آخر للخب وهو الخداع، فرجل خبب أي خداع، خبب فلان غلامى أي خدعه، والقول المأثور: الحرب خدعه؛ هذا فى خصوص خباب.

أما ما يتعلق بالأرت فتأوه مشدده، وهو الذى فى لسانه عجله أو عقده أو قله أناه... فلا يطاوعه لسانه عند إرادته الكلام، فإذا شرع يتكلم اتصل كلامه، وهناك من يقول: إن أبا خباب كان كذلك يرتل فى كلامه، أو فى لسانه رته أى عجمه. (١)

فيما نسب كل من الواقدي والبلاذرى هذه الرته فى اللسان إلى خباب نفسه، حيث قال الواقدي: كان ألكن، إذا تكلم بالعريه، فسُمى الأرت، وقال البلاذرى:... وإنه كانت به رته، وهما يتحدّثان عن ترجمه خباب. (٢)

نسبه وكنيته

بعد أن عرّفته كتب التاريخ ومراجعته بأنه خباب بن الأرت بن جندله بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد بن مناه بن تميم، وكنيته أبو عبدالله أو أبو يحيى أو أبو محمد، إلا أنها اختلفت فى نسبه. (٣)

فهو بين خزاعى، وتميمي، وزهرى، وسباعى، والذى يبدو لى من مراجعته حياته أن السبب فى هذا الاختلاف، هو الموضع الاجتماعى الذى عاشه، والسبب الذى آلت إليه حياته، ممّا سبب له هذا الانتماء المختلف فيه.

فلنستعرض أقوال المؤرخين، فبعضهم قالوا: إنه تميمى بالنسب، خزاعى بالولاء، زهرى بالحلف، كان سبياً اشترته امرأه من خزاعه وأعتقته، فهو خزاعى لحقه هذا بالولاء، وبما أنها

١- لسان العرب، لابن منظور ١: ٣٤١، ٢: ٣٤؛ أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٦: ٣٠٤؛ وتنقيح المقال للمامقانى ١: ٣٩٥.

٢- أنظر قاموس الرجال، للعلامة التستري ٤: ١٥٥.

٣- أسدالغابه فى معرفه الصحابه، لابن الأثير ٢: ٩٨؛ الإصابه فى تمييز الصحابه، لابن حجر العسقلانى ١: ٤٢٣؛ أعيان الشيعة، لمحسن الأمين ٧: ٧٥.

كانت من حلفاء عوف بن عوف بن عبد الحرث بن زهره فهو زهرى حلفاً، وأما نسبه الحقيقي فهو ابن مناه بن تميم جدّه السابع وبالتالي فهو تميمي.

وهناك من يقول: إنَّ سَيِّدَتَهُ التي اشترته هي أُمُّ أنمار بنت سباع الخزاعيه، وأبوها سباع حليف عوف بن عبد عوف من بني زهره؛ فسبب هذا له أن يكون خزاعياً، وسباعياً من الأسباع، وزهرياً. (١)

وقيل: بل هي أُمُّ سباع بن عبد العزى الذى قتله حمزه يوم أُحُد، وهي التي عنا حمزه بن عبدالمطلب، حين قال لسباع بن عبدالعزى: هلم يا ابن مقطعه البظور؛ (٢) وهو ما حدا ببعض المؤرخين إلى الذهاب بأنَّ أُمَّ خَيْاب كانت ختانه في مكه / وإن ذهب بعض المؤرخين إلى أنَّ أُمَّ أنمار وأُمَّ سباع كانت واحده. (٣)

وقال غيرهم: هو عربى لحقه سباء فى الجاهليه؛ (٤) وقال بعض: لم يلحقه سباء، ولكنه انتهى إلى حلفاء أُمّه بنى زهره. (٥)

وأنا إذ أبحث عن حياه هذا الصحابى عثرت على شخص آخر وهو أيضاً صحابى يحمل اسم خَيْاب واسم أبيه، إلا أنه كان يكتنى أبا يحيى، وكان عبداً لعتبه ابن غزوان المازنى، وشهد معارك الإسلام ومنها معركة بدر الكبرى، وتوفى فى المدينه أيام خلافه عمر بن الخطاب، سنة ١٧ أو ١٩ هجرية، وله خمسون سنة، وصلى عليه الخليفه. (٦)

وأنه هو الذى كان طباعاً للسيوف بمكّه، لا هذا الذى هو موضع كلامنا، كما أنَّ الثانى لم يكن قيناً فيما كان الأوّل قيناً؛ (٧) إلا أنَّ ما اشتهر بين المؤرخين أنَّ خَيْاباً كان يقول: كنت

١- الإصابه ١: ٤٢٣؛ صفه الصفوه، لابن الجوزى ١: ٤٢٧.

٢- البدايه والنهايه، لابن كثير ٧: ٣٢٢.

٣- المنتظم؛ لابن الجوزى ٥: ١٣٨.

٤- أسد الغابه ٢: ٩٨.

٥- الإصابه ١: ٤٢٣.

٦- أسد الغابه ٢: ١٠١.

٧- تصحيفات المحدثين، لأبى هلال العسكري: ١١١.

رجلاً قيناً... وكان في الجاهلية قيناً حدّاداً يعمل السيوف. (١)

وهو أقل شهره من الذي هو محلّ كلامنا هذا، وإن ذهب بعض المؤرّخين إلى أنّه هو واحد، وليس شخصين اثنين.

خَبَابِ يَصْنَعُ السِّيَوفِ

قدر لهذا الصبى أن يقع بين يدي أمّ أنمار الخزاعية، التي كانت تفتش لها عن غلام في سوق النخاسين في مكّه، وهو مكان يكتنّظ بالعبيد، فوق نظرها على هذا الغلام، فأعطت ثمنه، وانطلقت به إلى منزلها، وإذ هي في طريقها راحت تحدّثه وتساله عن اسمه فقال لها: خباب.

وما اسم أبيك، فقال لها: الأرت.

فقلت له: ومن أين أنت؟

قال: من نجد.

فقلت: إذن أنت عربي!

قال: نعم، ومن بني تميم.

قالت: وما الذي أوصلك إلى أيدي النخاسين في مكّه؟

قال: أغارت على حينا قبيله من قبائل العرب، فاستاقت الأنعام، وسبت النساء، وأخذت الدراري، وكنت فيمن أخذ من الغلمان، ثمّ مازالت تتداولني الأيدي، حتّى جىء بي إلى مكّه، وصرت في يدك. (٢)

وما إن وصلت أم أنمار إلى منزلها، حتّى دفعته إلى من يعلمه صناعه السيوف، فأتقنها، ثمّ استأجرت له دكاناً، واشترت له عدّه، وراحت تستثمر قدرته، وتستفيد من مهارته، وتستغله أيما استغلال، لكنّه اشتهر بهذه الصناعات وبدقّه عمله.

١- أسد الغابه ٢: ٩٨؛ الطبقات الكبرى ٣: ١٦٤؛ دلائل النبوه لليهقي ٢: ٥٥.

٢- صور من حياه الصحابه، للدكتور عبدالرحمن رأفت باشا: ٤٣١ ٤٣٢.

لقد وجدت قلوب المستضعفين أمانها وطمأنينتها بالدعوه الجديده، فقد عانت من الهوان والذلّ ما جعلها تصبو لمنقذ لها كانت تعيشه حلماً جميلاً، فإذا به واقع أمام أعينهم، فراحوا يبادرون إلى التصديق به، والتضحيه في سبيله.

وخبّاب هذا واحد من أولئك العبيد، الذين كانوا فئه كبيره في المجتمع المكي يسخرهم ساده ذلك المجتمع، في نواح متعدده، تجاريه، وزراعيه، وخدميه، بأثمان رخيصه لا تتجاوز رغيغ الخبز، وافتراش الأرض، معامله سيئه للغايه، وظلم نزل بهم، وحيغ لا يفارقهم، وتعذيب لا يتوقّف؛ لهذا ما إن رأوا نور الإسلام يبرغ في مكّه، إلّا وتراهم يؤمنون به، ويتفانون في الدفاع عنه.

لقد كان سادس الذين آمنوا في مكّه، وهو سبق عظيم ناله، ومنزله رفيعه ظلّت ترافقه في حياته، وذكرى حسنه ظلّت هي الأخرى وساماً خالداً.

تقول الروايه:

إنّ خبّاب بن الأرت أسلم سادس ستّه، له سدس الإسلام. (١)

والأخرى تقول:

أول من أظهر الإسلام سبعة، وعدّت منهم خبّاباً. (٢)

وثالثه تقول:

كان إسلامه قبل أن يدخل رسول الله (ص) دار الأرقم وقبل أن يدعو بها. (٣)

فعن الإمام علي (ع): السبّاق خمسّه، فأنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبش، وخبّاب سابق النبط. (٤)

١- أسد الغابه ٢: ٩٨؛ حليه الأولياء للأصفهاني ١: ١٤٣.

٢- أسد الغابه ٢: ٩٨؛ الوسائل إلى معرفه الأوائل لعبد الرحمن السيوطي: ٩٦.

٣- الطبقات الكبرى ٣: ١٦٥.

٤- الخصال، للشيخ الصدوق ١: ٣١٢.

وذكر اليعقوبي في تاريخه:

كان أول من أسلم خديجه بنت خويلد من النساء، وعلى بن أبي طالب من الرجال، ثم زيد بن حارثة، ثم أبوذر، وقيل: أبو بكر قبل أبي ذر، ثم عمرو بن عبسه، ثم خالد بن سعيد بن العاص، ثم سعد بن أبي وقاص، ثم عتبة بن غزوان، ثم خباب بن الارت، ثم مصعب بن عمير. (١)

وبإسلامه وإسلام رفاقه، بدأت حياتهم من جديد، حيث عقب الحريه والمساواه، وهم يسمعون: لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى؛ وقد آخى رسول الله (ص) بعد الهجره بين خباب وجبر بن عتيك، وشهد بدرًا وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله (ص)، فيما وقع الخلاف بين علماء الرجال والمؤرخين في أنه هل أدرك معركة صفين والنهروان؟ فمنهم من قال: أدركهما مع الإمام علي (ع) ومنهم من قال: حال بينه وبينهما المرض والموت، فيما أدرك ابنه عبد الله بن خباب النهروان، فذبحه الخوارج، وبقروا بطن امرأته. (٢)

إنه لمن المعديين!

ما إن علموا بإسلامه حتى تحولقوا حوله، ولم ينفصوا منه إلا وقد أخذت سياطهم من جسمه مأخذها، لكنّها لم تنل شيئاً من إيمانه ولم تنخر عزمته، ولم تضعف بناءه، إنه إيمان عظيم، وعزيمه لا تهين، وبناء كالجبل لا يهد.

كان خباب ممن يعدّب في الله سبحانه بمكّه في الرمضاء، حتى برص ظهره. (٣)

وعن عروه بن الزبير أنه قال: كان خباب بن الارت، من الذين يعدّبون بمكّه ليرجع عن دينه. (٤)

١- تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣.

٢- أنظر المامقاني في التنقيح ١: ٣٩٥؛ والتستري في قاموسه ٤: ١٥٨.

٣- أنظر تصحيقات المحدثين: ١١١.

٤- الطبقات الكبرى ٣: ١٦٥.

ويقول الشعبي عنه:

لقد صبر «خَبَاب»، ولم تَلِن له بين يدي الكفار قناه، أو أعطوهم [بعض المعذَّبين من المسلمين] ما أرادوا حين عذَّبوا إلا خَبَاب بن الأرت، أو إنَّ خَبَاباً صبر ولم يعطِ الكفار ما سألوا، فجعلوا يلصقون ظهره العارى بالرَّصْف، (١) حتَّى ذهب لحمه أو لحم منته. (٢)
لقد حوّل كفّار قريش جميع الحديد الذي كان بمنزل «خَبَاب»، والذي كان يصنع منه السيوف.. حوّلوه كلّهُ إلى قيود وسلاسل، كان يُحمى عليها في النار حتَّى تستعر وتتوهّج، ثمَّ يطوّق بها جسده ويداه وقدماه. (٣)

لقد ذهب خَبَاب بن الأرت وبعض رفاقه المعذَّبين إلى رسول الله (ص)، لأظنّهم جزعين من التضحيه بل كانوا راجين العافيه.

يقول خَبَاب: شكونا إلى رسول الله (ص)، وهو متوسّد بُردة له في ظلّ الكعبه، قلنا له: ألا تدعو الله لنا؟

قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، ويمشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمنّ هذا الأمر حتَّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون. (٤)

راحت كلمات رسول الله (ص) تترك بصماتها عليهم، فعادوا منه وقد ازدادوا إصراراً على مواقفهم، وعاهدوا ربّهم أن يجعلوا أنفسهم نماذج للعطاء والتضحيه والاستبسال في سبيله، حتَّى يجعلوا كلمه الله هي العليا وكلمه الكافرين هي السفلى.

لم يبقَ أحدٌ من المشركين وزعمائهم، بل وحتى سيّدته أمّ أنمار التي كان عبداً لها راحت هي الأخرى تشفى غليلها منه، تمسك حديده محمّاه ملتبه لتضعها مرّه فوق رأسه، وأخرى فوق جسده، وكان خَبَاب بين هذه وتلك صامتاً صابراً، لا ينطق بشيء ولا يظهر لهم حتّى

١- الرصف: الحجارة المحمّاه.

٢- ذكر هذا خالد محمد خالد في «رجال حول الرسول (ص)»: ٢٩٣.

٣- المصدر نفسه.

٤- صحيح البخارى ٣: ١٣٢٢ ح ٣٤١٦.

الأنين، فيشفى صدورهم، ويُرضى كبرياءهم وجبروتهم، فراح غيظهم يزداد، وحنقهم يعظم... وكان يعينها على ذلك أخوها سباع بن عبد العزى... وقد أقر الله تعالى عيني خباب برؤيه سباع هذا، وقد نال جزاء شره وظلمه، حيث صرعه سيد الشهداء حمزه بن عبدالمطلب في معركة أحد.

وهو بهذه الحال يعذب بين أيديهم، إذ به يسمع صوت حبيبه رسول الله (ص) وهو ينطلق من قلب مملوء شفقة وألماً ومرارةً عليه: «اللهم انصر خباباً».

ما أعجل الجزاء الذى نزل بسيدته العنيد أم أنمار! راحت تعوى كالكلاب بعد أن أصيبت بسعار عصيب، حتى وصفوا لها علاجاً لا ينفعها إلا أن تضع رأسها بالنار كي يكوى، وقد قدر لخباب أن يتولى هذا العمل، فكان يأخذ الحديد المحماه فيكوى بها رأسها. (١) فكان عقابها من جنس ما اقترفته يداها، إنه العقاب العدل!

آيات تراهم

وراحت قيم الإسلام وكلمات الرسول الكريم تدق إسفيناً بينهم وبين كبار قريش ومترفيهم وطغاتهم.

إنه الإسلام، إنه النور الذى يشق الظلام، ويبعث الحياه من جديد.

كما راح القرآن يواكبهم ويرافقهم ويحيطهم بالرعايه، ضد قريش التى ما انفك طغيان زعمائها وكبرائها من ملاحقه هؤلاء المستضعفين، والسخرية منهم، والتعالى عليهم، حتى بعد إعلانهم الشهادتين، والتحاقهم بالصف الإسلامى ظاهراً، وهو ما يبدو من المتابعه الدقيقه لحياه الكثير منهم، فقد كانوا أقرب للنفاق منه إلى الإسلام.

فيما راحت آيات القرآن الكريم تدحض كيدهم، وتطيح بتآمرهم ودسائسهم، التى ما انفكوا يحيكونها ضد هذه الفئة المظلومه المستضعفه من الصحابه المؤمنين، كما راحت تشيد

بهؤلاء الثله المؤمنه وبصدق إيمانهم، وتحض على الوقوف معهم، وعدم تركهم وحدهم، وسخريه واستهزاء زعماء قريش تلاحقهم، والتصدي لكل تأمر ضدهم، وعدم الاستجابه لمطالب هؤلاء الطغاه والمستكبرين، بل أخذت هذه الآيات تغدق على هؤلاء المعذبين، أوسمه عظيمه ظلت تشكل ذكرى طيبه خالده لهم فى الدنيا والآخره:

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَجْزِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جَزَاءُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (١)

نزلت بعد أن مكثت قريش على ضلالها وعنادها وكبريائها، وهى ترى ضعاف مجتمعها يؤمنون برسالة محمد ٩ ليكونوا شوكة تنخر مجتمعها الفاسد، وكيانها الضال، وجنوداً لثوره عارمه ضد طغيانها وجبروتها، كانت تدرك كل هذا؛ لهذا راحت تصب عليهم غضبها، وتنزل بهم العذاب، فلعلها تحد من انتشار هذا الدين بين صفوفهم، إن لم تستطع إيقافه وإماتته؛ وإعادتهم إلى ما تعبد إلى دين آباؤها وأجدادها أذله خاسئين.

نزلت هذه الآيه على ما قاله الشيخ الطبرسى فى المعذبين بمكة مثل: صهيب، وعمير، وبلال، وخباب، وغيرهم، مكنهم الله بالمدينه، وذكر أن صهيباً قال لأهل مكة: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم، وإن كنت عليكم لم يضركم، فخذوا مالى ودعونى، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول الله (ص). فقال له أبو بكر: ربح البيع يا صهيب.

ويروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، قال له: خذ، هذا ما وعدك الله فى الدنيا، وما آخره لك أفضل، ثم تلا هذه الآيه. (٢)

فيما قال الواحدى فى أسبابه: نزلت فى أصحاب النبى (ص) بمكة: بلال، وصهيب، وخباب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة، فعذبوهم وآذوهم، فبواهم الله تعالى المدينه بعد ذلك. (٣)

١- النحل: ٤١.

٢- تفسير مجمع البيان، للطبرسى ٦: ٥٥٧؛ وفى تفسير الآيه من سوره النحل.

٣- أسباب النزول للواحدى: ٢٨٥.

حقاً أنّ الله تعالى يؤأهم مكاناً محموداً في الدُّنيا، ومنحهم أجراً عظيماً في الآخرة، راحت تتغنى بأمجادهم هذه الأجيال، ويقتدى بسيرتهم الثّوار والمجاهدون، وراحوا يقفون عند مفصل حياتهم الجهادية، وهم يعدّون، وهم يخوضون غمار معارك الإسلام الأولى، كلّ هدفهم الشهادة، فيكتمل

بذلك موقفهم الإيماني، وتنزل بذلك النعم عليهم، فهم بها غير زاهدين، وليسوا بقليلها مقتنعين، إنّما كانوا يطلبون المزيد من كرامه الدُّنيا وثواب الآخرة، وكان ديدنهم الشكر قولاً وعملاً ومزيداً من التّضحيات والتحمّل والصبر، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ). (١)

(وَ أَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...). (٢)

نزلت في سلمان، وأبي ذرّ، وصهيب، وعمّار، وخبّاب، وغيرهم من فقراء أصحاب النبيّ (ص) وذلك أنّ المؤلّفه قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله (ص) وهم عيينه بن الحصين، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يارسول الله إن جلست في صدر المجلس، ونحيت عنّا هؤلاء روائح صنانهم (نتن الابط) وكانت عليهم جباب الصوف، جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّا هؤلاء، فلما نزلت الآية قام النبيّ (ص) يلتمسهم، فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عزّوجلّ، فقال: الحمد لله الذي لم يمّتنى حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا ومعكم الممات. (٣)

{... وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...}. (٤)

بعد أن يئست قريش من أن تصل إلى غايتها بأساليبها القذرة، بدأت باتّباع أسلوب آخر في تعاملها وملاحقتها للثّوار البرره، لا يقلّ قذاره عن الذي سبق، ألّا- وهو أن اطرّد يا محمّد هؤلاء «عمّار، وصهيب، وبلال، وخبّاب، وسلمان، وأبوذرّ، وغيرهم من الفقراء الذين

١- إبراهيم: ٧.

٢- الكهف: ٢٨.

٣- مجمع البيان، للطبرسي ٦: ٧١٧ ٧١٨.

٤- الأنعام: ٥٢.

آمنوا به حين كذبه هؤلاء الذين يسمونهم بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون، ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش...»
فيكون لنا مجلس معك وكلام؛ لأنه لا يليق بنا أن يضمنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء العبيد، وذوى الثياب الرثة، فنتساوى معهم، فلو نحيتهم عن مجلسك لتوافد عليك أهل الثراء والإشراف، وقد تتبعك، ما أشبه اليوم بالبارحة، حيث قال زعماء قوم نوح له: (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ). (١) إنها الشأنيه القدره!

فلعلها بهذه الطريقه توقع بين محمد وصحبه، وتزرع الشقاق فى الجماعه المسلمه، وتنخر بالجسم الواحد فيتفتت، ولخطوره هذا الاسلوب، ولفداحه ما ينتجه، وما يتركه على نفوس هؤلاء المعدئين، وهم يرون معدبيهم بين يدى رسول الله معززين مفضلين، وهم عنه بعيدون، إنها ذل لا تستطيع نفوسهم تحملها! وهل هذا جزاؤهم؟! وهل هذه مكافأتهم!؟

سارعت السماء، فأنزلت قرآناً يحسم هذا الكيد ويطيح به، وتثمن مواقف المعدئين، وتدين مواقف غيرهم.

يقول عبدالله بن مسعود:

مرّ الملاء من قريش على رسول الله (ص) وعنده صهيب، وخبّاب، وبلال، وعمّار، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهم؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ...).

قال سلمان وخبّاب: فينا نزلت هذه الآيه؛ جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينه بن حصين الفزاري، وذووهم من المؤلّفه قلوبهم، فوجدوا النبيّ (ص) قاعداً مع بلال، وصهيب، وعمّار، وخبّاب، فى ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم، وقالوا: يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتّى نخلو بك، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعبد، ثمّ

إذا انصرفنا، فإن شئت فادعهم إلى مجلسك، فأجابهم النبي (ص) إلى ذلك، فقالا له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفه وأحضر علينا ليكتب.

قالا: ونحن قعود في ناحيه إذ نزل جبرئيل ٧ بقوله تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ) إلى قوله: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ).

فَنَحَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) الصَّحِيفَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا وَدَنُونَا مِنْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَيَّ نَفْسَهُ الرَّحْمَةَ. فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَهُ. (١)

وعن عكرمه قال: جاء آل شيبه وعتبه ابنا ربيعه، ونفرٌ معهما سمّاهم أبوطالب، فقالوا: لو أنّ ابن أخيك محمّداً يطرد موالينا وحلفاءنا، فإنّما هم عبيدنا وعسفاؤنا؛ (٢) كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، فأتى أبوطالب النبي (ص) فحدّثه بالذي كلّموه، فأنزل الله عزّوجلّ الآية.

قال: وكانوا بلالاً وعمّار بن ياسر مولى أبي حذيفه بن المغيرة، وسالماً مولى أبي حذيفه بن عتبه، وصبيحاً مولى أسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو، وخبّاباً مولى أم أنمار.

وكانت قصّه دين خبّاب على العاص بن وائل سبباً في نزول آيات:

فعن خبّاب أنّه قال: كان لي على العاص بن وائل دينٌ، حين كان قد باعه سيوفاً عملها له، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لن أفضيك حتى تكفر بمحمّد.

قال: فقلت له: إنّي لن أكفر بمحمّد حتى تموت، ثمّ تبعث.

قال: وإنّي لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أفضيك إذا رجعت إلى مال وولد؛ قال وكيع: كذا قال الأعمش؛ قال: فنزلت (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَيَنَكُتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنُرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا). (٣)

١- مجمع البيان، للطبرسي، في تفسير الآية.

٢- العسيف: الأجير المستهان به، أنظر لسان العرب: عسف.

٣- صحيح مسلم ٤: ٢٠٦٤ ح ١٢؛ صحيح البخاري ٢: ٧٣٦ ٧٣٧ ح ١٩٨٥.

كان خُباب بن الأرت مَمَّن يُرْجَع إليه في القرآن، قراءَةً، وحفظاً، وفقهاً لمعانيه، وفهماً لمقاصده، وكان أستاذاً لجمع من الصحابه الذين كان منهم عبدالله بن مسعود، فقد كان من تلاميذه ومريديه.

ولمَّا كانت الدعوه الإسلاميه تعيش مرحله الكتمان والسريه في مكَّه، كان هذا الصحابي الجليل يختلف سرّاً إلى إخوانه، مَمَّن آمنوا وكنموا إيمانهم، خوفاً من بطش مشركي مكَّه وكبريائهم؛ ليحفظهم ما ينزل من آيات القرآن الكريم، ويعلمهم ما تتضمَّنه من معان جميله، ومقاصد عاليه، وهذه من النعم الكبيره التي هيأها الإسلام له، بعد إسلامه، وإخلاصه، وجدِّيته في تلقى علوم الإسلام، ومعرفه آيات القرآن الكريم ومفاهيمه.

مَمَّارواه وقاله

ذكرت له عدّه روايات في كتب الأحاديث، لعلّها تصل إلى ٣٨ حديثاً، منها:

تلك الروايه التي ذكرناها والتي قال فيها وجماعته لرسول الله(ص): يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟....(١)

وهذه الروايه تبيّن طغيان وقسوه المستكبرين، وما عاناه هؤلاء المؤمنون، بل ما تعانیه الأجيال المؤمنه على مرّ التاريخ من ظلم الطغاه وتعذيبهم، وبشاعتهم.

قال: هاجرنا مع النبيّ (ص) نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمَمَّنّا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، وعلى قول آخر حمزه عمّ النبيّ، قتل يوم أحد، وترك نمره (برده)، فكُنّا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله(ص) أن نغطّي رأسه، ونجعل على رجليه شيئاً من إذخر، ومَمَّنّا من أينعت له ثمرته فهو يهديها.(٢)

١- صحيح البخارى ٣: ١٣٢٢ ح ٣٤١٦.

٢- المصدر نفسه ٣: ١٤١٥ ح ٣٦٨٤.

ومنها الروايه التي نقلناها فيما سبق وكانت سبباً لنزول الآيه: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا...)(١).

أخبر جماعه من أصحاب خباب: بينما نحن في المسجد، إذ جاء خباب بن الأرت، فجلس فسكت، فقال له القوم: إن أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدّثهم أو لتأمرهم.

قال: بم أمرهم؟ ولعلّي أمرهم بما لستُ فاعلاً.

قال قيس: أتيت خباباً وهو بينى حائطاً له، فقال: إن أصحابنا؛ وفي روايه أخرى أصحاب محمد ٩ مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئاً، إننا أصبنا من بعدهم شيئاً، وفي روايه: وإننا أصبنا من الدنيا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب.(٢).

موقف خالد

قضى الشطر الأكبر من حياته رضوان الله عليه في فقر وفاقه، حاله حال الكثير من إخوانه المؤمنين، إلا أنه في أواخر عمره من الله تعالى عليه، فاغتني حتى ذكر أنه ملك ما لم يكن يحلم به من الذهب والفضّه.

ومع هذا كلّه بقي هذا الرجل كما عرف عنه زاهداً لم تغيّره الدنيا، ولم تضعف إيمانه؛ لهذا راح يتصرّف فيما جعله الله مستخلفاً فيه بوجه لا يخطر على بال أحد.

وضع ماله ودراهمه و دنائيره في مكان من بيته غير مستور، أي لم يخبئه، ولم يشدد عليه رباطاً ولم يحكم عليه قفلاً، وقد أذن لمن هو في حاجه أن يأخذ منه ما يسدّ حاجته دون أن يسأله أو يستأذن منه؛ لينال بذلك رضا الله تعالى.

ومع موقفه هذا من الذي بين يديه، تراه يخشى من أن يكون غناه و ثراؤه هذا أجراً لما قدمه من مواقف وتضحيات في سبيل الله، استوفاه في الدنيا؛ فقد حدّث جمع من أصحابه قائلين:

١- صحيح البخارى ٢: ٧٣٦ ٧٣٧ ح ١٩٨٥.

٢- المصدر نفسه ٥: ٢٣٦٢ ٦٠٦٩ ح ٦٠٦٦.

دخلنا على خباب في مرض موته، فقال:

إن في هذا المكان ثمانين ألف درهم، وإنني ما شددت عليه رباطاً قطّ، ولا منعت سائلاً قطّ، ثم بكى.

فقالوا له: ما يبكيك؟

فقال: أبكى لأن أصحابي مضوا ولم ينالوا من أجورهم في هذه الدنيا شيئاً، وأننى بقيتُ فملتُ من هذا المال ما أخاف أن يكون ثواباً لتلك الأعمال، أو لقد خشيت أن يذهب بأجورنا مع رسول الله (ص) ما أصبنا من الدنيا.

الكوفة

لأسباب عديده، قد يكون الوضع السياسى فى خلافة عثمان بن عفان واحداً منها، غادر جمع من الصحابه مدينه رسول الله (ص) متوجهين نحو الكوفه، حيث سبق وأن أقطع عثمان جمعاً من المسلمين ومنهم خباب والزبير... قطيعه من أرض الخراج فى الكوفه، اتخذوها سكناً لهم حينما تركوا المدينه.

تقول الروايه:

... كان الناس يقدمون على عثمان بن عفان، وكان منهم ابن مسعود وابن ياسر والزبير وغيرهم، فيسألونه أن يعوّضهم مكان ما خلفوا من أرضهم بالحجاز وتهامه، ويقطعهم عوضه بالكوفه والبصره، فأقطع خباب بن الأرت استينيا، قريه بالكوفه. (١)

وفى خبر إنما القطائع كانت على وجه الفضل من خمس ما أفاء الله.

وفى روايه أخرى:

وابتنى خباب بن الأرت بالكوفه داراً فى جهار سوج خنيس. (٢)

وفى معجم البلدان: يعرف بجهار سوج الهيثم بن معاويه من القواد الخراسانيه، وهى

١- أنظر معجم البلدان ، لياقوت الحموى. وتاريخ الطبرى ٢: ٤٣٨.

٢- أنظر تاريخ الكوفه: ٣٩٨.

كلمه فارسيه،^(١) وهى من محالّ بغداد فى قبله الحربيه، خرب ما حولها من المحال، وبقيت هى والنصيريه، والعتابيون، ودار القز، متّصله بعضها ببعض، كالمدينه المفرده، فى آخر خراب بغداد.^(٢)

بعض ما قاله فيه علماء الرجال

كان لخباب عند علماء الرجال منزله محموده، وأنه ثقّه جليل، فقليلاً ما تخلوا كتبهم من ذكر اسمه، وترجمه حياته، والإشاده به. فهذا شيخ الطائفة عدّه من جمله رجاله،^(٣) فيما قال عنه بحر العلوم،^(٤) فى رجاله: خباب بن الأرتّ التميمى أبو عبدالله أحد السابقين الأولين الذين عدّوا... فيما قال التستري فى قاموسه:... وممدوحيه خباب مسلمه كما عرفت من مدح أمير المؤمنين ٧ له.^(٥)

فيما ذكره العامّه ابن عبدالبرّ، وابن منده، وأبونعيم... بأنه صحابىّ جليل، وأنه كان من فضلاء المهاجرين الأولين.^(٦)

وفاته رضوان الله عليه

كان هذا الصحابىّ الجليل على موعد مع ظهر (أى ما غلظ وارتفع) الكوفه، هناك حيث رقد جسده المعذب بعد صبر طويل، ومثايره عظيمه، وثبات منقطع النظير، فى أن يبقى على العهد مؤمناً صادقاً مجاهداً، حتّى يلقى الله تعالى صابراً محتسباً، وبوفاته ودفنه فى الكوفه كان أول صحابى يدفن فيها.

١- چار سوق، فارسيه.

٢- أنظر معجم البلدان ٢: ١٩٣.

٣- رجال الطوسى: ١٩.

٤- رجال بحر العلوم.

٥- القاموس، للعلامه التستري ٤: ١٥٦.

٦- المصدر نفسه.

تقول الروايه وهى عن ابن خَبَّاب: كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفه فى جباينهم، فلَمَّا ثقل خَبَّاب قال لى: أى بُنى إذا مَتُّ فادفنى بهذا الظهر، فَإِنَّكَ لو قد دفتنى بالظهر قيل: دُفِنَ بالظهر رجل من أصحاب رسول الله (ص)، فدفن الناس موتاهم، فلَمَّا مات خَبَّاب رحمه الله، دفن بالظهر فكان أوَّل مدفون بظهر الكوفه. (١)

وهذا محلّ اتِّفاق المؤرِّخين، إلَّا أَنَّهُم اختلفوا فى سنه وفاته رضوان الله عليه، فهناك من يقول: صَلَّى عليه على (ع) وجهه منصرفه من صَفِّين، (٢) وقول: فى السنه السادسه والثلاثين من الهجره. (٣) وقول آخر: إِنَّهُ توفى فى السنه التاسعه عشره من الهجره. (٤) وآخر بعد معركه النهروان سنه ٣٩ هجرية.

إلَّا أَنَّ الأكثر شهره أَنَّهُ توفى فى السنه السابعه والثلاثين من الهجره، بعد ما شهد صفين مع على (ع) والنهروان، وصَلَّى عليه على (ع) وكان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعين سنه.

فيما قال ابن الأثير بعد هذا: الصحيح أَنَّهُ مات سنه سبع وثلاثين، وإِنَّهُ لم يشهد صفين، فَإِنَّهُ كان مرضه قد طال به، فمنعه من شهودها. (٥)

إِذَا كان الإمام على (ع) مشغولاً فى حرب صفين، وترك خَبَّاباً مريضاً فى الكوفه، ولعلَّ الذى يُؤيد كونه مريضاً، ما ورد فى كلام الإمام (ع) الآتى: «وابتلى فى جسمه فصبر» ولم يكن حاضر وفاته، وهو ما توهمه بعض.

الإمام على (ع) مؤبناً

ما إن عاد الإمام على (ع) من معركه صفين، ووصل إلى ظهر الكوفه حتَّى سأل: ما هذه القبور؟ فقال قدامه بن العجلان اليزدى: يا أمير المؤمنين، إنَّ خَبَّاب ابن الأرت توفى بعد

١- أنظر الطبقات الكبرى ٣: ١٦٧.

٢- حليه الأولياء ١: ١٤٧.

٣- الاستيعاب ١: ٣٢.

٤- المصدر نفسه: ٤٢٣ ٤٢٤؛ والإصابة ١: ٤١٦.

٥- أسد الغابه ٢: ١٠٠.

مخرجك، فأوصى بأن يُدفن في الظهر، وكان الناس إنما يدفنون في دورهم وأفئدتهم، فدفن بالظهر رحمه الله، ودفن الناس إلى جنبه.

فوقف الإمام (ع) على هذه القبور قائلاً:

السلام عليكم يا أهل الديار الموحشه، والمحالّ المقفره! من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبع، نزوركم عمّا قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير؛ **اللَّهُمَّ اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنا وعنهم.**

أحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً، أحياءاً وأمواتاً، والحمد لله الذي منها خلقنا، وعليها ممشانا، وفيها معاشنا، وإليها يُعيدنا، طوبى لمن ذكر المعاد، وقنع بالكفاف، وأعدّ للحساب! [\(١\)](#)

ثمّ قال ٧ مؤبناً، وقد انفرد بقبر غصّ رطيبٍ يضمّ رفات هذا العبد الصالح: رحم الله خبأياً! لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلى في جسمه فصير!

ولن يُضيع الله أجر من أحسن عملاً. [\(٢\)](#)

١- تاريخ الطبري ٣: ١٠٨؛ أسد الغابه ٢: ١٠٠؛ وقعه صفين: ٥٣٠؛ شرح نهج البلاغه ١٩: ٢٠٦ ٢٥٧.

٢- العقد الفريد ٣: ٢٠١؛ أسد الغابه ٢: ١٠٠.

(١٣) بلال

إشارة

أحدُّ أحد، مؤذّن رسول الله (ص)

حسن محمّد

ما أعظمك يا بلال، وقد اقترن اسمك بكلمات لم يسبقك إليها أحد، حتّى غدت سلاحك الوحيد الذى تدافع به عن نفسك، حيث كانت تخلق فيك صموداً لا يهزم، وثباتاً لا يلين، وقد تلوّت على ظهرك سيّاطهم، ومزّقت جسدك حديدتهم المحمّاه، فى رمضاء مكّه، ولهيب رمالها، وأنت تردّدها كلمات خالده.. أحدُّ أحد، أحدُّ أحد.. حتّى غدت انشودتك التى لم تجد أجمل منها وأحلى.. ولم ينطق لسانك بشىء غيرها.. فكانت أمضّ سلاح ينخر صدورهم، ويهزّ كبرياءهم.. ويغيض قلوبهم، وهو ما كنت تبحث عنه وتتمناه.

وما أعظمك يا بلال، وقد اقترن اسمك بأعظم نداء عرفته الدُّنيا، وردّته الأجيال!

وما أحسن عاقبتك يا بلال، وقد خلّدت بخلود كلّ فصل من فصول هذا الأذان، وكلّ كلمه من كلماته، بل وكلّ حرف من حروفه، ولحن من ألحانه، ونغمه من نغماته!

وما أعظم ذكراك، وقد امتزجت بذكري هذا الأذان، الذى راح يدوّى خمس مرّات فى

أرجاء السماء، تردده الألسن، وتهفو إليه القلوب، وتطمئن به النفوس، فما إن يسمع أحدنا مؤذناً يرفع الأذان حتى يتبادر إلى الذهن بلال، وما إن نسمع صوتاً ندياً شجياً إلا وراح بلال بصوته الجميل شاخصاً حياً، وكيف لا يحيى، وقد اقترنت حياته بحياه هذا الأذان، فنعم القرين!؟

إنه واحد ممن قضى عمره بين عبوديتين: عبودية للناس، وقد أكره عليها، وكلها تسخير وذلّ وظلم، مقابل ثمن بخس، لا يتعدى رغيف خبز، وافتراش أرض؛ وعبودية لله، خطى نحوها بإرادته ورغبته، فكانت عزاً في الدنيا وكرامه في الآخرة، وكانت خلوداً هي الأخرى في الدنيا، وخلوداً في الآخرة... فشتان شتان بين العبوديتين!!

كان بلال من فئه العبيد، تلك التي سخرها سادة المجتمع المكي وكبرأؤه، في نواح خدميه كثيره، وأخرى قتاليه.

وما إن منّ الله تعالى بدعوته المباركه الجديده، رحمه للناس جميعاً، حتى راحت قلوب هؤلاء الضعفاء تجد أمانها فيها وطمانينتها.

فتوجهوا نحوها كأعظم ملجأ لهم وملاذ، لنتشلهم مما هم فيه من اضطهاد متواصل، وعذاب دائم، وذلّ مستمر، من خزي في الدنيا، وعذاب في الآخرة، إلى عقب الحريه والمساواه، وإلى فردوس ينتظرهم في الآخرة.

وهم يسمعون: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

وهم يقرأون: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

لقد كانت هذه الفئه من الناس تشخص بأبصارها بعيداً، وكأنها تنتظر من ذلك الأفق البعيد منقذاً ظلت تعيشه حُلماً جميلاً، يهون عليها ما هي فيه من هوان، ويزرع في نفوسها الأمل والطموح والرغبه في حياه إيمانيه، تنقذهم مما هم فيه من ضلال وعذاب، فما إن رأته واقعاً أمامها حتى بادرت إلى التصديق به، والتضحيه في سبيله، فكان لهم قصب السبق في نصره هذه الدعوه الخالده، والدفاع عنها بأرواحهم وأجسادهم، وما يملكون حتى

تم نصر الله والفتح.

لم يتأخر بلال كثيراً، فقد ردّد الشهادتين، وأعلن بذلك إسلامه مع رفاقه فى الآلام، فبدأوا بذلك حياةً جديدةً، إلا أن الأيدي الظالمة لم تتركهم، فقد راح أسيادهم يصّبون عليهم جام غضبهم، وينزلون بهم أقسى أساليب التعذيب وأشكاله.

ومع كلّ هذا رأت هذه الفئة التى هانت عليها نفوسها فى الله تعالى، أن ما ينزل بها من عذاب هو غير ذلك العذاب، وأن ما يحلّ بها من ظلم وقسوة هى غير تلك القسوة، لقد رأت بهذا كلّ حلاوة ونشوة، ولهذا تحمّلت، وراحت تردّد مع بلال كلماته المشهورة على لسان واحد، ومن قلوب ملئت إيماناً وحبّاً لله حتّى غدت كيانهم كلّ: أحدٌ أحدٌ وجدت بها بلسمها ودواءها وحرّيتها، التى فقدتها سنين طويلة، فيما راحت الأجيال المؤمنة تعيش ذكراهم، وتردّد صدى ما تعوّدت ألسنتهم، ووعته قلوبهم.

لقد أسلم بلال، وهو من الأوائل الذين أعلنوا إسلامهم، وراح يشهد مشاهد رسول الله (ص) كلّها بدرأ وأحدأ والخندق، وفتح مكّة.

إنّه بلال بن رباح الحبشى، أبو عبد الكريم، وأبو عمرو الحبشى، أمّه حمامه؛ وكان مولى أمّيه بن خلف، الذى كان واحداً من طغاه قريش، وقد أوغل فى ظلمه لبلال؛ ثم بعد ذلك اشتراه أبو بكر بن أبى قحافة، فظلّ مولى له حيناً من الوقت.

صفاته

كان بلال آدم، شديد الأذمة، نحيفاً طوالاً، أجناً، أى فى كاهله انحناء، إلا أنّه ليس بالأحذب، له شعر كثيف، خفيف العارضين. أمّا صوته فجميل قوى، ينتشر بعيداً، وكانت له ترنيمه شجيّه، عرفته أرجاء مكّة بنداثة الجميل، شفيت به الأبدان المكدوده، وتمائلت به النفوس المعتلّة السقيمه.

هياّه هذا الصوت لأن يكون أول مناد بنداثة التوحيد، ينبذ الشرك والشركاء، عبر أجمل

وأعظم فصول ترددها الشفاه، وتنطلق بها الألسن، وتتعلق بها القلوب، وتشتاق لها الأنفس، وتشفى بها الأجسام، «أرحنا يا بلال»، هكذا كان يناديه رسول الله (ص).

نعم، أنيط به أذان أعظم أركان الإسلام، وأقدس شعيره جاء بها الدين الحنيف، إنها الصلاة، إنها اللقاء المباشر بين العبد وربّه..

وهذا ما كان يتمناه بلال، فينتقل من مجرّد عبد حبشى لا غير إلى عبد صالح لله وحده، فتنهال عليه بركات السماء، فيخلد مؤمناً صلباً، ذلّت له عنجهيه قريش وكبرياؤها، بعد أن تكسّرت عليه سيّاطهم، سيّاط الجلاّدين، دون أن تنال منه شيئاً، بل ما زادته إلاّ عزّاً وكبرياء.

بلال وأمّيه

بلال بين يدي سيّده أمّيه بن خلف في رحله العذاب، حيث راح هذا الأخير يذيق ذاك العبد الصالح، والسابق الأواب، صنوفاً من العذاب.

في كلّ ظهيره، حيث شمس الحجاز المحرّقه، ورمالها الملتهبه في بطحاء مكّه، يوضع هذا الجسد العظيم بين نارين ونار ثالثة يمسك بها أمّيه وأعوانه، وصخره كبيره ترقد على صدر بلال فتقطع عليه أنفاسه، ها أنت يا بلال بين خيارين لا ثالث لهما؛ إمّا أن تموت بسيّاطنا وصخورنا وحديدنا المكواه، وإمّا أن تكفر بمحمّد ابن عبدالله، فتعود إلى (عباده اللّات والعزّى)، فتنال محبّتنا.

إلاّ أنّهم خابوا وخابت جميع محاولاتهم، وخسّت سيّاطهم وعصيهم وحديدهم، من أن تنال من عزمه الراسخ، وإيمانه العظيم، الذى لا يلين أو يضعف.

كلمه واحده مختصره لا- غير، راح لسان بلال يلهج بها، وتركها عبر التاريخ والأجيال خالده مدويّه تعلّم الأحرار والمؤمنين الصمود والإباء، حروف ثلاثه، كلّ حرف يعدل الوجود كلّه خيراً وعطاءً: أحد، أحد، لم يتلفظ غيرها أبداً، وهو بين رمال ملتهبه، وشمس محرّقه، وصخره تجثم على صدره فتقطع أنفاسه، فلا ينطق إلاّ بهذه الحروف وما أعظمها

وأقدسها وأجملها! بصوت ضعيف قد لا يسمعه أحد، حتى هو بعد أن أضعفه الجوع والعطش والألم.. شفاه تتحرّك، بل تتمتم بها.. أحدٌ أحد، نعم أحدٌ أحد.

صمودٌ ما أعظمه، غدا بعده مدرسه، وظلّ ذكرى عظيمه، لا تملّها الأجيال، راحت كلمات بلال تدوّى فى بطحاء مكّه وأجوائها؛ كما راحت ألسن الجميع ترددها من بعده؛ فكانت صاعقه تنزل على مسامع مشركى قريش، فيجنّ جنون أمّيه، وتسيطر سوره الغضب عليه؛ فينهال على بلال بوسائله البشعه، بسياطه وحديده، وألفاظه القدره، يركله، يضربه، يشتمه.

وبلال يزداد صموداً وتألّفاً.. أحدٌ، أحد.. وهكذا ظلّ هذا المعذب أيّاماً وليالى.. بلال لا نريد منك شيئاً.. أذكر فقط آلهتنا بخير.. لقد أتعبهم بلال وثباته.. حتى غدا كلّ واحد منهم، وكأنّه هو المعذب لا بلال.

فسئم أمّيه.. يا أبا جهل عليك به.. فصبّ عليه جام غضبه.. وأذاقه صنوف العذاب.. حتى كلّوا وعجزوا.. فاستعانوا بصبيانهم وسفهائهم، ليضعوا حبلًا.. فى عنق بلال.. ليطوفوا به بين أخشبي مكّه، بين أزقه هذين الجبلين اللذين يحيطان بمكّه «أبو قبيس والأحمر».

ولم يترك كلماته العظيمه.. إنّها أنشودته التى لا يملّها ولا تملّه.. وبصوته الرخيم: أحدٌ أحد.. فتذهل أنفسهم، وتقشعر جلودهم.. ويسقط ما فى أيديهم.. إنّها أنشوده بلال، التى غدت شعاراً للمسلمين فى أولى معارك الإسلام فى بدر.

يا أمّيه ألا تتقى الله فى هذا المسكين!؟

يا أمّيه حتى متى!؟

فيجيب أمّيه: أنت أفسدته، فأنقذه ممّا ترى.

فما كان من أبى بكر، إلا- أن اشتراه بخمس أواق... وفكروا أن يربحوا منه فهو أفضل من موته بين أيديهم، بعد أن يشوا من عودته إليهم... واستوقفهم مرّة أميّه ابن خلف قائلاً- لأبى بكر: خذه، فواللآت والعزى، لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقيه واحده لبعته بها.

فيجيبه أبو بكر: والله لو أبيتم إلا ما أوقيه لدفعتها.

ثم أعتقه لوجه الله تعالى، ليواصل جهاده ودعوته إلى الله.

يقول عمّار بن ياسر وهو يصف بلالاً وقوّته وصموده..

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه

مضامتنا

عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل

عشيه هما فى بلال بسوءه

ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل

بتوحيده ربّ الأنام وقوله

شهدت بأنّ الله ربّي على مهل

فإن يقتلوني يقتلوني فإن أكن

لأشرك بالرحمن من خيفه القتل (١)

المؤاخاه

بعد أن هاجر رسول الله (ص) وهاجر المسلمون من مكّه إلى المدينه، راح رسول الله (ص) يبني أسس المجتمع المؤمن على أسس متينه، وكانت المؤاخاه واحده من تلك الأسس، فأخى بين المهاجرين والأنصار، فكان نصيب بلال من هذه المؤاخاه أن أخى رسول الله (ص) بينه وبين أبى رويحه عبدالله بن عبد الرحمن الخنعمى.

ظلّ هذا العبد الصالح وفيّاً لهذه الأخوه.

يقول ابن هشام فى سيرته: (فلما دؤن عمر بن الخطّاب الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام، فأقام بها مجاهداً.

قال عمر لبلال: إلى من تجعل ديوانك يا بلال؟

قال: مع أبي رويحه، لا أفارقه أبداً، للأخوة التي كان رسول الله (ص) عقد بيني وبينه، فُضِّمَ إليه. (٢)

الثلة المعذبة وآيات قرآنيه

بلال، وعمّار، وخبّاب، وصهيب، وأبوجندل... وغيرهم، مؤمنون معذّبون انصبّ جام

١- حليه الأولياء ١: ١٤٨.

٢- السيره النبويه، لابن هشام ١: ٥٠٧.

غضب قريش عليهم تجويعاً وتعذيباً وتنكياً وسخريهً.

وقبال كل ما عانوه من آلام، وسياط، وظلم، واضطهاد، ظلّ كتابُ الله تعالى يواكبهم في بعض آياته، مواساةً لهم ورعايةً، وتشبيهاً، ومؤازرةً؛ كما راحت تعلّم الآخرين من المؤمنين على الاهتمام، بهذه الشريحة المؤمنة، وعدم تركها بعيدةً عن اهتمامهم، فتبقى وحيدةً فريدةً أمام جبروت المشركين وطغيانهم حتى بعد أن أعلن هؤلاء إسلامهم، لكنّ عنجهيتهم الجاهلية وكبرياءهم، كانا يبيان عليهم مجامله هذه الفئة المضطهده المستضعفه، ظلّت سخريتهم تلاحق هؤلاء، وظلّ التعالي عليهم علامةً بارزةً في تعاملهم مع الشريحة المؤمنة هذه؛ بل مكثوا على سيرتهم هذه، وتعاملهم هذا طيله حياتهم، وكأنّ الإسلام الذي أعلنته ألسنتهم لم يترك أثره على قلوبهم، فظلّوا أقرب للنفاق منه إلى الإيمان بالدين الجديد؛ إنّها صفات الجاهلية القذرة التي امتزجت بها أرواحهم، وعكفت عليها قلوبهم، وانطوت عليها سريرتهم، ولولا سيف الإسلام، لبقوا على حالتهم الأولى وآلهتهم، التي ظلّوا عليها وآباؤهم عاكفين.

ومثال واحد نذكره يبيّن لنا موقف كبار هؤلاء القرشيين من المعدّين واحتقارهم لهم، حتى بعد أن أعلنوا الشهادتين.

فقد حضر الناس يوماً باب عمر بن الخطاب في خلافته، وفي هؤلاء الناس أبو سفيان بن حرب وشيوخ من قريش، وكان مع هؤلاء الناس سهيل بن عمرو ابن عبد شمس العامري، وهو الذي عقد صلح الحديبية مع النبي (ص) ورفض أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، التي أمر رسول الله (ص) بكتابتها، قائلاً: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، ورفض أيضاً ما أمر به رسول الله (ص) أن يكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله.. قائلاً: لو شهدت أنّك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

هذه مواقف سهيل قبل إسلامه، وما أجمل موقفه بعد إسلامه!

كان مع هؤلاء الناس الذين قدموا للدخول على الخليفة، فبعد أن خرج الإذن من الخليفة الثاني لأهل بدر دون الآخرين، أي لصهيب الرومي، وبلال الحبشي، وغيرهم من

المعدّيين، لم يتحمّل أبوسفيان وزمرته هذا، فقال: ما رأيت كالיום قط، إنّه ليؤذّن لهؤلاء العبيد، ونحن جلوس لا يلتفت إلينا.

وهنا تصدّى له سهيل بن عمرو مدافعاً عن هؤلاء المعدّيين، أيها القوم، إنّي والله قد أرى الذى فى وجوهكم، فإن كنتم غضاباً، فاغضبوا على أنفسكم، دُعى القوم ودعيتهم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذى تنافسون فيه.

ثمّ قال: أيها القوم، إنّ هؤلاء قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فألزموه، عسى الله عزّوجلّ أن يرزقكم الشهاده. (١)

ومن الآيات التى نزلت فيهم

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (٢)

ما انفكت قريش تلاحق هؤلاء المعدّيين انطلاقاً من ضلالها وعنادها وكبريائها، وظلّ كبرياؤها وتعنتها يزداد ضدّ هؤلاء المؤمنين خوفاً من استفحال أمرهم، وبالتالي القضاء على زعامتها وسيادتها التى تطمح أن تخلد لها دون منازع من العالمين لهذا لم تطق قريش ما تراه من إيمان هذه الفئة وصمودها، فراحت تصبّ عظيم غضبها عليهم، لتحدّ من توسّع هذا الدين الجديد بين شباب قريش، إن لم توقفه وتميته، وبذلت جهوداً كبيره ترغيباً وترهيباً من أجل إعادتهم إلى عباده آلهتها صاغرين.

فنزلت هذه الآيه فى هؤلاء المعدّيين مثل: بلال، وخباب، وصهيب، وعمّار، وغيرهم، بعد أن مكّنهم الله تعالى فى المدينة المنوره بعد هجرتهم، وكانت لهؤلاء منزله كبيره عند رسول الله (ص) وعند الصحابه؛ فقد ذكر أنّ صهيياً قال لأهل مكّه: أنا رجل كبير إن كنت

١- الاستيعاب؛ الإصابه فى تمييز الصحابه ٢: ١١٠.

٢- سورة النحل: ٤١.

معكم لم ينفعكم، وإن كنت عليكم لم يضركم، فخذوا مالي ودعوني، فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله (ص).

ويروى أنّ عمر بن الخطاب في خلافته، كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، يقول له: خذ، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما آخره لك أفضل، ثم يتلو هذه الآية: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جَزَاءَ لَآخِرِهِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (١) هذا ما ذكره الشيخ الطبرسي في تفسيره.

فيما قال الواحدى في أسبابه: نزلت في أصحاب النبي (ص) بمكة: بلال، وصهيب، وخبّاب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك. (٢)

لقد كان ما وعدهم ربهم حقاً، حيث بوأهم مقاماً محموداً في دنياهم ومنحهم أجراً عظيماً في آخراهم. ففازوا بالحسنتين: حسنة الدنيا وحسنة الآخرة.

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...). (٣)

لم تجن قريش من قسوتها وتعذيبها للنخبة الفقيرة المعدّبة إلا اليأس والخزي، فقد باءت كل أساليبها القذرة بالفشل، وراحت تفكر بطريقه أخرى للتنكيل بهم وملاحقتهم، وإنزال العذاب النفسى بهم، بعد أن خابت أساليبها الأخرى التى انصبت عليهم طيله هذه الفترة.

يتمحور أسلوبها الجديد هذا بأن اطرد يا محمّد هؤلاء: «عمّار، وصهيب، وبلال، وخبّاب، وسلمان، وأبوذر، وغيرهم من الفقراء الذين آمنوا به حين كدّبه هؤلاء الطغاه، الذين يسمّون بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون، ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش..».

فيكون لنا مجلس معك وكلام؛ لأنه لا يليق بنا أن يضمنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء

١- سورة النحل: ٤١.

٢- أسباب النزول، للواحدى: ٢٨٥.

٣- سورة الأنعام: ٥٢.

العبيد، وذوى الثياب الرثة، فتساوى معهم، فلو نَحَيْتَهُمْ عن مجلسك ؛ لتوافد عليك أهل الثراء والأشراف، وقد تَبَعَكَ.

فكاد هذا الأمر أن يزرع اليأس والإحباط فى نفوس هذه الفئة المظلومه، لولا أن تدخلت السماء، فنزلت هذه الآيه حسماً لهذا الموقف، قبل أن يترك آثاره على هؤلاء المعذَّبين، ويشعر بنشوه النصر كبار قريش وزعماؤها.

يقول عبدالله بن مسعود:

مرّ الملاء من قريش على رسول الله (ص)، وعنده صهيب، وخبّاب، وبلال، وعمّار، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمّد أَرْضِيَتْ هؤلاء من قومك؟

أفنحن نكون تبعاً لهم؟

أهؤلاء الذين منّ الله عليهم؟

اطردهم عنك فلعلّك إن طردتهم اتّبعناك، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...).

فيما قال سلمان، وخبّاب أيضاً: فينا نزلت هذه الآيه، جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينه بن حصين الفزاري وذووهم من المؤلّفه قلوبهم، فوجدوا النّبىّ (ص) قاعداً مع بلال، وصهيب، وعمّار، وخبّاب، فى ناس من ضعفاء المؤمنين فحقّروهم، وقالوا:

يارسول الله لو نَحَيْتَ هؤلاء عنك حتّى نخلوا بك، فإنّ وفود العرب تأتيناك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء العبيد، ثمّ إذا انصرفنا، فإن شئت فادعهم إلى مجلسك، فأجابهم النّبىّ (ص) إلى ذلك، فقالوا له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفه وأحضر عليّاً (ع) ليكتب.

قالا: ونحن قعود فى ناحيه إذ نزل جبرئيل ٧ بقوله تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...) إلى قوله: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ).

فَنَحَى رسول الله (ص) الصحيفه، وأقبل علينا ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربكم على نفسه الرحمه، فكنا نقعد معه. (١)

هذا، وكان بلال واحداً من أولئك نفر، الذين راح مشركو مكه، وإن أعلنوا إسلامهم، يلاحقونهم تنديداً وسخرياً، وخاصيه بلال بن رباح الذى ترك خيبه فى نفوسهم، تأكل كبرياءهم وتطيح بطغيانهم، وموقفهم هذا كان استمراراً لمواقفهم، وهم فى مكه، وهم على شركهم حينما سمعوا نبأ إيمان هذه الثله من الفقراء، أو العبيد، فعن عكرمه أنه قال: جاء آل شيبه وعتبه ابنا ربيعه ونفرٌ معهما سمّاهم أبو طالب؛ فقالوا: لو أنّ ابن أخيك محمّداً يطرد موالينا وحلفاءنا، فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا (والعسيف هو الأجير المستهان به) كان أعظم فى صدورنا، وأطوع له عندنا، فأتى أبوطالب النبى (ص) فحدّثه بالذى كلّموه، فأنزل الله عزّ وجلّ الآيه المذكوره: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...).

قال: وكانوا بلالاً وعمّار بن ياسر مولى أبى حذيفه بن المغيره، وسالمًا مولى أبى حذيفه بن عتبه، وصبيحًا مولى أسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو، وخبابًا مولى أم أنمار.

وفى قوله تعالى: (ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار * اتّخذناهم سخريةً أم زاغَتْ عَنْهُمْ الأبصارُ). (١)

قال: يقول أبو جهل: أين بلال أين فلان، أين فلان؟ كنا نعدهم فى الدنيا من الأشرار، فلا نراهم فى النار! أم هم فى مكان لا نراهم فيه، أم هم فى النار لا يرى مكانهم؟!

وفى روايه: أين عمّار، أين بلال؟

وعن ابن عباس: (كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ) خبّاباً وبلالاً. (٢)

(يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). (٣)

تقول الروايه: لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على ظهر الكعبه، فقال بعض الناس: يا عبدالله، لهذا العبد الأسود، وفى قول أصح «فقال بعض الناس: ياالله! هذا العبد الأسود أن

١- سوره ص: ٦٢ ٦٣.

٢- مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٣.

٣- الحجرات: ١٣.

يؤذّن» أن يؤذّن على ظهر الكعبة! فقال بعضهم: إن يسخط الله يعيّره.

وفى خبر أنه لما جاء أمر النبي (ص) بلالاً أن يؤذّن على ظهر الكعبة، وقريش فوق الجبال، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد آمن.

فلما أذن وقال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، قالت جويريه بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة!

وقال خالد بن أسد: لقد كرم الله أبي، فلم ير هذا اليوم! فيما قال الحارث بن هشام: ليتنى متّ قبل هذا! وقال جماعه نحو هذا. (١)

فأنزل الله جلّ ذكره الآية المذكوره أعلاه. (٢)

مكانته عند رسول الله (ص) و المؤمنين

لقد حظى المعدّبون بمكانه عظيمه أخرى إضافة إلى مكانتهم فى القرآن الكريم فقد كان يحبّهم رسول الله (ص) ويأنس بهم، يجالسهم، يحدّثهم، يأكل ممّا يأكلون، لا يميّز بينهم، إلّا أنّ بلالاً كان يحظى بمعيه رسول الله (ص) وبمنزله أقرب عنده؛ حتّى راح الصحابه يكرمون هذه الثله المؤمنه المعدّبه، إكراماً لله ولرسوله.

تقول الروايه، عن عائذ بن عمرو: إنّ أبا سفيان مرّ على سلمان، وصهيب، وبلال فى نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها.

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

وأتى النبي (ص) فأخبره.

فقال (ص): «يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم؟ وإن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربّك».

فأتاهم أبو بكر، فقال: يا إخوانه، أغضبتكم؟ قالوا: ما غضبنا، يغفر الله لك يا أخى. (٣)

١- قاموس الرجال، للتستري ٢: ٣٩٨.

٢- مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٣.

٣- المصدر نفسه ٥: ٢٦٦.

فبقى الصحابه يجلونهم ويكرمونهم، لما سمعوه من رسول الله (ص) بحقهم، ولما رأوه من عنايته بهم، وتفقدده لهم.

ومن علو مكانته عند رسول الله (ص) ورفعتها أن كانوا ينسبونه إليه فيقولون: بلال رسول الله (ص) فقد حدث مره أن شاعراً امتدح شخصاً اسمه بلال، وكان ابن عبدالله بن عمر، فقال في شعره من الطويل:

بلال بن عبدالله خير بلال

فقال له ابن عمر: كذبت، بل بلال رسول الله (ص) خير بلال.

ولم يعهد من عمر بن الخطاب إلا أنه كان ينادى بلالاً (سَيِّدنا)، وكان يأذن له ولاخوانه المعديين بدخول مجلسه قبل أن يأذن لشيخ قريش وأشرافها كما مر بنا.

وفى خبر آخر يدل على ملاحقه رسول الله (ص) أصحابه تريبه وتهذيباً من أدران الجاهليه، وما علق بنفوسهم منها يقول: عيّر أبوذر بلالاً بأمه فقال: يا بن السوداء! وإن بلالاً أتى رسول الله (ص) فأخبره، فغضب! فجاء أبوذر ولم يشعر، فأعرض عنه النبي (ص) فقال: ما عرضك عني إلا شيء بلغك يارسول الله، قال: أنت الذي تعيّر بلالاً بأمه؟

قال النبي (ص): والذي أنزل الكتاب على محمّد أو ما شاء الله أن يحلف ما لأحد على أحد فضل إلا بعمل، إن أنتمم إلا كطف الصّاع.

أى كلّمك قريب، بعضكم من بعض، فليس لأحد فضل إلا بالتقوى؛ لأنّ طفّ الصّاع قريب من ملئه، فليس لأحد أن يقرب الإناء من الامتلاء. (١)

وفى روايه تقول: إنّ بنى أبى البكير جاؤوا إلى رسول الله (ص) فقالوا: زوج أختنا فلاناً، فقال لهم:

أين أنتم من بلال؟

ثمّ جاؤوا مره أخرى، فقالوا: يارسول الله أنكح أختنا فلاناً.

فقال: أين أنتم عن بلال؟

ثم جاؤوا الثالثه فقالوا: أنكح أختنا فلاناً.

فقال: أين أنتم عن بلال، أين أنتم عن رجل من أهل الجنه؟!

قال زيد بن أسلم صاحب هذه الروايه: فأنكحوه. (١)

رحمتها رحمك الله

وحظى بلال بدعاء رسول الله (ص) له بالرحمه، حينما مرَّ بلال بيت من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، حيث يقول بلال: مررتُ على فاطمه عليها سلام الله، وهي تعالج الرِّحاح، قال: وابنها الحسين يبكي، قال: وحانت الصلاه، قال بلال:

فقلت لفاطمه: أيما أعجب إليك؟! أكفيك الرِّحاح أو الصبي؟

فقلت فاطمه: أنا ألطف بصبيي.

قال: فأخذتُ بقيه الطحن، فطحنته عنها.

فأتيتُ رسول الله (ص) فقال: يا بلال ما حبسك؟

فقلت: يارسول الله، مررتُ على فاطمه وهي تعالج الرِّحاح، فأعنتها على طحنها.

فقال رسول الله (ص): رحمتها رحمك الله. (٢)

ذرني أذهب إلى الله

كلمات ما أعظمها، نطق بها لسان هذا العبد الصالح! فقد قال يوماً لأبي بكر: إن كنت أعتقتني لله فدعني حتى أعمل لله، أو ذرني أذهب إلى الله، وإن كنت أعتقتني لتتخذني خادماً، فاتخذني.

فيكي أوبكر وقال: إنَّما أعتقتك لله، فاذهب، فاعمل لله تعالى.

١- مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٢.

٢- المصدر نفسه.

ولمّا كانت خلافه أبي بكر، تجهّز بلال ليخرج إلى الشام.

فقال له أبو بكر: ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال، لو أقمت معنا فأعتتنا.

قال: إن كنت إنّما أعتقتني لله تعالى، فدعني أذهب إليه، وإن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني عندك.

بلال المؤذّن و أجره العظيم

روى أنّ رسول الله (ص) كان قد بشّر بلالاً والمؤذنين بالجنّة:

«نعم المرء بلال، ولا يتبعه إلا مؤمن، وهو سيّد المؤذنين، والمؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة».

«يحشر المؤذنون يوم القيامة على نوق من نوق الجنّة، يقدمهم بلال رافعي أصواتهم بالأذان، ينظر إليهم الجمع، فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: مؤذّنو أمّه محمّد ٩ يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون».

«اتّخذوا السودان، فإنّ ثلاثه منهم من سادات الجنّة، لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذّن».

أبشر يا بلال، فقال: بم تبشّرني يا عبد الله بن عمر؟

فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «يجيء بلال يوم القيامة معه لواء، يتبعه المؤذنون حتّى يدخلهم الجنّة».

قال رسول الله (ص): ... «ثمّ نظر إلى بلال فقال:

يُحشر هذا على ناقه من نوق الجنّة، فيقدّمنا بالأذان محضاً، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قالت الأنبياء مثلها: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله.

فإذا قال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فمن مقبول منه ومردود عليه.

قال: فيتلقي بحلّه من حلل الجنّة، وأوّل من يكسى يوم القيامة من حلل الجنّة بعد الأنبياء، الشهداء، وصالح المؤذنين.

وفى روايه أخرى: وأوّل من يكتسى من حلل الجنّه بعد النبيّن والشهداء، بلال، وصالح المؤذّنين.

«أنفق يا بلال، ولا تخشى من ذى العرش إملاقاً».

«يا بلال مت فقيراً، ولا تمت غتياً» قلت: فكيف لى بذلك يارسول الله، كيف لى بذلك؟ قال: «هو ذلك أو النار».

وعن أنس بن مالك، قال رسول الله(ص): اشتاقت الجنّه إلى ثلاثه: إلى عليّ، وعمّار، وبلال.

يا بلال، ليس شيء أفضل من عملك، إلاّ الجهاد فى سبيل الله.

قال رسول الله(ص) فيه: «نعم المرء بلال، وهو سيّد المؤذّنين».

وفى أخرى: يجىء بلال يوم القيامة مع لواء، يتبعه المؤذّنون، حتّى يدخلهم الجنّه.

من صفاته الجميله: الصدق و التواضع

لم تزدّه سابقته فى الإسلام وجهاده وعطاؤه واحترام رسول الله(ص) له وحبّه إياه واحترام المسلمين له، إلاّ تواضعاً وحياءاً وصدقاً، لم يكن يسمع كلمات المدح والثناء توجّه إليه، وتغدق عليه، إلاّ ويحنى رأسه، ويغضّ طرفه، ويقول ودموعه على وجنتيه تسيل: إنّما أنا حبشّى.. كنت بالأمس عبداً!

وتقول الروايه:

خطب بلال، وأخوه إلى أهل بيت من اليمن.

فقال: أنا بلال، وهذا أخى، عبدان من الحبشه، كُنّا ضالّين، فهدانا الله، وكُنّا عبيد فاعتقنا الله، إن تنكحونا فالحمد لله، وإن تمنعونا فالله أكبر. (١)

وفى روايه أنّ أخاه كان يزعم أنّه من العرب، فخطب امرأه من العرب، فقالوا: إن حضر

بلال بن رباح، وهذا أخى، وهو امرؤ سوء فى الخلق والدين، فإن شئتم أن تزوجه فزوجه، وإن شئتم أن تدعوا فدعوا، فقالوا: من تكون أخاه تزوجه فزوجه.

مواقف تغيضهم

طالما كان بلال يبحث عن أى موقف أو كلمة يغيض بهما الكفار والظالمين، بل غيظهم وغيضهم عليه، يعدّ فى قاموسه عزاً له وسعادةً يكتسبها فى الدنيا والآخرة، انطلاقاً من قوله تعالى: (وَلَا يَطُؤْنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ). (١)

فقد كان بلال من السبعة الأوائل، الذين أعلنوا إسلامهم، فكان موالى بلال يأخذونه فيضجعونه فى الشمس، ثم يأخذون الحجر فيصفونه على بطنه ويعصرونه، ويقولون: دينك اللات والعزى.

فيقول: ربى الله، ويقول: أحدٌ أحد، فقال:

وأيم الله، لو أعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها.

دخل رسول الله (ص) الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذن.

وأبوسفیان وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتّاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه.

فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحَقَّقٌ لا تبعته.

فقال أبوسفیان: لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى.

فخرج عليهم النبى (ص) فقال: «قد علمت الذى قلت، ثم ذكر لهم».

فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك.

وفى خبر آخر ما كان أعظمه وأشدّه على قلب بلال لما كان يوم الفتح، رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة، فقال بعض الناس: ... لهذا العبد الأسود أن يؤذن على ظهر الكعبة.

فقال بعضهم: إن يسخط الله بغيره، وقال آخر يخاطب أبا جهل فى قبره: ... ولا تنظر هذا الحمار ينهق.

حقاً: (وَلَا يَطُورُنَّ مَوْطِنًا يَنْغِيظُ الْكُفَّارَ...).

الجزء العادل

لم ينس بلال أميه أبداً، أمنيته راودته بل عاشت فى كيانه وأخذت عليه حياته، أن يمكنه الله منه، وقد كان لا ينساه، لأنه معذبه ومخرجه من مكه، يقول الخبر: كان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليله

بواد وحولى إذخرّ وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنه

وهل يبدون لى شامه وطفيل

ثم يبدأ بلعنهم: اللهم العن عتبه بن ربيعه، وشيبه بن ربيعه، وأميه بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء. (١)

حتى جاءت معركة بدر، فكان اللقاء، وكانت تصيفه الحساب.

نعم، تأتى بدر وتقع قريش فى هزيمه نكراء، حلت بها، ولقنتها درساً عجيباً، وهنا هم أميه بن خلف بالنكول، لولا أن صديقه عقبه بن أبى معيط وهو المحرض على تعذيب المؤمنين، أخذ يحفره ويشجعه حيث جاءه حاملاً معه (مجره) حتى إذا واجهه وهو جالس وسط قومه، ألقى الجمره بين يديه وقال له: يا أبا على استجرم بهذه، فإتما أنت من النساء، وصاح به أميه قائلاً: قبحك الله، وقبح ما جئت به، ثم لم يجد إلا أن يترك نكوصه ويخرج إلى بدر، ليتقدم فى المعركة.

هذا ما شاءته الأقدار، حيث خرج أميه للمعركة واشتجرت الأسنه وتعانقت السيوف،

فالتقى الخصمان وجهاً لوجه؛ إنه أميّه وهو يسمع انشوده بلال وشعاره أحد أحد، إنه بلال!

نعم أميّه بن خلف.. بلال بن رباح

زعيم من زعماء قريش.. عبد حبشى.. إنه الكفر كله قبال الإيمان كله.

حقاً، إنها إرادة الله، يخذل الطغاه وينصر المستضعفين المعذبين: (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

فيصرخ بلال بأعلى صوته: إنه «رأس الكفر أميّه بن خلف..» ثم يعلو صوته، صوت المعذب: لا- نجوت إن نجا، لا- نجوت إن نجا...».

وينقض عليه بلال بسيفه كالأسد الهصور ليقضى عليه، بضربه نجلاء، قاضيه نافذه، يروى بها ظمأ المهاجره فى فؤاده، لولا أن صاح به عبدالرحمن بن عوف، فيقول: أى بلال.. إنه أسيرى.

لم يقنع بلال نفسه بهذا الأسر، لرأس طالما أثقله الكبر والغرور.. وهنا وقف بلال وهو فى أعلى درجات غضبه، كاسف البال مهموماً، فهو يريد أن ينتقم من أكبر أعداء الله والإسلام. لكن حمى عبدالرحمن بن عوف مصون.

فقد غنم أدرعاً يوم بدر، فمرّ بأميّه بن خلف وابنه، فقال له: نحن خير لك من هذه الأدرع؛ أى خذنا أسيرين نسلم من القتل، وتأخذ فداءنا فطرح الأدرع، وأخذ بيدهما، ومشى بهما.. إلا أنه خسر الأدرع، وخسر أسيره أميّه، فقد قتل هذا الأخير حتى قال عبدالرحمن: رحم الله بلالا ذهب ادراعى وفجعنى بأسيرى.

فقد التفت بلال إلى الجموع المقاتله من المسلمين، ليؤلبهم ويستعديهم على هذا الظالم، وإن تركه هو رعايه لحمى عبدالرحمن، فليروا رأيهم فيه، وهو يتمنى أن لا يتركوه حياً، فإن لم يستطع أن يشفى بيده قلبه، فليدع الأمر لهم.

فصاح بهم إنه أميّه بن خلف، يا أنصار الله، رأس الكفر أميّه بن خلف.. لا نجوت إن نجا.. إلا أنه حيل بينه وبين ما يريد.

فانقض عليه المسلمون، ضاربين حرابهم، ومسددين قذائفهم إلى صدر غريمهم، وعدو

الإسلام، وفي هذه اللحظه لم يستطع عبدالرحمن بن عوف أن يحميه. (١)

وهناك من يقول: إنَّ بلالاً هو الذى قتله، حتّى قال فيه أحد الشعراء أبياتاً منها قوله:

هنيئاً زادك الرحمن خيراً

فقد أدركت تأرك يا بلال (٢)

وقد يسأل سائل: لماذا لم يصفح بلال الصفح الجميل؟

إنَّ من يطلب ذلك، عليه أن يجعل نفسه مكان بلال نفسه، وأن يمرّ بما مرّ به بلال، وما ناله من معذّبيه، ونترك خالد محمّد خالد يجيب عن هذا التساؤل:

لا أظنّ أنّ من حقّنا أن نبحت عن فضيله التسامح لدى بلال فى مثل هذا المقام.

فلو أنّ اللقاء بين بلال وأمّيه تمّ فى ظروف أخرى؛ لجاز لنا أن نسأل بلالاً حقّ التسامح، وما كان لرجل فى مثل إيمانه وتقواه أن يبخل به.

لكن اللقاء الذى تمّ بينهما، كان فى حرب، جاءها كلّ فريق ليفنى غريمه.

السيوف تتوهج، والقتلى يسقطون... والمنايا تتواثب، ثمّ يبصر بلال أمّيه الذى لم يترك فى جسده موضع أنمله إلاّ ويحمل آثار تعذيبه.

وأين يبصره وكيف؟

يبصره فى ساحه الحرب والقتال، يحصد بسيفه كلّ ما يناله من رؤوس المسلمين، ولو أدرك رأس بلال ساعتئذٍ؛ لطوّح به.

فى ظروف كهذه يلتقى الرجلان فيها، لا يكون من المنطق العادل فى شيء أن نسأل بلالاً: لماذا لم يصفح الصفح الجميل؟!

بلال والفاجعه الكبرى

ظلّ بلال مواكباً لرسول الله (ص) طيله حياته الإيمانيه معه، قريباً منه، وعينان تتبركان برؤيته.. فدخل بلال على رسول الله (ص) إلاّ أنّه فى هذه المرّه وجده مسجّى على فراشه.

١- صحابه النبى (ص)، للجميلى: ١٧٦.

٢- أعيان الشيعة ٣: ٦٠٤.

فما كان منه وهو الحبيب إلا أن انحدرت دموعه غزيره، واستقرَّ حزنه في قلبه.

نزل الأمر المحتوم، صَلَّى على الجثمان الطاهر، ثم خرج ودموعه على وجنتيه.

وما إن دفن رسول الله (ص) حتى جلس بلال في زاويه من زوايا المسجد وحده في حزن عظيم.. وظلَّ هكذا متألمًا باكيًا حتى حان وقت الأذان، والمسلمون ينتظرون بلالاً، وصوته الندى.. لكنَّه لم يؤذِّن.

وأحسَّ بالفراغ الكبير، ثم راح يتساءل مدهوشاً لمن يؤذِّن؟

لم ينم حتى الصباح، حيث اللقاء في المسجد، فحان وقت صلاة الفجر، وعلى بلال أن يؤذِّن لها..

ف قيل له: الأذان يا بلال.

ارتفع صوت بلال ندياً جميلاً رائعاً:

الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن لا إله إلا الله

وهنا عادت المصيبة ماثلة أمام عينيه.. فاحتبست الشهادة الثانية في فيه، وحشرجت آهاته في صدره.. وانهمرت دموعه.. ولم يتمالك نفسه، فراح الجميع يشاركه البكاء..

بقى بلال طويلاً لا ينطق بها... ثم تغلَّب الرجل على عواطفه وأحزانه وعبراته المتدفقة فنطق بها، ولكن بصوت هادئ هذه المرّة ثم أكمل فصول الأذان، إنَّه الأذان الأخير..

فقال والدموع في عينيه: لن أوذِّن بعد اليوم، فليؤذِّن غيري، وفعلاً ظلَّ هكذا ولم يؤذِّن، وحتى بعد أن تولَّى الخلافة أبوبكر، وقال لبلال: أذِّن.

فأبى بلال وقال له: إن كنت إنَّما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت اشتريتني لله، فدعني وعملي لله، فقال أبوبكر: ما أعتقتك إلا لله.

فأجاب بلال، والحزن مرتسم على وجهه: فإني لا أوذِّن.

ثم لم يطق البقاء في المدينة بعد وفاه الرسول (ص) وحاول مرّات أن يخرج إلى الجهاد، في أيّ مكان كان بعيداً عن أجواء المدينة.

إلاّ أنّ جمعاً من الصحابه منعوه، وكان منهم أبوبكر، حيث قال له متوسّلاً: أنشدك بالله يا بلال! وحرمتي وحقّي، فقد كبرت وضعفت واقترب أجلى، فأقام معه حتّى توفّي. (١).

وفي خلافة عمر ألح عليه أن يؤذّن فأبى.

فقال له: إلى من ترى أن أجعل النداء؟

قال: إلى سعد، فقد أذن لرسول الله (ص)، فجعله إلى سعد وعقبه. (٢).

ثم قرّر بلال أن يخرج إلى الجهاد في الشام، فذهب إلى عمر يستأذنه بالخروج فقال له:

ألا تبقى يا بلال بجواري، كما كنت بجوار النبي (ص) وبجوار أبي بكر؟

فقال بلال: أحنّ إلى الجهاد يا أمير المؤمنين، وأرى الجهاد من أفضل الأعمال.

فقال له عمر: لك ما تريد يا بلال.

وأذن له، فخرج إلى الشام، ولحق بجيش أبي عبيده الجراح، وظلّ مجاهداً في سبيل الله.

ويزور عمر بن الخطّاب الشام أثناء خلافته، ويلتقى مع بلال، ويتوسّل المسلمون إلى عمر أن يطلب من بلال ليؤذّن لهم ولو بصلاه واحده!

ولما حان وقت الصلاه، رجاه عمر أن يؤذّن لها، واستجاب بلال لطلبه، وصعد بلال، فأرّهف الناس سمعهم، وانطلق صوته الندى يسرى كالنسيم، ويسمع الناس صوته للمرّه الأولى بعد وفاه النبي (ص) ولم يُر يوماً كان أكثر باكياً من يومئذ، ذكراً منهم للنبيّ. ٩. (٣).

بلال عند علماء الرجال والحديث

كانت لبلال منزله كبيره ومرموقه عند علماء الرجال والحديث، ولم أجد فيما تيسّر لي قادحاً ذاتاً له أبداً، نذكر شيئاً ممّا قاله بعضهم فيه:

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه، ١: ٣٥٧.

فقد قال عنه الشيخ الطوسي في رجاله:

شهد بدرًا، وتوفي بدمشق، في الطاعون سنه (١٨)، كنيته أبو عبدالله، وقيل: أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الكريم وهو بلال بن رباح، مدفون بباب الصغير بدمشق، من أصحاب رسول الله (ص).

وقال عنه الكشي: كان بلال عبداً صالحاً.

وروى الصدوق في باب الأذان والإقامة من الفقيه:

... عن أبي بصير، عن أحدهما ٨ أنه قال: «إِنَّ بِلَالَ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا، فَقَالَ: لَا أُؤَدِّنُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَتَرَكَ يَوْمَئِذٍ حَيَّ عَلَيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ».

وروى أيضاً: أنه لما قبض النبي (ص) امتنع بلال من الأذان، وقال: لا أُؤَدِّنُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص)؛ وَأَنَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) قَالَتْ ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَ مُؤَدِّنِ أَبِي (ص)» فَبَلَغَ ذَلِكَ بِلَالَ، فَأَخَذَ فِي الْأَذَانِ، فَلَمَّا قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ذَكَرَتْ أَبَاهَا (ع) وَأَيَّامَهُ فَلَمْ تَتِمَّالِكُ مِنَ الْبُكَاءِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، شَهَقَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَام) شَهَقَةً، وَسَقَطَتْ لَوْجِهَا وَغَشِيَ عَلَيْهَا.

فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال، فقد فارقت ابنه رسول الله (ص) الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه.

فأفاقت فاطمة (عليها السلام) وسألته أن يتم الأذان، فلم يفعل، وقال لها: ياسيدة النسوان، إنني أخشى عليك ممّا تنزليينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك. (١)

وروى منصور بن حازم عن أبي عبدالله ٧ قال: لَمَّا هَبَطَ جَبْرِئِيلُ ٧ بِالْأَذَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَكَانَ رَأْسُهُ فِي حَجَرٍ عَلَى (ع) فَأَذَّنَ جَبْرِئِيلُ ٧ وَأَقَامَ، فَلَمَّا انْتَبَهَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَالَ: يَا عَلِيُّ سَمِعْتَ؟

قال ٧: نعم يا رسول الله (ص).

قال: حفظت؟

قال: نعم.

قال: ادع بلالاً، فعلمه.

فدعا بلالاً، فعلمه. (١)

هذا وقد ذكر الصدوق في الفقيه حديثاً طويلاً لبلال، يحدث به عمياً سمعه من رسول الله (ص) حول المؤذنين، وظيفتهم، وأجرهم. (٢)

وعن المجلسي الأول أنه قال: رأيت في بعض كتب أصحابنا عن هشام بن سالم عن الصادق، وعن أبي البختری قال: حدثنا عبدالله بن الحسن أنّ بلالاً أبا أن يبايع أبابكر وأنّ عمر أخذ بتلابيه، وقال له: يا بلال هذا جزاء أبا بكر منك أن أعتقك، فلا تجيء تبايعه.

فقال: إن كان قد أعتقني الله فليدعني الله، وإن كان أعتقني لغير ذلك، فها أنا ذا، وأما بيعته فما كنت أبايع من لم يستخلفه رسول الله (ص) والذي استخلفه بيعته في أعناقنا إلى يوم القيامة.

فقال له عمر: لا أبا لك، لا تقم معنا؛ فارتحل إلى الشام، وتوفى بدمشق، ودفن بباب الصغير، وله شعر في هذا المعنى:

بالله لا بأبي بكر نجوت ولو

لا الله نامت على أوصالي الضبع

الله بوأني خيراً وأكرمني

وإنما الخير عند الله يتبع

لا تلقيني تبوعاً كلّ مبتدع

فلست مبتدعاً مثل الذي ابتدعوا (٣)

ولابد لي من كلمه ولو قصيره: إن ترك بلال المدينة والابتعاد إلى الشام يبدو أنه لا يخلو من موقف من الوضع القائم بعد رسول الله (ص) وحتي امتناعه من الأذان.

٢- من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٢ ٢٩٧.

٣- أنظر أعيان الشيعة ٣: ٦٠٣.

وختاماً

لم تكتب لهذا الصحابي الجليل الشهاده التي تمنّاها طويلاً، وسعى إليها سعياً حثيثاً، أى مسرعاً حريصاً على أن ينالها فيلتحق بركبها، ركب الشهداء، إلاّ أنّ السماء شاءت لهذا العبد الصالح أن يبقى متعلّقاً بوصولها، مشتاقاً لها... حتّى كان مواعده مع الطاعون الذي اجتاح الشام يومذاك ففضى على حياه الكثير، وأُصيب به بلال سنه عشرين للهجره، فكانت وفاته بدمشق، وبعد أن أُصيب بلال به، وتغيّر لونه، وغارت عيناه، قالت له زوجته مواسيّه:

كيف حالك يا أبا عبدالله؟

فكان يقول لها: دنا الفراق.

فقال له: واحزنه.. واحزنه..

وعندها، فتح بلال عينيه، وهو يصارع المرض ويوجد بأنفاسه الأخيره.

بل، وافرحته، غداً نلقى الأحبه، محمّداً وصحبه!!

إذ حرمت يا بلال من الشهاده، وكنت حريصاً عليها حرصاً شهد لك به الجميع منذ لحظات إسلامك الأولى، فإنك لم تحرم أجرها ومنزلتها عند مليك مقتدر... دفن في مقبره في دمشق، بباب الصغير...

فسلام عليك عبداً صالحاً وفياً...

(١٤) أبوطالب

إشاره

مأوى الرسول و الرسالة

حسن الحاج

بنو هاشم

فى واد تُحيط به الجبال، وتحفّ به التلال، وفى مجتمع ظلّت الجاهليه بتقاليدها تنخر فيه... نشأت قبيله بنى هاشم من نسل إبراهيم الخليل (ع) وراحت من بين ثلاث وعشرين قبيله شكّلت قريشاً، تقف بكلّ شموخ وإباء لتؤدى دورها التوحيدى، ولتسطر أروع الصفحات وأجملها، وأفضل المواقف وأحسنها، فى تأريخ الإنسانيه على الإطلاق... بما حملته من أخلاق عاليه، وصفات محموده، وخصال نادره، ومواقف فريده، تميّزت بها على أقرانها قبائل ورجالاً ونساءً.

فبنو هاشم، سادّه قريش بل سادّه الدنيا، فهم كما وصفهم الجاحظ: «ملح الأرض، وزينه الدنيا، وحلى العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كلّ كريم، وسرّ كلّ عنصر شريف، والطينه البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، والمعدن الفهم، وينبوع العلم...» (١).

١- أنظر شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد، عن زهره الآداب للجاحظ: ٥٩.

فقد كان منهم رسول الله (ص) الذي ولد على رمال مكّة، أكرم خلق الله تعالى على الإطلاق وأفضلهم وأشرفهم وأعظمهم من الأولين والآخرين، فبه بزغ نور سرعان ما انتشر في الآفاق، حتى أضاءت له مشارق الأرض ومغاربها، فعدت الدنيا نيره بآيات الله تعالى التي حملها، رحمته للعالمين داعياً إلى الله، بشيراً ونذيراً شاخصاً بالعزّ والشموخ، نابضاً بالحياه، التي غدت تضجّ بين جنبات ذلك المجتمع السادر في غيّه وشركه، الضال عن الصراط، الغارق في آلامه ومشاكله، وعدوانيته وغزواته، وظلمه وطغيانه، ولهوه وترفه... فوردت كلّ مفاصله ونواحيها لتقلبه رأساً على عقب، وتخلق منه أمّة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وزخرت بعطاء دائم وخير عميم، ما انفكت الأجيال المتعاقبه تنتفع منه، وتقتطف ثماره مادام ليل وبقى نهار، لا يعرف النضوب أبداً، ولا يحده شيء، ولا ينتهي بأمد، ظلّ معينها يتجدد وعطاؤها يتسع، وكيف لا يكون كذلك، وهو عطاء السماء، الذي منّ الله به على رسوله (ص) لتباركه على يديه، فينضح كلّ ما بذره، ويدوم طويلاً، ويخلد ما شاء الله له الخلود والبقاء...

أبطال والنور اليتيم

هذا النور العظيم اليتيم منذ ولادته، راحت قلوب طيبه تحتضنه، وأيد مباركه ترعاه، يد جدّه عبدالمطلب الذي تشرفت برعايته واحتضانه، ثم كانت يد عمّه (أبوطالب) شبيهه بنى هاشم، شيخ قريش وزعيمها، وسيد قومه، الذي انطوت نفسه على خصال كريمه، كلّها شموخ وإباء وشهامه وعزّه.

فكان الكافل المدافع الذابّ عن رسول الله (ص) والذي أحاطه بعنايه عظيمه ورعايه قلّ نظيرها، خاصه إذا عرفنا مكانته في قبائل قريش وبين زعمائها، وما سببه ذلك من إحراج له، وضيق وأذى... ومع هذا كلّه، فقد صبر أيما صبر دفاعاً عن محمّد ورسالته، حتى أنّ قريشاً لم تكن قادره على أذى رسول الله (ص) مع عظيم رغبتها في ذلك، وكانت تتحين الفرص للإيقاع به، لكنها لم تستطع حتى توفي أبوطالب، فراحت تكيد له.

يقول رسول الله (ص): «والله ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب». ولم يهاجر إلى المدينة، إلا بعد وفاه عمه رضوان الله عليه.

فالحديث عن «أبو طالب» حديث عن الصمود والإباء، حديث عن الإيمان

الواعى، والموقف الحكيم ونكران الذات، حديث عن الظلامه التي تلاحقه، وما زالت إلى يومنا هذا.

ولا- يضرّ ولا- يفتّ في موقفه ما يُقال هنا وهناك، من أنّ أبا طالب لم يكن مؤمناً وقد مات كافراً، إنّه نتيجة من نتائج الصراع والنزاع الطويل والعميق في تاريخ كلا الأُسرتين: أُسره الخير والعطاء أُسره بنى هاشم، وأُسره بنى أميه المعروفه بالكيد والشرّ، وتأريخ الأُسرتين واضح بيّن لمن أراد الاطلاع عليه، إنّه نزاع بين الخير والشرّ، بين الفضيله والرذيله، بين المعروف والمُنكر، وقد تمخّض هذا الاختلاف، بل الصراع عن أمور كثيره، كان منها إتهام شيخ الأُسره وعميدها، بل عميد قريش وزعيمها وحليمها وحاكمها بالكفر، مع تاريخه الناصع، وذبه العنيد عن الرساله والرسول وموقفه الجليله، التي ملأت عصر الرساله الأوّل عصر التأسيس قوه وثباتاً.

لقد حفل تأريخ الرساله في صدر الإسلام بمواقف عظيمه، وأقوال جليله لشيخ قريش وسيدها بلا منازع، أثرت أثرها وتركت بصماتها على مسيره الرساله، فقد راحت مواقفه تتصدّر أولى مراحل الرساله، تضحيه وصبراً وثباتاً، وبما تحمله بين طياتها من آلام ومأساه تعرّض لها شيخ قريش وسيدها، فكان الملاذ الأوّل لرسول الله (ص) وكان الحزن الأوّل لدعوه السماء، حيث كانت الدعوه تأخذ مسارها بفضل ما قبيضه الله لها من رجال يحمونها ويضحون في سبيلها وكان أبو طالب أولهم، فحمايته لابن أخيه رسول الله (ص) والدفاع عنه وعن رسالته، أمر لا- يرتاب فيه أحدٌ، ولا ينكره منكرٌ، وهذا ما يراه كلّ باحث في حوادث العصر الأوّل للإسلام، وما سنلخصه في مقالتنا هذه.

اسمه

اختلفت الأقوال في اسمه: فقول ذهب إلى أنّ اسمه هو كنيته «أبو طالب»، وقول ذهب إلى أنّ اسمه «عمران»، وقول ثالث: ذهب إلى أنّ اسمه «شيبه» وقول أخير، ويبدو أنّه الأصح، ذهب إلى أنّ اسمه «عبد مناف»، وقد استدل أصحاب هذا القول بقول أبيه عبد المطلب وهو يوصيه بحفيده يتيم بنى هاشم رسول الله (ص) محمّد بن عبد الله (ص):

أوصيك يا عبد مناف بعدى

بواجد بعد أبيه فرد

وقال أيضاً:

وصيت من كنيته بطالب

عبد مناف وهو ذو تجارب

بابن الحبيب أكرم الأقارب

بابن الذى قد غاب غير آتب (١)

ألقابه

هذا فى اسمه، وأمّا ألقابه فكثيره، منها: شيخ الأبطح، سيد البطحاء، رئيس مكّه، بيضه البلد.

كنيته

وأما كنيته فهى: «أبو طالب» وبها اشتهر حتى طغت على أسمائه.

إذن فهو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرّه بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، ابن مدركه ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ونحن إذ نقف على عدنان؛ لأنّ المُشتغلين بالأنساب اتَّفَقوا على هذا النسب حتى عدنان، واختلفوا فى عدد أجداده بعد عدنان حتى نبى الله اسماعيل، فقبل أربعة أجداد بين عدنان واسماعيل، وقيل سبعة، فيما ذهب فريق ثالث إلى أربعين أباً.

ولأَنَّ رسول الله (ص) كان إذا انتسب يقف على عدنان ولا يتجاوزهُ، ويقول: «كذب النَّسَّابون» قال الله تعالى: (وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا). (١)

صفاته

عُرف أبو طالب بحكمته وحلمه وشجاعته الفذَّة، وشاعريته المستوقده، التي إن لم يوقفها كلُّها على خدمه وتأييد رسول الله (ص) والدعوه إلى ما جاء به من الحقِّ، فقد أوقف أكثرها من أجل ذلك، وكان وسيماً، جسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكمه، وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته، ويسمونه ببيضة البلد، ويلقبونه بشيخ الأبطح. (٢)

قيل لأكثم بن صيفى حكيم العرب: ممَّن تعلمت الحكمه والرياسه، والحلم والسياده؟

قال: من حليف الحلم والأدب، سيد العجم والعرب، أبو طالب بن عبدالمطلب.

وجرى ذات يوم كلام خشن بين معاويه وصعصعه وابن الكواء.

فقال معاويه: لولا أتى أرجع إلى قول أبى طالب لقتلتكم وهو:

قابلت جهلهم حلماً ومغفره

والعفو عن قدره ضرب من الكرم

أبوه

غنى عن التعريف، ولكنَّ المقام يدفنا إلى ذكر شيء من حياته ومناقبه، فهو عبد المطلب، شبيه الحمد، أمير مكَّه وشريفها، كان سيّد قومه بلا منازع، ومفزع قريش فى نوائبها، وملجأها، وكيف لا يكون كذلك، وهو حكيمها وحليمها وزعيمها... وكان موحداً لم يعبد صنماً قط، وصاحب الأخلاق العالیه، التي خلقت منه إنساناً ذا مهابه ووقار وهيبه وميل إلى الدين والنسك والكرم حتّى سمى بمطعم الطير... وهو الذى قام بحفر ماء زمزم، التي تفجرت تحت قدمى جدّه اسماعيل من قبل، بعد أن غاب أثرها، ولم يهتد إليها أحد

١- ابن عباس، فى تاريخ ابن عساكر؛ والطبقات، لابن سعد.

٢- الاحتجاج، للطبرسى ٢: ٣٤٢.

حتى هتف هاتف فى منامه، فراح يحفر حتى اهتدى إليها، مستعيناً بابنه الحارث، وحيداً يومذاك، كما كان صاحب الشرائع الفاضله، فهو الذى سنّ السنن التاليه:

الوفاء بالنذر، قطع يد السارق، النهى عن قتل المؤوده، تحريم الخمر، تحريم الزنا، المنع من نكاح المحارم، حظر طواف العراه بالبيت الحرام، وهى سنّه كان يعمل بها عند بعض قبائل الجاهليه.

وكّلها نالت قبول الإسلام وأمضاها، هذا إضافة إلى ما امتاز به من خصال فريده، وصفات جليله، راح يهدّب أولاده ومَن حوله على التحلى والالتزام بها.

ونكتفى هنا بذكر موقف عظيم له، يدلّ على عمق إيمانه وصدق توجهه نحو الله تعالى واليوم الآخر، وهو ما دار بينه وبين أحد طغاه عصره وهو ابرهه الحبشى:

فقد كانت لعبد المطلب ولايه البيت الحرام من السقايه والرفاده... فخذل الله على يديه ابرهه الحبشى وجنده، الذين جاؤوا لهدم الكعبه، وصرف الحاج عنها إلى بيت بناه فى اليمن، ليكون بديلاً عن الكعبه، ويجنى من عمله هذا مصالح ومنافع كثيره... ولما التقى ابرهه بعبد المطلب، كان كلّ هّمّه أن يستميله إلى جانبه، وأن يجعل منه أداة لتحقيق ما جاء من أجله، إلاّ أنّه مع كلّ ما قدّمه أو توعدّه به لم يجد منه إلاّ الرفض، وإلاّ الثقة العاليه بالله تعالى، مكتفياً بأن يردّ إليه إبله وشويهاته التى أخذها جنده، ممّا جعل ابرهه يسخر منه ويستخفّ به قائلاً:

كنت فى نفسى كبيراً، وسمعت أنّك وجيه فى قومك، فلّمّا سألتك عن حاجتك، وذكرت الإبل والشياه، ونسيت بلدك وأهلك وبيتك المقدّس، سقطت من عينى.

فكان جواب عبد المطلب مملوءاً حكمهً وتسليماً مطلقاً إلى الله تعالى، وهو أمر لا يدركه إلاّ من امتحن الله قلبه بالإيمان.

إنّها كلمات ما أقلّها، وما أعظمها!

«الإبل لى، وللبيت ربّ يحميه».

فقال ابرهه: ما كان ليمنع منى.

فقال عبد المطلب: أنت وذلك، وصعد على الجبل، متضرعاً، وهو ينشد:

يا ربِّ عادٍ من عاداك

وامنعهموا أن يهدموا حماك

ولم يكتف بهذا، بل راح يستحث قومه على ترك مكّه، واللجوء إلى الجبل، خشيه بطش ابرهه وجيشه، ثم طلب منهم التوجه إلى الله بالدعاء، وهو يرى أن لا قدره لقومه على ردع ابرهه وجيشه إلاّ بسلاح الدعاء... فحلت الكارثة بإبرهه وجنده، وهو ما تكفّلت بيانه سوره مباركه سميت بسوره الفيل عبر آياتها الخمس، فراحت تحكى ما حلّ بهذا الطاغية ومن معه. (١)

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمُ الْحَبْلَ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ).

في هكذا بيت يكتنفه التوحيد، ونبيل الصفات، وجميل الخصال... ولد أبو طالب قبل ولاده رسول الله (ص) بخمس وثلاثين سنه، فاتصف بكل صفاته ومناقبه فكان سيّد بني هاشم في الجاهليه بل سيّد قريش، في وقت لا ينال أحد السيادة هذه بلا مال إلاّ أبو طالب، وترعرع ونشأ في حجر زعيم هذا البيت وسيّده، في هكذا أسرته وفي هكذا جوّ مفعم بالخير والعطاء والحكمه والشجاعه والتسليم المطلق إلى الله تعالى، شبّ أبو طالب وقد انصهرت في نفسه شمائل هذه الأسره المباركه، التي عرفت بتأريخها الحافل وأمجادها العظيمه، فجده هاشم هو الذي أسّس الإيلاف: (لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)، فهو الذي أنشأ هاتين الرحلتين اللتين درّتا بخيرات عظيمه على قريش، ومنافع كبيره، وهو الذي نادى بالعداله وحبّ الناس ورفع الظلم عنهم، ومن قبله جدّهم قصي ابن كلاب، الذي كان له الدور الكبير في تنظيم المجتمع المكي، وجمع شتات قريش وشملها حتى سمى «مُجمَعاً».

وأبو طالب نفسه هو الذي سنّ القسامه (الأيمان) في الجاهليه، وكانت أولاً في دم عمر بن علقمه، ثم استمرت، وأمضتها الشريعه الإسلاميه فيما بعد، كما كانت له السقايه بعد أبيه، بل كان شريكاً له في خصائصه وأعماله.

إذن فهي أسره مشاريع كلها خير وعطاء، وهو وليد أسره هاشميه مباركه، راحت بركاتها تعم الخافقين!

أمه

كانت لعبد المطلب زوجات خمس، وكان له منهم عشرة ذكور وست نساء، فأُمّ عبدالله والد النبي ٩ وأبى طالب والد الإمام عليّ (ع) والزبير، وجميع النساء غير صفيه، كانت فاطمه بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظه بن مَرّه ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

فأبو طالب يلتقى مع رسول الله (ص) من الأم بجدهم مَرّه، فأُمّ رسول الله (ص) هي آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب بن مَرّه بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول الله (ص) أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبيل أبيه وأمه، (١)

وما من شك أنّ هذه الأشرفيه والأفضليه تشمل أبا طالب أيضاً.

زوجته

إنّ الكلام عن «أبو طالب» يجزّنا إلى الكلام عن زوجته الفاضله الوحيده، (٢)

ابنه عمه، وهي أول هاشميه تزوّجها هاشمي، وعليّ بن أبي طالب يعدّ واخوته هاشميين أباً وأماً، فقد تعود بنو هاشم أن يصهروا إلى أسر أخرى.

١- السيره النبويه، لابن هشام ١: ١١٠.

٢- قيل: إنّ له زوجه أخرى تُدعى «عَلّه» ولدت له «طليق».

لقد كانت هذه المرأة الجليله ذات منزله رفيعه جعلتها من اللاني امتازت

حياتهن بمواقف عظيمه في حركه الأنبياء ومسيرتهم عبر التاريخ، فقد أثنى عليها

رسول الله (ص) لاهتمامها به ورعايتها له طيله سبعة عشر عاماً، مما جعله شاكراً لها ولمعروفها معه، حتى كان يدعوها «أُمِّي بعد أُمِّي التي ولدتنى» فقد كانت تفضله على أولادها الأربعة.

حظيت هذه السيده، والمرأه المؤمنه الطاهره، بمكانه عظيمه في قلب رسول الله (ص) وتركت في نفسه آثاراً طيبه، راح يذكرها طيله حياته، ويترحم عليها، ويدعو لها... تقول الروايه:

لما ماتت فاطمه بنت أسد أم علي (ع) وكانت قد أوصت لرسول الله (ص) وقيل وصيتها ألبسها النبي ٩ قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي؛ لتكسى من حلل الجنّه، واضطجعت معها؛ ليهوّن عليها».

وفي دعاء خاص لها، قال: «اللهم اغفر لأُمِّي فاطمه بنت أسد، ولقنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها»، وخرج ٩ من قبرها وعيناه تذرفان دموعهما، وكان هذا في السنه الرابعه من الهجره النبويه.

لقد كانت رضوان الله عليها لرسول الله (ص) طيله سبعة عشر عاماً قضتها معه بمنزله الأم، بل كانت أمّاً بكلّ ما تعنيه هذه الكلمه من معنى، وقد كانت بارّة برسول الله (ص): «لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها» فحنانها وشفقتها ورعايتها له، بلغت مبلغاً عظيماً حتى فاقت رعايتها لأبنائها، وكأنّها تعلم أنّ له مكانه عظيمه وشأناً جميلاً تقول بعض الروايات كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً، ويصبح رسول الله (ص) كحياً دهنياً.

هذا في مداراتها لرسول الله (ص) وحبّها له؛ أمّا في إيمانها، فقد كانت بدرجة عظيمه، ومن السابقات إلى الإسلام بعد عشره من المسلمين، ومن المهاجرات الأول إلى المدينه، ثم هي

بعد هذا بدرية وهي كرامه عظيمه لها. (١)

بدأ أبو طالب حياته مع هذه السيدة الهاشمية المباركة بخطبته التي قال فيها:

«أحمد لله رب العالمين، رب العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم،

الذي اصطفانا أعلاماً وسادةً، وعرفاء خلصاً وقادةً، وحجّه بهاليل، أطهاراً من الخنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضّنا على العشائر، نخب إبراهيم وصفوته، وزرع إسماعيل، وقد تزوجت فاطمه بنت أسد، وسقت المهر، وأنفذت الأمر، فاسألوه واشهدوا».

فقال أسد: زوجناك ورضينا بك.

وأولم أبو طالب سبعة أيام متواليه، ينحر فيها الجزر، وفي ذلك يقول أميه بن السلط:

أغمزنا عرس أبي طالب

وكان عرساً لين الجانب

إقراؤه الضيف بأقطارها

من رجل خفّ ومن راكب

فنازلوه سبعة أحصيت

أيامها للرجل الحاسب

أولاده

كان لأبي طالب من الأولاد المذكور أربعة، أكبرهم طالب، ثم عقيل، ثم جعفر ثم عليّ (ع) وكلّ واحد أكبر من الذي بعده عشر سنوات، وكان عليّ (ع) أصغر أولاده.

ومن الإناث: أمّ هاني، وكلّهم من فاطمه بنت أسد، التي لم يتزوج غيرها.

أبو طالب ورسول الله (ص)

بعد هذا الاستعراض السريع، نعود إلى علاقته برسول الله (ص) كفالةً وحبّاً ودفاعاً وإيماناً بما جاء به؛ أمانه السماء التي حملها رسول الله (ص) بشيراً ونذيراً، ورحمةً للعالمين.

١- أنظر في هذا وغيره مقالتنا في ميقات الحج.

فإنه يحسّ بشرف!

لقد تكفل جدّه عبد المطلب محمداً تربيته وتنشئته... وحفظه ورأف به رأفه لم يرأفها بأولاده أبداً؛ فقد كان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلاّ أحضره معه وشركه فيه... وليس هذا فقط، بل كان يقربه ويدنيه إلى مجالسه العامه والخاصه؛ لأنّه كان يستبشر به خيراً كثيراً، فكان لعبد المطلب مجلس خاص به في حجر إسماعيل، وهو مكان تعود العرب أن لا يجلس فيه إلاّ زعمائهم، وأشرافهم، وكبرائهم، دون غيرهم من الناس، مهما كانت منزلتهم، وعلت مكانتهم، فهذا المكان كان خاصاً بأولئك الأشراف.

قال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: سمعت أبي يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامه، وأحسن الناس وجهاً، ما رآه قط شيء إلاّ أحبّه، وكان له مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس معه عليه أحد، وكان الندي من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون دون المفرش.

فجاء رسول الله (ص) وهو غلام يدرج ليجلس على المفرش، ف جذبوه فبكي.

فقال عبد المطلب، وذلك بعدما حجب بصره؛ ما لابني يبكي!؟

قالوا له: إنّه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه.

فقال عبد المطلب: دعوا ابني، فإنه يحسّ بشرف، أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط. (١)

الكفاله المباركه

كان عبد المطلب يرى في ابنه «أبوطالب» الذي حظى بورائه جميع مناقبه الشخصيه اللائقه بما تملكه من صفات رفيعه وخصال جليله، بكفاله يتيم بني هاشم، سيد الكائنات محمّد بن عبدالله، الذي كان يترقّب كما ذكرنا فيه شرفاً عظيماً، وأمراً كبيراً، ومستقبلاً

١- أنظر حجر اسماعيل، في تاريخ الأزرقى والفاكهى وغيرهما.

باهرأ، لا- يخلو من مخاطر وعقبات وآلام قد يتعرّض لها في مسيرته، وهو ما يلمسه كلّ قارئ لوصيته، التي أودعها ابنه البار أباطالب، الذى رآه من دون الآخرين من بنى هاشم وغيرهم، جديراً بحمل هذه الأمانة، وهى أمانه ليست سهله بما تحمله من آثار كبيره ومشاكل جمّه، قد يتعرّض لها أبوطالب أيضاً، لهذا نرى عبد المطلب قد اختاره من دون إخوته الآخرين لهذه المسؤوليه، فما إن نزل به المرض حتى نادى أبا طالب، وراح يعهد إليه كفاله حبيبه محمّد، ويوصيه بقوله:

«أنظر يا أبا طالب، أن تكون لهذا الوحيد، الذى لم يشم رائحه أبيه، ولم يذق شفقه أمّه، أنظر أن يكون منك بمنزله كبداك، فإننى قد تركت بنى كلهم، وخصصتك به...»

وفى قول آخر: «يا أبا طالب إننى قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له».

وفى قول ثالث: «يا بنى قد علمت شدّه حبى لمحمّد ووجدى به، أنظر كيف تحفظنى فيه».

ثمّ قال: «إن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه، والله سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحد من آبائى».

ثمّ راح يصوّب ناظره إلى وجه أبى طالب، كأنه يريد أن يستطلع ما يدور فى خلجات نفسه وردودها فيقول:

هل قبلت يا أبا طالب؟

فيجيبه قائلاً: قد قبلت، والله على ذلك شهيد.

ثمّ يضع يده بيد ابنه، ويشدّ بقوه عليها، قائلاً: الآن خُفّف على الموت، وراح يغمض عينيه بهدوء، ويرحل هناك إلى حيث الدار الآخرة بقلب راض ونفس مطمئنّه، عن عمر ناهز مئه وعشرين عاماً.

فكان أبو طالب يؤثّره بالنفقه والكسوه على نفسه وعلى جميع أهله، ويغدق عليه محبته وعطفه وحنانه، يقول ابن سعد فى طبقاته:

كان أبو طالب لا مال له، وكان يحب محمّداً حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرجه معه، وصبّ به أبو طالب صبابه لم يصب بشيء مثلها قط، وكان

يخصّه بالطعام. (١)

ثمّ واصل ابن سعد قوله:

وشبّ رسول الله (ص) مع أبي طالب يكلّؤه ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهليه ومصائبها. (٢)

وصحبه!

و صحبه! (٣)

وصحبه في الاستسقاء لقومه داعياً ربّه أن يكشف عنهم القحط، وهنا بسط محمّد كفيّه، ودعا مع عمّه، فإذا الغيث ينهمر من السماء وافياً كافياً.

ذكر ابن عساكر من أنّ أهل مكّه قحطوا، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنّه شمس تجلّت، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبه، ولاذ الغلام بإصبغه، وأوماً نحو السماء، فأقبل السحاب من هنا وهناك، وأغدق وأخصبت الأرض.

وهنا أنشأ أبو طالب يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمه للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم

فهم عنده في نعمه وفواضل

وصحبه في رحلته إلى ذى المجاز، وفيها عطش أبو طالب حتى كادت حراره العطش تلتهم كبده، فما كان من محمّد إلا أن مدّ يده إلى صخره شامخه، فإذا بالماء يتدفّق منها عذباً فراتاً.

١- الاحتجاج ١: ٣٤٣.

٢- طبقات ابن سعد ١: ١١٩ ١٢١.

٣- شرح نهج البلاغه ٣: ٤٦٩.

وصحبه لينخطب له خديجه بنت خويلد الأسدي، المعروفه بشرفها وعفتها ومالها، فقد كانت تستأجر الرجال في تجارتها، وقد حظيت أخيراً برسول الله (ص) ليخرج في تجارتها إلى الشام وهو ابن خمس وعشرين سنه مع غلامها ميسره، فباع بضاعتها بأضعاف ما كانت خديجه تربحه، فسرت بهذا كثيراً، وحدثت نفسها بالزواج منه.

فابتدأ أبو طالب خطبتها بأن قال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذريه إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه.

مأجمل كلامك يا أبا طالب و أعظمه!

ثم إن ابن أخي هذا يعنى محمّد بن عبدالله ممّن لا- يوزن برجل من قريش، إلا- رجح به، ولا يقاس به رجل إلاّ عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلّاً في المال، فإنّ المال رفق جار وظلّ زائل!

وله في خديجه رغبه، وقد جئناك (ويقصد به ورقه بن نوفل عمّها) لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر علىّ في مالي، الذي سألتموه عاجله وآجله، وله وربّ هذا البيت حظّ عظيم ودين شائع ورأى كامل.

ثمّ سكت أبو طالب، وتكلّم عمّها وتلجج أي تردّد في الكلام وقصر عن جواب أبي طالب، وأدركه القطع والبهر (النفس من الأعياء).

وهنا قالت خديجه مبتدئه: يا عمّاه إنك وإن كنت أولى بنفسى منّي في الشهود، فلست أولى بي من نفسى، قد زوّجتك يا محمّد نفسى والمهر علىّ في مالي، فأمر عمّك، فلينحر ناقه فليولم بها، وادخل على أهلك.

وهنا قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمّداً وضمّانها المهر في مالها.

فقال بعض قريش: يا عجبا المهر على النساء للرجال! فغضب أبو طالب غضباً شديداً، وقام على قدميه، وكان ممّن يهابه الرجال، ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي

هذا، طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم، لم يزوجوا إلا بالمهر الغالى.

ونحر أبو طالب ناقه، ودخل رسول الله (ص) بأهله.

إظهار الدين الجديد

فى السنه الرابعه من البعثه النبويه المباركه، جاء أمر السماء محمداً أن يظهر دعوته، ويظهر بها، فبادر رسول الله (ص) عمه العباس قائلاً له:

إن الله تعالى أمرنى بإظهار أمرى، فما عندك؟

فقال له العباس: يا ابن أخى، تعلم أن قريشاً أشدَّ حسداً لوالدك، وإن كانت هذه الخصله الطامه الطماء، والداهيه العظمى، ورمينا عن قوس واحد، لكن قرب إلى عميك أبى طالب، فإنه أكبر أعمامك، إن لا ينصرک، لا يخذلك ولا يسلمک، فأتياه، فلما رآهما أبو طالب قال: ما جاء بكما فى هذا الوقت؟ فأخبره العباس بالحال، فنظر إليه أبو طالب وقال: يا ابن أخى إنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلقك لسان، إلا سلقته ألسن جداد، واحتدمته سيوف حداد، والله لتذللن لك العرب، ولقد كان أبى يقرأ الكتب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبى لنيباً، لوددت أنى أدركت ذلك فآمنت به، فمن أدركه من ولدى فليؤمن به.

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (١):

وفى تفسير هذه الآيه، بعض من المفسرين ومن أصحاب السير أن النبى الله (ص)

لما قام ليدعو أسرته، عارضه أبولهب، فقال أبو طالب: اسكت يا أعور! ما أنت

وهذا؟ ثم قال للنبي (ص): قم يا سيدى وتكلم بما تحب، وبلغ رساله ربك، فإنك الصادق الصديق. (٢)

١- الشعراء: ٢١٤.

٢- أنظر غايه السؤال عن إبراهيم الحنبلى بأسانيد عديده ؛ وغيره من المصادر.

وفود قريش

تعاقبت وفود قريش على أبي طالب، بعد أن أعلن رسول الله (ص) رساله السماء، فكان يواجهها بمواقفه المعروفه بالحكمه.

وفد قريش الأول

ومضى رسول الله (ص) على أمر الله، مظهراً لأمره، لا- يردّه عنه شيء، فلَمّا رأت قريش أنّ رسول الله (ص) لا- يعتبهم (أى لا يرضيهم) من شيء، أنكروه عليه، من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أنّ عمّه أبا طالب قد حَدِبَ عليه، وقام دونه، فلم يُسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، عتبه وشيبه، ابنا ربيعه ابن عبد شمس...، وأبو سفيان بن حرب بن أمّيه... وأبو البختری، والأسود بن عبدالمطلب ابن أسد، وأبو جهل، والوليد بن المغيره، ونبيه ومثبه ابنا الحجاج، والعاص بن وائل.

فقالوا وهم على كلمه واحده لا- غيرها: إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضللّ آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّى بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.

وفد قريش الثاني

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرّة أُخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلهً فينا، وإنا استهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنّا، وإنا والله لا- نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

وفي خبر آخر، أنّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقاله، بعث إلى رسول الله (ص) فقال له: يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبقِ

علّى وعلى نفسك، ولا تُحمّلنى من الأمر ما لا أطيق.

فظنّ رسول الله (ص) أنّه قد بدا لعَمّه فيه بداء، أنّه خاذله ومسلّمه، وأنّه قد ضعف

عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله (ص): «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يمينى، والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته» ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ثم قام، فلَمّا ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخى، قال: فأقبل عليه رسول الله (ص)، فقال: إذهب يا ابن أخى، فقل ما أحببت، فوالله، لا أسلّمك لشيء أبداً.

وفد قريش الثالث

ثم إنَّ قريشاً حين عرفوا أنّ أبا طالب أبى خذلان رسول الله (ص) مشوا إليه بعُماره بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عماره بن الوليد، أنهد (أشدّ وأقوى) فتى في قريش وأجمله، فخذّه، فلك عقله ونصره، واتخذّه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعه قومك، وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنّما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسوموننى (تكلفوننى) أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونّه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً. (١)

أبو طالب والموقف القرشى

وأخيراً وبعد أن يئست وفودها تيقنت قريش وزعمائها أنّ أبا طالب لا يسلم ابن أخيه ولا يخذله، بل سيمنع محمّداً (ص) منهم بكل ما أوتى من قوّه، وما دام فيه عرق ينبض، بل راحوا يلمسون ويرون نشاطه الواضح فى الترويج للرساله الجديده، ويحرّض أهله على الإيمان بها، والوقوف بجانب محمّد (ص) ونصرته.

فتارة: يأمر ابنه جعفرًا بالصلاه، حيث رأى محمّداً (ص) يصلّى، وإلى جانبه على (ع)،

١- أنظر السيره النبويه ١: ٢٦٤ ٢٦٨ ففيها تفصيل كثير.

فيقول لجعفر: صل جناح ابن عمك. (١)

وأخرى: يقول لأخيه حمزه حينما أعلن إسلامه:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد

وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

وثالثه: يخاطب محمداً (ص) بعد وفود قريش له، تستعين به على إيقاف جهد

محمّد ونشاطه في تسفيه أحلامهم ومعتقداتهم، ثمّ دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وحده. فيقول له:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أؤسد في التراب دفينا

أبوتالاب والحصار في الشعب

لما رأى أبوتالاب أنّ قريشاً يئست في كلّ محاولاتها من الوصول إلى هدفها في استمالاته إلى جانبها ضد محمّد (ص) ودعوته، وبالتالي منع الدعوه الجديده من الانتشار والاتساع في المجتمع المكي وأطرافه وقبائله، بدأت تغير أساليبها لتقويض الدين الجديد، فراحت تفكر بإيذاء الرسول (ص) بل بقتله، فما كان من أبي طالب إلاّ أن يأمر بني هاشم وبني المطلب أن يدخلوا برسول الله (ص) الشعب، ليمنع ما قد تقدم عليه قريش من أذى لرسول الله (ص)... أو أنّه دخل ورسول الله (ص) وجمع معه الشعب، ثمّ انحاز إليهم بنو هاشم والمطلب إلاّ أبا لهب فقد خرج من بني هاشم وظاهر قريشاً.

الصحيفه و ماآلت إليه

حيث إنّ قريشاً ما إن رأت هذه الخطة الجديده من أبي طالب، حتى استقرّ رأيها على كتابه عهد يوقّعه الجميع، يتضمّن مقاطعه شامله، سياسيه، واقتصاديّه، واجتماعيه لبني هاشم والمطلب، وأن يضيّقوا عليهم ويمنعواهم من حضور الأسواق، وأن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم،

ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفه حتى يسلموا رسول الله (ص).

وبعد أن كتبوا هذه الوثيقة، وتعاهدوا وتوثقوا فيها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب هذه الصحيفة منصور بن عكرمه ابن عامر، ويُقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله (ص) فشلَّ بعض أصابعه.

وقال أبو طالب شعراً:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا

لؤيًّا وخُصًّا من لؤى بنى كعب

ألم تعلموا أننا وجدنا محمّداً

نبيًّا كموسى حُطَّ في أوّل الكتب؟

وأنّ عليه في العباد محبّة

ولا خير ممّن خصّه الله بالحب

وأنّ الذى ألصقتم من كتابكم

لكم كائن نحساً كراغبه السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى

ويصبح من لم يجن ذنباً كذى الذنب

ولا تتبعوا أمر الوشاه وتقطعوا

أواصرنا بعد المودّه والقرب

فلسنا وربّ البيت نسلم أحمداً

لعزّاء (لشده) من عضّ الزمان ولاكرب

أليس أبونا هاشم شدّ أزره

وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نملّ الحرب حتى تملّنا

ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب

ظل بنو هاشم والمطلب ومن معهم ثلاث سنين، وقول آخر، مكثوا سنتين في الشعب، فترك هذا الحصار أثره عليهم، وأصابتهم ضائقه شديده، حتى جهدوا حيث لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً، وكان دور أبي طالب، وأمّ المؤمنين خديجه عظيمًا في تخفيف المعاناه هذه داخل الشعب، حيث كانا يدخلان المؤمن والأقوات إلى داخل الشعب خفيّة، حتى هيأ الله تعالى الأرضه، فأكلت معاهده قريش، وأوصى الله تعالى إلى رسوله بهذا، فأخبر عمّه أبا طالب: يا عمّ إنّ ربّي الله قد سلّط الأرضه على صحيفه قريش، فلم تدع فيها اسمًا هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعه والبهتان.

فقال: أربك أخبرك بهذا؟

قال: نعم.

قال: فوالله ما يدخل عليك أحد.

فبادر أبو طالب إلى مجالس قريش وأنديتها، ليخبرهم بما آلت إليه وثيقتهم، وبما صنع الله تعالى في صحيفتهم، وأن الذي أخبره بذلك هو رسول الله (ص).

ووضعهم بهذا أمام امتحان واختبار، حيث قال لهم: إن كان الحديث كما يقول ابن أخي، فأفيقوا، وإن لم ترجعوا، فوالله لا نسلّمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً، دفعنا إليكم صاحبنا.

فقالوا: قد رضينا بما تقول، وتعاقدوا على ذلك، ثم فتحوا الصحيفة، فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين.

وعندما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب، قالوا: هذا سحر ابن أخيك، وما زادهم ذلك إلا بغياً وعتواً وعدواناً.

فقال لهم أبو طالب: علام نجس ونحصر، وقد بان الأمر، وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعه والإساءة؟

ثم دخل يمين أستار الكعبة، ودخل معه بنو هاشم قائلين: اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل من يحرم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب.

وقال أبو طالب في هذا شعراً.

وقد كان في أمر الصحيفة عبره

متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله عنها كفرهم وعقوقهم

وما نقموا من ناطق الحقّ معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً

ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب (١)

وفى نهايه هذا الموقف، وافق أباطال قوم وآمنوا به، وامتنع آخرون.

وقام أبو طالب، يمدح أولئك نفر الذين قاموا بعد أن اتّصلهم الحقّ في نقضها في

١- أنظر ابن الأثير في الكامل ٢: ٣٦.

سته وعشرين بيتاً من الشعر كان منها:

فيخبرهم أنّ الصحيفة مزّقت

وأنّ كلّ ما لم يرضه الله مفسد(١)

أبوطالب يستحثّ قومه

وحيثما رأى أبوطالب ما تقوم به قريش من تعذيب أتباع رسول الله (ص) ومريديه، وما يصنعونه في بنيهاشم وبني المطلب، دعا قومه إلى المجيء إلى ما هو عليه، والانضمام إليه، من منع رسول الله (ص)، والقيام دونه، فلبى قومه دعوته، إلا ما كان من تمرد أبي لهب وعدم استجابته لهذه الدعوة.

وما إن رأى أبوطالب موقف قومه هذا وما سرّه في جهدهم معه، وحديهم عليه، حتى راح يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله (ص) فيهم، ومكانته الكبيره بينهم، ليشدّ لهم رأيهم، وليحدّبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر

فعبدُ مناف سرها وصميمها

وإن حُصّلت أشراف عبد منافها

ففى هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوماً فإنّ محمّداً

هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش عُثها وسمينها

علينا فلم تظفر وطاشت حلومها(٢)

الوصيه الأخيره

من على فراش مرضه، الذى يدثّره وقد مات فيه، انطلقت كلمات رائعه، فكانت نوراً يدخل القلوب، وكانت وصايا تنبع الحكمة من أعماقها، وكانت كلمات تتفوّه بها بصيره نافذه:

يا معشر قريش! أنتم صفوه الله من خلقه وقلب العرب، وفيكم السيّد المُطاع، وفيكم

-
- ١- أنظر القصيده كامله فى السيره النبويه لابن هشام ١: ٣٧٧ ٣٨٠.
 - ٢- أنظر المصدر نفسه.

المقدام الشجاع، واعلموا أنكم لم تتركوا نصيباً في المآثر إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه.

وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية الكعبة فإن فيها مرضاه الرب، صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإن صله الرحم منسأه في الأجل، وزيادة في العدد، واركوا البغي والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم... أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة.

ولم يقف عند هذا، بل راح يوصيهم برسول الله (ص) خيراً، فيقول:

وإنى أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصدّيق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة.

ثم راح يحدّق بعيداً في مستقبل هذه الأمة والرسالة، فيقول:

وأيم الله، لكأني أنظر إلى صعاليك العرب والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، ولكأني به، وقد محضته العرب وداها، وأعطته قيادها.

ثم يلتفت إلى محمّد ويخاطبهم بقوله:

والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، انصروا محمّداً، فإنه الهادي إلى سواء السبيل.

ولو أنّ الله تعالى أخر أجله وأمدّ في عمره، وقد عبّر عن أمنيته هذه بقوله:

ولو كان للنفس مده، وفي أجلى تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه

الدواهي.

هذه هي وصيته في عامه الجالسين، وكان منهم المشركون الذين يتلهفون إلى موته، ليميلوا على محمّد وصحبه، ميلاً واحده، ويبطشوا بهم.

ثم تحين منه التفاته إلى بني هاشم، بعد أن خلا المجلس إلا منهم، فيقول:

يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمّداً وصدّقوه، تفلحوا وترشدوا.

ثمّ راح يخصّ أربعة من الهاشميين وهم: ولداه: علي وجعفر، وأخواه: الحمزه والعباس، فيقول:

أوصى، بنصر نبي الله، أربعة

ابني علياً، وعم الخير عباسا

وحمزه الأسد المخشّي صولته

وجعفرأ، أن تذودوا، دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمي، وما ولدت

في نصر أحمد، دون الناس، أتراسا(١)

ومن كانت هذه وصاياه، أتظنه يموت كافراً، وعن هذا النعيم والفلاح غافلاً؟!

وفاه أبي طالب

توفى بيضه البلد عن ستة وثمانين عاماً، في شهر رمضان، وقيل في النصف من شوال، وقيل في رجب من السنه العاشره للبعثه النبويه الشريفه، أي قبل الهجره بثلاث سنوات، قبل وفاه أم المؤمنين خديجه (عليها السلام) بثلاثه أيام، أو بشهور على قول، ولهذا سمى الرسول (ص) هذا العام عام الحزن، وقال: «اجتمعت عليّ في هذه الأيام مصيبتان بأيّهما أنا أشدّ جزعاً». (٢)

فما إن أغمض عينيه الساهرتين على رسول الله (ص)، حفظاً ورعايةً ومؤازرةً ودفاعاً ودعوةً إلى ما يحمله بين يديه، حتى أمر الرسول (ص) عليّاً (ع) أن يغسّله ويكفّنه، فعن علي (ع) أنه قال: أخبرت رسول الله (ص) بموت أبي طالب، فبكى، ثم قال: «إذهب فغسله، وكفّنه، وواره غفر الله له». (٣)

وفي خبر ثمّ جاء رسول الله (ص) يشيعه ويرثيه قائلاً:

«وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً، فلقد ربيت، وكفلت صغيراً... ونصرت، وآزرت كبيراً... أمّا والله لأستغفرنّ لك، ولأشفعنّ لك شفاعه يعجب لها الثقلان...»

وا أبتاه! وا أبا طالباه! وا حزنه عليك يا عم كيف أسلو عنك، يا من ربّيتني صغيراً،

١- أنظر في هذا كلّ السيره النبويه وغيرها من مصادر التاريخ وما كتب عنه وهو كثير.

٢- السيره النبويه ٢: ٤١٦ وغيرها.

وأحببتني كبيراً، وكنْتُ عندك بمنزله العين من الحدقه، والروح من الجسد؟!»

بهذه العبارات، والعبرات، والقلب الحزين، ودّع رسول الله (ص) عمّه، كما ودّعته الرسالة كذلك ؛ بكاه الرسول والرسالة والناس أجمعون، بكته الجموع المؤمنه أباً رحيماً، وعمّاً ودوداً، ومرتبياً واعياً، ومدافعاً حكيماً، ومؤمناً حليماً.

يقول البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين ٧ عن الحزن الذي ملأ أجواء مكّه:...

شققت النساء على أبي طالب الجيوب، ونشروا الشعور، وشمل الحزن جميع شعاب مكّه وشعوبها.

وراح أمير المؤمنين (ع) يرثي أباه:

أبا طالب عصمه المستجير

وغيث المحول، ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ

فصلّى عليك وليّ النعم

ومما قيل عنه

نذكر هنا بعض الروايات والأقوال الواردة بحقه رضوان الله عليه

عن الإمام علي (ع) أنّه قال:

«كان والله أبوطالب... مؤمناً مسلماً، يكتم إيمانه مخافه علي بنى هاشم أن تنابذها قريش». (١)

كان أمير المؤمنين (ع) يعجبه أن يروى شعر أبي طالب وأن يدون، وقال: «تعلموه وعلموه أولادكم، فإنّه كان على دين الله، وفيه علم كثير».

روى عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال:

«إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فأتاهم الله أجرهم مرّتين،

وإنّ أباطال أسرّ الإيمان وأظهر الشرك، فأتاه الله أجره مرّتين، وما خرج من الدنيا

حتى أتته البشارة من الله بالجنّه، كيف يصفونه بهذا (أنّه مات كافراً) وقد نزل

١- أنظر أبو طالب عملاق الإسلام الخالد ، لمحمد على أسد: ١٥٢ عن مجله نهج الإسلام.

جبريل ليله مات أبو طالب، فقال يا محمد أخرج من مكه فما لك بها من ناصر بعد أبي طالب»^(١).

مما قالوا

يقول ابن الأثير في جامع الأصول: فلما رأى المشركون ذلك يعنى إظهار الدعوه خالفوه وعاندوه، وأظهروا عداوته، وأجمعوا على أذاه، وهتموا بقتله، فأجاره عمه أبو طالب، ودفع عنه وحماه، إلا أن قريشاً تضافروا على بنى هاشم وبنى المطلب، حتى حصروهم فى الشعب.

ثم قال: فمات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجه بعده بثلاثة أيام، وقيل: بخمسه أيام، وقيل: بأكثر من ذلك، فبان أثر موتهما على النبى الله (ص) فخرج إلى الطائف^(٢).

وقال الزمخشري: قال النبى الله (ص): «ما زالت قريش كاعه، حتى مات أبو طالب» أى جبناء عن أذى، جمع كائع^(٣).

يقول الطبرى: ولما هلك أبو طالب، خرج رسول الله (ص) إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعه له من قومه^(٤).

ويقول أيضاً، بعد أن يذكر أن أباطال وخديجه هلكا فى عام واحد قبل هجرته ٩ إلى المدينه بثلاث سنين: فعظمت المصيبه على رسول الله (ص) بهلاكهما، وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبى طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه فى حياته، حتى نثر بعضهم على رأسه التراب.

وقال ابن أبى الحديد: ومن أراد أن يقف على شدّه بلاه أبى طالب فى الدفع عنه والذب، حين تعاقدت قريش على قطعه ٩، وكتبوا فى ذلك الكتاب وعلّقوه فى الكعبه، ووثبت كل قبيله

١- راجع شرح نهج البلاغه ٣: ٤٦٦؛ أعيان الشيعة ٣٩: ١٣٦؛ الغدير ٧: ٣٨١.

٢- جامع الأصول ١: ٢٩٦.

٣- أنظر الفائق ٣: ٢٩٠.

٤- تاريخ الطبرى ١: ٥٥٤.

على من أسلم منهم يعذبونهم على الصخر والصفاء في حرّ الشمس، وحين صدّوهم في الشعب سنتين أو ثلاثاً، ومع ذلك كلّه أبو طالب يحوط النبيّ الله (ص) ويمنعه ويقوم دونه، فليراجع كتب السير، يقف على ما صنعه معه، بل لشاهد عياناً صدق قول الباقرؑ وقد سئل عن إيمانه: «ولو وضع إيمان أبي طالب في كفه ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفه الأخرى؛ لرجح إيمانه».(١)

وهنا يذكر ابن أبي الحديد: أنّ علي بن الحسين (ع) سئل عن هذا، فقال: «واعجباً، إنّ الله تعالى نهى رسوله أن يُقرّ مسلمه على نكاح كافر، وقد كانت فاطمه بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات».(٢)

روى عكرمه عن ابن عباس أنّه قال: جاء أبو بكر إلى النبيّ الله (ص) بأبي قحافه، يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله (ص) لأبي بكر: ألا- تركت الشيخ حتى نأتيه؟! فقال أبو بكر: أردت يا رسول الله أن يأجرني الله، أما والذي بعثك بالحقّ، لأننا كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرّه عينك.

فقال رسول الله (ص): «صدقت».(٣)

وقد اشتهر عن المأمون العباسي أنّه قال: والله أسلم أبو طالب بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك

بييض تلاً سمع البروق

أذبّ وأحمى رسول الإله

حمایه حام علیه شفيق... (٤)

أبو طالب ضحيه مؤامره قدره!

بدايتها:

في العصر الأوّل للإسلام لم يكن هناك أي اختلاف في إيمان أبي طالب، وإتّما بدأ هذا

١- شرح نهج البلاغه ٣: ٣١٦.

٢- المصدر نفسه؛ الاستيعاب بهامش الإصابه ٤: ٣٨١.

٣- المصدر نفسه، ٣: ٣٢٢.

٤- أنظر شرح نهج البلاغه ٣: ٣١٧.

بعد أن تفاقم الخلاف، حتى وصل إلى الصراع بين علي (ع) ومعاوية، فراحت الروايات الموضوعه تقوّض مناقب، وتختلق أُخرى، وتميت مواقف، وتصنع غيرها، عبر أكثر من سبعين ألف منبر، وخلال سبعين سنة، تحت شعار أن برئت الذمّه ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته... ولا- تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب، إلا- وتأتوني بمناقض له في الصحابه، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقر لعيني، وأدحض لحجه أبي تراب وشيعته،(١)

حتى قيل له: أما آن لك يا معاوية أن تترك علياً وشأنه، وتأمّر بترك مسبّته على المنابر؟

قال معاوية: لا، حتى يموت عليها الكبير ويربو عليها الصغير.

لم أجد، وأنا أقلب صفحات التاريخ بحثاً عما يتعلّق بحياه شيخ قريش وسيدها أبي طالب، ثغرة للنفاذ منها إلى تأييد ما ذهب إليه قوم من تكفيرهم له، وأنّه مات كافراً برسالة السماء، التي حملها ابن أخيه، وهو ينطلق من بين يدي أبي طالب نبياً رسولاً، مبشّراً نذيراً، ويبدأ أبي طالب تبارك له عمله وكدحه وجهاده، ويقف سداً منيعاً ضد من يريد الكيد به قريباً كان أو بعيداً، لم أعر على شيء يؤيّد قولهم هذا، ويقف دليلاً على ما زعموه، إلا- أني خطر ببالي شيء، قد يكون هو لا- غير وقلت في نفسي: لو كان أبوطالب أبا أحد من رجالهم غير عليّ (ع) لما تجرأوا واتهموه بهذا، ولو صفوه بأجمل خصائص الإيمان، وهو فعلاً ما حصل لأبي سفيان وأمّاله، ولملئت كتبهم وحناجرهم مدحاً له واطراءً وثناءً عليه، ولكن الرجل كان ضحيّة بغضهم لابنه عليّ (ع) وكان جزءاً من تلك المؤامره، ومن ذلك النزاع، الذي نشب في صفوف الأئمة المسلمه بعد رحله رسول الله (ص) إلى الرفيق الأعلى، ثمّ تعاضم حتى اكتمل بمؤامره الشتم والتسقيط، التي أسسها وقادها الحكم الأموي في الشام، وسخروا لها كلّ ما من شأنه تزييف الحقائق وتضليل الناس، من مال وسلاح وترغيب وتهديد، لتنال من المقام الشامخ للإمام عليّ (ع) حتى كاد أن يكون، بل صار فعلاً الهدف

الأول والرئيسى لحكمهم.

إنه صراع بين إسلام رسالى انتهجه على (ع) وبنوه وأتباعه، ونهج آخر سار عليه الأمويون يقدمهم معاويه بن أبى سفيان.

نعم أكملوها بالطعن بأبيه، والغريب أن رسائل معاويه إلى على (ع) خلت من هذا الطعن، بل وحتى أحاديثه، ولو وسعه كما يقول عبدالفتاح عبدالمقصود لفعل، فأفحش فى القول، وأوفى الكيل، ثم لجاء من لدنه بكل ما يخسر ميزان الإمام.

ثم يتساءل قائلاً:

فلماذا لم يفعل؟

لا عن ولاء للقربى أحجم...

ولا- عن تعفف وتورع، رعايه لنواميس الأخلاق؛ فمثله ما كان ليأخذ نفسه بالتفريط فى ذره هباء تمتلكها يمينه، إن هو علم أن الناس سيحسبونها قطره حقيقه فى خضم من الأكاذيب!

... فأما وقد كفّ ادعاءه، وابتلع خيلاءه، فذلك لأنه لم يكن يملك فى إيمان أبى طالب أثاره شبهه، أو دليل ينفذ من خلالها إلى نقض هذا الإيمان، سواء أكانت هذه الأثاره رأى شانئى معاصر عايش شيخ بنى عبد مناف، أم روايه راويه لاحق آثر الانحراف!

وراح عبدالفتاح يتحدّث بقوله: ولمن يشاء أن يحاج فى هذا الذى نراه، فليأتنا من رسائل ابن أبى سفيان إلى الإمام، أو فى أحاديثه التى ملأ بها آذان مناصريه، بكلمه تشير، من قريب أو من بعيد، إلى ما يخدش إيمان أبى طالب، وينال من صدق إسلامه. (١)

أقول: وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على أن إيمان أبى طالب فى العصر الأول لا يمكن أن يرتاب به أحد، أو أن يسمع من أحد الطعن فيه، أو التشكيك أبداً، فهو أمر واضح بين كرائعه النهار، لهذا لم يتجاسر معاويه على الإقدام على مثل هذا الطعن، الذى سينقلب عليه، ورغم أنه كان يتشبث بكلّ وسيله للنيل من على (ع) والطعن فيه، رغم

١- مقدمه عبد الفتاح لكتاب: إيمان أبى طالب، لشمس الدين بن معد الموسوى (ت ٦٣٠هـ) ٢٢ ٢٣.

رسائل الإمام إليه، التي لم يستطع معاويه الردّ عليها، ولو كان مرتاباً في ايمان أبي طالب لكان موضع ردّه على الإمام.

يقول الإمام على (ع) في ردّه على إحدى رسائل معاويه، التي يقول فيها: «ونحن بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل، إلاّ فضل يستدل به عزيز، ولا يُسْتَرَق حر... وقد أقذع الإمام له في الردّ:

« كُنّا ونحن وأنتم، على ما ذكرت من الإلفه والجماعه، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنّا وكفرتكم، واليوم أنا استقمنا وفتنتكم...»

وإنّك والله لأغلق القلب!... وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال، حملتهم الشقاوه، وتمنى الباطل على الجحود بمحمّد (ص) فصرعوا مصارعهم حيث علمت...».

ثمّ واصل الإمام (ع) قوله:

«منا النبي (ص) ومنكم المكذّب، ومنا أسدالله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيّد شباب أهل الجنه، ومنكم صبيه النار، ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حماله الحطب...»

وأما قولك: إنّنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن...

... ولكن ليس أمّيه لهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحقّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، وبئس الخلف خلف ينبع سلفاً هوى في نار جهنم!..»

وهنا يقول عبدالفتاح معلقاً: إنّها مفاضله تغنى عن كلّ تعليق؛ فإن كان لابدّ مع هذا من إيضاح، فمن هو هذا الخلف، سوى معاويه المقصود بالخطاب...

ومن السلف، أقرب السلف، غير أبي سفيان؟! وهل من سبب لتفضيل أبي طالب على معاصره أبي سفيان وحديث الإمام هنا يشير إلى الهوى في النار سوى سبب يدرأ من شر جهنم عن الفاضل ما لا يدرأ عن المفضول؟! (١)

١- مقدمه عبد الفتاح لكتاب: إيمان أبي طالب، لشمس الدين بن معد الموسوي (ت ٦٣٠هـ) ٢٢ ٢٣.

وأقول: صحيح أنه لم يخض شخصياً فيما خاض به الذين عاصروه أو الذين جاؤوا من بعده، إلا أنهم خريجو مدرسته وهم من مرتزقته ومريديه وأتباعه، فراحت ألسنتهم وأقلامهم تكيد كيدهم. ومن كيدها هذا اتهام أبي طالب بهذه التهمة الظالمة.

إن هذا لشيء عجاب

كيف يموت كافراً كما زعم الزاعمون وهو يسمع ابن أخيه، الذى فداه بنفسه وماله وجاههه وأولاده... وعلى مساحه زمنيه استغرقت عشر سنوات يردّد «يا أيها الناس، إنى رسول الله إليكم، لتعبدوه، ولا تشرکوا به شيئاً» «إن هذه الأصنام لغو باطل، لا تملك لكم ضرراً ولا نفعاً»، وهو المعروف بحكمته وحلمه... فكيف يفرط بنفسه وعاقبته؟!!

قرآن ينزل، آيات تتلى، كلمات رسول الله (ص) تتردّد هنا وهناك، صنوف من التعذيب يصبّه مشرکو قريش على المؤمنين، تهديد ووعيد، محاصره،... أكل هذه الأمور لم تجد فى قلب أبى طالب لمسه خير، ومنعطفاً لإيمانه..؟! إن هذا لشيء عجاب! فأبو طالب صاحب هذه الحياه المضيئه كيف يسوّغ لنفسه أن يموت غير مؤمن بما سمعه من رسول الله (ص) ولم تكن على قلبه غشاوه، ولطف الله لا شك قريب من هؤلاء الذين يملكون قلباً كقلب أبى طالب، وشهامه كشهامه أبى طالب، وحلماً كحلّم أبى طالب، قطعاً تدرکه رحمه السماء وقد سارع إلى اعتناق الرساله من هو أدنى منه رتبته، وأقلّ منه صفاءً وعطاءً؟!!

فهكذا إنسان هذه حياته بدءاً وخاتمته، لا يستسيغ المنطق الرشيد، ولا العقل السديد أن يُتهم بتهمه العزوف عن الله ورسالته، ليعيش كافراً ويموت كافراً، وهو صاحب الضمير الحى، والقلب النابض عاطفهً وحباً وحناناً...

إن من يقرأ حياه هذا الرجل، يخرج بنتيجه عظيمه وحصيله كبيره، لا يجد لها مثيلاً فى حياه أقرانه ومعاصريه، بل لا يجدها حتى عند من جاؤوا بعده، اللهم إلا عند النخبه التى اصطفاها الله وجباها برعايته واختياره، وارتضاه قدوه صالحه للمؤمنين، وهذه قلّه قليله تمثّلت بأهل بيت العصمه والطهاره، وعلى (ع) سيدهم.

النتيجة تلك والحصيله أنّ أباطالب مات مسلماً مضحياً مجاهداً، لم يُراوده شك أبداً في أحقيه رسول الله (ص) وما هو عليه من مبادئ السماء، دلّني على من هو أكثر تضحيةً وتحملاً وصبراً وحكمهً وجهاداً من أبي طالب، وهو يعيش الأيام الأولى والسنين الأولى للتأسيس، والتأسيس من أخطر وأدق مراحل الدعوة الإسلامية، خاصةً وهي تعيش في تلك الظروف، وذلك المجتمع الذي كان التعامل معه مريراً وقاسياً بما يمتلكه من طبقيته، وعادات، وتقاليد، وموروثات، تجذّرت في ترابه، وفي نفوس أبنائه، فكيف يمكن انتشارهم من هذا الواقع المريع؟!

إذ يتنازعون بينهم أمرهم

لقد تنازعوا أمرهم فيه، وهكذا هو شأن العظماء، فاختلفت آراؤهم، وتشتت كلماتهم، وتفرقت أقلامهم في الكتابه عنه.

فمنهم: من قال: إنّ أبا طالب مات كافراً، ومنهم من قال: إنّ أباطالب مات مؤمناً.

فيما توقّف فريق ثالث في أمره وتحير، كيف يقول بكفره، وكلّ ما قدّمه يدلّ على إيمانه؟! وكيف يقول بإيمانه ولم يسمعه يردّد الشهادتين...؟! إلاّ- أنّهم جميعاً قد اتفقوا على أمر ثالث لا- يراودهم الشكّ فيه ألا وهو: أنّ أبا طالب لم يبخل بجاه ولامال ولا موقف ولا أى شىء إلاّ وسخّره لخدمه الرساله ورسولها الكريم، بل يكاد إجماعهم هذا يؤكد أن لا أحد خدم الإسلام كما خدمه أبوطالب، طيله عشر سنوات من الدعوة في مكّه قضاها، عبر مواقف تتسم تارةً باللين، وأخرى بالشده، وثالثه بالدعوه إلى الإسلام من خلال تسخيره جميع مواقفه، وما يمتلكه من وسائل، ومنها وسيله إعلاميه لا ينكر أحد تأثيرها: كلماته البليغه وقصائده الشعريه الكثيره، فقد كان الرجل مجيداً للشعر، مكثرأً منه، فسخّره في الدعوه إلى الله ورسوله، حتى كلّفته هذه المواقف التضحيه بما يمتلكه من شبكه اجتماعيه وعلاقات كثيره، فقدّ على أثرها طاعه قريش، حتى تجرّأت على محاصرته والتضييق عليه.

وإنّ من اللافت المؤسف والمؤلم أنّ أباطالب مع كلّ مواقفه وكدحه المتواصل في إرساء

دعائم الإسلام وتثبيت أركانه، يموت كافراً كما يزعم الزاعمون وأباسفيان الذى كان من الطلقاء، ولم يقدم شيئاً يذكر فى مسيره الرساله السماويه هذه، بل هو الذى عاش قبل نطقه الشهادتين وبعدهما زعيماً للتآمر على الإسلام ورسوله، ورجل الكيد والغدر، يموت مؤمناً!!

لقد تعرّض أبوطالب إلى مؤامره قدره رسمتها أياد عرفت بالعداء للرسول (ص) ورسالته، وبغضها لهذه العائله الكريمه، فراحت تبذل قصارى جهودها وما تملكه من مال كثير وقدرات وخبره، فى سبيل تقويض أى مجهود لرموز هذه الأسره الكريمه، فسخرت أعلامها، ورجالها، والطامعين، والوضاعين، لتحقيق غاياتها ومصالحها؛ فلم ينجو حتى شعر أبى طالب من الاتهام بالوضع والاختلاق، لما رأوا فيه من القوه، والدعوه المخلصه إلى الإسلام، وغفل هؤلاء عن أنّ خصائص أبى طالب لو بقى منها جزء يسير، فإنّه كاف فى التدليل على عقيدته التوحيديه وإيمانه الخالص.

وإن تعجب فعجب قولهم

لا أظنّ أنّ هناك حاجه إلى ذكر أدلّه القائلين بكفر أبى طالب، فحياته رضوان الله

عليه دليل غنى على إيمانه، وما قدّمناه هو غيظ من فيض، وإذا ركنا إلى أدلّتهم فكأننا عدلنا من اليقين إلى الشك ومن العلم إلى الظن؛ ولكننا مع هذا نكتفى هنا بدليل واحد من أدلّه القوم وبشكل مختصر، خوف الإطاله، ولمن أراد المزيد فعليه بما كتب عنه، وهو

كثير جداً.

روى ابن سعد فى طبقاته بإسناده إلى على بن أبى طالب (ع) قال: «أخبرت رسول الله (ص) بموت أبى طالب، فبكى، ثم قال: اذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له». (١)

قال (ع): «فعلت ما قال، وجعل الرسول (ص) يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآيه: (ما كان للنبيّ و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشرّكين ولو كانوا

أُولَى قُرْبَى (...). (١)

فقد ذهب جمع من المفسرين استناداً إلى هذه الرواية إلى أنّ هذه الآية المذكورة نزلت في استغفار النبي الله (ص) لعمه أبي طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين. (٢)

أين تقف رواية ابن سعد؟!

بعد أن نقل هذه الرواية في الجزء الأول من طبقاته، أنظر ما قاله في الصفحة ١٢٥ منها: «توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين بُئى رسول الله».

إذن

فأبو طالب توفي في السنة العاشرة للبعث النبوي.

هاجر النبي الله (ص) في السنة الثالثة عشره للبعث، أي بعد وفاه أبي طالب بثلاث سنوات.

سورة التوبة نزلت في المدينة، فهي مدنيه كلها باستثناء الآيتين الأخيرتين منها.

أنظر ما يقوله عنها المفسرون ومنهم:

ابن كثير: هذه السورة من أواخر ما نزل على رسول الله (ص) كما روى البخاري عن البراء يقول: آخر آية نزلت: (يَسْأَلُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) وآخر سورة نزلت براءه. (٣)

الرازي في تفسيره: في عنوان السورة: سورة التوبة مدنيه إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان. (٤)

الآلوسي في تفسيره: سورة التوبة مدنيه. (٥)

١- سورة التوبة: الآية ١١٣.

٢- أنظر جلال الدين السيوطي في تفسيره وغيره.

٣- التفسير الكبير، للفخر الرازي ٨: ٢١٥.

٤- التفسير الكبير، للفخر الرازي ٨: ٢١٥.

٥- روح المعاني، للآلوسي ٥: ٤٠.

الطبرسى فى تفسيره: سورة التوبه مدنیه کلها، وقال بعضهم: غير آيتين: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...) إلى آخر السوره، نزلت سنه تسع من الهجره،... وقال قتاده ومجاهد: وهى آخر ما نزلت على النبى (ص) بالمدينه.

نكتفى بهذا القدر من المفسرين، لنقول: إنَّ الفتره الزمنيه بين وفاه عمّ النبى الله (ص) «أبوطالب» ونزول هذه الآيه كانت اثنى عشر عاماً، فأين تقف روايه ابن سعد، التى عمل بها كثير من المفسرين بلا تثبت ولا تحقيق، لأسباب لا أظنها تخفى على القارئ اللبيب؟!

وختاماً

ماذا ترانى أقول فيك يا أباطالب، وما إن فتحت ملفك التاريخى حتى انبهرت بكثرة ما فيه من مواقف عظيمه ومناقب جليله... فألفت فيك كتب كثيره تجاوزت أكثر من مئه كتاب، بين مطبوع ومخطوط باللغه العربيه، فضلاً عن اللغات الأخرى...، إضافه إلى المقالات والأشعار، التى قيلت بحقك.

وهذه مجموعه ممّا تيسر:

الكتب العربيه المطبوعه :

- (١) أبوطالب بطل الإسلام، لحيدر محمّد سعيد عرفى.
- (٢) أبوطالب بن عبدالمطلب والد أمير المؤمنين ٧، لحسين جواد الكديمى.
- (٣) أبوطالب حامى الرسول وناصره، للعلامه الميرزا نجم الدين جعفر عسكرى طهرانى.
- (٤) أبوطالب عم الرسول (ص)، للمحامى محمّد كامل حسن.
- (٥) أبوطالب عم النبى (ص)، لعبد العزيز سيّد الأهل.
- (٦) أبوطالب عملاق الإسلام الخالد، للشيخ محمّد على أسبر.
- (٧) أبوطالب كفيل الرسول (ص)، لسعيد عسيلي.
- (٨) أبوطالب كفيل الرسول (ص)، لجمع من الكتّاب.

- (٩) أبو طالب مؤمن قريش، لعبد الله الخنيزي.
- (١٠) أبو طالب المسلم، لأحمد مغنيه.
- (١١) أبو طالب مع الرسول (ص)، لأحمد مغنيه.
- (١٢) أبو طالب وبنوه، للسيد محمد علي آل سيد علي خان الحسيني.
- (١٣) إسلام أبي طالب، للسيد مهدي مكي.
- (١٤) إسلام أبي طالب، لوجيه بيضون.
- (١٥) إسلام أبي طالب من خلال الآيات والأحاديث والأشعار والوقائع التاريخية، لليبي بيضون.
- (١٦) أسنى المطالب في إيمان أبي طالب، للشيخ كاظم حلفي.
- (١٧) أسنى المطالب في شرح خطبه أبي طالب، لعبد الكريم حبيب.
- (١٨) أسنى المطالب في نجاه أبي طالب، للسيد أحمد بن زيني دحلان.
- (١٩) إيمان أبي طالب، للشيخ المفيد.
- (٢٠) إيمان أبي طالب وموقف الشيخ المفيد منه، للدكتور محمد ابراهيم خليفه الشوشتری.
- (٢١) إيمان أبي طالب، لشمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي.
- (٢٢) الرسول والرسالة في شعر أبي طالب، لمعوض عوض ابراهيم.
- (٢٣) زهره الأدباء في شرح لاميه شيخ البطحاء.
- (٢٤) الروض النزیه في الأحاديث التي رواها أبو طالب عن ابن أخيه ٩، لابن طولون الدمشقي.
- (٢٥) السهم الصائب بكبد من آذى أبا طالب، لأبي الهدى الصيادي.
- (٢٦) سيد البطحاء، للشيخ محمود البغدادي.
- (٢٧) شعر أبي طالب بن عبدالمطلب وأخباره، لعبدالله بن أحمد بن حرب العبدی.

٢٨) شيخ الأبطح أبوطالب، للسيد محمد علي ابن السيد عبد الحسين شرف الدين.

- (٢٩) شيخ بنى هاشم أبو طالب، لعبد العزيز سيد الأهل.
- (٣٠) طلبه الطالب فى شرح لاميه أبى طالب، لعلى فهمى.
- (٣١) عقيدته أبى طالب، للسيد طالب الرفاعى.
- (٣٢) غايه الطالب من شرح ديوان أبى طالب، للشيخ محمد خطيب المصرى.
- (٣٣) القصيده الغزاه فى إيمان أبى طالب شيخ البطحاء، للسيد أحمد خيرى پاشا.
- (٣٤) منيه الراغب فى إيمان أبى طالب، للشيخ محمد رضا الطبسى النجفى.
- (٣٥) منيه الطالب فى مستدرک ديوان سيد الأباطح أبى طالب، لمحمد باقر المحمودى.
- (٣٦) مواهب الواهب فى فضائل أبى طالب، للشيخ جعفر النقدى.
- (٣٧) بنوه أبى طالب عبد مناف، لمزمل حسين الغديرى الميثمى.

ومن الكتب العربيه المخطوطه :

- (١) أبو طالب كافل النبى وناصره، للسيد أحمد خيرى پاشا.
- (٢) اتحاف الطالب بنجاه أبى طالب، لمحمد بن عبد السلام جتون.
- (٣) إثبات إسلام أبى طالب، لمحمد معين بن محمد أمين السندى.
- (٤) إثبات إسلام أبى طالب، لعبد الرحمن بن أحمد الخزاعى النيشابورى.
- (٥) أخبار أبى طالب وعبد المطلب، للشيخ الصدوق.
- (٦) أخبار أبى طالب وولده، لأبى الحسن المدائنى.
- (٧) إسلام أبى طالب، للسيد حسن بن ابراهيم شبر الحسينى.
- (٨) إيمان أبى طالب، لأحمد بن القاسم.
- (٩) إيمان أبى طالب، لأبى الحسين أحمد بن محمد الكندى الجرجرائى.

١٠) إيمان أبي طالب، لأبي علي الكوفي.

١١) إيمان أبي طالب، للسيد أحمد بن موسى بن طاووس.

١٢) إيمان أبي طالب، لأبي محمد الديباجي.

- (١٣) إيمان أبي طالب، للسيد ظفر حسن بن دلشاد النقوى.
- (١٤) إيمان أبي طالب، لأبي نعيم على بن حمزه التميمي البصرى.
- (١٥) إيمان أبي طالب، للقاضى نعمان بن محمد المصرى.
- (١٦) إيمان أبي طالب، للعلامة ميرزا محسن قره داغى التبريزى.
- (١٧) بحث فى إسلام أبي طالب، مجهول المؤلف.
- (١٨) بغية الطالب فى إسلام أبي طالب، للسيد مير محمد عباس الشوشترى.
- (١٩) بغية الطالب فى بيان أحوال أبي طالب، للسيد محمد بن حيدر الموسوى العاملى.
- (٢٠) بغية الطالب لإيمان أبي طالب، لجلال الدين السيوطى.
- (٢١) بغية الطالب لإيمان أبي طالب، لمحمد بن عبد الرسول البرزنجى الشافعى.
- (٢٢) بلوغ المآرب فى نجاه آبائه ٧ وعمه أبي طالب، للشيخ سلمان أزهرى لاذقى.
- (٢٣) البيان عن خيره الرحمن، للشيخ على بن بلال المصلبى.
- (٢٤) حاشيه على حجه الذهاب إلى إيمان أبي طالب، للشيخ شير محمد الهمدانى.
- (٢٥) ديوان أبو طالب وشرح لاميته، للشيخ حيدر قلى سردار كابلى.
- (٢٦) رتبه أبي طالب وقريش، لأبي الحسن النسابة.
- (٢٧) رساله فى إسلام أبي طالب، للسيد ميرزا أبى القاسم أمين الدين الموسوى الزنجانى.
- (٢٨) رساله فى صحه إيمان أبي طالب، مجهول المؤلف.
- (٢٩) الرغائب فى إيمان أبي طالب، للسيد مهدي الغريفى البحرانى.
- (٣٠) شرح حديث إسلام أبي طالب بحساب الجمل، لملا على بن ميرزا خليل المازندرانى.

٣١) الشهاب الثاقب لرجم مكفّر أبى طالب، لميرزا نجم الدين جعفر بن ميرزا محمّد عسكرى الطهرانى.

٣٢) صفات أبى طالب عبد مناف، لمزمل حسين الغديرى الميثمى.

(٣٣) فصاحه أبى طالب، للشريف حسن بن على بن حسن بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع).

(٣٤) فضل أبى طالب وعبد المطلب وأبى النبى الله (ص)، لأبى القاسم سعد بن عبدالله بن أبى خلف الأشعرى القمى.

(٣٥) فيض الواهب فى نجاه أبى طالب، للشيخ أحمد فيضى بن حاج على عارف جورومى.

(٣٦) القول الواجب فى إيمان أبى طالب، للشيخ محمّد على بن ميرزا جعفر الهندى.

(٣٧) كافل اليتيم أبو طالب، للعلامة ميرزا نجم الدين جعفر العسكرى الطهرانى.

(٣٨) ما قيل فى أبى طالب، للسيد على بن الحسين الهاشمى الخطيب.

(٣٩) منى الطالب فى إيمان أبى طالب، للشيخ مفيد النيشابورى.

(٤٠) منيه الطالب فى حياه أبى طالب، للسيد حسن بن على القبانجى النجفى.

(٤١) نجاه أبى طالب، للشيخ كاظم آل نوح النجفى.

(٤٢) نسب أبى طالب، لهشام بن محمّد بن سائب بن بشير الكلبى.

(٤٣) نصّ أبى طالب على النبى (ص)، لبعض الكتاب الإسماعيليه.

(٤٤) واقع أبى طالب المؤمن، للسيد عبد الكريم آل سيد على خان.

(٤٥) الياقوته الحمراء فى إيمان سيد البطحاء، للسيد طالب آل سيد على خان.

إضافه إلى عشرات الكتب المطبوعه والمخطوطه والمقالات وبلغات شتى.

لقد تنازعوا أمرهم فيك، وبعد أن يئسوا من أن يجدوا شيئاً يلوذون به للطعن فيك بغضاً وحسداً، لجأوا إلى كتمان إيمانك، الذى ما كان إلا لمصالح كثيره للرساله والرسول، فعثروا على ضالتهم، كما يظنون أن أبا طالب مات كافراً، فأنساهم شيطانهم أو أنهم تناسوا وتغافلوا عمياً قدّمت يداك المباركتان من خير عميم، ودعم كريم، ودفاع عظيم، وتضحيه لا نظير لها عن الرساله والرسول، ومن تبعه من المؤمنين والصالحين، حتى ورد فى الخبر الذى ذكره ابن أبى الحديد: «أنه لما توفى أبوطالب، أوحى الله إلى رسوله ٩ أن

أخرج فقد مات ناصرك».

أكلّ هذا العطاء وطيله عشر سنوات يأتي من كافر؟! أيّ عاقل يصدق دعواهم هذه ومزاعمهم تلك؟! إنّه عطاء لا يمكن أن يأتي إلاّ ممن آمن برسالة السماء!

□ ونختم حديثنا بما قاله عبدالفتاح عبدالمقصود:

ثمّ ما حاجتنا إلى الإكثار من التدليل على إيمان رأس الطالبين، ولا حاجه ثمه إلى تدليل؟

ثمّ يواصل قوله:

إنّ المنقول عن إيمانه، الذى توالى الجدل فيه أعصراً طويلاً، وما زال إلى اليوم موضوع نقاش جارٍ، لأحرى بأن يغنى عن المعقول، وإنّ المعقول الذى يوافق المنطق السوى، ولا ينافى واقع الحال، ليضاهى هذا المنقول... فإذا خطر لامرئ أن يعدل عن منقولات الأحاديث والأقوال الشاهده بإيمانه، والوارده على ألسنه الثقات البرره من آل البيت وشيعتهم نقلاً عن الرسول (ص) إلى الوقائع والأحداث، التى تصوّر مواقف عمّ النبي وأبى الوصى، وترسم ألوان سلوكه، إذن لوجد من أفعال الرجل الجليل ما هو ترجمان صدق عملي لتلك الأقوال...

ثمّ يقول:

أمّا ما أثر عنه من شعر... دالاً على إيمانه، ومؤيداً ابن أخيه، وداعياً لدينه، فإنّه أدنى إلى قرينه منه إلى برهان قاطع، لأننا قد لا نعدم أن نجد من بعض النقاد من يرى فيه مجرد تصوير جمالى... أو من يدعى انتسابه إلى غير صاحبه، أو وقوعه فى مظنه التحريف والتغيير والإضافه، استناداً إلى مقاييس إن هى اعتبرت قرينه فإنّها لا تسلم من التبانى، وربّما التضارب، نتيجة لاختلاف الأذواق، وكثيراً ما اتّهم شعراء فى قصائد لهم بأنّها منحوله، أو لا ترقى إلى مستواهم، أو لا توافق سمات عصرهم الشعريه...

ويتنازل عن هذا الدليل فيقول: ودع الشعر فإنّه فى قضيتنا نافله... وكفانا أن نلقى نظره عابره إلى فضائل الشيخ التى تناقلتها الألسن ونفذت إلينا على الرغم من القهر

السياسى كأثما من سم الخياط!

فليس منا من لا يعلم أنّ «السياسه» طوال عهود الإسلام وعلى تعدّد دوله، قد افترست، أو كادت، كلّ كلمه إنصاف قيلت فى حقّ آل البيت النبويّ الكريم.

لذلك بحسبنا فى «المقولات» كمثال أن بلغنا، عبد مؤخر القهر والنكال، التى ضربت حول شيعه الرسول، كلمه صفى محمّد ووصيه، التى تقول:

«ما مات أبوطالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا».

وتلك شهاده من لا يكتّم الشهاده، ولا يلبسها بيهتان...

هذا ما ورد على ألسنه الشيعة وأئمتهم نقلاً عن عليّ (ع) فإذا كان لا بدّ من الوجه الآخر للعمله! فلنصنع إلى حديث أبى بكر، أوّل الخلفاء، إذ جاء بأبيه: أبى قحافه يقوده، وقد أسن وعمى، ليسلم بين يدى رسول الله (ص) فقال الرسول: ألا تركت الشيخ حتى نأنيه؟!

قال أبوبكر: أردت يا رسول الله أن يأجرنى الله؛ ثم أضاف: أما والذى بعثك بالحقّ، لأننا كنت أشد فرحاً بإسلام عمّك أبى طالب منى بإسلام أبى.

ثمّ يختم حديثه بقوله: ثمّ بحسبنا فى المعقولات كمثال أيضاً أنّ أباطالب، بكلّ المعايير، قد نصر الإسلام ونيّيه، كما لم يكن مثله نصير فى العالمين...

فإذا رأى راءٍ تحرّى مواقف الشيخ فداءً وحمایهً وتعزيراً تجاه الإسلام ورسول الله، فالمصادر تجلّ عن الحصر، والصحف المنيره فيها كثيره...

ثمّ راح يتساءل: أم ماذا يقال فى رجل يقف وحده فى وجه الشرك وقومه أجمعين، ليدرأ عن ابن أخيه مبعوث الله أن يناله طاغیه منهم بمكروه؟

ما الرأى فيه إذ يحث آله على مسانده محمّد وشدّ أزره، واتباع دينه، ويدفع بولديه: عليّ وجعفر ليكونا جناحيه، اللذين يحلق بهما فى سماء الدعوه؟

بأى معيار نعاير حرصه على سلامه رسول الله (ص) إبان محنه الشّعْب، إذ يغمى على الناس مرقدّه، ليله بعد ليله، فينأبه عنه، ويأمر ولده علياً فيبيت فيه، ليكون هو المقتول لو

سعى عدو إلى اغتيال الرسول؟ (١).

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نقول لهم ما قاله يعقوب لبنيه:

(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). (٢).

١- روح المعاني، للآلوسي ٥: ٤٠.

٢- سورة يوسف: الآية ١٨.

(١٥) سعد بن معاذ

إشاره

حسن الحاج

حظيت نخبةً صالحهً من الصحابه، من المهاجرين والأنصار، بمنزله عظيمه

عند الله سبحانه وتعالى، وما دام حديثنا عن صحابي جليل وسيد من الأنصار،

نكتفى بآيتين كريمتين تبيينان منزلتهم وعظيم شأنهم، ودورهم البارز في خدمه رساله السماء ونصره رسولها ٩ فهم الذين آووا وهم الذين نصروا، كما تصرّحان بأجرهم الذي ينتظرهم.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ). (١)

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). (٢)

١- الأنفال: ٧٤.

٢- التوبه: ١٠٠.

وحظيت (هذه النخبة الصالحة) أيضاً بنصيب وافر من كرم رسول الله (ص) ورعايته وهدية وإرشاده ورضاه، فراحت تستوعب كل ما تقدمه يده المباركتان من خير عميم وعطاء جسيم، تستوعبه برغبة صادقه، وتمثله أسلوب عمل ومنهج حياه، وهدفاً عالياً تسعى إليه، وبذلت من أجله كل غال ونفيس، لا- تأخذها في ذلك لومه لائم، ولا طغيان طاغ، ولا عناد متكبر ظالم، ولا تحدّ طموحها، هذا رغبة زائله ومتاع دنيوى فان، فظلت مواقفها تتسم بالشجاعه والثبات فلم تنقلب،(١)

ولم تبدل،(٢)

ولم تغير، فكانت الاستقامه،(٣)

حليفها المنشود، وهدفها السامى، بل ومشروع حياتها بكل تفاصيلها راحت تسعى إليه، فنالت بذلك أجرها فى الآخرة، وغدت فى الدنيا أمه رساليه حملت أعباء عظيمه، وتجاوزت مخاطر جسيمه، وخلفت مبادئ وأهدافاً وأمجاداً وذكريات، راحت تتغنى بها الأجيال المؤمنه المخلصه والمجاهده، وتقتدى بها.

والأنصار هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه والذين آووا ونصروا، والذين (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)، والذين قال فيهم رسول الله (ص): «لولا- الهجره لكنتُ امرءاً من الأنصار» ؛ كان سعد بن معاذ واحداً منهم، بل كان أعظمهم مكانه وأفضلهم مواقف، وكيف لا يكون كذلك، وقد شحذت همته وملأت نفسه وروت قلبه قيم ومبادئ مدرسه صنعتها السماء، وراحت يدا رسول الله (ص) تطيبها ببركاتهما، وعيناه ترقبانها، ونفسه الطاهره تظللها، وقلبه يسقيها من مَعِينِهِ، الذى لا يعرف النضوب.

إنه سعد بن معاذ بن النعمان، بن امرئ القيس، بن عبد الأشهل، بن جشم، بن الحارث، بن الخزرج، بن النبيت، بن مالك، بن الأوس الأنصارى الأشهلى، سيد الأوس. (٤)

وأما أمه فهى كبشه بنت رافع، ولها صحبه. (٥)

١- أنظر آيه الانقلاب: (...انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ).

٢- أنظر آيه التبديل: (...وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا) الأحزاب: ٢٣.

٣- أنظر آيه الاستقامه: (... فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ).

٤- الإصابه ٣: ٧٢؛ والطبقات ٣: ٣؛ وأسد الغابه ترجمه رقم ٢٠٤٦؛ وتهذيب التهذيب.

٥- المصدر نفسه.

كان سعد هذا يحتل مكانه مرموقه فى قومه الأوس، وكان من كبار أعيانهم بل كان سيدهم وزعيمهم، ولهذا فقد استمتع بمنزلته الرفيعه، وسمعتة الكريمه، بين ذويه وأهله، وكان لها الأثر الواضح فى دعوتهم إلى الإسلام؛ فيما حظى بدرجة عاليه من الموده والمحبه فى قلوب المسلمين، وحُصّ بمنزله كريمه عند رسول الله (ص) وكفى بهذا فخراً وعزاً وكرامه، فجعلته هذه المكانه عظيم القدر، جليل الشأن، موضع مشوره رسول الله (ص) وتركت أثراً كبيراً فى مفاصل مسيرته وآرائه، ومواقفه الإيمانيه والجهاديه، شهد له بها عدد من المؤرخين والمتابعين لحياه الصحابه قديماً وحديثاً.

وقبل أن نتعرض لبعض ما تيسر لنا من حياته المباركه، نتحدث عن قصه إسلامه.

قصه إسلامه (رجل أسلم فأسلم معه قومه)

الذى يبدو من خلال تتبع قصه إسلام هذا الصحابى الجليل، أن إسلامه تم على يد مصعب بن عمير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، بعد أن بعث رسول الله (ص) مصعباً هذا إلى جمع من الأنصار الذين بايعوه فى عقبه، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام وأحكامه.

نزل مصعب بالمدينه على أسعد بن زراره، فجلسا فى دار بنى ظفر، واجتمع عليهما رجال ممن أسلم، فسمع به سعد بن معاذ وأسيد بن خضير، وهما سيّدا بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك، فقال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فانهما، فإنه لولا أسعد بن زراره وهو ابن خالتى كفيتك ذلك، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما، فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا، اعتزلا عنا؟!

فقال مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك

ما تكره؟

فقال: أنصفت، ثم جلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجله! كيف تصنعون إذا دخلتم فى هذا الدين؟!

قالا: تغتسل وتطهر ثيابك، ثم تشهد شهاده الحق، ثم تصلى ركعتين.

ففعل ذلك وأسلم، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً، إن تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه، وسأرسله إليكما سعد بن معاذ، ثم انصرف إلى سعد وقومه، فلما نظر إليه سعد قال: احلف بالله، لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

فقال له سعد: ما فعلت؟

قال: كلمت الرجلين، والله ما رأيت بهما بأساً، وقد حدثت أن بني حارثه قد خرجوا إلى أسعد بن زراره ليقتلوه.

فقام سعد مغضباً مبادراً لخوفه مما ذكر له، ثم خرج إليهما، فلما رآهما مطمئنين عرف ما أراد أسيد، فوقف عليهما، وقال لأسعد بن زرارته: لولا ما بيني وبينك من القرابه ما رمت هذا منى.

فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟!؟

فجلس، فعرض عليه مصعب الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقال لهما: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟

فقالا له ما قالوا لأسيد، فتطهر وأسلم، ثم عاد إلى نادى قومه، ومعه أسيد بن خضير، فلما وقف عليهم قال:

يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا وأفضلنا.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام، حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال الراوى: فوالله ما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأه، إلا مسلماً أو

مسلمه. (١)

مناقب و صفات

عن عائشه أنها قالت: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم: سعد بن معاذ، وأسيد بن خضير، وعبد بن بشر.

(١)

امتلك ابن معاذ مناقب عالية، وخصائص جميلة، وصفات حسنة؛ فقد كان يتحلّى بإيمان راسخ، جعله رزيناً في أقواله، حكيماً في أفعاله، متماسكاً فيما يطرحه من آراء... لهذا نراه من أشدّ أصحاب رسول الله (ص) على أعداء الله، فهو لا يخاف في الله لومة لائم، فقد بلغ بقتل أمّيه وهو يمكث بين المشركين، ولم يخشَ في هذا أحداً منهم، وراح يبلغ جهاراً عن رسول الله (ص) قبل فتح مكّة، وهو ما يزال بين ظهرائي مشركي مكّة، دون خوف ولا وجل ولا تردّد.

فهذا البخاري يروي في كتاب المغازي من صحيحه، عن ابن مسعود عن سعد ابن معاذ، أنّه قال: كان صديقاً لأُمّيه بن خلف، وكان أمّيه إذا مرّ بالمدينه، نزل على سعد، وكان سعد إذا مرّ بمكّة نزل على أمّيه، فلما قدم رسول الله (ص) المدينه انطلق سعد معتمراً، فنزل على أمّيه بمكّة، فقال لأُمّيه: انظر لي ساعه خلوه لعلّي أن أطوف بالبيت، فزجّ به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا الذي معك؟

فقال: هذا سعد.

فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكّة آمناً وقد آوئتم الصباه، وزعمتم أنّكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنّك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً.

فقال له سعد، ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا، لأمنعك ما هو أشدّ عليك منه، طريقك إلى المدينه.

فقال له أمّيه: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيّد أهل الوادي.

فقال سعد: دعنا عنك يا أمّيه، فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: إنّهم قاتلوك.

قال: بمكّه؟

قال: لا أدري.

ففرع لذلك أمّيه فزعاً شديداً، فلما رجع أمّيه إلى أهله قال: يا أمّ صفوان، ألم ترى ما قال لي سعد؟

قالت: وما قال لك؟

قال: زعم أنّ محمّداً أخيرهم أنّهم قاتلي، فقلت له: بمكّه؟ قال: لا أدري.

فقال أمّيه: والله لا أخرج من مكّه.

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيّركم. فكره أمّيه أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلّفت وأنت سيّد أهل الوادي، تخلّفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتّى قال: أمّا إذا غلبتني، فوالله لأشترين أجود بعير مكّه، ثمّ قال أمّيه: يا أمّ صفوان جهّزيني.

فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليبربي؟

قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلاّ قريباً.

فلما خرج أمّيه، أخذ لا ينزل منزلاً إلاّ عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتّى قتله الله عزّ وجلّ ببدر. (١)

وفى ليله، سعد ابن معاذ على جبل أبي قبيس، وكان برفقته سعد بن عباده سيّد الخزرج ومن أكابر أعيانهم، وراح ابن معاذ يخاطب المشركين الذين توجّهوا إليه يرونه ويسمعونه، فقد شدّهم إليه علوّ صوته وهو يمشي:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد

بمكّه لا يخش خلاف المخالف

فظنّ مشركو مكّه أنّهما سعد بن زيد بن تميم وسعد بن هديم من قضاعه، فلما كانت الليله الثانيه سمعوا صوتاً على أبي قبيس:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرأ

ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً

على الله في الفردوس منيه عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى

جناناً من الفردوس ذات رفارف

فقالوا: هذان والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد. (١)

ومنقبه أخرى تحلى بها ابن معاذ، رواها الزهري عن ابن المسيب عن ابن عباس أنه قال: قال سعد بن معاذ: ثلاث أنا فيهنّ رجل،
يعنى كما ينبغي، وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس:

ما سمعت من رسول الله (ص) حديثاً قط إلا علمت أنه حقّ من الله تعالى.

ولا كنت في صلاه قط فشغلت نفسي بغيرها حتى أفضيها.

ولا كنت في جنازه قط فحدثت نفسي بغير ما تقول ويقال لها حتى أنصرف عنها.

قال ابن المسيب: فهذه الخصال ما كنت أحسبها إلا في نبي. (٢)

سعد وحبّه لأهل البيت:

لقد كان هذا الرجل ذا حظّ وفير، وتوفيق عال، أن وفقه الله تعالى في حبّ أهل بيت النبوه والرساله، المدين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً، وهو نصّ الآيه الكريمه: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). (٣)

فقد كان ذا علاقته ملؤها الودّ والحبّ والاحترام للإمام على (ع) فكانت حقاً منقبه عظيمه تشرف بها ابن معاذ رضوان الله عليه،
ففى مرّه قال أصحاب رسول الله (ص): ما أعجب أمر هؤلاء الملائكه حمله العرش فى قوتهم وعظم خلقهم، فقال رسول الله
(ص): هؤلاء مع قوتهم لا يطيقون حمل صحائف تكتب فيها حسنات رجل من أمتى؛ قال: ذلك الرجل، رجل كان قاعداً مع
أصحاب له فمرّ به رجل من أهل بيتى مغطى الرأس فلم يعرفه، فلما

١- أنظر الاستيعاب بهامش الإصابه ٢: ٣٧.

٢- تهذيب التهذيب ٣: ٤١٨.

٣- الأحزاب: ٣٣.

جاوزه التفت خلفه فعرفه، فوثب إليه قائماً حافياً حاسراً، وأخذ بيده فقبلها، وقبل رأسه وصدره وما بين عينيه، وقال: بأبي أنت وأُمِّي يا شقيق رسول الله، لحمك لحمه، ودمك دمه، وعلمك من علمه، وحلمك من حلمه، وعقلك من عقله، أسأل الله أن يسعدني بمحببتكم أهل البيت.

فأوجب الله له بهذا الفعل وهذا القول من الثواب، ما لو كُتِبَ تفصيله في صحائفه لم يطق حملها جميع هؤلاء الملائكة الطائفين بالعرش، والملائكة الحاملين له.

فقال له أصحابه لَمَّا رجع إليهم: أنت في جلالتك وموضعك من الإسلام ومحلك عند رسول الله (ص) تفعل بهذا ما ترى؟!!

فقال لهم: أيها الجاهلون وهل يُناب في الإسلام إلا بحبِّ محمدٍ وحبِّ هذا؟!!

فأوجب الله له بهذا القول مثل ما لو كان أوجب له بذلك الفعل والقول أيضاً.

فقال رسول الله (ص): «ولقد صدق في مقاله، لأن رجلاً لو عمّره الله عزّ وجلّ مثل عمر الدنيا مائة ألف مرّة، ورزقه مثل أموالها مائة ألف مرّة، فأنفق أمواله كلّها في سبيل الله، وأبقى عمره صائماً نهاره قائم ليله لا يفتر شيئاً منه ولا يسأم، ثمّ لقي الله تعالى منطوياً على بغضٍ محيّدٍ أو بغض ذلك الرجل الذي قام إليه هذا الرجل مكرماً إلا أكبه الله على منخريه في نار جهنّم، ولردّ الله عزّ وجلّ أعماله عليه وأحبطها».

قال: فقالوا: ومن هذان الرجلان يارسول الله؟!!

قال رسول الله (ص): «أمّا الفاعل ما فعل بذلك المقبل المغطى رأسه فهو هذا فتبادر القوم إليه ينظرونه فإذا هو سعد بن معاذ الأوسى الأنصارى وأمّا المقول له هذا القول فهذا الآخر المقبل المغطى رأسه فنظروا فإذا هو على بن أبى طالب... ثمّ قال رسول الله (ص): يا عباد الله إنّما يعرف الفضل أهل الفضل، ثمّ قال رسول الله (ص) لسعد: أبشر، فإنّ الله

يختم لك بالشهادة، ويهلك بك أُمَّة من الكفرة، ويهتّر عرش الرحمن لموتك، ويدخل بشفاعتك الجنّة».(١)

١- التفسير المنسوب للإمام العسكري (ع) في تفسير أركان العرش؛ سفينه البحار ١: ٦٢١.

ابن معاذ، موضع مشوره النبي (ص)

ومِمَّا تَمَتَّعَ بِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ عِلْوُ الْقُدْرَةِ وَالْكَفَاءَةِ وَالْحِكْمَةِ الْعَالِيَةِ وَالْخَبْرَةَ الْوَاسِعَةَ، وَقَدْ جَعَلْتَهُ هَذِهِ الْخِصَائِصَ يَحْظِي بِمَنْزِلِهِ رَفِيعِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَبِمَوْضِعِ مَشُورَتِهِ، وَهُوَ مَا حَدَّثَ فِي بَدْرٍ وَوَأَحَدٍ وَالْخَنْدَقِ.

فَفِي وَقْعِهِ بَدْرَ الْكِبْرِيِّ، أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَهُ أَخْبَارَ قَرِيْشٍ وَقَالَ: هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحَ أَكْبَادِهَا...

ثُمَّ رَاحَ ٩ يَسْتَشِيرُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَالَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ كَلِمَتَهُ الْمَشْهُورَةَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهُ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: (أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) وَلَكِنْ أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ سَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرَكِ الْغَمَادِ مَدِينَةَ الْحَبَشَةِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ.

فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ (أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ (ص)) الْأَنْصَارَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَدْتَهُ لِلنَّاسِ، وَخَافَ أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَتَهُ إِلَّا مِمَّا دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ.

وَهُنَا انْبَرَى سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ قَائِلًا: لَكَأَنَّكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ!؟

فَقَالَ (ص): أَجَلٌ.

قَالَ: قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَهْدَنَا فَاْمْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَمَرْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْخَبْرَ، فَخَضْتَهُ لِنُخُوضَتِهِ مَعَكَ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ تَلْقَى الْعَدُوَّ بِنَا غَدًا، إِنَّا لَصَبْرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ الْوُقُوفِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرِيكَ مِمَّا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. (١)

فصحيح أنّ خطابه ٩ نراه قد توجه إلى الأنصار، إلا أنّ نظره الشريف وكما يبدو بل محطّ نظره كان سعد بن معاذ سيّد الأوس وزعيمهم يومذاك، وأمثاله من المخلصين، وهو ما أدركه سعد بثاقب بصيرته، فكان جوابه الذى ذكرناه.

وهناك استشاره أخرى، فقد استشاره رسول الله (ص) واستشار سعد بن عباده فى موضوع الخندق، وحول إعطاء ثلث ثمار المدينة لعينه بن حصن والحرث بن عوف، وهما قائدا بنى غطفان، حتّى يرجعا بقومهما عن حربه، فكان قول سعد: إن كان هذا الأمر لا يبد لنا من العمل به؛ لأنّ الله أمرك فيه بما صنعت والوحى جاء به، فافعل ما بدا لك، وإن كنت تختار أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأى.

فقال (ص): لم يأتنى وحى به، ولكنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وجاءوكم من كلّ جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما.

فقال سعد بن معاذ: قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعباده الأوثان، لا نعرف الله ولا نعبده، ونحن لا نطعمهم من ثمارنا إلاّ قرى أو بيعاً، والآن حين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا وأعزّنا بك، نعطهم أموالنا، ما بنا إلى هذا من حاجه، والله لا نعطهم إلاّ السيف حتّى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال رسول الله (ص): الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإنّ الله لن يخذل نبيّه ولن يسلمه حتّى يُنجز له ما وعده. (١)

وسعد بن معاذ هو الذى كان قد أشار أو اقترح على رسول الله (ص) أن يبنى له عريشاً فى معركة بدر، للدفاع دونه قائلاً:

يارسول الله، نبى لك عريشاً من جريد، فتكون فيه، ونترك عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا الله عليهم، كان ذلك ممياً أحببناه، وإن كان الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدّ حباً لك

١- الكامل فى التاريخ ٢: ٧٢ وفيه: وترك ذلك رسول الله (ص)؛ وانظر أيضاً: الإرشاد للمفيد ٢: ٢٠.

منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويحاربون معك؛ فأثنى عليه خيراً، ثم بنى لرسول الله (ص) العريش. (١)

موقفه الواعي من أسرى بدر

بما أن معركة بدر كانت الأولى، والمسلمون كانوا قلة فيها، فإن الإكثار من القتل في صفوف المشركين مما يقلل عددهم، ويربك وضعهم، ويدل كبرياءهم، بل يكسر شوكتهم، ويرتدع غيرهم، ويجعلهم يحسبون ألف حساب إذا ما قرروا العوده إلى قتال المسلمين.

لهذا نرى موقف بعض المسلمين وهم الواعون للموقف وأهدافه رفضوا الإكثار من أسرى المشركين، ورفضوا طلب المال. (٢)

وكان سعد بن معاذ من هؤلاء الواعين لخطوره الموقف في معركة بدر، ومن الكارهين لما فعله بعض المسلمين، وهو الإكثار من الغنائم ومن الأسرى، رغبة في الفداء.

تقول الرواية عن ابن إسحاق: فلما وضع القوم أيديهم بأسرون، ورسول الله (ص) في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله (ص) متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله (ص) يخافون عليه كثره العدو، ورأى رسول الله (ص) فيما ذكر لي في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله (ص): «والله لكأنتك يا سعد تكره ما يصنع القوم!».

قال: أجل والله يارسول الله، كانت أول وقعه أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان أحب إلي من استبقاء الرجال.

وقد جاء الآيه القرآنيه: (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَشِيرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، رافضةً للحاله التي انتابت جمعاً من

١- أنظر الكامل في التاريخ ٢: ٢٠، والاستيعاب بهامش الإصابه ٢: ٣٨.

٢- أنظر مقاله «موقف رسالي من أسرى بدر وبنى قريظه»، في العدد ١٦ من هذه المجله.

المقاتلين المسلمين في ساحه معركة بدر، والذين راحوا يتسابقون لأخذ المشركين أحياء أسرى، ليفادوهم فيما بعد.

سعد و معركة أحد

سَجَّل لنا التاريخ أنَّ لسعد بن معاذ آراء ومواقف جليله في معركة أحد وقبلها، فقد وافق رأيه رأى رسول الله (ص) ورأى أكابر الصحابه من المهاجرين والأنصار، وهو عدم الخروج لمواجهه عدوهم من مشركى قريش، والاكتفاء بالبقاء داخل المدينة، وتثبيت مواقعهم، ورضّ صفوفهم لخوض القتال ضدّ المشركين القادمين من مكّه، للاقتصاص من المسلمين والانتقام لما حلّ بهم من هزيمه نكراء في معركة بدر الكبرى.

فيما خالف جمع آخر من الصحابه، وقالوا لرسول الله (ص): أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرونا إنّا جنبنا عنهم.

وكان ممّن وافق هذا الجمع الأخير على هذا الرأى حمزه بن عبدالمطلب، وكانوا يلحّون على موقفهم هذا، ولم يزالوا برسول الله (ص) وبالصحابه الآخرين حتّى وافق على ذلك، فصلّى بالناس، ثمّ وعظهم وأمرهم بالجدّ والاجتهاد، وأخبرهم أنّ لهم النصره ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك، ثمّ صلّى بالناس العصر وقد حشدوا، وقد حضر أهل العوالي، ثمّ دخل رسول الله بيته ومعه أبوبكر وعمر فعصّماه ولبساه، وصفّ الناس ينتظرون خروجه ٩ فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد ابن خضير: استكروهم رسول الله (ص) على الخروج، فردّوا الأمر إليه، أى فما أمركم به وما رأيتم له فيه هوى ورأياً فأطيعوه.

فخرج رسول الله (ص) وقد لبس لامته.

فقالوا له: ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت.

وفى روايه فإن شئت فاقعد، وقال (ص): «قد دعوتكم إلى القعود فأبيتم، وما ينبغي لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يحكم الله بينه وبين أعدائه..» (١).

وهنا راح ابن معاذ وصاحبه أسيد بن خضير وزعيم الخزرج سعد بن عباده يحملون سلاحهم ويقفون بباب الرسول (ص) طيله ليلتهم حتى أصبحوا، ثم خرجوا وعلى روايه هو وسعد بن عباده أمام رسول الله (ص) دارعين يعدوان. (١)

وما إن وقعت معركة أحد واشتدت حتى كان من أولئك النفر الثابتين فيها، فهذا الواقدي في مغازيه يقول: وثبت رسول الله (ص) كما هو في عصابه صبروا معه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار... ومن الأنصار الحباب بن المنذر... وسعد بن معاذ. (٢)

وفي طريق عودتهم كان ابن معاذ آخذاً بلجام فرس رسول الله (ص) وإذ هو في هذه الحاله جاءت أمه تعدو نحو رسول الله (ص) وهو على فرسه، وسعد بن معاذ آخذ بلجامها، فقال له سعد: يا رسول الله أمي.

فقال (ص): مرحباً بها، فوقف لها فدنّت حتى تأملت رسول الله (ص) فعزّها رسول الله (ص) بابنها عمرو بن معاذ، فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا، فقد استويت المصيبة، أي استقليتها، ودعا رسول الله (ص) لأهل من قتل بأحد، أي بعد أن قال لأم سعد: أبشري وبشري أهلهم أن قتلهم ترافقوا في الجنه جميعاً، ثم شفّعوا في أهلهم جميعاً.

قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا، ثم قالت: يا رسول الله ادع لمن خلفوا، فقال: اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا. (٣)

ولما سمع بكاء النبي الله (ص) على حمزه وقوله: حمزه لا بواكي له، أمر ابن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله (ص) يبكين حمزه بن عبدالمطلب بين المغرب والعشاء. (٤)

وفي خبر آخر: وانصرف رسول الله (ص) إلى المدينه حين دفن القتلى، فمرّ بدور بني الأشهل وبني ظفر، فسمع بكاء النوائح على قتلاهن، فترقرقت عينا رسول الله (ص) وبكى،

١- أنظر السيره الحلبيه ٢: ٢١٩؛ والمغازي ١: ٢٠٥.

٢- المغازي ١: ٢٤٠.

٣- المصدر نفسه ١: ٢٥٤.

٤- أنظر الكامل في التاريخ ٢: ٥٦؛ والسيره الحلبيه ٢: ٢٥٤.

ثم قال: لكن حمزه لا بواكى له اليوم، فلما سمعها سعد بن معاذ وأسيد بن خضير، قالوا: لا تبكين امرأه حميمها حتى تأتي فاطمه فتسعدهما، فلما سمع رسول الله (ص) الواعیه على حمزه وهو عند فاطمه على باب المسجد قال: إرجعن رحمك الله، فقد آسيتن بأنفسكن. (١)

سعد و الأحزاب

فى السنه السادسه للهجره النبويه، وقعت معركة الأحزاب، فكان لهذا الصحابى الجليل مواقف مشهوده، منها ما ذكرناه سابقاً من استشاره رسول الله (ص) له فى إعطاء ثلث ثمار المدينه إلى عينه بن حصن، والحرث بن عوف، وما أبداه سعد من رأى.

ومنها أنه أرسله يرافقه سعد بن عباده، وابن رواحه، وخوات بن جبير إلى بنى قريظه، للاستخبار عن صحه ما بلغه من ٩ من خيانتهم، ونقض العهد الذى أبرم بينهم وبين رسول الله (ص) وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم، فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه دون القوم.. وإلا فاجهروا بذلك بين الناس... فخرجوا حتى أتوا بنى قريظه، فوجدوهم قد نقضوا العهد، (٢) ونالوا من رسول الله (ص) وتبرؤوا من عقده وعهده، وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمّد، فشتهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه.. ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله (ص) فكثروا له عن نقضهم العهد، أى قالوا عضل والقاره، أى غدروا كغدر عضل والقاره بأصحاب الرجيع. (٣)

وكان سعد بن معاذ ينتظر فى معركة الأحزاب أن يكون له دوره الرسالى البارز، فكان مستعداً ومتدرباً يحمل حربته كأعظم مجاهد يحمل همّ الرساله والحرص عليها ضدّ

أعداء الله ورسوله، وراح يتمثل بأبيات كأنه ينتظر الشهاده فى طريق ذات الشوكه، فهذا ابن إسحاق يقول: وحدثنى أبو ليلى عبدالله بن سهل ابن عبدالرحمن بن سهل الأنصارى

١- أنظر إعلام الورى: ٩٤.

٢- أمّا اليعقوبى فيقول: فذكروهم العهد وأساءوا الإجابه ٢: ٥٢.

٣- أنظر السيره الحلبيه ٢: ٣١٦.

أخو بني حارثه: أن عاتشه أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثه يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فقالت عاتشه وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمر سعد وعليه درع له مقلّصه (١) قد خرجت منه ذراعه كلّها وفي يده حربته يرقد بها ويقول:

لَبَّثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَل

لَا بِأَسِّ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَل

قال: فقالت له أمه: الحق أي النبي، فقد والله أخرجت، قالت عاتشه: فقلت لها: يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبع، (٢) مميا هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل، رماه كما حدّثني عاصم بن عمير بن قتاده حبان بن قيس بن العرقه. (٣)

دعاء مستجاب

فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تُمتني حتى تُقرّ عيني من بني قريظه، فكان دعاؤه هذا مستجاباً حيث الجزاء التعادل الذي حلّ بيني قريظه على جنائتهم وقد حكم به سعد ورآه واقعاً.

فيما قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتهم عن عبدالله بن كعب بن مالك أنه كان يقول:

ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبواسامه الجشمي، حليف بني مخزوم، وقد قال أبواسامه في ذلك شعراً لعكرمه بن أبي جهل:

١- مقلّصه: قصيره قد ارتفعت، يقال: تقلّص الشيء إذا ارتفع وانقبض.

٢- أسبع: أكمل.

٣- العرقه: هي قلابه بنت سعد بن سعد بن سهم، وتكنى أم فاطمه، وسميت العرقه لطيب ريحها، وهي جدّه خديجه، أم أمها هاله؛ أنظر الروض.

أعكرم هلاً لمتنى إذ تقول ليفداك بأطام (١)

المدينه خالد

ألسْتُ الذى أَلزمتُ سعداً مُرِشَةً (٢)

لها بين أثناء المرافق عاند (٣)

قضى نجه منها سعيد فأعولت (٤)

عليه مع الشُّمط (٥) العذارى النواهد (٦)

وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا

عبيده جمعاً منهم إذ يكابد

على حين ما هم جائر عن طريقه

وآخر مرعوب (٧) عن القصد قاصد

فيما قال ابن هشام:

يقال: إنَّ الذى رمى سعداً خفاجه بن عاصم بن حبان. (٨)

لقد آلمت إصابه سعد بجرح بليغ قلب رسول الله (ص) وقلوب المؤمنين، مما حدا برسول الله (ص) أن يُصدر أمره بنقل سعد إلى مسجده حيث خيمه زُفيدة، وهى امرأه من أسلم، وقيل: إنها أنصاريه، (٩)

وكانت تداوى الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمه من كانت به ضيعه من المسلمين، وكان رسول الله (ص) قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: إجعلوه فى خيمه زُفيدة، حتى أعوده من قريب. (١٠)

الجزء العادل

بنو قريظه إحدى طوائف ثلاث (بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظه) كانت

تمثل الوجود اليهودى فى المدينه المنوره، وكانوا قد اتخذوا من أطراف يثرب سكناً

- ٢- مرشه: رميه أصابته فأطارت رشاش الدم منه، ومريشه.
- ٣- عاند: العرق الذي لا ينقطع منه الدم.
- ٤- أعولت: بكت بصوت مرتفع.
- ٥- الشمط: جمع شمطاء، وهي التي خالط شعرها الشيب.
- ٦- العذارى: الأبيكار، والنواهد: جمع ناهد، وهي التي ظهر نهدها.
- ٧- المرعوب: المفزع، وقد روى بالغين: أى رغب عن القصد، تركه.
- ٨- أنظر السيره النبويه، لابن هشام ٣: ٢٣٧ ٢٣٨.
- ٩- أنظر الإصابه؛ وشرح المواهب.
- ١٠- أنظر السيره النبويه، لابن هشام ٣: ٢٥٠.

ومأوى لهم، بعد أن طردهم نبوخذنصر من الشام وشتت جمعهم، وراح يلاحقهم

حتى لم يجدوا فى الأرض مأمناً إلا يثرب، فسكنوا فيها، واتسعت تجارتهم وقويت فيها شوكتهم، ولكن قلوبهم لم تطهر، وكأنها أورثت التآمر والحقد على غيرهم من طوائف الناس.

وما إن حلّ رسول الله (ص) فى المدينة بعد هجرته إليها من مكّة، حتّى راح بينى دولته وأسسها مستعيناً بالله تعالى وبالمؤمنين من المهاجرين والأنصار، وبما أنّه كان مدركاً وعارفاً بتركيبه مجتمع يثرب، التى كان اليهود بطوائفهم (بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة) يشكّلون دوراً مهماً فيها خاصّه بجانبها الاقتصادى، فقد وادعهم متعهداً باحترام عقائدهم، وحرّيه عباداتهم وشعائرهم، وترك لهم فرص العمل كغيرهم بأمن وسلام... ما داموا موادعين مسالمين لا يهجمون على مسلم ولا ينصرون عدوّاً للمسلمين، ولا يعكّرون أمناً ولا يسيئون إلى جوار... إلا أنّ بغضهم وحقدهم ونفوسهم الأماره بالسوء، كلّ هذا وغيره شجّعهم على نقض العهد مع الرسول (ص)، وراحوا يحرضون على قتال المسلمين ويتعاونون مع المنافقين والمشركين، ويقدمون إليهم ما يحتاجونه لتقويض الدوله الفتية، التى راح نبيّ الله (ص) يبنيها بجهود أصحابه وأتباعه، فما كان من رسول الله (ص) إلا أن أجلا بنى النضير وبنى قينقاع عن قراهم، فذهب جمع منهم إلى منطقه أدرعات، فيما ذهب آخرون

منهم إلى خيبر، وقد اكتفى الرسول (ص) بهذا الإجراء لأنّ خيانتهم لم ترتقِ إلى أكثر من

هذه العقوبه.

أمّا بنو قريظه، فكان لرسول الله (ص) معهم أمر آخر وحكم أشدّ لعظم خيانتهم التى كلفتهم حياتهم.

خيانتهم

كانت جريمه بنى قريظه قد بدأت بيحيى بن أخطب، وسلام بن أبى الحقيق، وهما من كبار ومن زعماء بنى النضير، اللذين حرّضا قريشاً ومشركى غطفان على قتال الرسول (ص)

وحرّضا بنى قريظه أيضاً على نقض عهدهم الذى أبرم مع الرسول (ص) ثم الانضمام إلى عشره آلاف مقاتل من مشركى قريش وغطفان، الذين راحوا يتركزون حول المدينة بقياده أبى سفيان، والذين منعهم من اجتياز المدينة حفراً المسلمين للخندق.

لقد ارتضى كعب بن أسد زعيم بنى قريظه أن يكون طابوراً يقوّض صفّ المسلمين من داخل المدينة، وقطع على نفسه أن يكون شريكاً للمشركين فى قتالهم للمسلمين، وبدأ يمدّهم بالعون والمساعدة، فكان بهذا قد ارتكب دوراً قذراً وخطيراً يهدّد وحده المسلمين وقدرتهم القتاليه، وأصرّ على موقفه هذا، وهو ما لمسّه وعرفه مبعوثا الرسول (ص) وهما سعد بن معاذ زعيم الأوس وسعد بن عباد زعيم الخزرج، وشخصان آخران كانا برفقه هذين الزعيمين، اللذان ترأسا وفداً يستطلع الأمر ويتحقّق منه، ويبدل جهده لإقناع بنى قريظه بالعدول عن موقفهم الخيائى هذا، وباءت جهود هذا الوفد بالفشل، فما كان من الوفد إلا أن أعلن تهديده بجزاء أشدّ ممّا حلّ ببني قينقاع وبني النضير، خاصّة بعد أن رأى عنادهم وشده إصرارهم على موقفهم الخيائى هذا. (١)

وفى آخر الوقت، وبعد أن أنهكهم حصار رسول الله لهم، نزلت بنو قريظه على حكم رسول الله (ص) وشفعت لهم الأوس وكانوا حلفاءهم فى الجاهليه.

تقول الروايه: ... فلمّا أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (ص) فتواثب الأوس، فقالوا: يارسول الله، إنهم كانوا موالينا دون الخزرج، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله (ص) قبل بنى قريظه قد حاصر بنى قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إيّاهم عبدالله بن أبى بن سلول، فوهبهم له فلمّا كلمته الأوس، قال رسول الله (ص):

«ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟»

قالوا: بلى.

١- أنظر تفصيل هذا كلّه، وكيف باءت جهود بنى قريظه وغيرهم، بالفشل، وأحببت، مؤامرتهم، وما حلّ بهم من جزاء، فى العدد: ١٦ من هذه المجلّه، الصفحات ١٧٦ ١٨٦.

قال رسول الله (ص): «فذاك إلى سعد بن معاذ».

فلما حكّمه رسول الله (ص) في بني قريظه، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوساده من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً؛ ثم أقبلوا معه إلى رسول الله (ص) وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنّ رسول الله (ص) إنّما ولّاك ذلك لتُحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال:

لقد أنى لسعد أن لا تأخذه في الله لومه لائم!

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظه، قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه.

فلما انتهى سعد إلى رسول الله (ص) والمسلمين، قال رسول الله (ص): قوموا إلى سيّدكم فأما المهاجرون من قريش، فيقولون: قد عمّ رسول الله (ص) فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إنّ رسول الله (ص) قد ولّاك أمر مواليك لتُحكم فيهم.

فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه، أنّ الحكم فيهم لما حكمتُ؟

قالوا: نعم.

قال: وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله (ص) وهو مُعرّض عن رسول الله (ص) إجلالاً له.

فقال رسول الله (ص): نعم.

قال سعد: فإنّي أحكم فيهم أن تُقتل الرجال، وتقسّم الأموال، وتسبى الذراري

والنساء.

قال ابن إسحاق:

فحدّثني عاصم بن عمر بن قتاده عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله (ص) لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعه. (١)

رحيله رضوان الله عليه

حَقًّا (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبُهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا). (١)

مات شهيداً، فقد وفى بعهده الذى عاهد الله عليه، وألزم نفسه ألا ينكل عن العدى أو يقتل فى سبيله تعالى.

أُمنيه تحققت لأنها كانت صادقته، وطموح طالما عاش من أجله، لم تبخل به السماء؛ لأنه طموح المخلصين الصادقين (فاجعله لى شهادة)، لم يمهل ذلك الجرح طويلاً، فما أن انقضى شأن بنى قريظه بليال، وبعد شهر من إصابته (ولا تمتنى حتى تُقرّ عيني من بنى قريظه) حتى انفجر بسعد بن معاذ جرحه، الذى انقضّ عليه، فاستشهد منه سنة خمس للهجرة النبويّه، وقد ختم حياته المملوءه إيماناً وجهاداً ختمها برحاب ربّ كريم، وجنّه عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، يلاحقه دعاء رسول الله (ص) واستغفاره، ورضاه عنه وشفاعته له.

وما أسرع انتشار خبر استشهاد هذا الصحابى الجليل، الذى شرح الله سبحانه صدره للإيمان، ومنّ عليه بالاستقامه وحببها إليه وزينها فى قلبه، وتبناها سلوكاً له حتى عُرف بها، فاستحقّ أعظم وسام يزين صدره يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إنّه الشهاده التى منّت بها السماء عليه يوم الخندق.

يقول ابن إسحاق: ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستّة نفر.

من بنى عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو، وعبد الله بن سهل، ثلاثه نفر.

ومن بنى جشم بن الخزرج، ثم من بنى سلمه: الطفيل بن النعمان، وثلعبه بن غنمه، رجلان.

ومن بنى النجار، ثم من بنى دينار: كعب بن زيد، أصابه سهم غزب (١)، فقتله.

فما إن سمع رسول الله (ص) بخبر وفاه سعد حتى قام سريعاً، يجزّ ثوبه إلى سعد، فوجده قد استشهد.

فما أشدّ وقع هذا الخبر على قلب رسول الله (ص) وقلوب أصحابه، الذين راحت أصواتهم تملو، وعيونهم تبكيه بحرقه وألم.

تقول الروايه:

قالت عائشه: سمعت بكاء أبي بكر وعمر وأنا فى حجرتى.

وفى روايه يذكرها صاحب السيره النبويه: أنّ ابن إسحاق قال: حدّثنى من شئت من رجال قومي: أنّ جبرئيل ٧ أتى رسول الله (ص) حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامه من استبرق، فقال: يا محمّد، من هذا الميّت الذى فتحت له أبواب السماء واهتزّ له العرش؟!

قال: فقام رسول الله (ص) سريعاً يجزّ ثوبه إلى سعد فوجده قد مات. (٢)

وفى خبر آخر:... انفجر جرح سعد بن معاذ وسال الدم، واحتضنه ٩ فجعلت الدماء تسيل على رسول الله (ص) فمات منه. (٣)

وفى السيره الحلبيّه: عن سلمه بن أسلم بن حريش أنّه قال: دخل رسول الله (ص) وما فى البيت أحدٌ إلاّ سعد مسجّى، فرأيته يتخطّى، وأوماً إلى قف، فوقف ورددت من ورائى، وجلس ٩ ساعه ثم خرج، فقلت: يا رسول الله، ما رأيت أحداً أو رأيتك تتخطّى.

فقال: ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكه أحد جناحيه. (٤)

١- سهم غزب، وسهم غرب، بإضافه وغير إضافه، وهو الذى لا يُعرف من أين جاء ولا من رمى به؛ السيره النبويه، لابن هشام ٣: ٢٦٤.

٢- أنظر هامش الصفحه ٢٦٢ من الجزء الثالث لسيره ابن هشام.

٣- أنظر السيره الحلبيّه ٢: ٣٤٤.

٤- المصدر نفسه ٢: ٣٤٤.

وفى سفينه البحار: أنه ٩ مشى خلف جنازته حافياً بغير رداء، يأخذ على يمين السرير مرّة وعلى يساره أخرى. (١)

وفى الاستيعاب: أنه ٩ قال: لقد نزل الملائكة فى جنازه سعد بن معاذ سبعون ألفاً ما وطؤوا الأرض. (٢)

وقد صلّى عليه رسول الله (ص) مع تسعين ألف ملك فيهم جبرئيل كما ورد فى سفينه البحار. (٣)

وفى أمالى الطوسى: أنّ النبى الله (ص) صلّى على سعد بن معاذ، وقال: لقد وافى من الملائكة للصلاه عليه تسعون ألف ملك وفيهم جبرئيل يصلون عليه.

فقلت: يا جبرئيل بما استحقّ صلاتكم عليه!؟

فقال: بقراءه قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً. (٤)

وحديث اهتزاز العرش لموت سعد كما يقول محققوا السيره النبويه لابن هشام صحيح، وهو ثابت من طرق متواتره، ورواه عدّه من الرواه.

وعن ابن إسحاق أنّه قال: وحديثى عبد الله بن أبى بكر عن عمره بنت عبد الرحمن أنّها قالت:

أقبلت عائشه قافله من مكّه، ومعها أسيد بن خضير، فلقى موت امرأه له، فحزن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشه: يغفر الله لك يا أبا يحيى، أتحزن على امرأه وقد أصبت بآبن عمك، وقد اهترّ له العرش!؟

ثمّ قال ابن إسحاق: وحديثى من لا أتّهم عن الحسن البصرى قال: كان سعد رجلاً بادناً، فلمّا حمله الناس وجدوا له خفّه، فقال رجال من المسلمين: والله إن كان لبادناً، وما حملنا من جنازه أخفّ منه، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال: إنّ له حملاً غيركم، والذى نفسى

١- سفينه البحار ١: ٦٢١؛ إعلام الورى: ١٠٣.

٢- أنظر الاستيعاب بهامش الإصابه ٢: ٢٩.

٣- سفينه البحار ١: ٦٢١.

٤- أمالى الطوسى: ٤٣٧.

بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتزّ له العرش.

وفى الصحيحين وغيرهما من طرق أنّ النبيّ الله (ص) قال: اهتزّ العرش لموت سعد.

وعن جابر بن عبد الله أنّه قال: لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله (ص) سبّح رسول الله (ص) فسبّح الناس معه، ثمّ كبر فكبر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله، ممّ سبّحت؟

قال: لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره، حتّى فرّجه الله عنه.

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشه: قال رسول الله (ص): إنّ للقبر لضمّة لو كان أحد منها ناجياً، لكان سعد بن معاذ.

وقال رجل من الأنصار فى سعد:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك

سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

وأما أمّه، فقد قالت وهى ترى نعشه محمولاً على الأكفّ، والقلوب تودّعه والعيون تبكيه :

ويل أمّ سعد سعداً

صرامه وحدّاً

وسؤوداً ومجداً

وفارساً معدّاً

مُسدّاً به مسدّاً

يقدّ هاماً قدّاً

ونختم هذا بقول رسول الله (ص) فيه: كلّ نائحه تكذب، إلا نائحه سعد ابن معاذ.

دفنه رسول الله (ص) فى البقيع الغرقد، فقد تولّى حفر قبره أبوسعيد الخدرى وبعض الصحابه، يقول أبوسعيد: كنت ممّن حفر لسعد قبره، فكان يفوح علينا المسك كلّما حفرنا قبره من تراب.

ولمّا أقبر رسول الله عليه فى ملحدوته، قالت أمّه:

أحتسبك عند الله؛ وكان رسول الله (ص) واقفاً على قبره فبادر وعزّاها، ثم دعا له وانصرف ٩.

ثم لما سمع ٩ أمه تنوح عليه أراد تسليتها فقال: لا تزيدي على هذا، كان والله ما علمت حازماً في أمر الله قوياً.

ثمّ راح ٩ يخاطب سعداً بقوله: رحمك الله ياسعد، فلقد كنت شجاً في حلوق الكافرين، لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضه الإسلام كعجل قوم موسى. (١)

ونختم مقالنا هذه عن الصحابيِّ الكبير سعد بن معاذ بمرثيه حسان بن ثابت، يبكيه فيها ويذكر حكمه في بنى قريظه:

لقد سَجَمْتُ (٢)

من دَمَعِ عَيْنِي عَبْرَةً

وَحَقُّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَيَّ سَعْدٌ

قَتِيلٌ ثَوَى فِي مَعْرِكٍ فَجَعَتْ بِهِ

عَيُونَ دَوَارِي الدَّمَعِ دَائِمُهُ الوجود (٣)

عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةِ

مَعَ الشَّهْدَاءِ وَفَدَاهَا أَكْرَمَ الْوَفْدِ

فَإِنْ تَكَّ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا

وَأَمْسَيْتَ فِي غِبْرَاءِ مُظْلَمِهِ اللَّحْدِ

فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبَتْ بِمَشْهَدِ

كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ

بِحُكْمِكَ فِي حَيِّي قَرِيظُهُ بِالَّذِي

قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَيَّ عَمْدِ

فَوَافِقِ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمِكَ فِيهِمْ

وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ

فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلْيِ

شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد

فَنِعْمَ مصير الصادقين إذا دعوا

إلى الله يوماً للوجهه والقصد

وفى مقطوعه شعريه أخرى، راح حسان يرثى سعداً ورجالاً آخرين من أصحاب رسول الله (ص) استشهدوا، ويذكّرهم بما كان فيهم من فضل وخير وعطاء، كان منها:

صبا به وجد ذكّرتني أحبّه

وقتلى مضى فيها طفيل ورافع

وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت

منازلهم فالأرض منهم بلاقع (٤)

وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم

ظلال المنايا والسيوف اللوامع

دعا فأجابوه بحقّ وكلّهم

مطيّع له في كلّ أمر وسامع

فما نكلوا حتّى تولّوا جماعه

ولا يقطع الآجال إلاّ المصارع

١- أنظر سيره ابن هشام؛ والإصابة ٣: ٧٢ وغيرهما.

٢- سجمت: سالت.

٣- ثوى: أقام؛ والمعرك: موضع القتال؛ وذواري الدمع: تسكبه؛ والوجد: الحزن.

٤- بلاقع: قفار خاليه.

لأنهم يرجون منه شفاعَةً

إذا لم يكن إلاّ النبيون شافع

فذلك يا خيرَ العباد بلاؤنا

إجابتنا لله والموت نافع (١)

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا

لأولنا في مله الله تابع (٢)

ونعلم أنّ الملك لله وحده

وأنّ قضاء الله لا بدّ واقع

فسلامٌ عليك يا سعد في الخالدين.

١- بلاؤنا: اختبارنا؛ نافع: ثابت.

٢- القدم الأولى: السبق إلى الإسلام؛ خلفنا: آخرونا.

(١٦) جابر بن عبدالله الأنصاري**إشارة**

محسن الأسدي

في أكثر من مقاله، نشرت في هذه المجلة، تناولت في خلالها العديد من شخصيات الحرمين الشريفين مكة والمدينة، وهم من شخصيات العصر الأول لانبثاق رساله السماء الخالده، في ربوع الحجاز وفي المدينة وما حولها، حتى راحت ترتفع رايتها رايه الحق والعدل والمساواه في كل بلدان الأرض وفجاجها؛ وتحدثت وبشكل مختصر واضح عن ملاكاتهم الذاتيه التي أحيتها الدعوه الجديده، وعمّا قدّموه من تضحيات بالأنفس والأموال لإرساء دعائمها، ولمنع كيد الأعداء عنها، وترصدهم للإطاحه بها، كل ذلك من أجل أن تبقى أمانه سماويه خالصه تتوارثها الأجيال، وتستنير بها وتستضيء بمفاهيمها وعطائها الذي لا يعرف النضوب، إلا أنّي ما إن أنتهي من واحد منهم حتى أصل إلى آخر لا يقلّ سموّاً عن الأول، وكأنّهم واحد في صفاتهم وعطائهم، أو كأنّهم يتسابقون في الخيرات، وكيف لا يكونون كذلك وهم إعداد مدرسه ربانيه واحده ذات هدف واحد ومنهج واحد ومبادئ وقيم واحده، إرتووا من معين رباني واحد، ولا غرابه في ذلك أيضاً بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه، وملئت نفوسهم شوقاً إلى لقائه، لهذا نراهم يطلبون الموت

ويتحاثون عليه.

لقد كانت المدرسه التي انضوا تحت لوائها مدرسه رائعه، وعطاؤها التربوي كان عطاءً صادقاً، إنها مدرسه رسول الله (ص) وإنها تربيته الإيمانيه الخالصه، فخلقت طائفه طيبه، ونخباً صالحه، وزمراً نافعاً خالده، لهذا كان حبهم لرسول الله (ص) عظيمًا، ووقاؤهم له صادقاً، اضطر ذلك الحب وهذا الوفاء أبا سفيان، أكبر أعداء الرساله وأخطرهم وأبغضهم لرسول الله (ص) ولمن تبعه من الأصحاب، اضطره أن يقول قولته المشهوره، وقد أطلقها مرغماً بعد أن لم يجد لها بديلاً، وبعد أن رأى الحقيقه ساطعه، لا تخفى: «ما رأيت من الناس أحداً يحبُّ أحداً كما يحبُّ أصحاب محمد محمداً!».

والأنصار هؤلاء (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) فاستحقوا أن يصفهم القرآن الكريم بأنهم: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) وهم الذين حسب تعبير القرآن الكريم (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ).

وقال رسول الله (ص) فيهم: «لولا الهجره لكنتُ امراً من الأنصار».

والأنصارى هذا كان واحداً منهم؛ بل من القله الذين لم تتفرّق بهم السبل بعد النبي (ص) ولم يستبقوا الصراط بعده، وظلّوا معتصمين متمسكين به وبآل بيته الطاهرين:.

إنه جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبه بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن مسلمه بن سعد بن علي بن أسد بن سارده بن يزيد بن جشم بن الخزرج.

ولد سنه ١٦ قبل الهجره النبويه المباركه، ويكنى ب (أبو عبدالله) ويقال له: أبو عبدالرحمن، أو أبو محمد الأنصارى الخزرجى السلمى الحرامى المدنى.

كان واحداً من تلك الطائفه المؤمنه والنخبه الصالحه، وخريج تلك المدرسه الربانيه النبويه، وكان صحابياً ذائع الصيت، متميزاً فى دينه وإيمانه ومواقفه وولائه لرسول الله (ص) وأهل بيت رسول الله (ص) بيت العصمه والطهاره، وكان معروفاً فى علمه ومعرفته؛ فقد كان من كبار الصحابه المفسرين للقرآن، والراوين للأحاديث النبويه، ولأخبار أهل البيت: ورواياتهم، بل لقد روى عنه أحد أئمه أهل البيت: وهو الإمام محمد الباقر ٧ كما سنرى.

بيعه

ظلّ جابر هذا وهو من أكابر أعيان أهل المدينة ذا منزله كبيره، وسمعه كريمه، وهب كلّ وجوده لخدمه رسول الله (ص) ووضع نفسه وحشاشه قلبه لمواصله مسيره الإسلام الجهاديه، والعلميه، معرفهً وتفسيراً وروايهً، ومواقف رصينه شهدت له بها أكثر مشاهد رسول الله (ص) ومحافل المسلمين حتى وفاته رضوان الله تعالى عليه، بعد أن آمن برسول الله (ص) ورسالته صيباً.

وكان يومها مع أبيه في تلك الليله التاريخيه المصيريه التي عاهد فيها أهل يثرب (الأوس والخزرج) رسول الله (ص) على الدفاع عنه، ودعم مسيرته الظافره ونصرته، وكانت بيعتهم يومذاك هي البيعه المشهوره المعروفه في التاريخ الإسلامى ب (بيعه العقبه الثانيه).

ولما دخل رسول الله (ص) المدينة مهاجراً، راح هذا يقضى أكثر وقته في صحبه رسول الله (ص) وفي خدمته، فشهد معه حروبه وظلّ حارساً أميناً لهذا الدين وللحق الذى يمثله، ولرجاله المخلصين المتمثلين في أهل بيت النبوه والطهاره، فلم يدخر وسعاً في تبيان منزله الإمام على (ع) والتنويه بها والتحريض على اتباعها، والتي كانت من رسول الله (ص) كمنزله هارون من موسى، كما عبر عنها نبي الرحمه ٩: «يا على أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى»، حتى قضى عمره الشريف كله مستقيماً، لم تعرف حياته الانحراف على طولها، وقد امتدت لأكثر من تسعين سنه، فكان آخر أصحاب رسول الله (ص) توديعاً لهذه الحياه، ولحقاً به ٩.

قلنا: إنه ممن شهد بيعه العقبه الأخيره والتي تسمى (بيعه الحرب)، فحينما أذن الله لرسوله ٩ فى القتال، وبعد أن تمت البيعه الأولى أى العقبه الأولى، التي كانت كبيعه النساء، فيما كان هو ومن قد بايعوا رسول الله (ص) فى العقبه الأخيره على حرب الأحمر والأسود، وأخذ رسول الله (ص) لنفسه واشترط على القوم لربّه، وجعل لهم الجنه إن وفوا بذلك.

فعن عباده بن الصامت أنه قال:

بايعنا رسول الله (ص) بيعة الحرب وكان عباده هذا من الاثنى عشر الذين بايعوه فى

العقبه الأولى على بيعه النساء بايعناه على السمع والطاعة في عُسرنا ويُسرنا ومُنشطنا ومكرهنا، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

وكان عدد الذين بايعوا رسول الله (ص) هذه البيعة من الأوس والخزرج ثلاثه وسبعين رجلاً وامرأتين، كان جابر وأبوه منهم.

فمن شهدها كما تقول الروايه من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمه، عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبه بن حرام، نقيب، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد شهيداً، وابنه جابر بن عبد الله. (١)

يقول جابر: كنا مع رسول الله (ص) ليله العقبه، وأخرجني خالي وأنا لا أستطيع أن أرمي بحجر. (٢)

ويقول في روايه أخرى: حملني خالي جدُّ بن قيس وما أقدر أن أرمي بحجر في سبعين ركباً من الأنصار الذين وفدوا على النبي الله (ص).

قال: فخرج إلينا رسول الله (ص) ومعه العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا عم خذ لي على أخوالك.

قالوا: يا محمد سل لرَبِّك ولنفسك ما شئت.

قال: أما الذي أسأل لرَبِّي، فتعبده، ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذي أسأل لنفسي، فتمنعوني ممّا تمنعون منه أموالكم وأنفسكم.

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟

قال: الجنّه.

لقد كان جابر رضوان الله عليه من المندفعين بإخلاص، ومن المبادرين بصدق للجهاد في سبيل الله تعالى، وكان يتمنى أن يكون له دور ينال به رضا الله تعالى في كلِّ

١- السيره النبويه لابن هشام ٢: ٤٦٣.

٢- أنظر مختصر تاريخ دمشق ٥: ٣٥٨.

معارك رسول الله (ص) وإن كلفه حياته، لهذا تراه أول ملبٍ لأذان رسول الله (ص) الذي حصل بعدما تعرّض له جند الإسلام من هزيمه في واقعه أحد، وكان أبوه واحداً من شهداء هذه المعركة، فقد كانت معركة أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم أحد، وذلك يوم الأحد لست عشره ليله خلت من شوال، أذن مؤذن رسول الله (ص) في الناس، يطلب العدو: ألا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، ويقصد ٩ به معركة أحد.

وما إن سمع جابر بهذا وقد حُرم من المشاركة في معركة بدر وأحد حتى قال: يا رسول الله (ص) إن أبي كان خلفني على أخوات سبع، وقال لي: يا بُني! إنّه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة، لا رجل فيهنّ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله (ص) على نفسي، فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن.

وهنا أذن له رسول الله (ص) وكان جابر بهذا الإذن مستثنى من كلام رسول الله (ص): ألا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، يوم أحد.

وإنما خرج رسول الله (ص) مُرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوّة، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

(١)

وفي قول مفصّل لموسى بن عقبه، أنّ النبي (ص) أمر أصحابه بعد معركة أحد مباشرة، وبهم أشدّ القرح بطلب العدو وليسمعوا بذلك، وقال: لا ينطلقنّ معي إلا من شهد القتال، يعني بأحد.

قال: وأقبل جابر بن عبد الله السلمي إلى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إن أبي رجعتي، وقد خرجت معك لأشهد القتال.

فقال: ارجع، وناشدني أن لا أترك نساءنا.

وإنما أراد حين أوصاني بالرجوع، وجاء الذي كان أصابه من القتل فاستشهده الله فأرادني للبقاء لتركته، ولا أحبّ أن تتوجه وجهاً إلاّ كنت معك، وقد كرهت أن تطلب معك إلاّ من شهد القتال، فأذن لي، فأذن له رسول الله (ص) وأطاع،... وخرج رسول الله (ص) إذ غدا فقال جلّ

ثناؤه: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

هذا وقد شهد ثمانى عشره غزوه مع النبى الله (ص) ولم يتخلف إلا كما أسلفنا عن غزوتى بدر الكبرى وأحد، بعد أن خلفه أبوه على أخواته، وكنّ تسعاً أو سبعاً على روايه.

يقول هو عن نفسه: غزوتُ مع رسول الله (ص) تسع عشره غزوه، وقال: لم أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعى أبى، فلما قتل عبد الله يوم أحد، لم أتخلف عن رسول الله (ص) فى غزوه قط. (١)

وفى روايه، أنه كان يميح الماء يوم بدر لأهل بدر المسلمين، والميح فى الاستسقاء أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قلّ ماؤها، فيملاً الدلو بيده يميح فيها بيده ويميح أصحابه.

إلا أن فى مستدرك الحاكم (أمتح) بالثناء، ومعناه الاستقاء من أعلى البئر.

وفى ماده (منح) فى اللسان: وأمّا حديث جابر: كنت منيح أصحابى يوم بدر، فمعناه: أى لم أكن ممن يضرب له بسهم مع المجاهدين لصغرى، فكنت بمنزله السهم اللغو الذى لا فوز له ولا خسر عليه. (٢)

وكانت أولى غزواته مع رسول الله (ص) غزوه حمراء الأسد، واستمرّ معه حتى آخر مغازيه.

معرکه الخندق فى أحاديثه

شاه و مُدُّ من شعير

يحدّثنا جابر رضوان الله عليه:

أصاب الناس كُذْبِيَّةً (٣) يوم الخندق، فضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت.

فدعوا رسول الله (ص) فدعا بماء عليها فعادت كثيباً.

فرايتُ والحديث مازال لجابر رسول الله (ص) يحضر، ورأيتُه خميصاً، ورأيت بين

١- مختصر تاريخ دمشق ٥ : ٣٥٨.

٢- أنظر مستدرك الحاكم ٢ : ٥٦٥؛ ولسان العرب ماده (منح)؛ ومختصر تاريخ دمشق ٥ : ٣٥٨.

٣- الكُذْبِيَّة: الأرض الغليظه أو الصلبيه لا تعمل فيها الفأس؛ (المعجم الوسيط : ٧٨٠).

عُكِنه، (١) الغبار، فأتيت امرأتى فأخبرتها ما رأيت من خَمَص بطن رسول الله (ص).

فقلت: والله، ما عندنا شيءٌ إلا هذه الشاه ومُدٌّ من شعير.

قال جابر: فاطحنى وأصلحى.

قالت: فطبخنا بعضها وشوينا بعضها، وخُبز الشعير؛ قال جابر: ثم أتيت رسول الله (ص)، فمكثتُ حتى رأيت أن الطعام قد بلغ، فقلت: يا رسول الله، قد صنعتُ لك طعاماً، فأنت أنت ومن أحببت من أصحابك.

فشبك رسول الله (ص) أصابعه فى أصابعى، ثم قال: أجيوا، جابراً يدعوكم!

فأقبلوا معه، فقلت: والله! إنها الفضيحة! فأتيت المرأة فأخبرتها.

فقلت: أنت دعوتهم أو هو دعاهم؟

فقلت: بل هو دعاهم!

قالت: دعهم، هو أعلم.

قال: فأقبل رسول الله (ص) وأمر أصحابه، فكانوا حرقاً، عشرة عشرة، ثم قال لنا: اغرفوا وغطوا البرمه، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه.

ففعلنا فجعلنا نغرف ونغطي البرمه ثم نفتحها، فما نراها نقصت شيئاً، ونخرج الخبز من التنور ثم نغطيه، فما نراه ينقص شيئاً.

فأكلوا حتى شبعوا، وأكلنا وأهدينا، فعمل الناس يومئذ كلهم والنبى (ص) وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:

نحن الذين بايعوا محمداً

على الجهاد ما بقينا أبداً

فقال النبى (ص):

اللهم لا خير إلا خير الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة (٢)

لقد كان جابر رضوان الله عليه، وجمع من إخوته الصحابه، يقومون بحراسه الخندق من

١- العُكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن؛ (القاموس المحيط ٤ : ٢٤٩).

٢- أنظر كتاب المغازى، للواقدي ٢: ٤٥٢.

أن يقتحمه المشركون.

يقول عن ذلك: لقد رأيتني أحرس الخندق، وخيل المشركين تُطيف بالخندق، وتطلب غِرَّةً ومَضيقاً من الخندق فتقتحم فيه.

وكان عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك، يطلبان الغفلة من المسلمين.

فلقينا خالد بن الوليد في مأه فارس، قد جال بخيله يُريد مَضيقاً من الخندق يُريد أن يعبر فرسانه، فنضحناهم بالنبل حتى انصرف.

(١)

وكان جابر يقول في وقعه الخندق ويشرح حالهم وقلقهم: كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بنى قريظة أشد من خوفنا من

قريش! حتى خرج الله ذلك. (٢)

ولما راح عمرو بن عبد ودّ بعد أن عبر الخندق يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد بُححتُ من النداء

لجمعكم هل من مبارز؟!

وعمر بن الخطاب، قد شهد بدرًا فارتت جريحاً فلم يشهد أحدًا، وحرّم الدهن حتى يثار من محمّد وأصحابه، وهو يومئذ كبير،

يقال بلغ تسعين سنة، فلما دعا إلى البراز، قال على (ع): أنا أبارزه يا رسول الله! ثلاث مرات ٢ وإن المسلمين يومئذ كأن على

رؤوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته، فأعطاه رسول الله (ص) سيفه، وعممه وقال: اللهم أعنه عليه!

وأقبل عمرو يومئذ وهو فارس وعلّي (ع) راجل، فقال له على (ع): إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحدٌ إلى واحد من

ثلاث إلا قبلتها!

قال: أجل!

قال: علّي (ع): فيأني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وتسلم لله ربّ العالمين ٢ قال: يا ابن أخي، آخر

هذا عني.

قال: فأخري، ترجع إلى بلادك، فإن يكن محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن غير ذلك كان الذي تريد.

١- كتاب المغازي ٢: ٤٦٥.

٢- المصدر نفسه ٢: ٤٦٨.

قال: هذا ما تتحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت وحرمت الدهن.

قال: فالثالثة؟

قال: البراز.

فضحك عمرو ثم قال: إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومى عليها! إنى لأكره أن أقتل أمثالك، وكان أبو بكر لي نديماً، فارجع، فأنت غلام حدث، إنما أردتُ شيخي قريش أبابكر وعمرو.

فقال على (ع): فإني أدعوك إلى المبارزة فأنا أحب أن أقتلك.

فأسف عمرو، و نزل وعقل فرسه.

فكان جابر رضوان الله عليه يحدث ويقول عن هذا الموقف: فمدنا أحدهما من صاحبه وثارَت بينهما غيرةُ فما نراهما، فسمعنا التكبيرَ تحتها، فعرفنا أن علياً (ع) قتله.

فانكشف أصحابه الذين في الخندق هارين، وطفرت بهم خيلهم، إلا أن نوفل بن عبد الله وقع به فرسه في الخندق، فرمى بالحجارة حتى قتل، ورجعوا هارين.

ويواصل جابر حديثه عن هذه المعركة، فيقول: قاتلونا يومهم، وفرقوا كتائبهم، ونحوا رسول الله (ص) كتيبةً غليظةً فيها خالد بن الوليد، فقاتلهم يومه ذلك إلى هويٍّ من الليل، ما يقدر رسول الله (ص) ولا أحدٌ من المسلمين أن يزيلوا من مواضعهم، حتى كشفهم الله تعالى فرجعوا متفرقين، فرجعت قريش إلى منزلها، ورجعت غطفان إلى منزلها، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله (ص).

وأقام أسيد بن حُضير على الخندق في مأتين من المسلمين. (١)

من دعاء رسول الله (ص) يوم الأحزاب

روى بعضهم أن رسول الله (ص) كان يدعو على الأحزاب فيقول:

«اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب! اللهم اهزمهم!»

فكان جابر يقول: دعا رسول الله (ص) على الأحزاب في مسجد الأحزاب يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء.

قال: فعرفنا السرورَ في وجهه.

قال جابر: فما نزل بي أمرٌ غائظٌ مهمٌّ إلا تنحيتُ تلك الساعة من ذلك اليوم، فأدعو الله، فأعرفُ الإجابة.

وعنه أيضاً أنه قال: قام رسول الله (ص) على الجبل الذي عليه المسجد، فدعا في إزار، ورفع يديه مدّاً، ثم جاءه مرّةً أخرى، فصلّى ودعا. (١)

آيات قرآنية

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ). (٢)

يقول جابر في سبب نزول هذه الآية:

عادني رسول الله (ص) وأبوبكر في بني سلمه يمشيان، فوجدني لا- أعقل، فدعا بماء فتوضأ، ثم رشّ عليّ منه فأفقت، فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟

فنزلت: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ). (٣)

(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ). (٤)

فعنه أنه قال:

اشتكت، فدخل عليّ رسول الله (ص) وعندى سبع أخوات، فنفخ في وجهي فأفقت، فقلت: يا رسول الله، أوصى لأخواتي بالثلثين؟

قال: اجلس.

١- كتاب المغازي ٢: ٤٨٧ ٤٨٨.

٢- النساء: ١١.

٣- أنظر أسباب النزول للواحدى؛ مختصر تاريخ دمشق ٥: ٣٦٢.

٤- النساء: ١٧٦.

فقلت: الشطر؟

قال: اجلس، ثم خرج فتركني.

ثم دخل عليّ وقال لي: يا جابر إني لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله قد أنزل، فبين الذي لأخواتك [جعل لأخواتك] الثلثين.

وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في:

(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ).

وفي روايه أخرى أنه قال: فقلت: يا رسول الله إنه لا يرثني إلا كلاله، فكيف الميراث؟

فنزلت آيه الفرائض.

وفي روايه ثالثة: فلم يقل رسول الله (ص) شيئاً حتى نزلت آيه الميراث يرونها (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ).

يقول: فهذه نزلت فيه. (١)

وعنه في قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ). (٢)

قال: بايعنا رسول الله (ص) على الموت. (٣)

سُنْدَرِك رَجَلًا...!

لقد وفق هذا الصحابي الجليل لعمر قضاه، والإيمان دربه الذي خلى من الشائبه والشطط والانحراف، حتى أدرك خامس أئمه أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الإمام الباقر ٧ وهم الذين انقطع إليهم جابر وبقى على عهدهم وحبهم.

تقول الروايه عن حمدويه وإبراهيم ابني نصر، قالوا: حدّثنا محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن حريز، عن أبان بن تغلب، قال: حدّثني أبو عبد الله ٧ قال: «إن جابر بن

١- أنظر أسباب النزول للواحدى؛ ومختصر تاريخ دمشق ٥ : ٣٦٢.

٢- الفتح: ١٨.

٣- أنظر مختصر تاريخ دمشق ٥ : ٣٥٩.

عبدالله، كان آخر من بقى من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد فى مسجد رسول الله (ص)، وهو معتمّ بعمامه سوداء، وكان ينادى: يا باقر العلم! يا باقر العلم! وكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله، لا أهجر، ولكنى سمعت رسول الله (ص) يقول: إنك ستدرک رجلاً من أهل بيتى، اسمه اسمى، وشمائله شمائلى، يقر العلم بقرأ، فذاك الذى دعانى إلى ما أقول».

قال: فبينا جابر يتردّد ذات يوم فى بعض طرق المدينة، إذ هو بطريق، فى ذلك الطريق كتّاب فيه محمد بن على بن الحسين: فلما نظر إليه، قال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثمّ قال: أدبر فأدبر، فقال: شمائل رسول الله (ص) والذى نفس جابر بيده، يا غلام ما اسمك؟

فقال: اسمى محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

فأقبل عليه يقبل رأسه، وقال: بأبى أنت وأمى، رسول الله (ص) يقرئك السلام، ويقول لك...

قال: فرجع محمد بن على ٨ إلى أبيه وهو ذعر، فأخبره الخبر.

فقال له: يا بنى قد فعلها جابر؟

قال: نعم.

قال: يا بنى، إلزم بيتك.

قال: فكان جابر يأتية طرفى النهار، وكان أهل المدينة يقولون: واعجابه لجابر يأتى هذا الغلام طرفى النهار، وهو آخر من بقى من أصحاب رسول الله (ص) فلم يلبث أن مضى على بن الحسين ٨.

وفى روايه أخرى عن أبى محمد جعفر بن معروف، أنّه قال: حدّثنا الحسن بن على النعمان، عن أبيه، عن عاصم الحنّاط، عن محمد بن مسلم، أنّه قال: قال لى أبو عبدالله ٧: «إنّ لأبى مناقب، ما هنّ لأبائى، إنّ رسول الله (ص) قال لجابر بن عبدالله الأنصارى: إنك تدرک محمد بن على، فاقرأه منى السلام».

قال: فأتى جابر منزل على بن الحسين ٨، فطلب محمد بن على، فقال له على (ع): هو فى الكتّاب، أرسل لك إليه؟ قال: لا، ولكنى أذهب إليه، فذهب فى طلبه.

قال للمعلم: أين محمد بن علي؟

قال: هو في تلك الرفقه، أرسل لك إليه؟

قال: لا، ولكني أذهب إليه.

قال: فجاء، فالتزمه، وقبل رأسه، وقال: إن رسول الله (ص) أرسلني إليك برسالة أن أقرأك السلام.

قال: عليه وعليك السلام.

ثم قال له جابر: بأبي أنت وأمي، اضمن لي الشفاعة يوم القيامة.

قال: فقد فعلت ذلك يا جابر.

يأتيه يتعلم منه

وكان محمد بن علي (ع) يأتيه على وجه الكرامه، لصحبته لرسول الله (ص) قال: فجلس فحدثهم عن أبيه ٧ فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قط أجزأ من هذا!

(قال: فلما رأى ما يقولون، حدثهم عن رسول الله (ص) قال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قط أكذب من هذا) يحدث عن من لم يره.

قال: فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله فصدقوه، وكان جابر والله يأتيه يتعلم منه.

تذكر لنا بعض كتب الروايه أن الإمام الباقر ٧ روى عن هذا الصحابي الجليل جابر الأنصاري، كما روى عن غيره أيضاً، والذي يظهر أن الإمام الباقر ٧ إنما كان يروى عن جابر أو عن غيره لنوع مصلحه وإلا فهو ٧ غنى بعلمه وعلوم آبائه عن أن يروى عنهم؛ هذا، وأن لجابر مرويات عديده عن الإمام الباقر ٧ الذي راح يروى عنه وجوه التابعين وكبار فقهاء المسلمين ومصنفيهم. (١) وهنا بعض ما رواه عن الإمام الباقر ٧ وما رواه الإمام (ع) عنه.

فعن جابر أنه قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر ٨: إذا حدثتني فأسنده لي.

فقال: «حدّثني أبي عن جدي، عن رسول الله (ص) عن جبرئيل ٧، عن الله عزّ وجلّ، وكلُّ ما أحدثك بهذا الإسناد».

وقال ٧: «يا جابر لحدِيثٍ واحدٍ تأخذه عن صادق، خير لك من الدنيا وما فيها».

فيما روى عنه الإمام الباقر ٧ حيث قال: «حدّثني جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله (ص): أقربكم مني في الموقف غداً أصدقكم حديثاً، وأداكم أمانةً، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم إلى الناس» (١).

وعن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ٨ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «قال رسول الله (ص): إنّ جبرئيل ٧ نزل عليّ وقال: إنّ الله يأمرك أن تقوم بتفضيل علي بن أبي طالب (ع) خطيباً على أصحابك، ليبلغوا من بعدهم ذلك عنك، ويأمر جميع الملائكة أن تسمع ما تذكروه، والله يوحى إليك يا محمد أنّ من خالفك في أمره فله النار، ومن أطاعك فله الجنة».

فأمر النبي (ص) منادياً فنادى: الصلاة جامعته، فاجتمع الناس، وخرج حتى علا المنبر، فكان أوّل ما تكلم به:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. ثمّ قال: «يا أيّها الناس! أنا البشير، وأنا النذير، وأنا النبيّ الأمي، إني مبلّغكم عن الله جلّ اسمه في أمر رجل، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبه العلم، وهو الذي انتجبه الله من هذه الأمّة، واصطفاه وهداه، وتولّاه، وخلقني وإياه (من طينه واحده)، وفضّلني بالرساله، وفضّله بالتبليغ عني، وجعلني مدينه العلم، وجعله الباب، وجعلني خازن العلم، والمقتبس منه الأحكام، وخصّه بالوصيه، وأبان أمره، وخوّف من عداوته، وأزلف من والاه، وغفر لشيعته، وأمر الناس جميعاً بطاعته؛ وأنه عزّ وجلّ يقول: من عاداه عاداني، ومن والاه والاني، ومن ناصبه ناصبني، ومن خالفه خالفني، ومن عصاه عصاني، ومن آذاه آذاني، ومن أبغضه أبغضني،

ومن أحبته أحبني، ومن أرادته أرادني، ومن كاده كادني، ومن نصره نصرني.

يا أيها الناس! اسمعوا لما أمركم به، وأطيعوه، فإنني أخوفكم عقاب الله (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ...). (١)

ثم أخذ بيد أمير المؤمنين ٧ فقال: معاشر الناس! هذا مولى المؤمنين، وحجّه الله على الخلق أجمعين، والمجاهد للكافرين، اللهم إني قد بلغت، وهم عبادك، وأنت القادر على صلاحهم، فأصلحهم برحمتك يا أرحم الراحمين. أستغفر الله تعالى لى ولكم.

ثم نزل عن المنبر، فأتاه جبرئيل ٧ فقال: «يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: جزاك الله عن تبليغك خيراً، فقد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وأرضيت المؤمنين، وأرغمت الكافرين، يا محمد إن ابن عمك مبتلى ومبتلى به، يا محمد! قل في كل أوقاتك: الحمد لله رب العالمين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون». (٢)

وهناك روايات أخرى يرويها كل منهما عن الآخر، ذكرت في مصادر الحديث.

جابر و علماء الرجال

كانت لجابر الأنصارى منزله رفيعه، ومكانه متميزه في كتب الحديث والرجال.

ففي رجال الشيخ: جابر ابن عمرو (عمر) بن حزام (حرام) نزل المدينة، شهد بدرًا وثمانى عشره غزوه مع النبي (ص) مات سنه (٧٨) من أصحاب رسول الله (ص).

كما ذكره مع توصيفه بالأنصارى المدنى العربى (العرنى) الخزرجى، فى أصحاب أمير المؤمنين ٧ وفى أصحاب الحسن ٧ وفى أصحاب الحسين (ع) وفى أصحاب السجاد ٧ وفى أصحاب الباقر ٧ قائلاً: أبو عبدالله الأنصارى صحابى. (٣)

١- آل عمران: ٣٠.

٢- أنظر أمالى الشيخ المفيد: ٣٤٥ ح ٢.

٣- راجع رجال الشيخ الطوسى.

فيما عدّه البرقى فى أصحاب الرسول الأكرم ٩ ومن الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين ٧ ومن شرطه خميسه، ومن أصحاب الحسين والسجاد والباقر:.

و عن ولائه لأهل البيت: قال بعض علماء الرجال

ذكر الكشّى فى ترجمته: قال الفضل بن شاذان: إنّه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ٧.

وإنه من جملة من لم يرتدوا بعد قتل الحسين (ع).

وقال العلامة: قال ابن عقده: إنّ جابر بن عبدالله منقطع إلى أهل البيت: (١)

ونقل الكشّى هذه الرواية عن حبه لأهل البيت: وانقطاعه إليهم:

حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالوا: حدّثنا أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن معاوية بن عمّار، عن أبى الزبير المكى، قال: سألت جابر ابن عبدالله، فقلت: أخبرنى أى رجل كان على بن أبى طالب؟

قال: فرفع حاجبه عن عينيه وقد كان سقط على عينيه قال: فقال: ذلك خير البشر، أما والله أن كُنّا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم إياه.

وفى قول آخر له، وهو يتوكأ على عصاه ويدور فى سكك المدينة ومجالسهم:... يا معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حبّ على (ع).

فى أسباب النزول

عن جابر بن عبدالله أنه قال فى سبب نزول: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا). (٢)

كان رسول الله (ص) يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عيرٌ قد قدمت من الشام، فخرجوا إليها

١- أنظر العلامة فى القسم الأول من الباب ٣ من فصل الهمزه.

٢- الجمعة: ١١.

حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله تبارك وتعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا).

وكان هذا لما أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سعر، فقدم دحيه بن خليفه الكلبى فى تجارته من الشام، وضرب لها طبلٌ يؤذن الناس بقدمه، ورسول الله (ص) يخطب الجمعة، فخرج إليه الناس ولم يبق فى المسجد إلا اثنا عشر رجلاً؛ فنزلت هذه الآية، وقال رسول الله (ص): والذى نفس محمد بيده! لو تابعتهم حتى لم يبق أحدٌ منكم، لسال بكم

الوادي ناراً. (١)

ونظراً لوجود محكم ومتشابه فى القرآن: لقوله سبحانه وتعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ). (٢)

فقد اختلف فى تعريف كل منهما على أقوال، وكان لجابر رضوان الله عليه قول فى تعريفهما، وهو: المحكم ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله (٣)

وكانت هناك أقوال ثلاثة فى أول ما نزل من القرآن الكريم:

١ فقول ذهب إلى أن أول ما نزل هو سورة العلق.

٢ وقول آخر أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة.

٣ فيما ذهب جابر بن عبد الله الأنصارى إلى أن سورة المدثر هى أول ما نزل من القرآن الكريم.

تقول الرواية عن ابن سلمه أنه قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصارى أى القرآن أنزل قبل؟

قال: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

قلت: أو (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)؟

١- أنظر أسباب النزول للواحدى؛ وغيره من كتب التفسير للآية المذكورة.

٢- آل عمران: ٧.

٣- أنظر متشابهات القرآن، لابن شهر آشوب: ٢.

قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله (ص) قال إني جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطت الوادى، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وشمالى ولعلّه سمع هاتفاً ثم نظرت إلى السماء فإذا هو يعنى جبرائيل فأخذتني رجفه، فأتيت خديجه، فأمرتهم فدثروني، فأنزل الله: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ) (١)

ويبدو أنّ جابراً رضوان الله عليه اجتهد أنّ هذه السورة هي أول سورة نزلت؛ لأنّ كلام رسول الله (ص) ليس فيه دلالة على أنّها أول سورة.

ويبدو أيضاً أنّ حديث جابر المذكور كان بعد انقطاع الوحي، فظنه جابر بدء الوحي، وذهب بعض إلى أنّ جابراً سمع النبي (ص) يذكر قصه بدء الوحي، فسمع آخرها ولم يسمع أولها، فتوهم أنّها أول ما نزلت.

وفتره انقطاع الوحي يرويها جابر أيضاً حيث يقول:

سمعت رسول الله (ص) يحدث عن فتره الوحي، قال: فبينما أنا أمشى إذ سمعتُ هاتفاً من السماء، فرفعت رأسى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض، فُجِئْتُ منه خرقاً أى فزعت فرجعت، فقلت: زملونى زملونى فدثروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) وهى الأوثان.

قال (ص): ثم تتابع الوحي؛ أو فحمتي الوحي وتتابع كما هو لفظ البخارى. (٢)

وعن أول ما نزل من القرآن الكريم، قال جابر بن عبد الله الأنصارى لما سأله أبو سلمة: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله (ص) قال: جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى، هبطت فسمعت صوتاً، فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً، وعن شمالى فلم أر شيئاً، ونظرت أمامى فلم أر شيئاً، ونظرت خلفى فلم أر شيئاً، فرفعت برأسى، فرأيت شيئاً، فأتيت خديجه، فقلت: دثروني، وصبوا علىّ ماء، قال: فدثروني وصبوا علىّ ماءً بارداً، فنزلت: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

١- صحيح مسلم ١ : ٩٩.

٢- المصدر نفسه ١ : ٩٨ ؛ البخارى ١ : ٤ ؛ البرهان فى علوم القرآن، للزركشى ١ : ٢٩٣٢٩٤.

وعن ابن شهاب أنه قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله (ص) وهو يحدث عن فتره الوحي: بينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، قال رسول الله (ص): فَجِئْتُ مِنْهُ خَرَقاً، وَجِئْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي، زَمَلُونِي، فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزّاً وَجَلّاً: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)، قال: ثمّ تتابع الوحي. (١)

وعن ابن جريج أنّ جابر بن عبد الله قال: إنّ النبيّ الله (ص) لما أتى على الحجر، حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أما بعد، فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآيه، فبعث الله لهم الناقة، فكانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ، فتشرب ماءهم يوم وردها. (٢)

وفيما اختلف السلف في من اتبع رسول الله (ص) وآخى به، وصدّقه على ما جاء به من عند الله من الحقّ بعد زوجته خديجه بنت خويلد وصلّى معه.

فمن جماعه عن جابر، قال: بُعث النبيّ الله (ص) يوم الاثنين، وصلّى عليّ يوم الثلاثاء. (٣)

مِمَّا عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص)

تعلّم هذا الصحابي الكثير من صحبته المتواصله لرسول الله (ص) ومِمَّا تعلمه كما يقول هو: دخلت على رسول الله (ص) ذات يوم، فقال: مرحباً بك يا جابر، جزاكم الله معشر الأنصار خيراً، آويتموني إذ طردني الناس، ونصرتموني إذ خذلني الناس، فجزاكم الله خيراً.

قال: قلت: بل جزاك الله عنّا خيراً، هداانا الله إلى الإسلام، وأنقذنا من شفا حفره النار، فبك نرجو الدرجات العُلا من الجنه.

١- تاريخ الطبري ١ : ٥٣٥.

٢- المصدر نفسه ١ : ١٤١.

٣- المصدر نفسه ١ : ٥٣٧.

ثم قال (ص): يا جابر! هؤلاء الأعتز أحد عشر عنزاً فى الدار أحب إليك، أم كلمات علمنيهن جبريل ٧ آنفاً، تجمع لك خير الدنيا والآخرة؟

قال: فقلت: والله يا رسول الله إني لمحتاج وهؤلاء الكلمات أحب إليّ.

قال (ص): قل: اللهم أنت الخلاق العظيم، اللهم إنك سميع عليم، اللهم إنك غفور رحيم، اللهم إنك ربّ العرش العظيم، اللهم إنك أنت الجواد الكريم، فاغفر لى، وارحمنى، وارزقنى، واسترنى، واجبرنى، وارفعنى، واهدنى، ولا- تضلنى، وأدخلنى الجنة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال: فطلق يردّدهن علىّ، حتى حفظتهنّ.

ثمّ قال لى: تعلمهنّ، وعلمهنّ عقبك من بعدك.

ثم قال: استقهنّ معك.

قال: فسقتهنّ معى. (١)

علمه

عرف هذا الصحابى الجليل بأنه إضافة إلى كونه عالماً بالتفسير وأستاذاً معروفاً فى الأحكام راو للحديث بل من المكثرين فيه، الحافظين للسنة، وكان من المعنيين بتدوين الحديث، حتى راح يملئ أحاديثه على تلامذته وهم من التابعين وهم يكتبونها، وكان منهم كلّ من سليمان بن قيس اليشكرى، الذى روى عنه حجّه الوداع، (٢)

ومحمد بن الحنفية، وعبدالله بن محمد بن عقيل، ووهب بن منبه، وغيرهم. (٣)

وكلّ هذا وغيره أثار حفيظه الحجاج، ممّا جعله يختم فى يده وفى عنق آخرين معه من الصحابه والتابعين إذلالاً لهم، وحتى يجتنبهم الآخرون ولا يسمعوا منهم. قال ابن الأثير:

١- مختصر تاريخ دمشق ٥: ٣٦١٣٦٢.

٢- أنظر صحيح مسلم ٢: ٨٨٦؛ وشرح النووى ٣: ٣١٣ ٣٥٦.

٣- أنظر السنة قبل التدوين: ٣٥٣؛ ومعرفة النسخ: ١٢٥.

كان الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق من قبل الأمويين قد ختم في يد جابر بن عبدالله (الأنصاري) وفي عنق سهل ابن سعد الساعدي (الأنصاري) وأنس بن مالك (خادم النبي (ص)) يريد إذلالهم، وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعون منهم. (١)

وكانت لجابر صحيفه مشهوره قد تكون في مناسك الحج كما ذهب إلى هذا بعض المحدثين، فيما ذهب فريق آخر منهم إلى أنها غير المنسك الصغير، وقد تكون هذه النسخه موجوده في مكتبه شهيد على باشا في تركيا.

وفي طبقات ابن سعد والتاريخ الكبير للبخاري، يقول قتاده بن دعامة السدوسي: لأننا بصحيفه جابر أحفظ منى لسوره البقره. (٢)

بعض مارواه

ونحن هنا نتعرف على اليسير مما رواه، فما رواه كثير، وقد روى عن رسول الله (ص) مباشرة وبدون واسطه، وروى عنه بواسطه، فيما روى عنه كثير من الصحابه والتابعين.

وكدليل على صدقه وأنه لا يكتف رأياً أو حديثاً نبوياً لغرض دنيوى أو هوى يُراوده، ننقل هذا الحديث بحق الصحابي الجليل سعد بن معاذ.

فبعد أن توفى هذا الصحابي بعد معركة أحد التي أصيب فيها؛ وبعد أن أعلن حكمه العدل في يهود بنى قريظه جزاءً للخيانه التي ارتكبوها، والذنب الذى اقترفوه بحق الرساله والرسول (ص) قال جابر الأنصاري:

سمعت رسول الله (ص) يقول: اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.

فقيل لجابر: إن البراء (وهو من الخزرج) يقول: اهتزّ السرير.

فقال جابر، وهو العارف بما جرى وحدث بين الأوس والخزرج والذين سموا بعد الإسلام بالأنصار من معارك طاحنه خلّفت بينهم الأحقاد والضغائن: كان بين هذين

١- أنظر ترجمه سهل الساعدي فى أسد الغابه ٢ : ٤٧٢.

٢- أنظر الطبقات ٧ : ١٢ ؛ والتاريخ ٤ : ١/١٨٦ رقم ٨٢٧.

الحيين: الأوس والخزرج، ضغائن.

وراح يؤكّد ما سمعه من رسول الله (ص): سمعت رسول الله (ص) يقول: «اهتَزَّ عرش الرحمن».

وجابر وإن كان من الخزرج، وسعد بن معاذ من الأوس، إلّا أنّ دينه منعه عن قول غير الحق، أو كتمان منقبه قالها رسول الله (ص) بحق صحابي وإن كان من قوم آخرين، لهذا أكّد الحديث، وتأكيد هذا يتضمن الإنكار على من يريد كتمان هذا الحديث بما يحمله من فضيله لسعد رضوان الله عليه. (١)

وفي الصلاة، روى ابن عساكر بسنده عن جابر أنّه قال: كانت الصلاة مع رسول الله (ص) حين كان الظلّ مثل الشراك، ثمّ صلّى العصر حين كان الظلّ (للشّيء) مثله، ثمّ صلّى المغرب حين غابت الشمس، ثمّ صلّى العشاء حين غاب الشفق، ثمّ صلّى بنا الفجر، ثمّ صلّى الظهر حين كلّ شيء مثله، ثمّ صلّى العصر حين كان ظلّ كلّ شيء مثليه قدر ما يسير الراكب إلى ذى الحليفة العنق، ثمّ صلّى المغرب حين غاب الشفق، ثمّ صلّى العشاء حين ذهب ثلث الليل، ثمّ صلّى بنا الفجر فأسفر، ف قيل له: كيف نصلى مع الحجاج وهو يؤخر؟ فقال: ما صلاها للوقت فصلّوا معه، فإذا أحر فصلوها لوقتها واجعلوها معه نافله. (٢)

وعنه أيضاً: قال رسول الله (ص): «سيد الشهداء حمزه، ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله». (٣)

أحاديث الشفاعة عند أهل السنّه

وعن جابر: أنّ النبي (ص) قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً... وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي،

١- أنظر ابن الأثير فى تاريخه.

٢- أنظر تاريخ دمشق، ترجمته.

٣- رواه الحاكم عن جابر.

وأعطيت الشفاعة» (١).

وعن أنس وعن جابر: «لكلّ نبيّ دعوته، وأردت إن شاء الله أن أختبىء دعوتي شفاعته لأمتي يوم القيامة» (٢).

في المتعه

قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجنّاه في منزله فسأله القوم عن أشياء، ثمّ ذكروا المتعه، فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر. (٣)

وروى أبو نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت، فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين متعه الحج ومتعه النساء فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله (ص) ثمّ نهانا عنهما عمر، فلم نعدلهما. (٤)

وقال ابن حزم: ثبت على إباحتها أى المتعه بعد رسول الله (ص) ابن مسعود، ومعاوية، وأبوسعيد، وابن عباس، وسلمه ومعبد ابنا أميه بن خلف، وجابر أى جابر بن عبد الله وعمرو بن حريث.

ثم قال ابن حزم: ورواه جابر عن جميع الصحابه: «مدّه رسول الله (ص) وأبي بكر، وعمر إلى قرب آخر خلافه عمر». (٥)

و عن حرمه القتال في الشهر الحرام

روى جابر عن رسول الله (ص): «لا يُقاتل في الشهر الحرام إلا أن يغزى أو يغزو». (٦)

١- صحيح البخارى، كتاب التيمم، الباب ١، ١: ٨٦، البيان: ٤٨٢ للخوئي.

٢- صحيح مسلم، باب اختباء النبيّ دعوته الشفاعة لأمته ١: ١٣٠، ١٣١، والبيان: ٥٢٨.

٣- أنظر صحيح مسلم: ٧٧٤، نكاح المتعه: ١٣١، ٣١٩ التبيان.

٤- صحيح مسلم، باب نكاح المتعه ٤: ١٤١، التبيان: ٣١٨.

٥- هامش المنتقى للفقى ٢: ٥٢٠.

٦- البيان: ٣٠٥.

و فى قتل الحر والعبد

روى جابر، لا يقتل الحر بعبد. (١)

وعنه عن النبى (ص) قال: «يجىء يوم القيامة ثلاثه يشكون: المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف: يا رب حزنونى، ومزقونى؛ ويقول المسجد: يا رب عطلونى؛ وتقول العترة: يا رب قتلونا، وطرودونا، وشردونا». (٢)

مما قاله ورواه أيضاً

أجمل شىء للمرء أن يقضى حياته مؤمناً، وينفق عمره مجاهداً صادقاً، حكيماً فيما يقول، باحثاً عما يرضى الله تعالى، محدثاً عن رسول الله (ص) وعما يزيد ثباتاً فى الدنيا، وثواباً فى الآخرة، وهذا هو جابر، الذى ظل مواظباً على هذا كله، وظلت كلماته مضيه، كما مواقفه هى الأخرى جميله مليئه بالمعاني العالیه الرفيعه.

يقول عبدالرحمن بن سعيد؛ جئت جابر بن عبدالله الأنصارى فى فتیان من قريش، فدخلنا عليه بعد أن كف بصره، فوجدنا جبلاً معلقاً فى السقف، وأقراصاً مطروحة بين يديه أو خبزاً، فكلما استطعم مسكين قام جابر إلى قرص منها وأخذ الجبل حتى يأتى المسكين فيعطيه، ثم يرجع بالجبل حتى يقعد، فقلت له: عافاك الله، نحن إذا جاء المسكين أعطيناه، فقال: إنى أحسب المشى فى هذا، ثم قال: ألا أخبركم شيئاً سمعته من رسول الله (ص)؟

قالوا: بلى.

قال: سمعته يقول: «إن قريشاً أهل أمانه، لا يبيغهم العثرات أحد إلا أكبه الله عز وجل لمنخريه».

وعن جابر أيضاً أنه كان يقول:

تعلموا العلم، ثم تعلموا الحلم، ثم تعلموا العلم، ثم تعلموا العمل بالعلم، ثم أبشروا.

١- سنن البيهقى ٨: ٣٤ ٣٥، التبيان: ٢٩٤.

٢- الخصال للصدوق.

وعنه أيضاً: هلاك بالرجل أن يدخل عليه الرجل من إخوانه، فيحتقر ما فى بيته أن يقدمه إليه، وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم.

وحدث سهل بن سهل الساعدي عن أبيه، قال: كنا بمنى فجعلنا نخبر جابر بن عبد الله ما نرى من إظهار قطف الخبز والوشى يعنى السلطان وما يصنعون فقال: ليت سمى قد ذهب كما ذهب بصرى حتى لا أسمع من حديثهم شيئاً ولا أبصره.

وعنه: استغفر لى رسول الله (ص) خمساً وعشرين استغفاره، كل ذلك أعدها بيدي، يقول: أدت عن أبيك دينه، فأقول: نعم، فيقول: غفر الله لك.

من مواقفه

يذكر أنه قدم مرةً إلى معاوية بدمشق، فلم يأذن له أياماً، فلما أذن له، قال: يا

معاوية أما سمعت رسول الله (ص) يقول: من حجب ذا فاقه وحاجه، حجه الله يوم فاقته وحاجته.

فغضب معاوية وقال: لقد سمعته يقول لكم: ستلقون بعدى أثره، فاصبروا حتى تردوا على الحوض، أفلا صبرت؟

قال: ذكرتى ما نسيت، وخرج فاستوى على راحلته ومضى، فوجه إليه معاوية بستمائه دينار، فردّها وكتب إليه:

إنى لأختار القنوع على الغنى

وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى

وألبس أثواب الحياء وقد أرى

مكان الغنى أن لا أهين له عرضى

وقال لرسوله: قل له: والله يا ابن آكله الأكباد، لا وجد فى صحيفتك حسنه أنا سببها أبداً. (١)

وهو الذى روى فى معاوية عن رسول الله (ص) قوله: «يموت معاوية على غير ملتى». (٢)

١- أنظر مروج الذهب.

٢- أنظر وقعه صفين، لنصر بن مزاحم: ٢١٧.

ولاؤه لعلّي ولأهل البيت:

عرف جابر بولائه الواعي الصادق لأهل بيت النبوة والرسالة (عليهم السلام) فقد كان من أولئك المهاجرين والأنصار الذين بايعوا أمير المؤمنين علياً بالخلافه، ورضوا بإمامته، وبذلوا أنفسهم في طاعته، فعن أبي الزبير المكي أنه قال: سألت جابر بن عبدالله، فقلت: أخبرني أي رجل كان علي بن أبي طالب؟

قال: فرجع حاجبيه عن عينيه، وقد كانا سقطا على عينيه، قال: فقال: ذلك خير البشر! أما والله إن كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم إياه.

وعنه أيضاً: رأيت جابراً يتوكأ على عصاه، وهو يدور في سلك المدينة ومجالسهم، ويقول:

على خير البشر فمن أبي فقد كفر، معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حبّ علي...،

وقد شهد صفين مع علي (ع) وكان منقطعاً إليه، وقد فضّله على غيره كما ذكر ذلك ابن عبدالبرّ في استيعابه، فيما نصّ على تشييعه ابن شاذان وابن عقده والكشي.

أول زائر

وفق هذا الصحابي أن يكون أول زائر لقبر الإمام الحسين (ع) في كربلاء، فهذا السيد الجليل ابن طاووس يقول في كتابه الملهوف: ولما رجعت نساء الحسين وعياله من الشام، وبلغوا إلى العراق، قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري وجماعه من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول قد وردوا لزياره قبر الحسين (ع) فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن والطم، وأقاموا المآتم المقرحه للأكباده، واجتمع عليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً.

وعن الأعمش عن عطيه العوفى أنه قال: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري زائراً قبر الحسين (ع) فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صره فيها سعد، فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوه إلا ذكر الله

تعالى، حتى إذا دنا من القبر، قال: ألمسني، فآلمسته إياه، فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق، قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجب حبيبه، ثم قال: أتى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثابحك، وفرق بين بدنك ورأسك / أشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمه سيده النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدى الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبه بفراقك، ولا شاكّه في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال:

السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين (ع) وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطيه: فقلت لجابر: فكيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأرواح؟

فقال لي: يا عطيه سمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول: «من أحبّ قوماً حشر معهم»، «ومن أحبّ قوم أشرك في عملهم»، والذي بعث محمداً بالحق إنّ نيتي ونيه أصحابي على ما مضى عليه الحسين (ع) وأصحابه.

قال عطيه: فبينما نحن كذلك، وإذا سواد قد طلع من ناحيه الشام، فقلت: يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحيه الشام، فقال جابر لعبده: انطلق إلى هذا السواد وائتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد، فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين فأنت حرّ لوجه الله تعالى.

قال: فمضى العبد، فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم

رسول الله، هذا زين العابدين، قد جاء بعَمِيَّاته وأخواته، فقام جابر يمشى حافى الأقدام، مكفوف الرأس، إلى أن دنا من زين العابدين (ع)، فقال الإمام: أنت جابر؟

فقال: نعم، يا ابن رسول الله.

فقال: يا جابر ههنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا. (١)

(إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)... (٢)

مبدأ التقية، مبدأ راحت تؤكد آيات قرآنيه، وأحاديث ومواقف نبويه، لست هنا بصدد التعرّض لها، لهذا اضطر هذا الصحابي ومن معه وبتأييد من أم المؤمنين الصالحه أم سلمه، إلى العمل به، ففي سنة أربعين للهجرة، بعث معاويه بسر بن أرطاه في ثلاثه آلاف، فسار حتى قدم المدينه... فأرسل إلى بنى سلمه، فقال: والله ما لكم عندى أمان حتى تأتونى بجابر بن عبدالله، فانطلق جابر إلى أم سلمه زوج النبی (ص) فقال لها: ماذا ترين، إن هذه بيعه ضلاله، وقد خشيت أن أقتل.

قالت: أرى أن تباع، فأتاه جابر فباعه، هذا ما ذكره ابن الأثير.

أما ما ذكره اليعقوبى فى تاريخه فإنه قال لأم سلمه: إنى خشيت أن أقتل، وهذه بيعه ضلاله.

فقالت: إذا فباع. فإنّ التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب، ويحضرون الأعياد مع قومهم.

وفى شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، عن إبراهيم بن هلال أنه قال: روى عوانه، عن الكلبي ولوط بن يحيى فى خبر إرسال معاويه بسرّاً إلى الحجاز واليمن، أنّ بسرّاً فقد جابر بن عبدالله، فقال: مالى لا أرى جابراً يا بنى سلمه، لا أمان لكم عندى أو تأتونى بجابر، فعاد جابر بأم سلمه، فأرسلت إلى بسر بن أرطاه، فقال: لا أومنه حتى يباع.

١- أنظر بشاره المصطفى وغيره.

٢- آل عمران: ٢٨.

فقال له أم سلمة: إذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: إذهب، فبايع، فذهبا وبايعا.

وعن جابر نفسه أنه قال: لما خفت بسرّاً وتواريت عنه، قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر، فأتوني وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا، فبايعت، فحقنت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلينا، وسيت ذرارينا، فاستنظرتهم إلى الليل، فلما أمسيت، دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر، فقالت: يا بني انطلق فبايع، أحقن دمك ودماء قومك، فإنني قد أمرت ابن أخي أن يذهب فبايع، وإنى لأعلم أنها بيعه ضلاله. (١)

وفاته رضوان الله عليه

اختلفت الأقوال في تاريخ وفاته، ففي الاستيعاب أنه توفي سنة ٧٤هـ، وقيل سنة ٧٨هـ، وقيل سنة ٧٧هـ، وفي الإصابه أنه توفي سنة ٧٣هـ، وفي المستدرک للحاكم أنه توفي سنة ٧٩هـ.

أما عن عمره، فهناك من يقول إنه توفي وهو ابن ٩٤ سنة بعد أن ذهب بصره؛ وكانت وفاته في المدينة المنورة أيام عبدالملك، يوم أن كان أبان بن عثمان أميراً عليها، وقد تولى الصلاة عليه، هذا ويذكر صاحب الإصابه أنه أوصى أن لا يصلى عليه الحجاج الذي شهد جنازته، إلا أن الذهبي ذهب إلى أن جابراً توفي والحجاج على إمره العراق. (٢)

وفي روايه الكشي أنه كان آخر من بقى من أصحاب رسول الله (ص) وهو مقاله أيضاً ابن عساكر وغيره، فيما ذكر في أسد الغابه أنه آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبه، ويبدو أن هذا هو الصحيح كما عليه بعض المحققين. (٣)

فسلام على جابر في الصالحين

١- أنظر ابن الأثير في تاريخه، حوادث سنة ٤٠ هجرية؛ وغيره من المصادر التاريخية.

٢- مختصر تاريخ دمشق؛ والاستيعاب؛ والإصابه؛ وأسد الغابه؛ وتاريخ الإسلام.

٣- أنظر أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، جابر بن عبد الله الأنصاري.

(١٧) عبدالله بن رواحه

إشاره

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)

محمد سليمان

ظلت وما زالت الصحبه ومدرستها النبويه المقدسه، شجره طيبه تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، وظل الصحابي الصادق المخلص، وما زال غصناً يانعاً مباركاً، وينبوعاً لا يعرف النضوب، ومادام ملتزماً بمبادئ هذه المدرسه الربانيه وبسيرتها وأخلاقها ومناهجها، ومادام وفياً لصاحبها ومؤسسها رسول الرحمه محمد بن عبد الله (ص).

فالصحبه نبع ثر وبضاعه لا تبور، تغنى تراثنا وأجيالنا، وموائدنا العلميه والعباديه والأدبيه والأخلاقيه من خزينها، وما ورثته لنا من خير عميم، وعطاء جزيل، وعلم نافع، وتضحيه كبيره... لا- يمكننا الاستغناء عنها وعن تاريخها الحافل بكل معنى جميل وقيمه عاليه.

أما رواد هذه المدرسه فقد اختلفت منازلهم، فشأنهم شأن كل التلاميذ والطلبه، منهم الجاد والمخلص فى استيعاب دروسها ومبادئها، ومنهم دون ذلك، ومنهم المتخلف عنها حتى

صار عالماً عليها بل ظلّ مسيئاً إليها، فالصحابه ليسوا كلهم في الفضل سواء، وإن زعمنا هذا فهو ظلم للمدرسه ولصاحبها ولزوادها المخلصين، وكيف نزع هذا لهم وقد فضل الله تعالى الرسل بعضهم على بعض، وهم الأفضل والأكرم والأقرب إليه تعالى من غيرهم، فقال: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)؟! والتفضيل حاله توافق طبيعه الأشياء، فما من شيء في الدنيا إلا والتفاضل جار فيه.

ولا يضرّ هذه المدرسه السماويه بل ولا يفيدها من انحرف عنها، وشطت به قدماءه، بعيداً عن أسسها ومبنياتها، كما لا يضر ذلك في سمعه الصحابه الآخرين الذين أجزم أنّ بعضهم كان صناعه خاصه، أعدت لهم السماء، واختارتهم وتفضلت بهم علينا جميعاً، ليصوغوا لنا تاريخاً مليئاً بكلّ معاني الخير، وحاضراً كلّ عطاء، ومستقبلاً زاهراً بالأمل مشرقاً بالحب، بعيداً عن العداوه والبغضاء.

إنهم بحقّ جيلٌ قد لا يكون له نظير، فيما مضى من تأريخ الرسالات، وفيما هو آتٍ إلا عند القلّه القليله النادره.

فهيتت لهم هذه المدرسه، وصاغت لهم لتبليغ أعظم رساله سماويه، وأعظم دين خاتم للديانات، فغيّروا أمه جاهليه، بل غيروا أمماً أخرى، فتغيّر وجه التاريخ، فاستحقوا بذلك العظيم في الدنيا والآخره، وغدوا من ورثه جنه النعيم، يتبوأون فيها غرفاً، وينعمون بها، ويمرحون في بحوره منها.

ولا غرابه في ذلك، بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه تعالى، وملثوا شوقاً إلى لقائه، يطلبون الموت ويتحاثون عليه.

كم كانت تربيتك يا رسول الله لهذه النخبه الطيبه، نافعه خالده!

وكم كان حبهم واحتفاؤهم بك يا رسول الله عظيماً صادقاً، حتى شهد به أبوسفیان وهو يعيش العدا كلاً والكراهيه كلّها لرسول الله ودينه وصحبه:

ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كما يحبّ أصحاب محمدٍ محمداً!

ونحن ما إن ننتهي من تاريخ واحد منهم حتى ندخل تاريخاً آخر يكمل الصوره

المشرفه لهذه المدرسه، ولهذه الصحبه، ولما تتوفر عليه من مبادئ وقيم عاليه.

والصحابى الذى بين أيدينا هو واحد من الذين لم يفتأ سيفهم يطارد فلول الوثنيه المقهوره، وأذيالهم المدحوره، وانجلت فروسيته ومضاؤه فى معارك الإسلام الكبرى، فى معركة بدر، وفى معركة أحد، وفى الخندق، ويوم الحديبيه، وخيبر، وهو ينتضى سيفيه الباترين كما يعبر السيد الجميل سيف فى يده، وآخر فى لسانه، فأخذ يحصد أعداءه، ويضرب الباطل فيهم على أم رأسه فى غير هواده أو رحمه. (١)

إنه الصحابى الجليل، المؤمن المجاهد، والكاتب الشاعر، الخزرجى: عبدالله بن رواحه بن ثعلبه بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك بن ثعلبه بن كعب بن الخزرج بن الحارث، هذا نسبه من أبيه، وقد وقع فيه اختلاف.

أما نسبه من أمه، فهى كبشه بنت واقد بن عمرو بن الإطنايه ابن عامر بن زيد مناه.

وأما كنيته فهو يكنى ب (أبو محمد)، ويقال له: أبو رواحه، ويقال له أيضاً: أبو عمرو الأنصارى.

إسلامه

كان من الذين من الله تعالى عليهم، يوم العقبه الأولى، حيث شهدوا مبايعاً رسول الله (ص) مع نخبه من الخزرج، وشهدوا نقيباً حيث كان من الاثنى عشر نقيباً، ولم يكتف بهذا، بل شهد العقبه الثانيه مع جمع كبير من الأنصار والذين كانوا ثلاثه وسبعين رجلاً وامراتين.

وكان واحداً ممن اعترضوا ناقه رسول الله (ص) حين وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج وكان هذا يوم اعتراض القبائل فى يثرب لناقه رسول الله (ص) تبتغى نزولها عندها فاعترضها منهم سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد، وعبدالله بن رواحه فى رجال من بنى

الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا، إلى العدد والعدّة والمنعه، فقال لهم: خلوا سبيلها، فإنها مأموره، فخلوا سبيلها، فانطلقت... وكان له موقف آخر، يتصف بالقوّه والرغبه العظيمة في سماع آيات القرآن، وما يبشر به رسول الله (ص) وينذر:

فعن زيد بن حارثه قال: ركب رسول الله (ص) إلى سعد بن عباده، يعود من شكوا أصابه على حمار عليه إكاف، فوّه قطيفه فذكيه، مختطمه بحبل من ليف، وأردفني رسول الله (ص) خلفه، قال: فمرّ بعبدالله بن أبي، وهو في ظلّ مُراحم أطمه (الحصن، وأطام المدينه سطوحها...)، وحوله رجال من قومه، فلما رآه رسول الله (ص) تدمم، أي استنكف واستحيا من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلم، ثمّ جلس قليلاً فتلا القرآن، ودعا إلى الله عزّوجلّ، وذكّر بالله وحدّره، وبشر وأنذر، وهو زام لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله (ص) من مقالته، قال: يا هذا، إنّه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقاً فاجلس في بيتك، فمن جاءك له فحدّثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغتّه به (أي لا تثقل عليه) ولا تأته في مجلسه بما يكره منه.

وهنا انبرى عبدالله بن رواحه قائلاً في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى، فأعشنا به، وائتنا في مجالسنا، ودورنا وبيوتنا.

ثمّ واصل كلامه هذا قائلاً:

فهو والله ممّا نحّب، وممّا أكرمنا الله به وهدانا له.

فما كان من عبدالله بن أبي حيث رأى بعد مقاله عبدالله بن رواحه من خلاف قومه ما رأى، إلا أن أنشد قائلاً:

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل

تذلّ ويصرعك الذين تصارع!

وهل ينهض البازي بغير جناحه

وإن جُدّ يوماً ريشه فهو واقع (١)

وكان عبدالله بن رواحه ممّن شهدوا معركة بدر، وهو من الفتيه من الأنصار وهم: عوف

ومعوذ بن الحارث وأمهما عفراء، وعبدالله بن رواحه، خرجوا لمقاتله عتبه بن ربيعه، وشيبه بن ربيعه، والوليد بن عتبه، من رجال قريش المشركين، الذين دعوا المسلمين إلى المبارزه في أول وقعه بدر الكبرى، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجه.

ثم نادى مُناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

وكانهم لم يروا في فتية الأنصار أكفاء لهم.

فقال (ص): قم يا عبيده بن الحارث!

وقم يا حمزه!

وقم يا علي!

فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيده وكان أسنّ القوم عتبه بن ربيعه، وبارز حمزه شيبه بن ربيعه، وبارز علي الوليد بن عتبه؛ فأما حمزه فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي (ع) فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيده وعتبه بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّر حمزه وعلي بأسيا فهما على عتبه فدفقا عليه، أي أسرعا قتله، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

وفي روايه أنّ عتبه بن ربيعه قال للفتية من الأنصار وكان منهم كما قلنا ابن رواحه حين انتسبوا: أكفاء كرام، إنما نريد قومنا؛ (١)

ثم خاض الجميع معركة بدر وحققوا نصراً عظيماً.

وشهد بعد ذلك معارك الإسلام الأخرى، معركة أحد، ومعركة الخندق، ويوم الحديبيه، وخيبر، مقاتلاً عنيداً، وشهد مؤتة في غزوه الأمراء أميراً ثم شهيداً.

وكان هذا الصحابي الجليل إضافة إلى كونه شاعراً بارزاً كان كاتباً، فهو من القلّة

الذين يجيدون الكتابه فى الجاهليه، حيث كانت الكتابه فى العرب قليلاً.

وقد كلفه رسول الله (ص) بمسؤوليات عديده، منها أنه قدّمه فى بدر يبشّر أهل العالیه بما فتح الله عليه، والعالیه: بنو عمرو بن عوف، وخطمه، ووائل.

واستخلفه رسول الله (ص) على المدينه، حين خرج إلى غزوه بدر الوعد.

وبعثه رسول الله (ص) سرّيه فى ثلاثين راكباً إلى أسير بن زارم اليهودى بخيبر فقتله، ثم بعثه إلى خيبر خارصاً كما يأتينا.

وَمَمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِيهِ

«رحم الله ابن رواحه، كان أينما أدركته الصلاه أناخ».

إنّه سيلقى حجّته، فعن أنس أنّه قال:

كنا مع رسول الله (ص) فى سفر فأصابنا مطر ووردِ داغ (والردغ والردّغه والردّغه: الماء والطين والوحل الكثير الشديد، والجمع، ر داغ وردغ؛ أنظر اللسان: ردغ).

فأمرنا رسول الله (ص) أن نصلى على ظهور رواحلنا.

قال: ففعلنا، ونزل ابن رواحه، فصلّى فى الأرض.

قال: فسعى به رجل من القوم فقال: يا رسول الله أمرت الناس يصلّون على ظهور رواحلهم ففعلوا، ونزل ابن رواحه فصلّى فى الأرض.

قال: فبعث إليه فقال: ليأتينكم وقد لقي حجّته.

قال: فأتاه، فقال رسول الله (ص): يا ابن رواحه، أمرتُ الناس أن يصلّوا على ظهور رواحلهم، نزلت وصليت فى الأرض!

قال: فقال: يا رسول الله؛ لأنك تسعى فى رقبه قد فكّها الله، وإنما أنا نزلت لأسعى فى رقبه لم تفكّ.

فقال رسول الله (ص): ألم أقل لكم إنّ سيلقى حجّته؟!

وفى روايه أخرى أنّ رسول الله (ص) خرج فى سرّيه، فأدركته الصلاه وهو على ظهر،

فصلّى رسول الله (ص) على ظهره، ونزل ابن رواحه فصلّى بالأرض، ثم أتى النبي الله (ص)، فقال النبي الله (ص): «يا ابن رواحه، أرغبت عن صلاتي؟!»

قال: لستُ مثلك، إنك تسعى فى عتق، ونحن نسعى فى رق، فلم يعب عليه ما صنع.

وقد فُزق أو ميّز رسول الله (ص) فى هذا بين ابن رواحه ورجل آخر، حين خرج رسول الله (ص) فى سرّيه فصلّى بأصحابه على ظهره، فاقتحم رجل من الناس فصلّى على الأرض، فقال: خالف خالف الله به، فما مات حتى خرج من الإسلام.

وفرق كبير بين هذا وذاك، فذاك رجل اختبر رسول الله (ص) كما يبدو إيمانه وإخلاصه... فيما ظهر نفاق هذا وبعده عن الإيمان.

ابن رواحه و آيات قرآنيه

فى روايه: لما نزلت الآيه: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) (١)

قال عبدالله بن رواحه: قد علم الله أتى منهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)؛ حتى ختم الآيه. (٢)

وعن ابن عباس أنّ الآيه المباركه: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا). (٣)

نزلت فى جماعه كان منهم عبدالله بن رواحه.

لقد انقبضت أسارير وجهه حيث نزول الآيه الأولى، واغتم غمّاً عظيماً وذهبت

به الظنون كلّ مذهب حتى نزلت الآيه الأخرى، التى أزالته عن صدره هذه الظنون وذلك الغم.

وفى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرُوضًا). (٤)

١- الشعراء: ٢٢٤.

٢- المصدر نفسه: ٢٢٧.

٣- المصدر نفسه.

٤- الصف: ٢٤.

فى نفر من الأنصار منهم عبدالله بن رواحه قالوا فى مجلس: لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عزوجلّ لعملنا به حتى نموت، فلما نزلت فيهم، قال ابن رواحه: ولا أزال حبساً فى سبيل الله عزوجلّ حتى أموت، فقتل شهيداً رحمه الله عليه.

وفى روايه أنّ رسول الله (ص) دفع إلى نفر من أصحابه فيهم عبدالله بن رواحه يذكرهم الله، فلما رأى رسول الله (ص) سكت، فقال رسول الله (ص): «ذكر أصحابك» فقال: يا رسول الله، أنت أحقّ منى.

قال: «أما إنكم الذين أمرنى الله أن أصبر نفسى معهم، ثم تلا عليهم: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) الآية إلى آخرها.

(١)

قال: وما قعدتكم قط يذكرون الله إلا قعد معهم عددهم من الملائكة، فإن حمدوا الله حمدوه، وإن استغفروا الله آمنوا، ثم عرجوا إلى ربهم، فسألهم وهو أعلم منهم، فقال: أين ومن أين؟

قالوا: ربنا، عبيد لك من أهل الأرض ذكروك فذكرناك.

قال: ويقولون: ماذا؟

قالوا: ربنا حمدوك، فقال: أول من عبد وآخر من حمد.

قالوا: وسبحوك.

قال: مدحى لا ينبغى لأحد غيرى.

قالوا: كبروك.

قال: لى الكبرياء فى السموات والأرض، وأنا العزيز الحكيم.

قالوا: ربنا استغفروك.

قال: إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم.

قالوا: ربنا فيهم فلان وفلان؟!

قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

وفى الآيه (وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ). (١)

عن ابن عباس أنّها نزلت فى عبدالله بن رواحه، وكانت له أمه سوداء، وإنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع فأتى النبى الله (ص) فأخبره خبرها.

فقال له النبى الله (ص): ما هى يا عبدالله؟

قال: هى تصوم، وتصلى، وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسوله.

فقال: يا عبدالله هذه مؤمنه.

فقال عبدالله: فوالذى بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل.

فطعن عليه ناسٌ من المسلمين وقالوا: نكح أمه، وكانوا يريدون أن يُنكحوا إلى المشركين ويُنكحوهم رغبةً فى أحسابهم.

فأنزل الله تعالى فيهم: (وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ).

ابن رواحه ثالث ثلاثة شعراء

كان ابن رواحه شاعراً مجيداً، وقد نقل لنا الرواه مقاطع من شعره، و عِدّوه واحداً من ثلاثة شعراء عرفتهم الصحبه النبويه المباركه، ونالوا منها حظاً وافراً، وموقعاً إعلامياً ضرورياً، لا تستغنى عنه أى حركه تغييريه خاصه فى بيئه كتلك التى احتلّ فيها الأدب والشعر بالذات مكانه مرموقه، بل دخل كلّ معالم ومفاصل حياتهم ونواحيها المتعدده، حتى غدا وسيلتهم الإعلاميه الأولى والمحببه، التى يتجاوبون ويتفاعلون معها، فهى التى تخاطب عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم، كما أنهما، أى الشعر والنثر إضافه الى أنهما وسيلتان إعلاميتان مهمتان مدرستان تثقيفيتان متنقلتان، تربيان النفوس، بما تحملايه من معان حسنه أو سيئه، لهذا ولغيره راحت المدرسه النبويه تستثمرهما بعد تهذيبهما من شوائب الجاهليه فى خدمه الإسلام ودعوته الخالده، وبأيامها ومواقعها المشهوده.

فكان عبدالله بن رواحه، وهو الذى عرف فى أوساطهم بكونه شاعراً من الطراز الأول، راحت كتب التاريخ والأدب تذكر لنا شعره وأراجيزه وهو يقاتل، وهو يطوف، وهو يدعو إلى الله تعالى، وهو يهاجم أعداء الله ورسوله... واحداً من ثلاثه شعراء عرفتهم الصحبه النبويه، وعرفهم العصر الأول للإسلام ودعوته، وهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وثالثهم الصحابي الجليل ابن رواحه.

وفى جوابه عن سؤال يقال: إن رسول الله (ص) وجهه له يوماً:

ما الشعر؟

قال: شىء يختلج فى صدر الرجل، فيخرجه على لسانه شعراً.

قال: فهل تستطيع أن تقول شيئاً الآن؟

فنظر فى وجه رسول الله (ص) فقال: نعم، فأنشد من البسيط ثمانية أبيات منها:

إنى توسمت فيك الخير نافله

والله يعلم إنى ثابت البصر

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

وعنه رحمه الله أنه قال: مررت ب النبي الله (ص) وهو جالس فى نفر من أصحابه، فأضب القوم (أى تكلموا متتابعاً): يا عبدالله بن رواحه، يا عبدالله بن رواحه، فعرفت أن رسول الله (ص) دعانى، فانطلقت إليهم مسرعاً، فسلمت.

فقال: ها هنا، فجلست بين يديه.

فقال كأنه يتعجب من شعرى: كيف تقول الشعر إذا قلت؟

قلت: أنظر فى ذلك ثم أقول.

فقال: فعليك بالمشركين.

قال: ولم أكن أعددت شيئاً، فأنشدته، فلما قلت:

فَحَيَّرُونِي أَثْمَانَ الْعَبَاءِ مَتَى

كُنْتُمْ بَطَارِيقَ أَوْ دَانْتَ لَكُمْ مَضْرُ

قال: فكأنني عرفت في وجه رسول الله (ص) الكراهية أن جعلت قومه أثمان العباء، فقلت:

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضِ فَنَأْسِرُهُمْ

فينا النبي وفيما تُنزلُ السور

وقد علمتهم بأننا ليس يغلبنا

حَيِّ مِنَ النَّاسِ إِنْ عَزَّوْا وَإِنْ كَثُرُوا

يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ

عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلاً مَا لَهُ غَيْرُ

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرَفَهُ

فِرَاسَهُ خَالَفْتَهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا

وَلَوْ سَأَلْتُ أَوْ اسْتَنْصَرْتُ بَعْضَهُمْ

فِي جَلِّ أَمْرِكَ مَا آوَوْا وَلَا نَصَرُوا

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ

تَثْبِيتِ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ بِوَجْهِهِ مَتَبَسِّمًا ثُمَّ قَالَ (ص): «وَأَيَّاكَ فَثَبَّتَ اللَّهُ».

وتصدى ثلاثه من كفار قريش وهم: أبوسفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص، وابن الزبيرى، ليهجوا رسول الله (ص) وأصحابه.

فقال قائل لعلئ: أهج عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا.

فقال على: «إن أذن لى رسول الله (ص) فعلت».

فقال الرجل: يا رسول الله، أتأذن لعلئ كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا؟

فقال: ليس هناك... ثم قال للأنصار: ما يمنع القوم الذين قد نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم؟

فقال حسان بن ثابت: أنا لها يا رسول الله وأخذ بطرف لسانه، فقال: والله ما يسرنى به مقولاً بين بصرى وصنعاء.

فقال له رسول الله (ص): وكيف تهجوهم وأنا منهم؟

فقال: إنى أسلك منهم كما تُسلّ الشعرة من العجين.

فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار يجيئونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحه.

فكان حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب.

وكان عبدالله بن رواحه يعثرهم بالكفر وينسبهم إلى الكفر، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر.

وكانوا فى ذلك الزمان أشدّ القول عليهم قول حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وأهون القول قول عبدالله بن رواحه؛ فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشدّ القول عليهم قول عبدالله بن رواحه.

وفى يوم الخندق، حيث كان رسول الله (ص) ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره المبارك، راح عبدالله بن رواحه هذا الصحابى الجليل يرتجز قائلاً:

أللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا

وإن أرادوا فتنه أبينا

وكان ارتجازه هذا تلييه لأمر رسول الله (ص) حينما قال له: أنزل فحرك بنا التراب.

وبعد أن أنشد أرجوزته المذكوره دعا رسول الله (ص) له قائلاً: «اللهم ارحمه».

وفى شعره وهو يمدح رسول الله (ص) حين يقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه

إذا انشق معروف من الفجر ساطع

يبىء يجافى جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

به موقنات أن ما قال واقع

هذا لعمرى من معارض الكلام...

ونسب لهذا الصحابي لطائف أضحكت رسول الله (ص):

فقد كانت لعبدالله بن رواحه جاريه يستسرّها سرّاً عن أهله، فبصرت به امرأته يوماً قد خلا بها، فقالت: لقد اخترت أمتك على حُرَّتِك، فجاحدها ذلك.

قالت: فإن كنت صادقاً فاقراً آيه من القرآن، وفي روايه: وقد عهدته لا يقرأ القرآن وهو جنب.

فقال من الوافر:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعَدَ اللهُ حَقُّ

وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا

قالت: فزدني آيه أخرى، فقال:

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافَ

وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

فَقَالَتْ: زِدْنِي آيَةَ أُخْرَى، فَقَالَ:

وَتَحْمَلُهُ مَلَائِكَةُ كِرَامٍ

مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مَقْرَبِينَ

وَفِي دِيْوَانِهِ... شِدَادٌ... مُؤْمِنِينَ

فَقَالَتْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَبْتُ بِصُرَى.

فَأَتَى ابْنَ رِوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَحَدَّثَهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَلَمْ يَغَيِّرْ عَلَيْهِ.

وَزَادَ فِي رِوَايِهِ بِمَعْنَاهُ، فَقَالَتْ لَهُ: أَمَا إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، فَأَيْتِي قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ عَلَيْكَ.

فَافْتَقَدْتَهُ ذَاتَ لَيْلِهِ، فَلَمْ تَجِدْهُ عَلَى فِرَاشِهَا، فَحَبَسَتْ نَفْسَهَا، فَلَمْ تَزَلْ تَطْلُبُهُ حَتَّى قَدَرْتَ عَلَيْهِ فِي نَاحِيَةِ الدَّارِ، فَقَالَتْ: الْآنَ صَدَقْتَ

فِيمَا بَلَغَنِي، فَجَحَدَهَا، فَقَالَتْ: اقْرَأِ الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ جَنبًا لَمْ تَقْرَأْ، فَقَالَ مِنَ الطَّوِيلِ:

وَفِينَا رَسُولَ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ

إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعٌ

لِبَيْتٍ يَجَافِي جَنْبَهُ عَنِ فِرَاشِهِ

إِذَا اسْتَنْقَلَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ

أَتَى بِالْهَدَى بَعْدَ الْعَمَى فِقُلُوبِنَا

لَهُ مَوْقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنِّي

إِلَى اللَّهِ مَحْشُورٌ هُنَاكَ وَرَاجِعٌ

فحدث رسول الله (ص) بذلك، فاستضحك حتى رَدَّ يده على فيه، وقال:

«هذا لعمرى من معاريض الكلام، يغفر الله لك يا ابن رواحه، إن خياركم خيركم لنسائكم».

فأخبرنى ماالذى رَدَّت عليك، حيث قلت ما قلت؟

قال: قالت لى: الله بينى وبينك، أما إذ قرأت القرآن فإنى أتهم ظنى وأصدقك.

فقال رسول الله (ص): «لقد وجدتها ذات فقه فى الدين».^(١)

١- أنظر مختصر تاريخ دمشق ١٢: ١٥٨١٥٩.

ابن رواحه في عمره القضاء

بعد رجوعه ٩ إلى المدينة من خيبر منتصراً، أقام في المدينة شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً، ثمانية أشهر، وكان يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ٩.

بعدها خرج ٩ من المدينة في شهر ذي القعدة من سنة سبع للهجرة النبوية، قاصداً مكة معتمراً عمره القضاء، بعد أن صدّه مشركو مكة عنها عام الفتح في شهر ذي القعدة سنة ست، وسمّى شهر الصّدّ، وهو من الأشهر الأربعة الحرم، ثلاثة سرّد أي متتابعه (ذوالقعدة وذوالحجّة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب).

فيما سمّيت عمره شهر ذي القعدة من العام السابع بعمره القصاص، لأنّ المشركين صدّوا رسول الله (ص) في شهر ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست، فاقتصر رسول الله (ص) منهم، فدخل مكة في الشهر نفسه الذي صدّوه فيه من سنة سبع، وقد أنزل الله تعالى في ذلك: (وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ). (١)

وقد خرج مع رسول الله (ص) المسلمون ممّن كان صدّ معه في عمرته، وعدّتهم كانت ألفين سوى النساء والصبيان.

وحين دخل رسول الله (ص) مكة في عمره القضاء هذه دخلها وكان الصحابي الجليل عبدالله بن رواحه آخذاً بخطام ناقة رسول الله وهو يرتجز قائلاً:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مَوْمنٌ بِقَبِيلِهِ (٢)

أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ (٣)

ضَرْباً يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

٢- بقیله: أی قوله.

٣- أی نحن نقاتلکم علی إنکار تأویله، كما قتلناکم علی إنکار تنزیله.

والذى يبدو أنّ (نحن قتلناكم على تأويله... ويذهل الخليل عن خليله) كانت للصحابي الجليل عمار بن ياسر رضوان الله عليه، ارتجز بهما فى غير هذا اليوم أى يوم معركة صفين التى دارت رحاها بين جيش الإمام على (ع)، وجيش البغاه بقياده معاويه بن أبى سفيان، وقد استشهد فيها عمار بن ياسر رحمه الله تعالى.

والدليل على هذا، وهو ما ذكره ابن هشام صاحب السيره، أنّ ابن رواحه إنما أراد المشركين، والمشركون لم يقروا بالتنزيل، وإنّما يُقتل على التأويل من أقر بالتنزيل. (١)

ويقال: إن عمر بن الخطاب قال: يا بن رواحه، فى حرم الله وبين يدي رسول الله (ص) تقول هذا الشعر؟

فقال رسول الله (ص): خلّ عنه يا عمر، فوالذى نفسى بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبيل. (٢)

وبينما كان رسول الله (ص) يطوف بالبيت فى عمره القضاء على بعير له، يستلم الركن بمحجن، كان عبدالله بن رواحه آخذاً بغرزه، وينشد بين يديه من أرجازه:

يارب لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدّقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إنّ الذين قد بغوا علينا

وإن أرادوا فتنه أبينا

هذا ما ذكره السيد الجميل فى كتابه صحابه النبى (ص)، دون أن يذكر مصدر هذا الشعر، فيما ذكر صاحب مختصر تاريخ دمشق وقال: إنّ هذه الأبيات كانت لابن رواحه يوم الخندق.

كما ذكرناها فى حفر الخندق.

إذن فعبدالله بن رواحه كان حاضراً عمره القضاء، ولم يحضر فتح مكه فى شهر رمضان سنه ثمان من الهجره، لأنّه استشهد فى جمادى الأولى من السنه نفسها فى معركة مؤته، فما

نسب إليه من أشعار كان خطأً، والذي يبدو أن كعب بن مالك هو الذي كان يرتجز بين يدي رسول الله (ص) في فتح مكة، وليس عبدالله بن رواحه. (١)

من حكمه رضوان الله عليه

اتّسمت مواقفه وأحاديثه بالحكمة والموعظة الحسنه، وطالما كان يذكر إخوانه وأصحابه بما يرضى الله تعالى، وبما يشدّهم إلى ذكره سبحانه، فعن أبي الدرداء أنّه قال:

أعوذ بالله أن يأتي عليّ يوم، لا أذكر فيه عبدالله بن رواحه.

وراح أبو الدرداء يواصل حديثه عن إيمان ابن رواحه وحبّه لمجالس التفكير والذكر قائلاً:

كان إذا لقيني مقبلاً، ضرب بين ثديي، وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفي، ثمّ يقول: يا عويمر، اجلس بنا فلنؤمن ساعه، فنجلس فنذكر الله ما شاء، ثمّ يقول: يا عويمر، هذه مجالس الإيمان، إن مثل الإيمان مثل قميصك، بينا أنت قد نزعته إذ لبسته، وبيننا أنت قد لبسته إذ نزعته، يا عويمر، للقلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياً. (٢)

ويقال: إنّ عبدالله بن رواحه وقبل غزوه مؤته كان قد مرض مرضاً شديداً، حتى أغمى عليه، فكانت أخته عمره تعدّد مآثره وتبكيه، فلما أفاق، قال لأخته: ما قلتِ فيّ شيئاً إلاّ أنبوني ووبخوني، أي فلا تنبغي النياحه.

ونقل أنّه في مرضه هذا، عاده النبيّ الله (ص) وهو مغمى عليه، فقال (ص): «اللهم إن كان أجله قد حضر، فيسر عليه وإلاّ فاشفه». فوجد خفّةً وأفاق.

فقال: كأنّ ملكاً قد رفع مرزبه من حديد، (وكأنّه ردّ على نياحه أخته وتعدادها لمناقبه ومآثره)، ويقول: أنت كذا؟

١- أنظر مختصر تاريخ دمشق ١٢ : ١٥٥.

٢- المصدر نفسه ١٢ : ١٥٧ ١٥٨.

فلو قلتُ: نعم، لقمعني بها.

كلّ هذا كان دليلاً على عدم رضاه عن ذكر مناقبه، وكان دليلاً على تواضعه وزهده في شأن الدنيا ومراتبها، حتى وإن كان جديراً بها وأنه ينالها بحقّ.

موقفان لابن رواحه مع يهود خيبر

الموقف الأول: غزا عبدالله بن رواحه يهود خيبر بأمر من رسول الله (ص)، وقد أصاب فيها يُسير بن رزام، الذي كان يبذل جهوداً كبيرة في تجميع قبائل غطفان، استعداداً لغزو رسول الله (ص) فما كان من رسول الله (ص) إلا أن بعث إليه عبدالله بن رواحه في نفر من أصحابه، منهم عبدالله بن أنيس حليف بني سلمه، فلما قدموا عليه كَلّموه، وواعدوه، وقربوا له، وقالوا له: إنك إن قدمت على رسول الله (ص) استعملك وأكرمك.

فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود، فحملة عبدالله بن أنيس على بعيره وردفه، حتى إذا كان بالقرقره من خيبر، على ستة أميال، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله (ص). ففطن له عبدالله بن أنيس وهو يريد السيف، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف فقطع رجله، وضربه اليسير بمخرش في يده من شوقط، فأثمه في رأسه، وقتل الله يُسيراً، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله (ص) على صاحبه من يهود فقتله، إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله أو على راحلته، فلما قدم عبدالله بن أنيس على رسول الله (ص) تفل أي بصق بصاقاً خفيفاً على شجّته، فلم تقح ولم تؤذه.

الموقف الثاني: فكما كان ابن رواحه عظيماً في إيمانه، شجاعاً في جهاده، كان عظيماً في عفته، شجاعاً في عدله وزهده.

ففي روايه، أنّ رسول الله (ص) قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم،... وكان عبدالله بن رواحه يأتيهم بأمر من رسول الله (ص) في كلّ عام فيُخرصها (١) عليهم، ثم يضمنهم الشرط،

١- الخرص: خرص الشيء فهو خارص: أي حزر الشيء وقدره بالظن، يقال: خرص النخل والكرم: خرز ما عليه من الرطب تمرّاً، ومن العنب زيبياً، وفي الحديث: «أنّه (ص) أمر بالخرص في النخل والكرم خاصه». أنظر مصادر اللغة.

فشكوا إلى رسول الله (ص) شدّه خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله، تطعموني الشُّحت، والله لقد جئتكم من عند أحبّ الناس إليّ، وأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القرده والخنازير، ولا- يحملني بغضى إياكم وحبى إياه على أن لا- أعدل عليكم.

فكان جوابهم أن قالوا له: بهذا قامت السماوات والأرض.

فيما هناك روايه أخرى بهذا الخصوص تقول:

إنهم جمعوا حُلِيّاً من حُلَى نساءهم، فقالوا:

هذا لك، وخفّف عنا وتجاوز فى القسم.

فما كان جواب بن رواحه، الذى اتّسم موقفه هذا، كما مواقفه الأخرى بالشدّه المتصفه بالعدل والحق، إلا أن أجابهم بقوله: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وما ذلك بحاملى على أن أحيف عليكم، وأما الذى عرضتم عليّ من الرشوه، فإنها سُحّت وإنا لا نأكلها.

قالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. (١)

ابن رواحه ثالث ثلاثة أمراء!

«هى إن شاء الله الشهاده!»

فى جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة النبويه، وفى قريه من أرض البلقاء من الشام، وقعت معارك طاحنه اتّسمت بالضراوه والشدّه بين جيش المسلمين وتعداده ثلاثة آلاف تحت إمرة ثلاثة من الأمراء المسلمين، حتى سميت هذه الغزوه بغزوه جيش الأمراء، حيث خاضوا معركة لم يخض المسلمون معركة مثلها كما وصفت، وكان أعداء المسلمين من المشركين الروم، قد ادّرعوا بالعتاد والأعداء، ما يملأ السهل والجبل، وما لا طاقة للمسلمين به.

وكان الصحابى عبدالله بن رواحه أحد أمراء هذا الجيش المسلم الثلاثة، الذين عينهم

١- السيره النبويه، لابن هشام ٤: ٢٦٦؛ تاريخ الطبرى ٢: ٢٠٨؛ ومختصر تاريخ دمشق ١٢: ١٥٧.

رسول الله (ص).

تقول الرواية:

بعث رسول الله (ص) بعثه إلى مؤته في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثه وقال:

«إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبداً بن

رواحه على الناس، وزاد الزرقاني: فإن قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم».

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودَّع الناسُ أمراء رسول الله (ص)، وسلّموا عليهم، فلما ودَّع عبدالله بن رواحه مع من ودع من أمراء رسول الله (ص) بكى؛ فقالوا:

ما يبكيك يا بن رواحه؟ أو أنهم زعموا أنّ ابن رواحه بكى حين أراد الخروج إلى مؤته، فبكى أهله حين رأوه يبكي.

فقال: أمّا والله ما بى حبُّ الدنيا ولا صبابه بكم، أو والله ما بكيت جزعاً من الموت ولا صبابه لكم، ولكنى سمعت رسول الله (ص) يقرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ، يذكر فيها النار: {وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} أو أنتى بكيت من قول الله: (الآية) فقد علمتُ أنى وارد النار، ولا أدرى أو فلسْتُ أدرى كيف لى بالصّدر بعد الورود، أو فأيقنت أنّى واردها ولم أدِر أنجو منها أو لا؟!!

فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين.

وهنا أنشد عبدالله بن رواحه:

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً

وضربه ذات فرغ تقذف الزبداً(١)

أو طعنه بيدي حزان مُجهزةً

بحربه تُنفذ الأحشاء والكبداً(٢)

١- ذات فرغ: ذات سعه؛ والزبد هنا: رغوّه الدم.

٢- مجهزه سريعه القتل؛ تنفذ الأحشاء: تخترقها.

حتى يُقال إذا مرّوا على جدّثي

أرشده الله من غاز وقد رشدا(١)

ثمّ إن القوم تهيّئوا للخروج، فأتى عبدالله بن رواحه رسول الله (ص) فودعه، ثمّ قال:

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذي نُصروا

إني تفرّست فيك الخير نافلة

الله يعلم أني ثابت البصر

أنت الرسول فمن يُحرم نوافله

والوجه منه فقد أزرى به القدر

وفى روايه:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله

والوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن

في المرسلين ونصراً كالذي نُصروا

إني تفرّست فيك الخير نافلة

فراسه خالفت فيك الذي نظروا

يعنى المشركين، وهذه الأبيات في قصيده له.

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج القوم، وخرج رسول الله (ص) حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم، قال عبدالله بن رواحه:

خلف السلام على امرىء ودّعته

فى النخل خىر مُشبع و خلىل

لما ودع رسول الله (ص) عبدالله بن رواحه، قال ابن رواحه: يا رسول الله، مرنى بشىء أحفظه عنك.

قال: «إنك قادم غداً بلدأ، السجود فىه قلىل، فأكثر السجود»؛ قال عبدالله بن رواحه: زدنى يا رسول الله.

قال: «أذكر الله فإنه عون لك على ما تطالب».

فقام من عنده، حتى إذا مضى ذاهبأ، رجع إىه فقال: يا رسول الله، إن الله وترى حب الوتر.

قال: يا بن رواحه، ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشرأ أن تحسن واحده.

فقال ابن رواحه: لا أسألك عن شىء بعدها.

١- الءءء والءءء: القبر.

ويقول زيد بن أرقم، وكان يتيماً في حجر عبد الله بن رواحه:

فلم أرَ واليَ يتيمٍ خيراً منه.

وقد خرج معه فحمله على حقيقه رحله، وخرج به غازياً إلى مؤته، فسمعه زيد وهو يتمثل أبياته التي قال فيها مخاطباً ناقتة:

إذا أدنيتني وحملت رحلي

مسيره أربع بعد الحساء (١)

فشأنك فانعمي وخلاكِ ذمٌ

ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وجاء المؤمنون وغادروني

بأرض الشام مشتهى الثواء

وردك كلّ ذى نسب قريب

إلى الرحمن وانقطع الإخاء

هنالك لا أبالي طلع نخل

ولا بعل أسافلها رداء (٢)

(أى إذا استشهدت لم أبال ما تركت من عدى النخل وسقيه). (٣)

فلما سمعه زيد بكى فحقيقه بالدره، وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهاده، وترجع بين شعبتى الرحل.

وراح ابن رواحه يرتجز لزيد قائلاً:

يا زيدُ زيدَ اليعملاتِ الذبيلِ

تطاوولَ الليلِ هُديتَ فانزلِ

أى انزل فسق القوم.

وفى حديث آخر بهذا المعنى: ثم نزل من الليل فصلّى ركعتين، ثم دعا فيهما دعاءً طويلاً ثم قال لى: يا غلام، فقلت: لبيك قال: هى إن شاء الله الشهاده.

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مأه ألف من الروم، وانضم إليهم من لحم وجذام والقين وبهداء وبلى مأه ألف منهم، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشه يقال له: مالك بن زافله.

١- الحساء: موضع، معجم البلدان، وأنظر لسان العرب: حسا.

٢- البعل: ما شرب بعروقه من الأرض، أنظر اللسان، بعل.

٣- عذا: والعذى من النبات: البعل.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله (ص) فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يُمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضى له.

فشجع الناسَ عبد الله بن رواحه، وقال:

يا قوم، والله إن التي تكرهون لتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوه ولا كثره، ما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين:

إما ظهور

وإما شهادة

وفى روايه أنهم فى سيرهم إلى تبوك إذ هم بناحية معان، بضم الميم أو فتحها، وهى مدينه فى طريق بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، وهى من أرض الشراه، والشراه: صقع بالشام بين دمشق ومدينه الرسول (ص). (١)

وهم بهذه الناحية مُعان، أخبروا أن الروم قد نُذروا أى علموا، وجمعوا لهم جموعاً

كثيره من الروم وقضاعه وغيرهم من نصارى العرب، فاستشار زيد بن حارثه أصحابه فقالوا:

قد وطئت البلاد وأخفت أهلها، فانصرف، فإنه لا يعدل العافيه شىء.

وعبد الله ساكت، فسأله زيد بن حارثه فقال: إنا لم نسر إلى هذه البلاد، ونحن نريد الغنائم، ولكننا خرجنا نريد لقاءهم، ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدّه، فالرأى المسير إليهم.

فقبل زيد رأيه وسار إليهم. (٢)

فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحه، فمضى الناس، فقال عبد الله بن رواحه فى محبسهم ذلك:

١- أنظر معجم البلدان.

٢- أنظر مختصر تاريخ دمشق ١٢: ١٦٣١٦٣.

جلبنا الخيل من أجا و فرع

تُعْرُ من الحشيش لها العُكُوم (١)

حَدَوْنَاهَا من الصَّوَان سِبْتًا

أزَلَّ كَأَن صَفَحْتَهُ أَدِيم (٢)

أقامت ليلتين على معان

فَأَعْقَبَ بعد فترتها جُوم (٣)

فُرْحَنَا والجياذ مسومات

تنفَّس في منافرها السموم (٤)

فلا وأبى مآب لنائينها

وإن كانت بها عرب وروم (٥)

فعبأنا أعتتها فجاءت

عوابس والغبار لها بريم (٦)

بذى لجب كأن البيض فيه

إذا برزت قوائسها النجوم (٧)

فراضيه المعيشه طلقته

أسنتها فتنكح أو تميم (٨)

حتى إذا كان جيش المسلمين بتخوم البلقاء، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤته، فالتقى

وأوسطه؛ والظاهر أن هذا هو المراد هنا؛ وتغر بالغبين المعجمه: تطعم شيئاً بعد شىء. يقال: غر الفرج غرا وغراراً: زفه؛ والعكوم: جمع عكم بالفتح وهو الجنب؛ ويروى: جلبتا الخيل من أجام قرح، وقرح: سوق وادى القرى، كما عند ياقوت وقد ذكره منسوباً إلى ابن رواحه.

٢- حذوناها: جعلنا لها حذاء وهو النعل؛ والصوان: حجاره ملس واحدتها: صوانه؛ والسبت: النعال التى تصنع من الجلود المدبوغه؛ وأزل أى أملس صفحته ظاهره؛ والأديم: الجلد، هذا ما قاله أبوذر، فيما قال السهيلي: أى حذوناها نعالاً من حديد، جعله سبتاً لها مجازاً، وصوان: من الصون، يصون حوافرها أو أحفافها، إن أراد الأبل فقد كانوا يجذونها السريع، وهو جلد يصون أخفافها؛ وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان يبيس الأرض، أى لا سبت لها إلا ذلك.

٣- الفتره: الضعف والسكون، والجموم: اجتماع القوه والنشاط بعد الراحة.

٤- مسومات: مرسلات؛ والسموم: الريح الحاره.

٥- مآب: اسم مدينه فى طرف الشام من نواحي البلقاء؛ قال السهيلي: يجوز نصبه بفعل مقدر، أو مرفوع على الابتداء.

٦- البريم فى الأصل: خيطان مختلطان أحمر وأبيض، تشدهما المرأه على وسطها أو عضدها؛ وكل ما فيه لونان مختلطان فهو بريم أيضاً؛ يريد ما علاها من الغبار، فخالط لونه لونها؛ والدمع المختلط بالإثمد؛ وهذا أقرب لمعنى البيت: أى أن دموع الخيل اختلطت بالتراب فصارت كالبريم.

٧- ذى لجب: أى جيش؛ واللجب: اختلاط الأصوات وكثرتها والبيض: ما يوضع على الرأس من الحديد؛ والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضه.

٨- وتثيم: تبقى دون زوج، يقال: آمت المرأه إذا لم تتزوج.

الناس عندها، فتعباً لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عُذرته يقال له: قطبه بن قتاده، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُبابه بن مالك، أو عباده بن مالك.

ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براهه رسول الله (ص)، حتى شاط (أى سال دمه فهلك) فى رماح القوم.

ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء (أى رمى بنفسه عنها) فعقرها، ثم قاتل حتى قُتل، فكان جعفر رضوان الله عليه أول رجل من المسلمين عَقَرَ فى الإسلام؛ (وعلى فرض صحه هذا الخبر، فقد يكون المبرر لعقرها هو خوفه من أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين) وقاتل حتى استشهد، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء، بعد أن قطعن يداه فى المعركة.

فلما استشهد جعفر أخذ عبدالله بن رواحه الرايه، ثم تقدم بها على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزله

لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الزنه

مالى أراك تكرهين الجنه (١)

قد طال ما قد كنت مطمئنه

هل أنت إلا نطفه فى شنه

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت

وما تميت فقد أعطيت

إن تفعلى فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

يريد بهذا صاحبيه اللذين استشهدا قبله: زيداً وجعفرأ، وتقول الروايه: ثم نزل، فلما نزل أتاها ابن عم له بعرق لحم (عظم عليه بعض لحم) فقال: شدّ بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه مالقيت، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسه. (٢)

١- أجلب القوم: صاحوا واجتمعوا؛ والرنه: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

٢- نهس اللحم: أخذه بمقدّم الأسنان، والنهش: الأخذ بجميعها؛ أنظر لسان العرب: نهس.

ثم سمع الحطمه،(١)

فى ناحيه الناس، فقال: وأنت فى الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم.

وروى أن الرايه لما انتهت إلى عبد الله بن رواحه، جاءه الشيطان فرغبه فى الحياه وكزه إليه الموت، ثم تذكر فصاح بأولئك نفر الذين حضروا ذلك المجلس، الذى بعث إليهم رسول الله (ص) فتلا عليهم: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِيًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا). (٢) أين ما كنتم عاهدتم الله عليه، قد جاء مصداقه، اصدقوا الله بصدقكم.

فجاؤوه يخبون كأنهم بقر نزعت من تحتها أولادها، فتقدموا بين يديه، وأتى ابن رواحه بلوح من ضلع وقد التاث،(٣) جوعاً فردّه، وقال: هذا أدعه فيما أدعه من الدنيا، فشدّ عليهم وشدّوا حتى شدّخوا جميعاً.

إذن، ما إن قتل جعفر بن أبى طالب حتى دعا الناس: يا عبدالله بن رواحه، يا عبدالله بن رواحه.

وكان فى جانب العسكر، ومعه ضلع حمل ينهسه، ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال:

وأنت مع الدنيا!

ثم تقدم، فقاتل، فأصيبت إصبغه، فارتجز قائلاً:

هل أنت إلا اصبعٌ دُميتِ

وفى سبيل الله ما لقيتِ

يا نفسُ إلا تقتلى تموتى...

وواصل أرجوزته هذه وقد ذكرنا شيئاً منها هنا وشيئاً هناك.

ثم قال: يا نفس، إلى أى شىء تتوقين؟!

إلى فلانه؟!

١- الحطمه: زحام الناس، وحطم بعضهم بعضاً؛ اللسان: حطم.

٢- الصف: ٤.

٣- التاث فلان فى عمله: أبطأ، والمراد هنا: ضعف؛ أنظر اللسان: لوث.

فهى طالق بالثلاثه، وإلى فلان وفلان، غلمان له، وإلى معجف: حائط له، فهو لله ولرسوله، ثم ارتجز:

يا نفس مالِك تَكْرهين الجنه

أقسم بالله لتنزلنه

طائعه أو لا تُكْرهه

فطالما قد كنتِ مطمئنه

هل أنت إلا نطفه في شنه

قد أجلب الناس وشدوا الرنه

وفى خبر أن ابن رواحه لما نزل للقتال طعن، فاستقبل الدم بيده فدلّك به وجهه، ثم صرع بين الصفين، فجعل يقول: يا معشر المسلمين، ذبوا عن لحم أخيكم، فجعل المسلمون يحملون حتى يحوزوه، فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه.

ويصف الدكتور الجميلي ما دار فى غزوه مؤته بقوله: وفى غزوه مؤته يواجه المسلمون فرسان الروم بأعداد كثيره لا تحصى تملأ السهل والجبل، ويستشرف المسلمون عدوهم المدجج بالسلاح، مسلحين باليقين والتقوى، وتقابل الجمعان والتحم الفريقان، وسقط «زيد بن حارثه» أمير جيش المسلمين، فاستلم مكانه «جعفر بن أبى طالب» وسرعان ما سعت إليه الشهاده وعوجل إلى ربّه، فكان عبدالله بن رواحه ثالث الأمراء الذين تولوا إمرة جيش المسلمين، فضربوا أجناد هرقل من الروم، وأخذ يصول ويجول فى أحشائهم حتى أدركته الشهاده، وما هى إلا لحظات حتى يتناهى خبر الشهداء الثلاثه إلى رسول الله (ص) وما قدّموه من بطولات وفدائيه، فترحم عليهم واستغفر لهم ثم أطرق قليلا ثم قال:

«لقد رفعوا إلىّ فى الجنّه»

وفى خبر عن أنس: أن رسول الله (ص) نعى إلى الناس أو إلينا جعفرًا وابن رواحه وزيدًا وعيناه تذرفان؛ ولما قتل جعفر بمؤته أخذ الرايه بعده عبدالله بن رواحه، فاستشهد.

قال: ثم دخل الجنه معترضاً، فشق ذلك على الأنصار فقالوا: يا رسول الله، ما اعتراضه؟

قال: لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فشجع فاستشهد فدخل الجنه، فشرى عن قومه.

وفى خبر آخر عن ابن إسحاق أنه قال: ولما أصيب القوم، قال رسول الله (ص) فيما بلغنى: أخذ الرايه زيد بن حارثه، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفر، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً.

قال: ثم صمت رسول الله (ص) حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبدالله بن رواحه بعض ما يكرهون، ثم قال: ثم أخذها عبدالله بن رواحه، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم قال: لقد رفعوا إليّ في الجنه، فيما يرى النائم، على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبدالله بن رواحه ازوراراً (أى ميلاً وعوجاً) عن سريري صاحبيه، فقيل: عمّ هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبدالله بعض التردد، ثم مضى.

وفي خبر أنّ رسول الله (ص) صعد المنبر، وأمر فنودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس إلى رسول الله (ص) فقال: باب خير، باب خير، باب خير! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيداً واستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشدّ على القوم حتى قتل شهيداً، فشهد له بالشهادة واستغفر له، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحه، فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً، فاستغفر له.

وفي روايه قال النبيّ الله (ص): «مثلوا لي في الجنه في خيمه من درّه كلّ واحد منهم على سرير، فرأيت زيدا وابن رواحه في أعناقهما صدوداً، وأما جعفر فهو مستقيم ليس فيه صدود، قال: فسألت أو قال: قيل لي: إنهما حين يخشيهما الموت كأنهما أعرضا أو كأنهما صدّا بوجههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل».

قال ابن عيينه: فذلك حين يقول ابن رواحه:

أقسمت يا نفس لتنزله

بطاعه منك أو لتكرهه

فطالما قد كنت مطمئنه

جعفر ما أطيب ريح الجنّه (١)

ووقف حسان بن ثابت يوم مؤته يبكي ويرثي جعفرأ، ولما انشئ من رثائه راح يرثي ويبكي زيد بن حارثه وعبدالله بن رواحه، ومما قاله في عبدالله بن رواحه:

ثم جُودى للخزرجي يدمع

سيداً كان ثم غير نزور

قد أتانا من قتلهم ما كفانا

فبحزن نبيت غير سرور

١- حليه الأولياء، للاصفهاني ١: ١٢١.

ص: ٤٢٤

وله أيضاً:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا

بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبدالله حين تتابعوا

جميعاً وأسباب المنية تخطر

فيما هناك مرثيه بحقهم ألقاها كعب بن مالك يوم وصول خبر استشهادهم رضوان الله عليهم.

نام العيون ودمع عينك يهمل

سحاً كما وكف الطبايب المخلص (١)

فى ليله وردت على همومها

طوراً أحن وتارة أتململ

واعتادنى حزن فبت كأننى

بينات نعش والسماك موكل

وكانما بين الجوانح والحشى

مما تأوبنى شهاب مُدخل

وجدا على نفر الذين تتابعوا

يوماً بمؤته أسندوا لم ينقلوا

صلّى الإله عليهم من فتيه

وسقى عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤته للإله نفوسهم

حذر الردى ومخافه أن ينكلوا

فمضوا أمام المسلمين كأنهم

فُنقُ عليهم الحديد المرفل (٢)

ثم يواصل رثاءه لجعفر بن أبي طالب رحمه الله تعالى.

وقال شاعر آخر ممن كان حاضراً غزوه مؤته:

كفى حزناً أنى رجعت وجعفر

وزيد وعبدالله فى رمس أقبير

قضوا نجبهم لما مضوا لسييلهم

وُخلفت للبلوى مع المتغير

ثلاثه رهط قَدَموا فتقدَموا

إلى ورد مكروه من الموت أحمر

فسلام عليك يا بن رواجه

قرير العين بين الأبرار

الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. (٣)

١- الطبابه: وهى سير بين خرزتين فى المزاده، فإذا كان غير محكم ولف منه الماء وقيل الضباب، والمخضل: السائل الندى.

٢- الفنق: الفحول من الإبل، الواحد: فنيق؛ المرفل: الذى تنجر أطرانه على الأرض، يريد أن دروعهم سابقه.

٣- أنظر ترجمه حياه هذا الصحابى الجليل فيما تيسر لى من مصادر، السيره النبويه، لابن هشام؛ وتاريخ الطبرى؛ ومختصر تاريخ

دمشق، لابن منظور؛ والتاج الجامع للأصول، للشيخ منصور على ناصيف؛ وصحابه النبى (ص) للدكتور الجميلى...

(١٨) خزيمه بن ثابت الأنصاري، ذو الشهادتين**إشاره**

حسن الحاج

قيض الله سبحانه وتعالى نفوساً طيبه من أصحاب رسول الله (ص) ومن رواد مدرسته الربانيه المباركه، وقد ملئت قلوبهم إيماناً وصلابه ووعياً وبصيره ثاقبه، وهياًها لكي تجنى ثمار إيمانها الواعي و سعيها الحثيث، وكدحها الدؤوب، وجهادها المتواصل، وتسابقها في الخيرات، و لصدقها وإخلاصها في جميع ذلك، فقد جباها نبي الرحمه ٩ بدوره أوسمه رفيعه، ومناقب جليله، وشمائل عاليه، وصفات جميله، صارت من أجل الألقاب التي يحبونها، وراحت تترين بها أكتاف أصحابها بحق، ويتفاخرون بها دون تعال وتكبر، وحفظتها لهم الأجيال والتاريخ ومصادره، فيما اشراُبت إليها أعناق آخرين دون جدوى.

فبعضهم حظى بها بعد استشهاده أو وفاته؛ فحمزه بن عبدالمطلب كان يلقب أسدالله في حياته و سيدالشهداء بعد وفاته.

وجعفر بن أبي طالب وصف بأنه جعفر الطيار ذو الجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء.

وحنظله بن أبي عامر الراهب غسيل الملائكة.

وسعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحمن...

وبعض حظى بها في حياته: خزيمه بن ثابت هذا الصحابي الكبير الذي نحن بذكره، كان واحداً من القلة الذين منحتهم السماء وساماً رائعاً ألبسه رسول الرحمة (ص) له (خزيمه ذو الشهادتين) أي عدت شهادته بشهادة رجلين، لصدقه وعدله ونفاذ بصيرته ووعيه وعمق، إيمانه، فضل محتفظاً به حريصاً عليه، لم يفرط فيه طيله حياته الإيمانية والجهادية، حتى اقترن بوسام آخر أجل منه وأعظم، إنه وسام الشهادة المباركة، ليختم به عمره، ويختصر به الطريق إلى حيث الفردوس الأعلى في جنه عرضها السماوات والأرض {... مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (١).

وهكذا ظل وما زال هذا الأنصاري الأوسى الخطمي المدني يعرف بذى الشهادتين، وإذا ما ذكر اسمه عقب بعده مباشرة بهذا الوسام، الذي لم يناقش أو يشكك في نسبه إليه أحد أبداً، بل ولم يذكر اسمه إلا وهو مقترن بهذا اللقب إلا قليلاً.

نسبه

هو خزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبه بن ساعده بن عامر بن غيان ويقال: عنان بن عامر بن خطمه، وقيل: حنظله، وقد صوبوا الأول.

واسمه عبدالله بن جشم بن مالك بن أوس بن حارثه بن ثعلبه بن عمرو بن عامر.

هذا نسبه من أبيه؛ وأما من أمه، فهي كبشه بنت أوس بن عدى بن أميه بن عامر بن ثعلبه.

وفي نسبه اختلاف، وقيل: حنظله بدل خطمه، والصواب خطمه بغير شك.. وهو عامر بن خطمه الوارد في نسبه من أبيه، وهو الذي ورد في طبقات ابن سعد في ترجمه كبشه. (٢)

١- النساء: ٦٩.

٢- طبقات ابن سعد ٨: ٣٥٤.

وربما يكون المقصود بثعلبه هذا هو جده ثعلبه بن عمرو بن عامر، وقد اكتفى

بذكره اختصاراً.

وختاماً فخزيمه بن ثابت هذا هو ذو الشهادتين، وهو: أبوعمار الأنصاري الأوسى الخطمي المدني، من أشرف قبيله الأوس؛ أحسن الصحبه لرسول الله (ص) ولأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) وإن لم يتيسر لي معرفه أول إسلامه: فابن هشام فى السيره النبويه لم يورد اسمه فى الذين بايعوا رسول الله (ص) فى العقبين الأولى والثانيه ولا- حتى الأخيره، إلا أنه وبعد أن شرح الله سبحانه وتعالى صدره للإيمان عاش الإيمان بروحه وشعوره ووجدانه، وأحب الله تعالى ورسوله (ص) وأهل بيته صلوات الله عليهم بصدق وإخلاص واستقامه، لا يشوبها شك ولا يخالطها تردد، هدفه الأول والأخير رضا الله تعالى ووجهه عرضها السماوات والأرض، فكان بحق من مصاديق هذه الآيه المباركه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولُو الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَن حُبِّهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَن حُبِّهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَن حُبِّهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَن حُبِّهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَن حُبِّهِمْ﴾ (١).

وقد راح هو وصاحبه عمير بن عدى يكسران أصنام بنى خطمه قومهم بلاخوف من عقاب. (٢)

شهد مشاهد وغزوات رسول الله (ص) ومنها معركة أحد والخندق، وما بعدهما من المعارك والغزوات.

أما معركة بدر الكبرى فلم يذكره ابن هشام فى عداد المشاركين فيها؛ ويبدو أن هذا وقد يكون هناك غيره هو السبب الذى أوجد الخلاف بين المؤرخين فى مسأله حضوره بدرأ أو عدمه، إلا أنهم اتفقوا على حضوره ما بعدها من المشاهد مع رسول الله (ص). كان خزيمه من المشاركين فى غزوه مؤته بناحية الكرك بالبلقاء فى جمادى الأولى لسنة ثمان من الهجرة، حيث خاض هناك هو ومن معه معركة لم يخض المسلمون معركة مثلها، فقد

١- التوبه: ١٠٠.

٢- مختصر تاريخ دمشق ٨: ٤٥.

تدرّج المشركون الروم بالعتاد والجند ما يملأ السهل والجبل وما لا طاقة للمسلمين به، كما وصف ذلك عدد من المؤرخين، فاستشهد الكثير ممن كتبت له الشهادة بمن فيهم أمراء جيش المسلمين الثلاثة الذين استعملهم رسول الله (ص) وهم: زيد بن حارثة، فجعفر بن أبي طالب، فعبداً لله بن رواحه رضوان الله عليهم جميعاً. (١)

فيما عاد المقاتلون الذين كتبت لهم السلامه إلى المدينة، والألم يعتصر قلوبهم مما جرى.

ومن الطبيعي أن تبقى أشياء كثيرة من ذكريات تلك المعركة الشرسة عالقه في أذهان المشاركين بها، فراح العديد من المقاتلين يتحدثون بها بين الفتره والأخرى.

فهذا عماره بن خزيمة يحدث عن أبيه أنه قال: حضرت مؤته، فبارزت رجلاً يومئذ فأصبتة وعليه بيضه له، فيها ياقوته، فلم يكن همي إلا- الياقوته فأخذتها، فلما انكشفتنا وانهزنا رجعت بها إلى المدينة فأتيت بها رسول الله (ص) فنفلنيها، فبعثها زمن عمر بن الخطاب بمائه دينار، فاشترت حديقه نخل بني خطمه. (٢)

ويوم فتح مكة في شهر رمضان عام ٨ هجريه كانت كل قبيله من قبائل المسلمين تحمل رايتها، فيما كانت مع خزيمة بن ثابت رايه قومه بني خطمه. (٣)

ذو الشهادتين!

تواترت في قصه هذا الوسام الرائع والصفه الحميده عده روايات من أنّ رسول الله (ص) اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربي فجحد، فشهد له خزيمة بن ثابت.

فقال رسول الله (ص): ما حملك على الشهاده ولم تكن معنا حاضرًا؟!

قال: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً.

وفي خبر آخر: صدقناك بخبر السماء ولا نصدقك بخبر اشترى ناقه؛ فقال رسول الله (ص):

١- مقاتل الطالبين : ٣٠؛ والمصادر التاريخيه الأخرى.

٢- المغازى للواقدي ٢ : ٧٦٩؛ مختصر تاريخ دمشق ٨ : ٤٥.

٣- المصدر نفسه.

«من شهد له خزيمه أو شهد عليه فحسبه».

وفى روايه أخرى: أنّ النبي (ص) ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي (ص) ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي (ص) المشى وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، لا يشعرون أنّ النبي (ص) ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي فى السوم على ثمن الفرس الذى ابتاعه به النبي (ص) فنادى الأعرابي النبي (ص) فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقال النبي (ص) حين سمع نداء الأعرابي: أوليس قد ابتعته منك؟ قال الأعرابي: لا والله ما بعتهك.

فقال النبي (ص): بلى، قد ابتعته منك.

فطفق الناس يلوذون بالنبي (ص) والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنى بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك! إنّ النبي (ص) لم يكن ليقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمه فاستمع لمراجعته النبي (ص) ومراجعته الأعرابي، وطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنى بايعتك.

فقال خزيمه: أنا أشهد أنك قد بايعته.

فأقبل النبي (ص) على خزيمه فقال: بم تشهد؟ أو كما فى روايه ثانيه كيف تشهد ولم تحضره ولم تعلمه؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله! أو أنه قال حسب روايه أخرى: يا رسول الله نحن نصدقك على وحى من السماء، فكيف لا نصدقك على أنك قضيتة؟! فأنفذ (ص) شهادته وسمّاه «ذا الشهادتين» لأنه صير شهادته شهاده رجلين، وصارت شهادته بهذا الوصف له من قبل رسول الله (ص) فى أى قضيه يدعى لها تغنى عن طلب شاهد آخر.

أو لأن خزيمه كما فى خبر آخر شهد للنبي (ص) على يهودى فى دين قضاة (ع).

أنه الأيمان الوثيق واليقين العميق والبصيره الواعيه! فهياها كل هذا لاستحقاق ذلك اللقب العظيم والوصف الجليل.

وقد احتلت هذه الروايه مكاناً لها في المناقشات الفقهيه عند الفريقين في باب حجيه علم القاضى وفي باب الشهادات. (١)

وافتحرو الأنصار!

يعد هذا الشعار كرامه أخرى تضاف إلى سجلّ الأنصار، الذين نالوا حظاً وافراً في آيات قرآنيه مباركه وأحاديث وأقوال نبويه شريفه، راحت تضىف عليهم صفات عاليه، وتذكر لهم مواقف شامخه، حتى غدوا أهلاً لثناء السماء ومدحها.

فقد وصفهم الله تعالى بأنهم مؤمنون، وبأنّ المغفره والرزق الكريم نصيبهم، بسبب ما قدموه لرسول الله وللمؤمنين المهاجرين من إيواء ونصره، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. (٢)

وانظر الآيه ٧٢ من سوره الأنفال، حيث فيها تكريم لهم لإيوائهم المهاجرين وعلى رأسهم نبي الرحمه، ونصرتهم لهم أيضاً.

وهم الذين قال فيهم رسول الله (ص): «لولا الهجره لكنت امرءاً من الأنصار».

إلى غير هذا من الإطراء عليهم وعلى ما قدموه من أعمال حميده وخدمات جليله وفقهم الله تعالى لها، فاستحقوا عليها كل ذلك الثناء والذكر الطيب.

* فقد افتخر الأوس وكان حقاً لهم أن يفتخروا بثله مؤمنه منهم، تتضمن أربعة من أصحاب رسول الله (ص) تشرفوا بالصعبه النبويه المباركه، وحظوا بمناقب عاليه وأوسمه رفيه.

فقالوا: منا غسيل الملائكه، حنظله بن راهب؛ ومنا من اهتز له عرش الرحمن، سعد بن عباده؛ ومنا من حمته الدبر أى النحل والزنابير، عاصم بن ثابت بن أبي الألقح، فقد أصيب يوم أحد، فمنعت النحل الكفار منه، وذلك أنّ المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثلوا به، فسلط

١- أنظر في هذا كله وسائل الشيعه ١٨ : الباب ١٨ من أبواب كيفيه الحكم، ح ٣؛ مختصر تاريخ دمشق ٨ : ٤٦٤٧؛ وأحكام القرطبي ٣ : ٤٠٥؛ والإصابه في معرفه الصحابه : ٢٣٤٧ وغيرها من المصادر التاريخيه والروايه والفقهيه.

٢- الأنفال: ٧٤.

الله عزوجل عليهم الزنابير الكبار تأبر الدارع، فارتدعوا عنه حتى أخذهم المسلمون فدفنوه. (١)

ومنا من أجزت شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت.

* فيما راحت الخزرج هي الأخرى تعدد مناقب أربعة من أبنائها، وكأنه جاء رداً على ما تفاخرت به الأوس.

فقال الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص) إذ لم يجمعه غيرهم، وهم: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل. (٢)

إلا- أن افتخارهم بهذه المناقب وبتلك الأوسمه وهي ألقاب كانوا يحبونها بصدق كاد أن يكون سبباً لإثاره ما دفن من أحقاد وضغائن ونزاعات قديمه بينهم دامت قرابه مائه عام، وذلك قبل أن يؤخدهم الإسلام ونبي الرحمة محمد (ص) ولولا تدخل السماء وحكمه رسول الله (ص) لهموا أن يقتتلوا.

فقد ذكر جمع من المفسرين أن سبب نزول آيتي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (٣).

هو ما وقع من افتخار بين أوسى وخزرجى حول ما يتمتع به بعضهم من مناقب وفضائل.

فقد قال مقاتل: افتخر رجلا من الأوس والخزرج، ثعلبه بن غنم من الأوس، وأسعد بن زراره من الخزرج.

فقال الأوسى: منا ابن ثابت ذو الشهادتين، ومنا حنظله غسيل الملائكة، ومنا عاصم بن ثابت حمى الدين، ومنا سعد بن معاذ الذى اهتر عرش الرحمن له ورضى بحكمه فى بنى قريظه.

١- لسان العرب، ماده: «دبر».

٢- أحكام القرآن، للقرطبي ١: ٥٦؛ مختصر تاريخ دمشق ٨: ٤٧.

٣- آل عمران: ١٠٢، ١٠٣.

وقال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن، أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنا سعد بن عباده خطيب الأنصار ورئيسهم.

فجرى الحديث بينهما، فغضبا وتفاخرا وناديا، فجاء الأوس إلى الأوسى والخزرج إلى الخزرجي، ومعهم السلاح.

فبلغ ذلك النبي (ص) فركب حماراً وأتاهم، فأنزل الله هذه الآيات، فقرأها عليهم فاصطلحوا. (١)

وهذه ليست الوحيدة والأخيرة بينهم، فانظر أسباب النزول للواحدى فى خصوص الآية: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ...}. (٢) تجد ما دار بين سعد بن معاذ زعيم الأوس؛ (٣) وسعد بن عباده زعيم الخزرج، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (ص) قائم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

هذا إضافة إلى ما كان يذكيه يهود المدينة ويغذونه من نعرات قديمه بين الحثيين الأوس والخزرج.

رؤيا خزيمه!

عن عماره بن خزيمه بن ثابت عن أبيه: أنه رأى فى المنام كأنه سجد على جبين رسول الله (ص) فذكر ذلك لرسول الله (ص). فقال رسول الله (ص): «إِنَّ الرُّوحَ لَا تَلْقَى الرُّوحَ»؛ فأقنع رسول الله (ص)، ثم أمره فسجد من خلفه على جبينه، جبين رسول الله (ص).

١- مجمع البيان، للطبرسى ٢: ٨٠٤ فى تفسير الآيتين المذكورتين؛ وراجع غيره من التفاسير.

٢- النور: ١١.

٣- وفى هذا كلام، لأن سعد بن معاذ توفى بعد حكمه المشهور فى بنى قريظه، وهو أمر وقع قبل حادثه الإفك بفتريه تجاوزت أشهراً عديده، اللهم إلا أخذنا بما ذكره الواقدي من أن غزوه بنى المصطلق التى وقعت فيها حادثه الإفك كانت قبل غزوه بنى قريظه، بل وقبل غزوه الخندق، فكانتا بعد المريسيه لحرب بنى المصطلق من خزاعه، فوقع فى شعبان سنه خمس من الهجره، وهو كما يبدو خلاف مشهور المؤرخين الذى يذهب إلى أن رسول الله (ص) غزا بنى المصطلق من خزاعه فى شعبان سنه ست من الهجره؛ أنظر تاريخ الطبرى ٢: ١٠٤.

جمع القرآن

أكدت كثير من المصادر التاريخيه والروائيه أنه كان لخزيمه بن ثابت «ذو الشهادتين» دور واضح فى مهمه جمع آيات كتاب الله تعالى, فقد راح العديد من الصحابه يستعينون به فى هذا المشروع, خاصه حين فقدانهم لبعض الآيات القرآنيه المباركه.

فعن زيد بن ثابت أنه قال: لما كتبنا المصاحف فقدت آيه كنت أسمعها من رسول الله (ص): {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (١).

فوجدتها عند خزيمه بن ثابت، وكان يدعى ذا الشهادتين، فألحقتها فى سورتها.

وفى روايه أخرى: أن عمر بن الخطاب أراد أن يجمع القرآن، فقام فى الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله (ص) شيئاً من القرآن فليأتنا به.

وكانوا كتبوا ذلك فى الصحف والألواح والعسب جمع عسيب، وهو جريده النخل مما لا- يثبت عليه الخوص كما فى لسان العرب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك.

فقام عثمان بن عفان فقال: من كان عنده من كتاب الله عزّ وجل شىء فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان.

فجاء خزيمه بن ثابت فقال: إني قد رأيتكم قد تركتم آيتين لم تكتبوهما.

قال: وما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله (ص): {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}. (٢)

قال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين تريد أن تجعلهما؟ قال: اختم بهما آخر

١- الأحزاب: ٢٣.

٢- التوبه: ١٢٨ ١٢٩.

ما نزل من القرآن؛ فختمت بهما براءه. (١)

ووجدوا عند خزيمة بن ثابت وفي روايه عند أبي خزيمة آيه : {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

مما رواه

كان خزيمة رضوان الله عليه ملازماً لمدرسه القرآن والنبوه، لآياتها، ومواقفها، وآثارها، وثمارها، حريصاً عليها، حافظاً لها، مستفيداً منها، أميناً في نقل ما تيسر له مما توفر عليه من علم ومعرفة، وآيات قرآنيه مباركه، وأحاديث نبويه شريفه، وكان منها: عنه عن رسول الله (ص) أنه قال: «عمار تقتله الفئة الباغيه».

* وروى عنه وعن جمع آخر أن رسول الله (ص) جمع بين المغرب والعشاء بجمع، صلى المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين بإقامه واحده. (٢)

* وعنه: نهانا رسول الله (ص) أن نستنجى بأقل من ثلاثه أحجار، وأن نستنجى برجيع أو عظم.

* وعنه عن رسول الله (ص) أنه قال: «من استطاب بثلاثه أحجار ليس فيهن رجيع كان له طهوراً».

* وعنه: كان (ص) إذا فرغ من تلييته سأل الله رضوانه ومغفرته، واستعاذ برحمته من النار.

* وعنه أن النبي (ص): «من أصاب ذنباً فأقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته».

* وعنه عن النبي (ص) أنه قال: «إني رأيت الملائكه تغسل حنظله بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضه». (٣)

١- مختصر تاريخ دمشق ٨: ٤٦؛ البيان، للسيد الخوئي: ٢٤٢٢٤٣؛ أحكام القرآن، للقرطبي ١: ٥٠.

٢- أحكام القرآن، للقرطبي ٢: ٤٢٤.

٣- استشهد بأحد جنباً، فلذلك رأى النبي (ص) الملائكه تغسله.

* ومن غرائب حديثه كما ورد في مختصر تاريخ دمشق ما حدث أنهم كانوا عند رسول الله (ص) في المسجد، وهو مسند ظهره إلى بعض حجرات نساءه، فدخل رجل من أهل العالیه فجلس يسأل رسول الله (ص) فشم منه رسول الله (ص) ريحاً تأذى هو وأصحابه.

فقال: «من أكل من هذه الشجره فلا يؤذينا بها».

وهناك أحاديث أخرى إضافة إلى ما توفرت عليه هذه المقاله من رواياته رضوان الله تعالى عليه.

ولاؤه للإمام على (ع) ولأهل البيت (عليهم السلام)

كان خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين من أتباع مدرسه أهل بيت النبوه والعصمه والطهاره سلام الله عليهم، وهو ما عرف به وعرفت به مواقفه، دفاعاً عن حقانيه العتره الطاهره المتمثله في زمنه بالإمام على بن أبى طالب سلام الله عليه، وظل هذا الرجل على استقامته هذه لم يغير ولم يبدل، حتى فاضت روحه شهيداً بين يدي أمير المؤمنين على سلام الله عليه في يوم صفين.

روايته لحديث الثقلين

وقد تشرف بأن يكون واحداً من رواه حديث الثقلين المعروف، وهو الحديث الذي يبين منزله أهل البيت سلام الله تعالى عليهم، وأنهم الثقل الثاني بعد القرآن، وأنّ التمسك بهما معاً هو الذي ينجي من الضلاله واليه والانحراف.

فعن أبى الطفيل: أنّ علياً (ع) قام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أنشد الله من شهد يوم غدیر خم إلا قام، ولا يقوم رجل يقول: ثبت أو بلغنى إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلاً، منهم خزيمة بن ثابت و...

فقال على (ع): «هاتوا ما سمعتم».

فقالوا: نشهد أنا أقبلنا مع رسول الله (ص) من حجه الوداع ونزلنا بغدير خم، ثم نادى

بالصلاه جامعه، فصلينا معه، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس ما أنتم قائلون؟».

قالوا: قد بلغت.

قال: اللهم اشهد ثلاث مرات، ثم قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إذا تمسكتم بهما لن تضلوا، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، بذلك نبأني اللطيف الخبير، ثم قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، أستم تعلمون أنى أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا: بلى.

قال ذلك ثلاثاً؛ ثم أخذ بيدك يا أمير المؤمنين فرفعها وقال: من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فقال على: صدقتكم وأنا على ذلك من الشاهدين. (١)

هم الأئمة

وكان رضوان الله عليه من كبار أصحاب أمير المؤمنين على (ص) ومن قاده جنده المعروفين بالصلاه والفداء، ومن جلسائه المقربين إليه، ومن أوائل الذين دافعوا عن منزله أهل البيت (عليهم السلام) وأنهم أئمة الحق الذين يقتدى بهم، كما جاء في روايه الاحتجاج للطبرسى بسنده عن ابن تغلب عن الإمام جعفر الصادق (ع).

ووقع هذا يوم أنكر جمع من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بنى أميه، وسلمان الفارسى، وأبوذر الغفارى و...

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمه بن ثابت ذو الشهادتين و... واحدقوا بالمنبر بمحضر من الخليفه الأول وجمع كبير من المسلمين... ثم راح

كل واحد منهم يدلى بحجته حتى وصل الأمر إلى خزيمة بن ثابت فقال:

أيها الناس، أستم تعلمون أنّ رسول الله (ص) قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟

قالوا: بلى.

قال: فاشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول:

«أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم».

وقد قلت ما علمت وما على الرسول إلا البلاغ المبين. (١)

أذكر علياً وآله

في الأيام الأولى لخلافه أبي بكر اعتزل جمع من الأنصار عنه، فغضبت قريش من

موقف الأنصار هذا... فقالت عمرو بن العاص: قم، فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار، ففعل ذلك.

فقام الفضل بن العباس فرد عليهم، ثم صار إلى علي (ع) فأخبره، وأنشده شعراً قاله.

فخرج علي (ع) مغضباً حتى دخل المسجد، فذكر الأنصار بخير، ورد على عمرو بن العاص قوله.

فلما علمت الأنصار ذلك سرها وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حسن قول علي.

واجتمعت إلى حسان بن ثابت فقالوا: أجب الفضل.

فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحني.

فقالوا: فاذكر علياً فقط.

أما خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال:

أذكر علياً وآله يكفيك عن كل شيء.

فأنشد حسان أبياتاً تسعاً كان منها:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه

أبا حسن عنا ومن كأبي حسن!؟

غضبت لنا إذ قال عمرو بخصله

أما ت بها التقوى وأحيا بها الإحن

ألست أخاه فى الهدى ووصيه

وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن؟ (١)

من أوائل المبايعين

وكان أيضاً من أوائل الذين بايعوا الإمام علياً سلام الله عليه بالخلافه من الأنصار الذين ذكرهم الشيخ المفيد رحمه الله تعالى، وعدد منهم تسعة وعشرين احتل ذو الشهادتين الرتبة الثانية بينهم، ثم عقب الشيخ فى نهايه هذه السلسله مشيداً بالأنصار قائلاً:

فى أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين، وصلوا القبليتين، واختصوا من مدائح القرآن والثناء عليهم من نبى الهدى عليه وآله السلام بما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان، وممن لو أثبتنا أسماءهم لطلال بها الكتاب، ولم يحتمل استيفاء العدد الذى حددناه.

(٢)

وقد ذكر السيد محسن الأمين فى كتابه «فى رحاب أئمه أهل البيت» أنّ الحاكم روى فى المستدرک بسنده أنه لما بويع على بن أبى طالب على منبر رسول الله (ص) قال خزيمه بن ثابت، وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا

أبو حسن مما نخاف من الفتن

رجوناه أولى الناس بالناس إنه

أطب قريش بالكتاب وبالسنن

وإن قريشاً ما تشق غباره

إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن

وفيه الذى فيهم من الخير كله

وما فيهم كل الذي فيه من حسن

هذا، وقد انضم ذو الشهادتين إلى الإمام (ع) وشارك معه في المعارك التي خاضها أثناء خلافته، كمعركة الجمل ضد الناكثين، ومعركة صفين ضد القاسطين معاوية وجنده؛ وأبلى فيهما بلاءً حسناً.

١- الغدير، للشيخ الأميني ٢ : ٤٣٤٢.

٢- المفيد، الجمل: ١٠٥ ١٠٦.

فى معركة الجمل

فى منتصف جمادى الآخرة وقعت حرب الجمل بين جيش الزبير وطلحه ومعهم أم المؤمنين عائشه من جهه، وجيش الإمام على (ع) من جهه أخرى.

ذو الشهادتين وابن الحنفية

كانت رايه الإمام على (ع) مع ابنه محمد بن الحنفية فنخس قفاه، وقال له: احمل فتقدم، حتى لم يجد متقدماً إلا على سنان رمح؛ فقال: تقدم لا أم لك، فتناول الرايه من يده وقال: يابنى بين يدي.

وفى روايه ابن أبى الحديد: أنه دفع إليه الرايه يوم الجمل وقد استوت الصفوف.

وقال له: احمل فتوقف قليلاً فقال له: احمل.

فقال يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر فدفع فى صدره وقال: أدركك عزق من أمك؛ ثم أخذ الرايه فهزها ثم قال:

اطعن فها طعن أبيك تحمد

لا خير فى الحرب إذا لم توقد

بالمشرقى والقنا المسدد

ثم حمل وحمل الناس خلفه، فطحن عسكر البصره.

قيل لمحمد: لم يغرر بك أبوك فى الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين؟

فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

ثم دفع الرايه إلى محمد وقال: امح الأولى بالأخرى وهذه الأنصار معك، وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين فى جمع من الأنصار كثير من أهل بدر، وحمل حملات كثيره أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاءً حسناً.

فقال خزيمة بن ثابت لعلى (ع): أما أنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزه وجعفر لما خفناه عليه؛ وإن كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال.

وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين ما قدمنا على محمد أحداً من العرب.

فقال على (ع): أين النجم من الشمس والقمر؟! أما أنه قد أغنى وأبلى وله الفضل.

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما فى عودك اليوم وصمه

ولا كنت فى الحرب الضروس معوداً

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله

على وسماك النبى محمداً

فلو كان حقاً من أبيك خليفه

لكنت ولكن ذاك ما لا يرى أبدا

وأنت بحمد الله أطول غالب

لساناً وأنداها بما ملكت يداً

وأطعنهم صدر الكمى برمحه

وأكساهم للهام عضباً مهنداً

سوى أخويك السيدين كلاهما

إمام الورى والداعيان إلى الهدى

أبى الله أن يعطى عدوك مقعداً

من الأرض أو فى اللوح مرقي ومصعداً(١)

شعره يوم الجمل

ذكر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه: قال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وكان بدرياً فى يوم الجمل:

ليس بين الأنصار في حجمه الحر

ب وبين العداة إلا الطعان

وقراع الكماه بالقضب

البيض فإذا ما تحطم المران

فادعها تستجب فليس من الخز

رج والأوس يا على جبان

يا وصى النبى قد أجلت الحر

ب الأعادى وسارت الأظعان

واستقامت لك الأمور سوى

الشام وفى الشام يظهر الأذعان

حسبهم ما رأوا وحسبك منا

هكذا نحن حيث كنا وكانوا

١- محسن الأمين، فى رحاب أئمة أهل البيت ٢ : ٤٢٤٣.

ذو الشهداءين وأم المؤمنين

ولم يكتف ذو الشهداءين بذلك، بل راح يخاطب أم المؤمنين عائشه طالباً منها التخلّي عن موقفها التحريضي، والمناوئ لعلّى (ع) ، فيذكرها بأنه وصى رسول الله (ص) كما يذكر ابن ابى الحديد ذلك حيث يقول:

وقال خزيمه أيضاً يوم الجمل:

أعائش خلّي عن على وعييه

بما ليس فيه إنما أنت والده

وصى رسول الله من دون أهله

وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وحسبك منه بعض ما تعلمينه

ويكفيك لو لم تعلمى غير واحده

إذا قيل ماذا عبت منه رميته

بخذل ابن عفان وما تلك آبه

وليس سماء الله قاطره دمأ

لذاك وما الأرض الفضاء بمائده(١)

في معركة صفين

وكان خزيمه رضوان الله تعالى عليه ممن شهد معركة الجمل كما ذكرنا، وفي سنة ٣٧ هجرية شهد معركة صفين بجانب جيش الإمام على (ع) وكان فيها من المقاتلين الأشداء المعروفين ببسالتهم.

فقد كان واحداً من أشياخ الأنصار الذين توجه إليهم الإمام طالباً منهم المشوره.

فقد ورد في الخبر: أنّ الإمام علياً (ع) لما أراد المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أما بعد، فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم، فأشيروا علينا برأيكم».

فكان خزيمة واحداً من أولئك الذين استحقوا المنزلة التي اختارها أمير المؤمنين (ع) لهم.

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغه ١ : ١٤٥ ١٤٦.

وقد حظى هو ومن معه بهذه الصفات العظيمة التي لم تصدر من الإمام (ع) إذا لم يكونوا أهلاً لها أبداً؛ وقد سبقهم قيس بن سعد بن عبادة بالكلام، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أمير المؤمنين، انكمش بنا إلى عدونا ولا تعرد،^(١) فوالله لجهادهم أحب إليّ من جهاد الترك والروم، لادهانهم في دين الله واستدلالهم أولياء الله من أصحاب محمد (ص) من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سروه. وإذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سروه؛ وفيئنا لهم في أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قطين.^(٢)

وما إن انتهى من كلامه حتى بادر أشياخ الأنصار وذكر منهم خزيمه بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما فقالوا لقيس:

لم تقدمت أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام؟

فقال: أما أنى عارف بفضلكم، معظم لشأنكم، ولكنى وجدت في نفسى الضغن الذى جاش فى صدوركم حين ذكرت الأحزاب.

فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم.

وهنا وقع اختيارهم على سهل بن حنيف.

فقالوا: قم يا سهل بن حنيف.

فقام سهل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك ونحن كف يمينك، وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفة، فتأمرهم بالشخص، وتخبرهم بما صنع الله لهم فى ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد وهم الناس، فإن استقاموا لك استقام لك الذى تريد وتطلب..

وأما نحن فليس عليك منا خلاف، متى دعوتنا أجبتناك، ومتى أمرتنا أطعناك.^(٣)

١- الانكماش: الإسراع والجد؛ والتعريد: الفرار والإحجام والانهازم.

٢- القطين: الرقيق أو الخدم والأتباع والمماليك.

٣- أنظر فى هذا وقعه صفين، لنصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢، بتحقيق عبدالسلام محمد هارون: ٩٣٩٤، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى قدس السره .

إذن فهم وكما فى الخبر كانوا راغبين فى الموافقه وتلبيه طلب أمير المؤمنين على (ع) دون تردد من أحد بمن فى ذلك الصحابى الجليل موضوع مقالتنا؛ وإن وردت روايه عن عماره بن خزيمة أن خزيمة شهد الجمل وهو لا يسلّ سيفاً، وشهد صفين وقال: أنا لا أقتل أحداً حتى يقتل عمار، فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: «تقتله الفئة الباغية».

قال: فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لى الضلاله، ثم اقترب، فقاتل حتى قتل.

وكان الذى قتل عمار بن ياسر أبو الغاديه المزنى، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل فى محفه، (١) فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنه، فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتر رأسه، فاقبلا يختصمان فيه، وكلاهما يقول: أنا قتلته.

فقال عمرو بن العاص: والله، إن تختصمان إلا فى النار؛ فسمعها معاويه، فلما انصرف الرجلان قال معاويه لعمرو بن العاص: ما رأيت مثلما صنعت! قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان فى النار؟!

فقال عمرو: وهو والله ذلك، والله إنك لتعلمه، ولوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنه!

فعلى فرض صحّه هذه الروايه وسلامتها، مع أنها مخالفه لتفاصيل مواقفه المذكوره أعلاه فى معركة الجمل وصفين، والتي تدل بشكل واضح على يقينه وسلامه اختياره، فلا- ضير فيها على خزيمة، وهو المعروف بنفاذ بصيرته وسلامتها، وعمق ولائه لأمر المؤمنين على (ع) وقد خرج إلى معركة صفين ومن قبلها معركة الجمل بكامل وعيه للحق الذى لا يفارق علياً (ع) وللباطل الذى لاذ به خصوم على (ع).

ولكن مع كل هذا، فقد يحدث للإنسان فى لحظه ما تردد أو توقف وهو فى أمر خطير جداً يحدد مصيره، أو وهو يخطر على باله قول رسول الله (ص) لا ينطق عن الهوى إن هو إلا

١- المحفه: المركب كالهودج، إلا أنّ الهودج يقبب، والمحفه لاتقبب؛ راجع لسان العرب.

وحي يوحى بحقّ عمار بن ياسر:

«أن أبشر عمار، تقتلك الفئة الباغية، آخر زادك من الدنيا ضياح لبن».

فيجعله الرمز ورايته رايه الحق، يستعين بها من تصيبه غفله أو ضلاله أو حيره، إما إلى الجنة وإما إلى النار، فينتظر برهه ثم يحسم أمره ليكون على بصيره من أمره لا يشوبها ريب أو نقصان أبداً، أو أنه من باب ليطمئن قلبي لا غير.

فإن دلت هذه العلامة المنحصرة بعمار رضوان الله تعالى عليه «تقتلك الفئة الباغية...» على شيء عظيم، فإنما تدل على رحمه الله تعالى بعباده، وحرص النبي (ص) على محبيه وأتباعه في أن لا- تستبد بهم الضلاله والحيره، وأن لا- تبقى الغشاوه على أعينهم طويلاً، وأن لا يتزغ الشيطان بينهم وبين الحق الذي يريدون، فيصوّر الحق ضلاله والضلالة حقاً، فتختلط عليهم الأوراق وقد يقع المحذور وسوء الاختيار، مع ضيق الوقت وخطوره الموقف وحراجه، مما لا يدع مجالاً لإعاده النظر واختيار الأصح والأصوب، فكان عمار ورايته الدليل الناصع على حقانيه الطائفه التي يقاتل عمار دفاعاً عنها، وضلاله الطائفه التي يقاتلها، وهذا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فمن لم تذكره هذه الرايه التي قدرت السماء أن يحملها عمار، والتي زينها رسول الله (ص) بقول آخر لعلي (ع) عندما ذكر عماراً:

«أما إنه سيشهد معك مشاهد أجرها عظيم، وذكرها كثير، وثناؤها حسن».

فمن لم يذكره كل هذا بمكان الحق والهدى، فهو الذي مات قلبه، أو لم يكن عنده قلب على الإطلاق، ولم يكن قد هياً سمعه وأنصت بوعى لنداء الهدى، فاستبد به العناد، فكانت عاقبته الخزي في الدنيا، والعذاب في الأخرى، وذلك هو الخسران المبين.

وخزيمه وغيره من الأصحاب الذين نور الله تعالى قلوبهم بنور الحق، يعرفون جميع هذا وغيره بحكم ملازمتهم لرسول الله (ص) ووعيمهم لأقواله وبحكم بصيرتهم النافذه في معرفه منزله على (ع) من رسول الله (ص) لهذا نراهم قد استبسلاوا في الدفاع عن على (ع) ومواقفه طيله حياتهم.

وخزيمه هو الذى دعا أن يغتسل غسل الشهاده حينما آوى إلى فسطاطه.

تقول الروايه: عن الفضيل بن دكين قال: حدثنا عبدالجبار بن العباس الشامى عن أبى إسحاق قال: لما قتل عمار، دخل خزيمه بن ثابت فسطاطه وطرح عنه سلاحه، ثم شن عليه الماء فاغتسل، ثم قاتل حتى قتل.

ليرد معركة الشهاده التى تيقنها كأنه يراها أمام عينيه وهو يرى عماراً على ترابها صريعاً شهيداً، وخزيمه يردد: لقد سمعتها من رسول الله (ص): «عمار تقتله الفئة الباغية».

وفى روايه: أن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: كنت بصفين فرأيت رجلاً ملثماً يقاتل الناس قتالاً شديداً يميناً وشمالاً، فقلت: يا شيخ، أتقاتل الناس يميناً وشمالاً؟!

فحسر رضوان الله عليه عن عمامته ثم قال:

سمعت رسول الله (ص) يقول: «قاتل مع على جميع من يقاتله».

وأنا خزيمه بن ثابت الأنصارى.

ثم راح يواجه الموت بقلب متلهّف للشهاده، متيقن لأجرها وثوابها، وهو يرتجز قائلاً:

قد مرّ يومان وهذا الثالث

هذا الذى يلهث فيه اللاهث

هذا الذى يبحث فيه الباحث

كم ذا يرجى أن يعيش الماكت

الناس موروث ومنهم وارث

هذا على من عصاه ناكث

وظل خزيمه يقاتل حتى استشهد بجوار الصحابى الجليل عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليهما؛ ووقع هذا سنه سبع وثلاثين هجرية.

ثم راحت ضبيعه بنت خزيمه بن ثابت التى عرفت بإيمانها وولائها للإمام على سلام الله عليه ترثى أباهما صاحب الشهادتين:

عين جودی علی خزیمه بالدمع

قتیل الأحزاب یوم الفرات

قتلوا ذا الشهادتین عتواً

أدرک الله منهم بالتراب

قتلوه فی فتيه غیر عزل

یسرعون الركوب للدعوات

نصروا السيد الموفق ذا العد

ل ودانوا بذاک حتی الممات

لعن الله معشراً قتلوه

ورماهم بالخزى والآفات

وانطلق عبدالله يزيد بن عاصم الأنصارى يرثى من قتل من أصحابه، وخزيمه رضوان الله عليه كان واحداً منهم، قائلاً:

يا عين جودى على قتلى بصفيناً

أضحوا رفاتاً وقد كانوا عرانيناً

أنى لهم صرف دهر قد أضر بنا

تباً لقاتلهم فى اليوم مدفوناً

كانوا أعزه قومی قد عرفتهم

مأوى الضعاف وهم يعطون ماعوناً

أعزز بمصرعهم تباً لقاتلهم

على النبى وطوبى للمصابينا(١)

هذا، وهناك قول بأنّ ذا الشهادتين توفى فى زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وأنّ الذى استشهد مع الإمام على (ع) فى صفين هو صحابى آخر يحمل الإسم نفسه، أى خزيمه بن ثابت، إلا أنه ليس المعروف بذى الشهادتين؛ وهو قول شاذ، لأنه أولاً: مخالف لما أجمع عليه علماء السير من أنّ الذى استشهد فى معركة صفين هو خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين، وأنه لم يمت فى عهد عثمان.

وثانياً: لعدم وجود صحابى بهذا الإسم، أى خزيمه بن ثابت غير المتصف بذى الشهادتين.

الإمام على (ع) يندب إخوانه ويعطى عليهم ومنهم ذو الشهادتين

وقد راح الإمام على (ع) يذكر إخوانه كما كان يسميهم، الذين استشهدوا فى معركة صفين ويشيد بهم ويتمنى وجودهم، وكان الحزن يعتصر قلبه على مصرعهم، وهو يرى تخاذل جنده وأتباعه وتباطئهم فى الاستجابة له حينما يستحثهم لمواصله المرحله الثانيه من القتال ضد معاويه وجنده، ومما قاله سلام الله عليه:

«...ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين إلا يكونوا اليوم أحياء؟»

يسغون الغصص ويشربون النقى! قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم, وأحلهم دار الأمن

١- وقعه صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٦٤٣٦٦.

بعد خوفهم».

ثم راح يندبهم ويصفهم بالأخوه، ويعدد نماذج منهم قائلاً:

أين إخوانى الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟! أى: استقاموا فيه لم ينحرفوا إلى هنا وهناك، لا يبتغون عنه بدلاً.

أين عمار؟!!

وأين ابن التيهان؟!!

وأين ذوالشهادتين؟! وهو خزيمه بن ثابت، والإمام سلام الله عليه راح يناديه بلقبه الذى جعله رسول الله (ص) له، أن عدّ شهادته منفردة قائمه مقام شهاده رجلين.

وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المتيه، وأبرد بروؤسهم إلى الفجره؟!!

ثم ضرب بيده على لحيته الشريفه الكريمه، فأطال البكاء ثم قال (ع):

«أوه على أخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنه وأماتوا البدعه، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه».

وبعد إطرائه عليهم رضوان الله عليهم نادى بأعلى صوته:

«الجهاد الجهاد عباد الله».(١)

ذو الشهادتين فى كتب علماء الرجال

كان طبيعياً أن يحتل خزيمه بن ثابت مكانة قيمة عند علماء الرجال والحديث من الفريقين، لما تمتّع به هذا الصحابى الجليل من إيمان وثيق، وصدق حديث وروايه، استحق بها اللقب العظيم «ذو الشهادتين» الذى أضفاه عليه النبى الكريم (ص)، تضاف إلى سجله الحافل بالمواقف الجهاديه طوال حياته الإيمانيه المباركه.

ففى رجال الشيخ الطوسى قدس السره:

خزيمه بن ثابت من أصحاب رسول الله. وعده مع توصيفه بذى الشهادتين فى أصحاب على (ع). (١).

فيما قال عنه البرقى فى آخر رجاله:

هو من الإثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر حيث قال: ألت تعلم يا أبابكر أن رسول الله (ص) قبل شهادتى وحدى.

قال: بلى.

قال: فإنى أشهد بما سمعته منه وهو قوله: «إمامكم بعدى على (ع) لأنه الأنصح لأمتى والعالم فيهم».

أما فى العيون فقد ذكره: إنه من الذين مضوا على منهاج نبيهم، ولم يغيروا

ولم يبدلوا. (٢).

وأما الكشى، فقد ذكر أكثر من روايه تبين مواقفه دفاعاً عن الإمامه الحقه المتمثله بأمر المؤمنين على (ع) منها:

الروايه الأولى: روايه اغتساله قبل قتاله فى صفين التى ذكرناها.

الروايه الثانيه: روايه أنه سل سيفه فى صفين قائلاً: سمعت رسول الله (ص) يقول: «عمار تقتله الفئه الباغيه» التى ذكرناها.

الروايه الثالثه: جعفر بن معروف قال: حدثنى محمد بن الحسن عن جعفر بن بشير عن حسين بن أبى حمزه عن أبى حمزه قال: والله، إنى على ظهر بعيرى فى البقيع إذ جاءنى رسول فقال: أجب يا أبا حمزه فجئت وأبو عبد الله (ع) جالس، فقال: «إنى لأستريح إذا رأيتك».

ثم قال: «إن أقواماً يزعمون أن علياً (ع) لم يكن إماماً حتى شهر سيفه، خاب إذن عمار وخزيمه بن ثابت وصاحبك أبو عمره، وقد خرج يومئذ صائماً بين الفئتين بأسهم فرماها

١- رجال الشيخ الطوسى: ٥.

٢- راجع أسماءهم فى ترجمه جندب بن جناده فى رجال الحديث للخوئى.

قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى حتى قتل، يعنى عماراً. (١)

وذكر السيد الخوئي قدس السرّه في رجال الحديث سبب تسميته أو توصيفه بذى الشهادتين عن كتاب الكافي، كتاب الشهادات ٥ باب النوادر ٢٣، ح ١ في المجلد: ٨ ونقل السيد الخوئي أيضاً أقوال جمع من علماء الرجال ذكرنا بعضها أعلاه، فانظر ترجمته هناك مفصّله.

وهكذا تحدث عنه علماء آخرون كالذهبي في كتاب سير أعلام النبلاء، فقد قال عنه: خزيمة بن ثابت الفقيه أبو عماره الأنصاري الخطمي المدني ذو الشهادتين، قيل: إنه بدرى، والصواب إنه شهد أحداً وما بعدها؛ وله أحاديث.

وكان من كبار جيش علي (ع) فاستشهد معه يوم صفين.

حدث عنه ابنه عماره، وأبو عبدالله الجدلي، وعمرو بن ميمون الأودي، وإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص وجماعه.

قتل رضی الله عنه سنه ٣٧هـ، وكان حامل رايه بنى خطمه؛ وشهد مؤته. (٢)

وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وطبقات المحدثين وغيره مع بعض ما رواه عن النبي (ص).

وختاماً

لقد حظى هذا الصحابي الجليل رضوان الله تعالى عليه بما تمناه، ألا وهو الشهادة في سبيل الله تعالى، التي ختم بها عمره البالغ سبعين سنه، إذا ما أخذنا بما ذكره بعض من كتب عن خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين، وإن لم أعر على دليل تاريخي يثبت فيما تيسر لي من مصادر تاريخيه، من أنه ولد قبل البعثة النبويه المباركه بعشرين سنه، فيكون عمره حين استشهاده رضوان الله تعالى عليه سبعين سنه؛ فهو شيخ كبير، ويعد من مشايخ المسلمين الذين نالوا وسام الشهاده في معركة صفين بعد عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه.

فسلام عليك نفساً مطمئنَةً آمنت بربها، فرحلت إليه راضيه مرضيه

١- راجع: ترجمه عمار: ٣.

٢- سير أعلام النبلاء ٢٠: ٤٨٥.

(١٩) حذيفه بن اليمان

إشاره

محسن الأسدي

صحابه مبارکه، فاز فيها قوم، وخسرها آخرون! آمنت بها طائفه فأحسنتم، وضلت عنها أخرى فأساءت! ضمت أبراراً آمنوا بالله وأحبوا رسوله وصدقوه، وشدوا أزره ودافعوا عنه، فاستحقوا أن يدافع الله عنهم، وهو ما نصت عليه الآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا).

وحذيفه بن اليمان واحد من أولئك الصحابه، وممن نالوا تلك الصحبه المباركه، ورعوها حق رعايتها، بل وتفوقوا من بين طلاب مدرستها الربانيه بدرجات كانت محل رضا الله تعالى، وقبول رسوله ٩.

لقد حظى هذا الصحابي الجليل بصحابه رسول الله (ص) حتى أنه ولشده قربه من الرسول (ص) وثقته به، وعلو منزلته لديه عرف بين الصحابه بأنه صاحب سر رسول الله (ص) من المهاجرين.

نسبه

وحذيفه هذا هو ابن حسيل.

ويقال: حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مالك 7 و كان يقال لحسيل هذا: اليمان.

ويقال: اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروه بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن قطيعه بن عبس بن بغيض بن ريث.

وفى نسبه اختلاف.

وقيل فيه: جروه وهو اليمان، من ولده حذيفه.

وكنيته أبو عبدالله العيسى.

وكان حليفاً لبني عبد الأشهل.

اليمان

وفى سبب تسميه حذيفه باليمان:

قال ابن منظور: وإنما قيل اليمان، لأنّ جروه أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينه، فحالف بني عبد الأشهل وتزوج منهم، فسماه قومه: اليمان، لمحالفته اليمانيه.

هذا فيما يخص نسبه من أبيه.

وأما أمه ونسبها، فهي الرباب، بنت كعب بن عدى، بن كعب بن عبد الأشهل.

إسلام حذيفه

ما أن راح الإسلام، ونوره يعم الأطراف البعيده عن مكه، بعد أن قضى رسول الله (ص) ثلاث عشره سنه، يدعو فيها قومه وما حولهم إلى نبد عباده الأصنام والأوثان، وعباده الله الواحد القهار، حتى اضطروه أخيراً للهجره إلى حيث يثرب التي فتحت أذرعها لاستقبال رسول الرحمه ودعوته المباركه، ثم قيض الله سبحانه وتعالى له أناساً آخرين غير الذين آمنوا به وكانوا من السابقين، أناساً أبوا إلاّ الالتحاق بركبه، ركب الإيمان، حيث ما نأى به الزمن وبعيد به المكان، فكل ذلك لا يمنع الذين وفقهم الله لأن يكونوا جزءاً من دينه، يحملوا لواءه، ويبلغوا رسالته، ويشدوا أزر نبيه، بقوه اليقين، وصلابه الإيمان، والحق الذى يحملون.

فكانوا بهذا حجه على غيرهم من الذين عاشوا في مدرسه الصحبه المباركه، إلا أنهم لا يدركون منزلتها، ولا يتدبرون معانيها، ولا يعون منهجها وأهدافها، فكانوا كمن يقرأ القرآن بلا تدبر ولا إمعان نظر، وبالتالي لا ينتفعون بما يقرؤون.

فقد وفق كل من حذيفه وأبيه (وفى روايه كان أخوه صفوان ثالثهم) لاعتناق الإسلام، ولكن بعد أن هاجر الرسول (ص) إلى المدينه، فقدما إليها ليسلما على يدى رسول الرحمه ٩ وبيناهم فى طريقهما إلى المدينه، إذ بمشركى مكه يمنعونهما من المسير، وقالوا لهما: إنكما تريدان محمداً!

قالا: ما نريد إلا المدينه، فعاهدوهما ألا يقاتلا مع النبى (ص).

ودخل حذيفه وأبوه المدينه قبيل بدر، فعرضاً أمرهما على النبى (ص) وقالا: إن شئت قاتلنا معك.

فقال: بل نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم، ولذا لم يشهد حذيفه وأبوه بدرًا.

المؤاخاه الواعيه

وقد آخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال (ص) كما ذكر ابن هشام فى السيره النبويه : تأخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب (ع) فقال: هذا أخى.

فكان رسول الله الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلى بن أبى طالب (ع) أخوين....

وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم، وحذيفه بن اليمان أخو بنى عبد عبس، حليف بنى عبد الأشهل أخوين، رضوان الله عليهما.

وتركت هذه الأخوه الواعيه الواعده، أثرها الكبير فى قلوب المهاجرين والأنصار، وقربت كثيراً بينهم.

وهذان الصحبايان كانا قمه فى الإيمان والجهاد ونفوذ البصيره، حتى أن حذيفه كان يرى

ويوصى من حوله بالتزام المنهج الذى ينتهجه الصحابى الجليل عمار، وأنّ به خلاصهم من الفتن جميعاً مهما أظلمت عليهم، ولم يكن هذا الموقف من حذيفه منطلقاً من هوى، أو عاطفه الحب التى تجمع به بأخيه فى الدين عمار، وإنما مبنيه على ما سمعه ووعاه من رسول الله (ص) بحق هذا الصحابى الكبير، وأنه لا يقف إلا مع الحق وأهله.

فهذا محمد بن عباد بن موسى قال: حدثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا مسلم ابن الأعور عن حبه بن جوين العرنى، أنه قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفه بالمدائن، فدخلنا عليه فقال: مرحباً بكما ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحبّ إليّ منكما، فأسندته إلى أبى مسعود فقلنا: يا أبا عبد الله! حدثنا فإننا نخاف الفتن!

فقال: عليكم بالفئه التى فيها ابن سميّه، إني سمعت رسول الله (ص) يقول:

«تقتله الفئه الباغيه الناكبه عن الطريق، وأنّ آخر رزقه ضياح من لبن».

قال حبه: فشهدته يوم صفين وهو يقول: ائتوني بأخر رزق لى من الدنيا.

فأتى بضياح من لبن فى قده أروح له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفه مقياس شعره، فقال:

اليوم ألقى الأحبه

محمدأ وحزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، وجعل يقول:

الموت تحت الاسل والجنه تحت البارقه.

وجاءه على روايه نعى أخيه عمار بن ياسر فى معركة صفين، وهو بالمدائن، والياً عليها، ففقد بفقده أخواً مؤمناً عظيماً مجاهداً كريماً، رضوان الله عليه (١).

جهاد ومواقف واعيه

عرف هذا الصحابى بمواقفه الجهاديه العديده، سواء تلك التى كانت فى عهد رسول الله (ص) أو التى وقعت بعده فى عهد الخلفاء، وها نحن نشير إلى ما تيسر لنا منها:

١- أنظر تاريخ الطبرى ٣: ٩٨، السيره النبويه لابن هشام ٥٠٤: ٢، ٥٠٦، مختصر تاريخ دمشق: ٦.

لم يشهد بدرًا!

نعم غاب حذيفه وأبوه عن معركة بدر الكبرى، وكان هذا منهما رعاية للعهد الذي قطعاه مع المشركين.

وها هو يذكر لنا سبب عدم اشتراكه في المعركة المذكورة حيث يقول: ما منعتني أن أشهد بدرًا إلاّ- أنى خرجت أنا وأبى الحسيل، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمداً فقلنا: ما نريد إلاّ المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه.

فأتينا النبي (ص) فأخبرناه الخبر.

فقال: نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم.

شهد معركة أحد

وقد ترك لنا فيها موقفاً يدل على عظمه الرجل، وصلابه إيمانه و يقينه بالقضاء

والقدر، وهو صاحب الكلمة المعروفة التي راح لسانه يرددها في سماء المعركة بصدق وإخلاص

يغفر الله لكم...!

فقد شهد هو وأبوه معركة أحد، وأبليا فيها بلاءً حسناً، وفي أثناء القتال أخطأ بعض المسلمين فحملوا على حسيل والد حذيفه فقتلوه اشتباهاً، وكان ذلك على مرأى من حذيفه، الذي راح يصيح بهم، ولكنهم لم يسمعه حتى نفذ قضاء الله في أبيه رضوان الله عليه، حين قضى نحبه في ساحه المعركة لا- بسيف أعداء الله ورسوله من مشركى مكة وحلفائها، بل بسيف إخوانه المسلمين.

ففى ميدان هذه المعركة حانت من حذيفه نظره، فإذا به يرى أباه وسيوف إخوانه من المجاهدين المسلمين تنهال عليه اشتباهاً، يظنونه واحداً من المشركين... فما كان من حذيفه إلاّ أن راح يصرخ بهم بقوه، فلعله بهذا ينقذ أباه: أبى أبى!

ويكرر صياحه: إنه أبى إنه أبى!

ولكن القضاء الذى لامرّد له نزل بأبيه المؤمن المجاهد الصابر!

حزن المقاتلون المسلمون على أبى حذيفه، ووجموا حين عرفوا أنهم يقتلون رجلاً منهم، وراحت نظراتهم تتسابق حائرة مدهوشة تتجه هنا وهناك تاره نحو حذيفه وأخرى نحو أبيه الذى أردوه قتيلاً، يلاحقها الألم والندم على ما فعلوه.

نظر حذيفه إليهم نظرات طويلة يوزعها عليهم، وهو يرى أباه صريعاً بسيوفهم، ومع ما تحمله نظراته تلك من ألم وحرقة وحزن، راحت تحمل معها العفو والرحمة والمغفرة والشفقة عليهم، ويمكننا أن نجد هذا مجسداً فى ملامح وجهه، ونحن نقرأ ما كانت شفاهه تردده:

" يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين "!!!

ونجد كل هذا أيضاً حينما تصدق بديه أبيه التى أعطيت له، أو أعطاهما له النبى (ص) فما إن استلمها حتى تصدق بها على فقراء المسلمين، وهنا دعا له رسول الله (ص) بخير.

إنه ذو إيمان وثيق وولاء عميق، جعله محباً لمن حوله متسامحاً يحسن الظن بإخوانه!

وإنه لموقف عظيم وكريم، زاده حباً فى قلب رسول الله (ص) وقلوب المسلمين، وظل ذكراً طيباً له!

وهذا نص الروايه التى تحكى لنا ذلك:

فى معركة أحد قتل المسلمون أباه "حسيل بن جابر" اشتباهاً، حيث كانوا لا يعرفونه مما جعلهم ذلك يدفعون ديته إلى ابنه حذيفه، الذى قام بدوره بالتصدق بها على المسلمين.

وفى روايه: إنَّ أباً حذيفه قتل مع النبى (ص) يوم أحد، أخطأ به المسلمون، فجعل حذيفه يقول لهم: أبى، أبى، فلم يفهموا حتى قتلوه.

فقال حذيفه: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

فزادت حذيفه عند رسول الله (ص) خيراً، وأمر به فأورى، أو قال: فأودى. (١)

١- أنظر تاريخ الطبرى ٢: ٧٣، و مختصر تاريخ دمشق ٦: ٢٤٩، وغيرهما من المصادر.

و شهد حذيفه معركة الأحزاب

كان حذيفه واحداً ممن شارك في حفر الخندق، بل كان واحداً من عشرة على رأسهم سلمان الفارسي، وثلاثة من المهاجرين، وستة من الأنصار، وحصتهم أربعون ذراعاً، يحفرونها من الخندق، وهو خط خطه لهم رسول الله (ص) حيث إن رسول الله (ص) وزع الخندق حصصاً بين المشاركين لإنجاز حفره.

وقد فازت هذه الثلثة من الصحابة بأن يكون سلمان فيها، بعد أن تمنى كل من المهاجرين والأنصار و كل جماعه من المسلمين أن يكون سلمان فيهم، فقالت الأنصار: «سلمان منا»، فيما قال المهاجرون: «سلمان منا»، وحسم رسول الله (ص) هذا بقوله المعروف: «سلمان منا أهل البيت».

وهذه الفضيله حظيت بها جماعه حذيفه بن اليمان بانضمام سلمان إليها، ليكون واحداً منها في مهمه حفر الخندق، فاستبشروا بوجوده المبارك بينهم خيراً.

وهناك فضيله أخرى حظى بها هذا الفريق دون الآخرين، وهو قصه الصخره التي أخرجها الله تعالى من بطن الخندق، وكسرت حديدهم، وشقت عليهم، فتسارعوا إلى سلمان رضوان الله تعالى عليه قائلين: ارق إلى رسول الله (ص) فأخبره خبر هذه الصخره، فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نجاوز خطه.

فرقى سلمان حتى أتى رسول الله (ص) وهو ضارب عليه قبه تركيه فقال:

يا رسول الله! بأبينا أنت وأمننا! خرجت صخره بيضاء من الخندق مروه، فكسرت حديدنا، وشقت علينا حتى ما نحيكك فيها قليلاً ولا كثيراً، فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نحب أن نجاوز خطك.

فهبط رسول الله (ص) مع سلمان ورقى التسعه الذين مع سلمان على شقه الخندق، فأخذ رسول الله (ص) المعول من سلمان فضربها ضربه فصدعها، وضربه ثانيه فصدعها، وضربه ثالثه فكسرها، وفي كل ضربه يخرج منها برق يضيء لابتى المدينه، ويكبر رسول الله (ص)

ويكبر معه المسلمون.... وكلها كانت تحمل بشائر نصر كما بينها وفصلها لهم رسول الله (ص). (١)

وقد بعث النبي (ص) حذيفه يوم الخندق لينظر ما صنعت قريش، فعاد إليه بخبر رحيلهم؛ كان هذا في ملاحقه واعيه للموقف، حين أراد رسول الله (ص) وبعد أن دب الذل والعار والفشل في صفوف المشركين من قريش، ومن حالفهم من اليهود وغيرهم أن يطلع على موقفهم وما حل بهم.

فراح رسول الله (ص) يفكر فيمن ينتدبه ويختاره، ليتولّى هذه المهمه الخطيره، فيدخل معسكر المشركين ويقتحمه، ليلو أمرهم ويعرف أخبارهم.

وفى ليله مظلمه ورياح عاصفه صاحبه، وقد أضنى التعب والجوع والحصار الذى دام شهراً أو يزيد أصحاب رسول الله (ص)، وقع اختيار الرسول (ص) على هذا الصحابي الجليل، فدعاه إليه وأوكل له هذا الأمر، فلبى حذيفه ما طلبه منه رسول الله (ص) وها نحن ندعه يفصل لنا هذه المهمه:

قال رجل لحذيفه: أشكو إلى الله صحبتكم رسول الله (ص) فإنكم أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره.

وفى روايه أخرى: لو أدركت رسول الله (ص) لقاتلت معه وأبليت معه!

وفى روايه ثالثة: إن فتى من أهل الكوفه قال لحذيفه بن اليمان: يا أبا عبدالله، رأيتم رسول الله وصحبتموه؟!

قال: نعم يا ابن أخي.

قال: فكيف كنتم تصنعون؟

قال: والله لقد كنا نجهد.

فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض، ولحملناه على أعناقنا...

قال حذيفه: ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه، والله ما ندري لو أنك أدركته كيف

١- أنظر لتفصيل هذا الأمر تاريخ الطبرى ٢: ٩١، ٩٢، وغيره من المصادر.

كنت تكون! لقد رأينا مع رسول الله (ص) ليله الخندق، ليله بارده مطيره أو أخذتنا ريح شديد وقمر، إذ قال رسول الله (ص):

«هل من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم، جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة؟».

فما قام منا أحدٌ، أو فسكتنا فلم يجبه أحد.

ثم قال: «هل من رجل يذهب، فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة؟».

قال: فوالله ما قام منا أحد.

قال: «هل من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم، جعله الله رفيق في الجنة؟».

فما قام منا أحد.

فقال أبو بكر: يا رسول الله ابعث حذيفه.

قال حذيفه: فقلت: دونك، فوالله ما قال رسول الله (ص): يا حذيفه حتى قلت:

يا رسول الله بأبي وأمي أنت، والله ما بي أن أقتل، ولكني أخشى أن أؤسر.

وفى روايه: لم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم.

فقال رسول الله (ص): «إنك لن تؤسر».

فقلت: يا رسول الله، مرني بما شئت.

فقال: «اذهب حتى تدخل في القوم فتأتي قريشاً فتقول:

يا معشر قريش، إنما يريد الناس أن يقولوا غداً: أين قريش؟ أين قادة الناس؟ أين رؤوس الناس؟ تقدموا، فتقدموا، فتفضلوا بالقتال، فيكون القتل بكم».

ثم أتت كنانة فقل: يا معشر كنانة إنما يريد الناس غداً أن يقولوا: أين كنانة؟ أين رماة الحدق؟ تقدموا، فتقدموا فتفضلوا بالقتال، فيكون القتل بكم».

ثم أتت قيساً فقل: يا معشر قيس، إنما يريد الناس غداً أن يقولوا: أين قيس؟ أين أحلاس الخيل؟ أين فرسان الناس؟ تقدموا، فتقدموا فتفضلوا بالقتال، ويكون القتل بكم».

ثم قال لى: «ولا تحدث فى سلاحك شيئاً».

ويواصل حذيفه حديثه حول هذه المهمه التى لم يفز بها إلا هو حيث يقول:

فذهبت فكننت بين ظهراى القوم، أصطلى معهم على نيرانهم، وأذكر لهم القول الذى قال لى رسول الله (ص):

أين قرىش؟ أين كنانه؟ أين قيس؟

حتى إذا كان وجه السحر قام أبوسفيان يدعو باللات والعزى ويشرك.

ثم قال: نظر رجل من جلسه؟ قال: و معى رجل يصطلى، قال: فوثبت عليه مخافه أن يأخذنى فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان؛ قلت: أولى.

فلما رأى أبو سفيان الصبح، قال أبوسفيان: نادوا: أين قرىش؟ أين رؤوس الناس؟ أين قادة الناس؟ تقدموا.

قالوا هذه المقالة التى أتينا بها البارحة؛ ثم قال: أين كنانه؟ أين رماه الحدق؟ تقدموا؛ فقالوا هذه المقالة التى أتينا بها البارحة؛ ثم قال: أين قيس: أين فرسان الناس؟ أين أحلاس الخيل؟ تقدموا.

فقالوا هذه المقالة التى أتينا بها البارحة؛ قال فخافوا فتخاذلوا، و بعث الله عليهم الريح، فما تركت لهم بناء إلا هدمته، و لا إناء إلا أكفته، و تنادوا بالرحيل.

قال حذيفه: حتى رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول، فجعل يستحثه للقيام، و لا يستطيع القيام لعقاله.

وفى خبر آخر عن حذيفه نفسه يقول فيه:

وخشى أبوسفيان قائد قرىش، أن يفجأهم الظلام بمتسللين من المسلمين، فقام يحذر جيشه، و سمعته يقول بصوته المرتفع:

«يا معشر قرىش! لينظر كل منكم جلسه، وليأخذ بيده، وليعرف اسمه».

وهنا يقول حذيفه:

فسارعت إلى يد الرجل الذى بجوارى، وقلت له: من أنت..؟ قال: فلان بن فلان.

وبهذا العمل أمّن حذيفه وجوده بسلام بين جنود مشركى قرىش.

ثم واصل حذيفه كلامه حول ما قاله أبو سفيان لجيشه المهزوم قائلاً:

واستأنف أبو سفيان نداءه إلى الجيش قائلاً:

يا معشر قريش... إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام.. لقد هلكت الكراع أى الخيل والخف أى الإبل وأخلفتنا بنو قريظه، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدّه الريح ما لا تظمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنى مرتحل...

ثم نهض فوق جملة، وبدأ المسير فتبعه المحاربون...

وقال حذيفه: فوالله لولا- ما قال لى رسول الله (ص): ولا تحدث فى سلاحك شيئاً لرميته من قريب، وفى روايه أنّ رسول الله (ص) قال له: ولا تدعهم على.

وعن رعايته وحرصه الشديد على الالتزام بأمر رسول الله (ص) وعدم مخالفته، يقول حذيفه: فلما وليت من عنده أى من عند رسول الله (ص) جعلت كأنما أمشى فى حمام، حتى آتيهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار، فوضعت سهماً فى كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله (ص): لا تدعهم على ولو رميته لأصبتة، فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام.

قال: و سار القوم، و جئت رسول الله (ص) فأخبرته، فضحك حتى رأيت أنيابه.

وفى روايه: فلما أتيتته فأخبرته قررت، فألبسنى رسول الله (ص) فضل عباءه كانت عليه يصلى فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان.

وفى حديث آخر يقول حذيفه:

ثم إنى شجعت نفسى حتى دخلت المعسكر، فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون: يا آل عامر، الرحيل الرحيل لا مقام لكم، وإذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفرشهم، الريح تضربهم بها.

ثم خرجت نحو النبى (ص) فلما انتصف الطريق أو نحو ذلك إذا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمّين فقالوا: أخبر صاحبك أنّ الله تعالى كفاه القوم، فرجعت إلى رسول الله (ص) وهو مشتمل فى شمله يصلى، فوالله ما غدا أن رجعت راجعتى القر وجعلت أقرقف «يرعد من البرد»، فأوحى إلى رسول الله (ص) بيده وهو يصلى، فدنوت منه فأسبل

على شملته، وكان رسول الله (ص) إذا حزبه أمر صلى؛ فأخبرته خبر القوم وأخبرته أنى تركتهم يترحلون فأنزل الله عز وجل:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } (١).

ولذا نرى هذا الصحابي الجليل يوصى ويؤكد، لا فقط لمن معه من المؤمنين بل للآتين من بعدهم حيث يقول:

تعودوا الصبر وفي روايه: تعودوا البلاء فيوشك أن ينزل بكم البلاء مع أنه لا يصيبكم أشد مما أصابنا ونحن مع رسول الله (ص).

وشهد غير ذلك من المشاهد مع النبي (ص) ولم يتخلف عنه قط.

معركة نهاوند وفتوحاته الأخرى

كما عرف حذيفه بفروسيته في اقتناص المنافقين، الذين يظهرون الإيمان والتوحيد والحب، ويبطنون الكفر والشرك والحدق على دين الله تعالى، والكره لكل من اعتنقه، عرف أيضاً بشجاعته وبفروسيته في ميادين الجهاد، وترى ذلك بوضوح في معركة نهاوند، بعد أن اختاره الخليفة الثاني عمر بن الخطاب معاوناً لقائد جيش المسلمين يومذاك النعمان بن مقرن، وقام كل منهما بتجهيز جيشه ليقابل مائه وخمسين ألفاً من فرسان بلاد فارس المدرعين، وما إن اشتدت المعركة بين الفريقين واستشهد النعمان، حتى بادر حذيفه، والتقط رايه جيش المسلمين بعد أن كتم هو ومن معه مصاب أميرهم النعمان، حتى ينظروا ما يصنع الله تعالى فيهم وفي عدوهم لكيلا يهن الناس؛ وراح يحصد الأعداء ويديم أوار المعركة، وفتحت كل من همدان والرى والدينور على يديه؛ وعندما انتهت المعركة أخبر أخا النعمان وهو نعيم بن مقرن بوفاه أخيه النعمان، وجعله قائداً للجند تكريماً له ولأخيه.

١- أنظر تاريخ الطبري ٢: ٩٧ ٩٨؛ و مختصر تاريخ دمشق ٦: ٢٥٤ ٢٥٦؛ ومجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ الطبرسي؛ سورة الأحزاب: ٩.

وفى قول من أقوال آخر: أنّ حذيفه مضى سنه إحدى وعشرين بعد نهاوند إلى مدينه نهاوند، فصالح أهل ماه دينار، وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم، لا- يغيرون عن مله ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، ولهم المنعه ما أدوا الجزية في كلّ سنه إلى من وليهم من المسلمين من مر بهم فأوى إليهم يوماً وليله ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئه...

وأيضاً صالح أهل آذربيجان سنه اثنتين وعشرين بعد وقعه نهاوند بسنه على أن يدفعوا ثمانمائه ألف درهم...

وأنه غزا ما سبذان، فافتتحها عنوه، وقد كانت فتحت من قبله فانتقضت.

ثم غزا همدان على قول فافتتحها عنوه، ولم تكن فتحت قبل ذلك، ثم غزا الرى فافتتحها عنوه، ولم تكن فتحت قبل ذلك، وإليها انتهت فتوحه رضوان الله عليه.

وشارك هو وجمع من أصحاب رسول الله (ص) حيث كان معه الحسن والحسين □ وعبدالله بن عباس وآخرون، وبقياده سعيد بن العاص فى فتح آذربيجان.

وقد اشتد القتال فى منطقته طميسه من تخوم جرجان، وقاتلهم أهلها بضراوه، حتى أن سعيداً صلّى بجنوده صلاه الخوف بعد أن سأل حذيفه عن الصلاه: كيف صلى رسول الله (ص)؟ فأخبره فصلى بهم سعيد صلاه الخوف وهم يقتتلون. (١)

فراسته

عرف هذا الصحابى الجليل بأنه ذو فراسه وقدره على استقراء الوجوه من حوله؛ لهذا فقد كان يستخدم فراسته وقدرته الفائقة هذه فى معرفه المنافقين الذين كانوا يخفون أنفسهم بين المسلمين ويكيدون لهم؛ يضاف إلى هذا أنّ النبى (ص) كان يطلع حذيفه على أسماء المنافقين، وأسّر إليه بذلك، فكان يسمى: كاتم سرّ الرسول، صاحب سرّ الرسول؛ وفى هذا جاءت روايات:

١- أنظر تاريخ الطبرى ٢، حوادث سنه: ٢١ ٢٢ وغيره.

ففى روايه عن نافع بن جبير بن مطعم أنه قال:

لم يخبر رسول الله (ص) بأسماء المنافقين الذين بخسوا به ليله العقبه بتبوك غير حذيفه، وهم: اثنا عشر رجلاً ليس فيهم قرشى، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم.

وسياتينا عن الإمام على (ع) فى مناقب حذيفه، أنه كان أعلم الناس بالمنافقين، وأنه علم المعضلات والمفصلات.

وقد ورد أنّ الخليفه الثانى عمر بن الخطاب كان لا يصلى على جنازه حتى ينظر أحضرها حذيفه أم غاب عنها، فإن حضرها حذيفه صلى عليها وإلا فلا.

وفى روايه: إذا مات ميت سأل هل سيصلى عليه حذيفه؟ فإن أجيب عليه بنعم، صلى عليه عمر، وإلا فلا، حذراً من أن يصلى على منافق.

حذيفه ودرس الصدقات

أبكت الصدقات حذيفه طويلاً وكانت درساً كبيراً له وامتحاناً عظيماً لإيمانه وصدقه ونزاهته، فقد ورد أنّ النبى (ص) استعمله على بعض الصدقه.

فلما قدم قال: «يا حذيفه! هل رزى من الصدقه شىء؟».

قال: لا يا رسول الله، أنفقنا بقدر، إلا أنّ ابنه لى أخذت جدياً من الصدقه.

قال: «كيف بك يا حذيفه إذا ألقى فى النار وقيل لك: ائتنا به؟!».

قال الراوى: فبكى حذيفه، ثم بعث اليها فجىء بها، فألقاها فى الصدقه.

ولاؤه و حبه لأهل البيت:

كان واحداً من أصحاب الإمام على (ع) ومن أحبائه المخلصين:

و لطلما كان الإمام على (ع) يذكر أصحابه بخير ويثنى عليهم، حتى ورد أنه سئل (ع) عن بعض أصحابه ومنهم ابن مسعود وعمار وسلمان وأبوذر وكان يجيب بذكر مناقب كل واحد منهم.

فعن قيس بن حازم أنه قال: سئل علي بن أبي طالب (ع) عن... وسئل عن حذيفه فقال: «أعلم الناس بالمنافقين».

وفي حديث عن النزال بن سبره الهلالي أنه قال:

واقفنا من علي بن أبي طالب (ع) ذات يوم طيب نفس ومراح، فقلنا: يا أمير المؤمنين، حدثنا عن أصحابك؛ وذكر الحديث وفيه قلنا: فحدثنا عن حذيفه.

قال: «ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالماً».

وقبل وفاته رضوان الله تعالى عليه بايع علياً ٧ وراح يوصي الناس بطاعته، كما أمر أولاده بالقتال تحت رايه الإمام أمير المؤمنين علي (ع) وفعلاً قاتلا تحت رايته، حتى قتلا بمعركة صفين. (١)

وقد عرفت أم حذيفه أنها كانت من الصحابيات الفاضلات، وقد عرفت أيضاً بحبها لأهل بيت النبوه والطهاره حتى ورد أن حذيفه قال:

سألنتي أمي: منذ متى عهدك بالنبى (ص)؟

قال: فقلت لها: دعيني حتى آتى النبى (ص) فأصلى معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لى ولك.

قال: فأتيت النبى (ص) فصليت معه المغرب، فصلى النبى (ص) العشاء، ثم انفتل فتبعه، فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته، فسمع صوتى فقال: من هذا؟

فقلت: حذيفه.

فقال: مالك؟

فحدثته بالأمر.

فقال: غفر الله لك ولأمك، ثم قال: أما رأيت العارض الذى عرض لى قبيل؟ وفى روايه أخرى: «يا حذيفه هل التفتت إلى الحاله التى كنت عليها؟»

قال: قلت: بلى.

قال: فهو ملك من الملائكة، لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم على، ويبشرني أن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وأن فاطمه سيده نساء أهل الجنة. (١)

مما رواه

احتل هذا الصحابي الجليل والعبد الصالح منزلةً كبيره ومقاماً محموداً في كتب الرجال من الفريقين.

وقال عنه علماء رجال الإمامية: إنه سكن الكوفة، ومات بالمدائن بعد بيعه أمير المؤمنين ٧ بأربعين يوماً، وهو من أصحاب رسول الله (ص) ومن أصحاب علي (ع) وهو من الذين مضوا على منهاج نبيهم، ولم يغيروا ولم يبدلوا، وجلاله حذيفه وولائه لأمر المؤمنين واضحه. (٢)

ولحذيفه روايات عديدة عن النبي (ص) وأكثر من الرواية، حتى ذكروا أنه روى له الشيخان مسلم والبخاري في صحيحهما ٢٢٥ حديثاً متفقاً عليها، وقد روى عن حذيفه كثير من الصحابه والتابعين، ذكر هذا في كتب الحديث للفريقين.

ومما رواه حذيفه أنه قال:

١ صليت ليلة مع النبي (ص) في رمضان، فقام يغتسل ففضلت منه فضله في الإناء، فقال: إن شئت فأرقه، وإن شئت فصب عليه.

قال: قلت: يارسول الله، هذه الفضله أحب إلي مما أصب عليه.

قال: فاغتسلت به وسترني.

قال: قلت: لا تسترني.

١- ذكر هذا الشيخ ذبيح الله المحلاتي في رياحين الشريعة، نقلاً عن ابن منده وأبي نعيم ٣: ٣٧٦.

٢- فانظر فيها كتب علماء الشيعة.

قال: لأسترنك كما سترتني.

٢ لقد حدثني رسول الله (ص) ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة.

٣ كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافه أن يدركني...

قلت: يا رسول الله فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم..

قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟

قال: نعم، وفيه دخن..

قلت: وما طخنه..؟

قال: قوم يستنون بغير سنتي.. ويهتدون بغير هديي، وتعرف منهم وتنكر..

قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر..؟

قال: نعم! دعاه على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها..

قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك...؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم...

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام...؟

قال: تعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجره حتى يدركك الموت وأنت على ذلك..!!

أرأيتم قوله: «كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافه أن يدركني»...؟

وعنه أيضاً أنه قال: كنتم تسألون عن الرخاء، وكنت أسأل عن الشده لأتقيها، ولقد رأيتني وما من يوم أحب إلي من يوم يشكو إلى فيه أهل الحاجة، إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، يا موت! غظ غيظك وشد شدك، أبا قلبي إلا حبك.

٥ خيّرني رسول الله (ص) بين الهجرة والنصره، فاخترت النصره.

٦ سألت النبي (ص) عن كل شيء حتى عن مسح الحصى فقال: واحده أو دعه.

٧ لقد حدثني رسول الله (ص) بما يكون حتى تقوم الساعة، غير أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها.

٨ قام فينا رسول الله (ص) مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره وفي روايه: فأذكر كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه.

٩ وقال أيضاً: أنا أعلم بكل فتنه هي كائنه فيما بيني وبين الساعة، وما بي أن يكون رسول الله (ص) أسرّ لي شيئاً لم يحدث به غيري، وكان ذكر الفتن في مجلس أنا فيه، فذكر ثلاثاً لا يذرن شيئاً، فما بقي من أهل ذلك المجلس غيري.

١٠ وبيت الله كما علمنا الإسلام يحتاج في زيارته إلى طهاره المظهر والمخبر، وقد روى القرطبي عن حذيفه أن النبي (ص) قال: «إن الله أوحى إليّ يا أخا المنذرين، يا أخا المرسلين، أنذر قومك ألا يدخلوا بيتاً من بيوتى إلا بقلوب سليمه، وألسنه صادقه، وأيدي نقيه، وفروج طاهره، وألا يدخلوا بيتاً من بيوتى مادام لأحد عندهم مظلمه، فإنني ألعنه ما دام قائماً بين يديّ، حتى يردّ تلك الظلامه إلى أهلها، فأكون سمعته الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصدّيقين، والشهداء والصالحين».

١١ وحدّث قائلاً: كان رسول الله (ص) إذا قام من الليل، قال: «اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله...».

١٢ وعن أبي هريره: أن حذيفه قال: لأقومن الليله، فلأمجدن ربي عزوجل.

قال: فسمعت صوتاً ورائي لم أسمع صوتاً قط أحسن منه؛ الأمر كله، علانيته وسره، اغفر لي ما سلف مني، واعصمني فيما بقي من أجلي.

١٣ وعنه أنه قال: إن أقر أيامي لعيني يوم أرجع فيه إلى أهلي، فيشكون إليّ الحاجه،

والذى نفسى بيده لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: «إنَّ الله ليتعاهد عبده بالبلاء، كما يتعاهد الوالد ولده بالخير، وإنَّ الله تعالى ليحمى عبده المؤمن الدنيا، كما يحمى المريض أهله الطعام».

١٤ بحسب المرء من العلم أن يخشى الله عزّ وجل، وبحسبه من الكذب أن يقول: استغفر الله وأتوب إليه، ثم يعود.

١٥ لو حدثتكم بحديث لكذبى ثلاثة أثلاثكم؛ أبو البخترى، وهو راوى هذا الحديث، ففطن له شاب فقال: من يصدقك إذا كذبتك ثلاثة أثلاثنا! فقال: إن أصحاب محمد ٩ كانوا يسألون رسول الله (ص) عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ قال: فقيل له: ما حملك على ذلك؟ فقال: إنه من اعترف بالشر وقع فى الخير.

١٦ وعنه أنه سأل عن ميت الأحياء فأجاب: هو الذى لا ينكر المنكر بيده، ولا بلسانه ولا بقلبه.

١٧ وعنه أنه قال من الخفيف:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

فقيل له: يا أبا عبد الله، وما ميت الأحياء؟

قال: الذى لا يعرف المعروف بقلبه، ولا ينكر المنكر بقلبه.

١٨ وعنه أنه قال: خذوا عنا فإننا لكم ثقه، ثم خذوا عن الذين يأخذون عنا، فإنهم لكم ثقه، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم؛ قالوا: لم؟ قال: لأنهم يأخذون حلوه الحديث، ويدعون مرّه ولا يصلح حلوه إلا بمرّه.

١٩ لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغرف فحدثتكم بكل ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمى حتى أقتل.

٢٠ إنَّ الحق ثقيل، وهو مع ثقله مرىء، وإنَّ الباطل خفيف وهو مع خفته وبيء، وترك الخطيئه خير من طلب التوبه، ورب شهوه ساعه أورثت حزناً طويلاً.

٢١ إنا حملنا هذا العلم وإنا نؤديه إليكم وإن كنا لا نعمل به.

وهنا يقول البيهقي عن قول حذيفه: "وإن كنا لا نعمل به"، يريد والله أعلم فيما يكون ندباً واستحباباً فلا يظن بهم أنهم كانوا يتركون الواجب عليهم ولا يعملون به، إذ كانوا يعمل الناس بما وجب عليهم، ويحتمل أن يكون ذهب مذهب التواضع في ترك التزكية.

٢٢ قيل له: مالك لا تتكلم؟ قال: إن لسانى سبع أتخوف إن تركته يأكلنى.

٢٣ ليس خياركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا خياركم من ترك الآخرة للدنيا، ولكن خياركم من أخذ من كل.

ومما قاله

الخير فى رأى حذيفه واضح، لا غبار عليه لمن أرادته وابتغاه، أما الشر فهو الذى يتنكر، ويتستر، ويختفى، ويتلون، لهذا تفرد هذا الرجل الأريب بدراسه الشر ومنابعه، والنفاق ومصادره، حتى يتجنبها؛ وليس هذا وحسب، بل راح أيضاً يهتم بالسؤال عن الشده لا عن الرخاء، ليتقى الشده وأبوابها، ويبعد الآخرين عن كل ذلك، حقاً إنه صاحب بصيره! وهذه بعض أقواله:

سئل حذيفه: أى الفتن أشد؟ قال: أن يعرض عليك الخير والشر، فلا تدرى أيهما تركب.

قال حذيفه: لا تقوم الساعه حتى يسود كل قبيله منافقوها.

قال حذيفه: إن الرجل ليدخل المدخل الذى يجب أن يتكلم فيه لله، ولا يتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبداً.

قال حذيفه: إياكم ومواقف الفتن!

قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبدالله؟

قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

وعن أم سلمه رضوان الله تعالى عليها أنها قالت: قال حذيفه: والله لو ددت أن لى إنساناً يكون فى مالى، ثم أغلق على باباً، فلا يدخل على أحد، حتى ألحق بالله عز وجل.

و له أنه قال:

إِنَّ الله تعالى بعث محمداً ٩ فدعا الإنس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب، فحيى بالحق من كان ميتاً ومات بالباطل من كان حياً، ثم ذهبت النبوه، وجاءت الخلافة على مناهجها، ثم يكون ملكاً عضواً...!!

فمن الإنس من ينكر بقلبه، ويده ولسانه.. أولئك استجابوا للحق، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه، كافاً يده، فهذا ترك شعبه من الحق، ومنهم من ينكر بقلبه، كافاً يده ولسانه، فهذا ترك شعبتين من الحق، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا بيده ولا بلسانه، فذلك ميت الأحياء.

والقلوب عند حذيفه أربعة، حيث يقول:

القلوب أربعة:

قلب أغلف، فذلك قلب الكافر.

مصفتح، فذلك قلب المنافق.

وقلب أجرد، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن.

وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجره يمدّها ماء طيب.. ومثل النفاق كقرحه يمدّها قيح ودم، فأيهما غلب، غلب!

وله أيضاً: جئت النبي (ص) فقلت يا رسول الله!

... إن لي لساناً ذرياً على أهلي، وأخشى أن يدخلني النار، فقال النبي (ص) لي: فأين أنت من الاستغفار؟ إنى لأستغفر الله في

اليوم مائه مره!

اختياره الكوفه!

كان بحق موفقاً في كل مهمه انتدب اليها أو مشوره تطلب منه، فهو العابد وهو المقاتل الخبير العارف الناصح، لم تمنعه عبادته الكثيره عن أن يكون مقاتلاً جسوراً، ولم يمنعه كل ذلك عن أن يكون مهندساً ومخططاً لمشاريع أخرى يحتاجها المسلمون، إن في المعارك التي خاضوها ضد أعداء الله وإن في بناء دولتهم.

فحينما انتقل سعد بن أبي وقاص والمسلمون معه من المدائن إلى الكوفة واستوطنوها، وذلك بعد أن أنزل مناخ المدائن بالعرب المسلمين أذى بليغاً.

مما جعل عمر يكتب إلى سعد كي يغادرها فوراً، بعد أن يبحث عن أكثر البقاع ملاءمةً فينتقل بالمسلمين إليها.

فمن الذى وكل إليه أمر اختيار البقعه والمكان...؟

كان حذيفه بن اليمان هو صاحب هذه المهمه، فقد ذهب ومعه سلمان بن زياد، يختاران المنطقه، والمكان الملائم حتى بلغا أرض الكوفه، وكانت حصباء جرداء مرملة.

شمّ حذيفه عليها أنسام العافيه، فقال لصاحبه: هنا المنزل إن شاء الله، وهكذا خطت الكوفه، وأحالتها أيدي المسلمين إلى مدينه طيبه عامره.

وما كاد المسلمون ينتقلون إليها، حتى شفى سقيمهم، وقوى ضعيفهم، ونبضت بالعافيه عروقهم...!!

لقد كان حذيفه واسع الذكاء، متنوع الخبره، وكان يقول للمسلمين دائماً:

«ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخره.. ولا الذين يتركون الآخره للدنيا.. ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه»...

ولايتة على المدائن

لقد ضرب حذيفه أمثله رائعه فى كل مواقفه، وهو يصحب رسول الله (ص) ويلازمه ويأتمر بأوامره، ويتعلم منه الكثير الكثير، وقد ترك ذلك أثره فى عباداته وفى جهاده وصلحه وفى زهده وتواضعه، وهو يتولى شؤون المسلمين وإدارتهم؛ ونرى هذا واضحاً حينما ولاه الخليفه الثانى عمر بن الخطاب على المدائن.

وما إن وصل خبر ذلك إلى أهل المدائن، وقد اقترن بمناقبه التى سمعوها عنه بما فيها من ورعه وصدقه وبلائه العظيم فيما خاضه من معارك، خصوصاً فى فتح العراق، حتى خرجت أفواجهم التى يحدوها الأمل الكبير لرؤيته والشوق الأكبر لاستقباله.

و هم على حالتهم هذه، إذ بهم يفاجئون بشيء لم يكونوا ألفوه، من بذخ ولاء أمورهم، وما عهده بلادهم بلاد فارس، من أبهه الولاه والسلطين، فوجئوا بشخص على حمار على ظهره أكاف قديم، يمسك بيديه زاده، كان رغيماً و قليلاً من الملح، يضمه موكب متواضع، وما أن عرفوا أنه الوالى الجديد حتى راحوا يحتشدون حوله، ويحفون به، وعلامات الاستغراب تلاحق وجوههم مما يرونه:

إنه أنموذج يلقى بغرابته عليهم، ويزيدهم تعجباً ما عليه الرجل من تواضع وبساطه فى مأكله وملبسه وموكبه ومركبه، وظلوا يشخصون بأبصارهم إليه، فحانت منه نظره إليهم، وعرف أنهم يتمنون أن يسمعوا منه شيئاً، إنه إنذار لهم وتحذير:

«إياكم ومواقف الفتن!

وما مواقف الفتن يا أبا عبدالله؟!»

فأجابهم:

أبواب الأمراء!

يدخل أحدكم على الوالى أو الأمير، فيصدقه بالكذب، ويمتدحه بما ليس فيه..!

إنها صرخه قويه ضد النفاق تمقته وتحتقره!! إنها صرخه وال جديد، جديد عليهم فى كل شيء.

إذن، هو لا يريدهم بكلماته هذه بل بصرخته هذه إلا- حراساً أمناء ومراقبين أشداء، وأعين لخطواته وناصحين صادقين له، يسددونه فى القول والعمل.

وبالتالى، هو لا يريد أن ينفرد فى الحكم، ولا يريد منهم أن يطيعوه إلا بالحق، وأن لا يمتدحوه بما ليس فيه، أو يتزلفوه و يتملقوه بالثناء عليه...

إنه منهج حكم واع وواعد، راح حذيفه يريهم عليه، ويدربهم على تحمله! لا يريد منهم التواء، ولا مرء، ولا خداعاً ولا خيانه، ولا كذباً ولا نفاقاً، ولا طاعه فى معصيه، إنه يريدهم أن يقفوا مع الحق، وللحق، وأن لا يخافوا فى الله لومه لائم.

إنه أسلوب آخر لم يكونوا عرفوه من قبل!

أما هو فقد تعلمه من الدين الجديد والرسول المربي (ص) منذ أن آمن برسالة السماء، وانضم إلى مدرسه النبوه والصحبه المباركه، حينما وفق هو وأخوه صفوان وأبوهما لترديد شهاده أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله بصدق وإخلاص.

وكان الخليفه الثاني إذا ولى والياً على قوم كتب إليهم: «إني وليت عليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا».

فلما ولى حذيفه كان ذلك سنه اثنتين وعشرين كتب لأهل المدائن:

«إني قد وليت عليكم فلاناً فأطيعوه أو اسمعوا له وأطيعوه وأعطوه ما سألكم».

فقالوا: هذا رجل له شأن كبير، فخرجوا لاستقباله، أو فركبوا ليتلقوه فلقوه على بغل تحته أكاف، وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد، فلم يعرفوه فأجازوه فلقبهم الناس فقالوا:

أين الأمير؟

قالوا: هو الذي لقيتم.

فركضوا في إثره فأدركوه وهو يركب حماره، وفي يده رغيف وفي الأخرى عرق، وهو يأكل منهما فسلموا عليه.

وقالوا: سلنا ما شئت.

فقال: أسألكم طعاماً آكله وعلفاً لحماري هذا ما دمت فيكم.

أو فنظر إلى عظيم منهم، فناوله العرق والرغيف... وأعطاه خادمه.

فأقام حذيفه فيهم ما أقام.

ثم بعث إليه عمر يستدعيه إلى المدينه، فلما بلغه مقدم حذيفه، كمن له عمر في الطريق، فلما رآه على الحال التي خرج من عنده عليها أتاه فالتزمه أو فأكرمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

كلمات من نور

مرض حذيفه مرضه الذي توفي فيه، وهو في المدائن، حيث ولاه عمر بن الخطاب ولايتها، فأقام بها إلى حين وفاته، والتي كانت سنه ست وثلاثين هجريه. وقيل: سنه خمس

وثلاثين، وقيل: توفي بعد عثمان بأربعين يوماً، وقيل: قبل عثمان بأربعين ليلة.

وقد أبى حذيفه أن لا يودع هذه الدنيا إلا بمواقف أخرى لا تقلّ عظمه عن موافقه، وهو يعلن إسلامه وهو يجاهد، وهو يلازم النبي (ص) بصدق وإخلاص ووعى... أبى إلا أن يقدم لمن حوله بل للأجيال من بعدهم كل ما ينفعهم فى حياتهم الدنيا، ويبقى ذخيره طيبه لهم فى حياتهم الأخرى، كلمات كلها نور، وكيف لا تكون كذلك وهى تنبع من قلب ملىء بالإيمان، وأى إيمان! إنه إيمان ربانى عارف بالله بكل ما تحمله من معان كبيره عظيمه، تراه قد جسدها فى سلوكه، فى سكناته وحركاته فى أقواله وأفعاله، وهذه طاقه حكيمه طيبه منها وهو يصارع مرضه الذى توفى فيه:

تقول الروايه:

لما مرض حذيفه مرضه الذى مات فيه قيل له: ما تشتهى؟

قال: اشتهى الجنه.

قالوا: فما تشتكى؟

قال: الذنوب.

قالوا: أفلا ندعو لك الطيب؟

قال: الطيب أمرضى.

لقد عشت فيكم على خلال ثلاث: الفقر فيكم أحب إلى من الغنى، والضعه فيكم أحب إلى من الشرف، وإن من حمدنى منكم ولامنى فى الحق سواء.

ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟

قالوا: نعم.

قال: اللهم، إنى أعوذ بك من صباح النار، حبيب جاء على فاقه، فلا أفلح من ندم.

وقد حدث جعفر بن محمد عن أبيه قال:

قال حذيفه حين حضره الموت:

مرحباً بالموت وأهلاً، مرحباً بحبيب جاء على فاقه، لا أفلح من ندم، اللهم إنى لم أحب

الدنيا لحفر الأنهار، ولا- لغرس الأشجار، ولكن لسهر الليل وطمأ الهواجر، وكثره الركوع والسجود، والذكر لله عزوجل كثيراً، والجهاد في سبيله، ومزاحمه العلماء بالركب.

وعن زياد مولى ابن عياش عن بعض أصحاب النبي (ص) أنه قال:

دخلت على حذيفه في مرضه الذي مات فيه فقال:

اللهم، إنك تعلم لولا أنى أرى أنّ هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم، إنك تعلم أنى كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العز، وأختار الموت على الحياه، حبيب جاء على فاقه، لأفلسح من ندم، ثم مات.

وفى دعاء له: اللهم إنى أعوذ بك من صباح النار ومن مساءها.

هذه آخر ساعه من الدنيا، اللهم، إنك تعلم أنى أحبك، فبارك لى فى لقائك. ركب أبو مسعود الأنصارى فى نفر كانوا معه لزياره حذيفه، وهو فى المدائن، وقد ألمّ به مرض الموت، ووصلوا إليه فى بعض الليل، فقال:

أى الليل ساعه هذه؟

قالوا: بعض الليل، لوجود الليل.

قال لهم: هل جئتم بأكفانى؟

قالوا: نعم.

وهنا بادرهم بقوله:

فلا تغالوا بكفنى، فإن يكن لصاحبكم عند الله خير يبدل خيراً من كسوتكم، وإلا تسلب سلباً سريعاً.

وفى قول:

أجئتم معكم بأكفان..؟

قالوا: نعم..

قال: أرونيها..

فلما رآها، وجدها جديدة فارهه..

فارتسمت على شفثيه آخر بسماته الساخره، وقال لهم:

«ما هذا لى بكفن.. إنما يكفينى لفافتان بيضاوتان، ليس معهما قميص..

فانى لن أترك فى القبر إلا قليلاً، حتى أبدل خيراً منهما... أو شراً منهما!».!

وتتم بكلمات، ألقى الجالسون أسماعهم فسمعوها:

«مرحبا بالموت.. حبيب جاء على شوق.. لا أفلح من ندم».

ثم صعدت إلى الله روحه راضيه مرضيه!

فكانت هذه آخر كلماتك، وآخر ما نطق به لسانك، إنها حقاً كلمات من نور!

رضوان الله تعالى عليك

(٢٠) سلمان الفارسي**اشاره**

هادى القيسى

تشرق على صفحاتنا هذه شمس الحقيقه، التى جسدت جوهر الوفاء والمحبه والتفانى؛ من أجل خط ونهج كان ولا يزال يعيش فى هاجس شخصيه عظيمه، رسمت لنفسها طريقاً شائكاً نهايته السعاده الأبدية.

هذا الطريق لا يسلكه إلا- من رأى الحقيقه بقلبه قبل عينيه، فقرر أن يستمر به وإن أدى إلى ترك الأهل والأوطان، فعزف عن الحياه الرغيده التى لم تدم لأحد، واستبدلها بما هو أعظم منها.

فمن اللحظه الأولى التى وصل بها هذا الباحث إلى أنشودته، وعثر فيها على ضالته، أخلص لها بكل ما أوتى من قوه، وبقى يقدم ويضحى ويتفانى من أجلها، غير متأثر بالعوائق والموانع التى توضع فى طريقه، لأنه كان موطناً نفسه على كل المصاعب والمتاعب من أجل هذا الهدف، وقد وصل إليه، وبعد هذا فلا يثنيه عنه أحد، فهو كالجبل الراسخ لا تهزه الرياح العواتى.

تُرى من هو ذلك الشخص الذى يتحلى بهذه الصفات؟ لا بد أنه من عظماء الأمم

الإسلاميه، ورمز من رموزها وعلماً من أعلامها.

نعم، إنّه صحابي من بين آلاف الصحابه الذين عاشوا مع رسول الله (ص) وصاحبوه، لكنّه استطاع بإيمانه وإخلاصه ووفائه وثباته وتفانيه في خدمه الإسلام ونبئه الأكرم (ص) أن يحتل الصداره في صف الصحابه عامه والتابعين له بإحسان خاصه، ليكون رائدهم ورمزهم وقودتهم بعد أمير المؤمنين (ع) والذي صار جزءاً وفرداً من أفراد بيت النبوه، ومعدن الرساله، ومهبط الوحي والتزليل، وذلك حين قال في حقه النبي (ص): «سلمان منا أهل البيت».

هذا واحد من الصفوه، ومثال متكامل برز بين مجموعته صُنِّفَت من الرعيّل الأول، والطبقه المتميزه من الصحابه أمثال أبي ذر وعمّار والمقداد... وغيرهم.

وهناك نوع آخر أيضاً، كان يُعدّ من صحابه النبي (ص) لكن كان من صنف آخر، ونوع لا يحمل من الصحبه إلا اسمها، وهم الذين قال (ص) فيهم: «إنّ من أصحابي اثني عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنّه». (١)

وقال (ص) أيضاً: «ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صحبني ورآني حتى إذا أرفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلاقولنّ: ربّ أصحابي، فليقالنّ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». (٢)

وفي سند آخر زياده: «إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم». (٣)

من هنا نعلم أنّه ليس كلّ من صاحب النبي الأكرم (ص) كان ذا مقام ومكانه، بل هو مقام من ثقلت موازينه، قال عزّوجلّ: (فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَهُ). (٤) وقال أيضاً: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). (٥)

إذن، ليس من العدل والإنصاف أن نصنّف الصحابه كلّهم في مرتبه واحده، وحق القول

١- كتر العمّال ١: ١٦٩.

٢- المصنّف ٧: ٤١٥.

٣- المصدر نفسه ٨: ١٣٩.

٤- القارعه: ٧٦.

٥- الزلزله: ٧.

ما قاله عز وجل: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ). (١)

من هنا، رأينا ضروره تصفح التاريخ، والنظر فى حياه كل صحابى، حتى نصنّفه من أى الطائفتين هو، وليعلم كل على حقيقته، ويعطى كل ذى حق حقه، حتى لانتولى من ليس أهلاً، أو نثبراً ممن هو أهل، فنكون قد أجحفناهم، فرفعنا من كان أهلاً للضعه، ووضعنا من كان أهلاً للرفعه.

وقد سعيت جاهداً تبيان الحقائق ونفض الغبار عنها، وإيقاف القارئ الكريم على الموارد التى حاول بعضهم أن ينال فيها من شخصيه سلمان وأمثاله من الصحابه الأجله ويشوّه سمعته، ومنه تعالى نستمد التوفيق.

اسمه ونسبه

كان اسمه قبل الإسلام روزبه بن خشنودان، نشأ فى بلده تدعى رامهرمز من توابع بهبهان، وكانت من توابع شيراز سابقاً، ومن توابع خوزستان حالياً، (٢) خلافاً لما يدعيه بعض المؤرخين أنه من إصفهان من بلده جى، فهو من أبناء وأشراف قومه، سمّاه رسول الله (ص) سلمان بعد أن أعتقه.

كنيته: أبو عبدالله، أبو الحسن، أبو إسحاق، أبو البيّنات، أبو المرشد، واشتهر بالكنيه الأولى.

لقبه: المحمّدى كما سنقرأ ذلك فيما بعد، الخير.

قصه إسلامه

هناك قصه طويله تنقل عنه يذكرها جمع من مؤرخى أهل السنّه تتضمن: أنه كان يسجد للشمس ويعبد النار، ثم صار نصرانياً، ثم أسلم بعد مجيئه إلى المدينه المنوره؛ إلا أن

١- الحجرات: ١٣.

٢- إكمال الدين: ١٥٩ ١٦٤.

هذه القصة بخصوصياتها لم تثبت من المصادر المعتره، مضافاً إلى وجود جمع من النصوص المعتره التي تثبت خلاف ذلك، خصوصاً وأن البعض حاول أن يستنتج من هذه القصة من دون تفحص أن سلمان = كان إنساناً متقلّباً كلما رأى ديناً أخلص له، وتمسك به من دون تثبت وتعقل.

لكننا إذا لاحظنا كيفيه تعرفه على النبي الأكرم (ص) ومتابعه العلامات التي أعطيت له من قبل آخر راهب لازمه إلى حين وفاته، وبشّره بخروج النبي (ص) من أنه يأكل الهديه ولا يأكل الصدقه، وبين كتفيه خاتم النبوه، نعلم أنه لم يسلم له إلا بعد التثبت والتيقن.

منها: ما يذكر أنه حينما سمع بمقدم النبي (ص) إلى المدينه، ذهب إليه آخذاً معه طبقاً من التمر أو اللحم، وقدمه إلى النبي (ص) وقال له: هذا صدقه، فقال النبي (ص) لأصحابه: كلوا وأمسك هو (ص)؛ يقول سلمان: فقلت في نفسي هذه علامه، ثم ذهب وجاء مزّه أخرى، وقدم طبقاً فيه تمر، وقال للنبي (ص): هذه هديه، فمدّ النبي (ص) يده، وقال: «بسم الله كلوا»؛ يقول: فقلت في نفسي هذه علامه أخرى، ثم حاول التعرف على العلامه الثالثه فصار يدور خلف النبي (ص) فأحس به النبي (ص) فألقى بثوبه عن كتفيه فظهرت العلامه، يقول: فسقطت على قدمي رسول الله (ص) أقبلهما وأسلمت على يديه.

وقال الصدوق: ما سجد قط لمطلع الشمس، وإنما كان يسجد لله عزّ وجلّ، وكانت القبلة التي أمر بالصلاه إليها شرقيه، وكان أبواه يظنان أنه إنما يسجد لمطلع الشمس كهيتهم، وكان وصي وصي عيسى.... (١)

وأما ما ينقل عنه أنه قال: «كنت ضالاً فهداني الله بمحمد (ص) وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد (ص)».

فيمكن الإجابة عليه بعده أمور:

١ إذا ثبت صدورها عنه فلا شك أنه كان ممن يكتفئ إيمانه آنذاك، كما تشهد النصوص بذلك؛ خوفاً من أهله، كما أنه ترك الأهل والأوطان لأجل هذا.

٢ لعله كان يتماشى مع مرتكزات القوم، إذ كانوا يعتقدون أنه مجوسى، لكونه قادماً من بلاد المجوسية، ومن أسره مجوسيه أيضاً، فهو لم يؤخذ بحرب ولا- غزو، بل آجرهم نفسه فانقلبوا عليه، وباعوه على أنه عبد وبقرينه قوله: كنت مملوكاً، مع أنا نعلم كما ينقل المؤرخون،^(١) أنه أجبر على العبودية ظلماً، لقاء مبلغ من المال، ومع هذا نراه يتكلم بحسب المرتكز والظاهر، فإنه كان فى الظاهر عبداً وكافراً، لأنه لا يستطيع أن ينفى هذا الشيء عن نفسه.^(٢)

٣ روى الكشى بإسناده عن أبى جعفر (ع) قال: «جلس عدّه من أصحاب رسول الله (ص) ينتسبون، وفيهم سلمان الفارسى، وأنّ عمر سأله عن نسبه وأصله؟ فقال: أنا سلمان بن عبدالله، كنت ضالاً فهدانى الله بمحمّد، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمّد، وكنت مملوكاً فأعتقنى الله بمحمّد، فهذا حسبى ونسبى... إلى أن قال، فقال النبي (ص): يا سلمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل.»^(٣)

إذن، هذه العبارة صدرت من سلمان فى هذا الموقف الحرج من بعض الصحابه، وقد غضب النبي (ص) لهذا النوع من التعامل، فكأنّ سلمان يريد أن يبيّن لهم بأنّ العبره فى من حسن إسلامه، وثبتت عقيدته، وكان مؤمناً عن صدق، وليس ممّن دخل فى الإسلام لأغراض مختلفه، كما هو الحال فى بعض الصحابه الذين كشف النقاب عنهم القرآن المجيد: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ).^(٤) وكان الميزان الصحيح هو قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).^(٥) فلا يبعد أن يكون سلمان قد قال هذه الكلمات من باب التنزل: لو سلمنا أنّى كنت ضالاً فقد اهتديت، أو كنت عائلاً فقد استغنيت، أو

١- الأخبار الطوال: ٣١، والمعجم الكبير للطبرانى ٦: ٢٢٨، ومناقب آل أبى طالب ١: ١٩.

٢- قال ابن أثير فى أسدالغابه ٢: ٣٢٩: ...فمرّ بى ركب من العرب من كلب فقلت: أصحبكم وأعطيكم بقراتى وغنمى هذه وتحملونى إلى بلادكم؟ فحملونى إلى وادى القرى، فباعونى من رجل من اليهود؛ أنظر بحار الأنوار: ١٩: ١٠٥.

٣- اختيار معرفه الرجال ١: ٥٩.

٤- البقره: ٩.

٥- الحجرات: ١٣.

كنت مملوكاً فقد أعتقت، ولا فضل لأحد منكم عليّ، بل كل الفضل يرجع لنبي الرحمة محمد (ص).

ومما يدلّ على أنّ إسلامه كان عن تتبع واعتقاد، وأنه كان مؤمناً من ذي قبل وموحداً على المسيحية الصحيحة:

١ أنه حين أسلم عاد كما ولدته أمه، فلم يكن متأثراً بشيء من عادات المجوس والنصارى، بل كان أكثر الصحابه بعد علي (ع) متأثراً بالنبي الأكرم (ص) واتباعاً لأوامره ونواهيه، على العكس من بعض الصحابه الذين كانوا يتعمدون مخالفته، بل لم يتخلوا عن كثير من عادات الجاهليه، كتقديم القوميه على الدين.

٢ أنه لم يترك دين آبائه طمعاً في شيء، بل ترك آباءه وأهله الذين هم من سلالة الملوك الدهاقين وفي رفاهيه العيش، وابتعد عن الأوطان وتحمل مشاق السفر والفقر، ووقع في ظلم العبوديه بحثاً عن معالم الدين، البعيده عن الشرك وعباده الأوثان، ولا يتحمل هذا العناء والشقاء إلا من يسعى وراء أمر مهم وهدف مقدّس، دفعه إليه صرخه العقل والوجدان، إلى أن حظى بسعاده الإسلام، وصحبه النبي (ص).

٣ ورد في كتاب الاستيعاب: «وكان سلمان يطلب دين الله، ويتبع من يرجو ذلك عنده فداناً بالنصرانيه [الصحيحه] وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات» (١).

٤ وورد في كتاب الإصابه: ... وكان يسمع بأن النبي (ص) سيبعث، فخرج في طلب ذلك، فأسر وبيع بالمدينه. (٢)

٥ وما ورد في إكمال الدين وإتمام النعمه، وقد ذكرناه قبل قليل.

٦ ما قاله في خطبه له سنذكرها فيما بعد نذكر منها موضع الحاجه: ... حتى أتيت محمداً (ص) فعرفت من العرفان ما كنت أعلمه، ورأيت من العلامه ما أخبرت بها، وهذا دليل على أنه كان يتلقى العلم من أهل المعرفه، وكان يترقب هذه العلامات.

١- الاستيعاب، عنه الأعيان ٧: ٢٨٤؛ إعلام الوري ١: ١٥١؛ بحار الأنوار ١٩: ١٠٥.

٢- الإصابه ٣: ١١٩.

وهذا القدر كاف لإثبات إسلامه، ولإدحاض حجه من يريد النيل من هذه الشخصية الفذّه.

ونحن نذكر هنا قصه إسلامه المرويّه من طريق علمائنا الأبرار على أشهر الروايات، وهو ما رواه الشيخ الصدوق في إكمال الدين وإتمام النعمه، بإسناده إلى الإمام موسى بن جعفر (ع) قال: «حدّثني أبي صلوات الله عليه أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وسلمان وأباذر وجماعه من قريش، كانوا مجتمعين عند قبر النبي (ص) فقال أمير المؤمنين (ع): يا أبا عبد الله ألا تخبرنا بمبدء أمرك، فقال سلمان: والله يا أمير المؤمنين، لو أنّ غيرك سألتني ما أخبرته، أنا كنت رجلاً من أبناء أهل شيراز من الدهاقين، وكنت عزيزاً على والدي، فبينما أنا سائر مع والدي في عيد لهم، إذ أنا بصومعه وإذا فيها رجل ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله، وأنّ محمّداً حبيب الله، فرصف حبّ محمّد (ص) في لحمي ودمي، فلم يهنّني طعام ولا شراب، فقالت لي أمّي: مالك اليوم لم تسجد لمطلع الشمس قال: فكأبرتها حتى سكتت، فلمّا انصرفت إلى منزلي، إذ أنا بكتاب معلق من السقف، فقلت لأُمّي: ما هذا الكتاب فقالت: روزبه إنّ هذا الكتاب لما رجعنا من عيدنا رأيناه معلقاً، فلا تقرب ذلك المكان فإنّك إن قرّيته قتلك أبوك، قال: فجاهدتها حتى جنّ الليل ونام أبي وأمّي، فقممت فأخذت الكتاب، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من الله إلى آدم (ع)، وأتّه خلق من صلبه نبياً يقال له: محمّد، يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن عباده الأوثان، يا روزبه أنت وصي عيسى، فأمن واترك المجوسيه، قال: فصعقت صعقه وزادني شدة قال: فعلم أبي وأمّي بذلك، فأخذوني وجعلوني في بئر عميقه وقالوا لي: إن رجعت وإلا قتلناك، فقلت لهما: إفعلا بي ما شئتما، فإنّ حبّ محمّد لا يذهب من صدري، قال سلمان: ما كنت أعرف العربيّه قبل قراءتي ذلك الكتاب، ولقد فهمني الله العربيّه من ذلك اليوم، قال: فبقيت في البئر، فجعلوا ينزلون إليّ أقراصاً صغاراً، قال: فلمّا طال أمرى رفعت يدي إلى السماء، فقلت: يا ربّ إنك حبّبت محمّداً (ص) ووصّيته إليّ، فبحق وسيلته عجل فرجي وأرحني ممّا أنا فيه، فأتاني آت عليه

ثياب بيض، فقال: قم يا روزبه، فأخذ بيدي، وأتى بي إلى الصومعه، فأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله، وأن محمداً حبيب الله، فأشرف عليّ الديراني فقال: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فأصعدني إليه، فخدمته حولين كاملين.

فلما حضرته الوفاة قال: إنني ميت، فقلت: على من تخلفني؟ قال: لا أعرف أحداً يقول بمقالتى إلا راهباً بأنطاكية، فإذا لقيته فاقراه مني السلام، وادفع إليه هذا اللوح، وناولني لوحاً، فلما مات غسلته وكفنته ودفنته، وأخذت اللوح وصرت به إلى أنطاكية، وأتيت الصومعه، وأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله، وأن محمداً حبيب الله، فأشرف عليّ الديراني فقال لي: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت وخدمته حولين كاملين، فلما حضرته الوفاة قال: إنني ميت، فقلت: على من تخلفني؟ فقال: لا أعرف أحداً يقول بمقالتى هذه إلا راهباً بالإسكندرية، فإذا لقيته فاقراه مني السلام، وادفع إليه هذا اللوح، فلما توفي غسلته وكفنته ودفنته، وأخذت اللوح وأتيت الصومعه، فأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله، وأن محمداً حبيب الله، فأشرف عليّ الديراني فقال لي: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت إليه فخدمته حولين كاملين.

فلما حضرته الوفاة قال لي: إنني ميت، فقلت: على من تخلفني؟ قال: لا أعرف أحداً يقول في الدنيا بمقالتى هذه، وأن محمداً بن عبد الله بن عبدالمطلب قد حانت ولادته، فإذا أتيت فاقراه عنى السلام، وادفع إليه هذا اللوح، قال: فلما توفي غسلته وكفنته ودفنته، وأخذت اللوح وخرجت، وصحبت قوماً فقلت لهم: يا قوم اكفوني الطعام والشراب أكفكم الخدمه، قالوا: نعم، قال: فلما أرادوا أن يأكلوا شدوا على شاه فقتلوا بالضرب، ثم جعلوا بعضها كباباً وبعضاً شويماً، فامتنعت من الأكل، فقالوا: كل، فقلت: إنني غلام ديراني، وأن الديرانيين لا يأكلون اللحم، فضربوني فكادوا يقتلونني.

فقال بعضهم: أمسكوا عنه حتى يأتيكم شرابكم، فإنه لا يشرب، فلما أتوا بالشراب قالوا: اشرب، فقلت: إنني غلام ديراني، وإن الديرانيين لا يشربون الخمر، فشدوا عليّ وأرادوا قتلي، فقلت لهم: يا قوم لا تضربوني ولا تقتلوني، فإني أقر لكم بالعبوديه، فأقررت

لواحد منهم، فأخرجني وباعني بثلاثمائة درهم من رجل يهودي: قال: فسألني عن قصتي فأخبرته، وقلت: ليس لي ذنب إلا أني أحببت محمداً ووصيه، فقال اليهودي: وإني لأبغضك وأبغض محمداً، ثم أخرجني إلى خارج داره، وإذا رمل كثير على بابه، فقال: والله يا روزبه لأن أصبحت ولم تنقل هذا الرمل كله من هذا الموضع لأقتلنك، قال: فجعلت أحمل طول ليلي فلما جهدني التعب، رفعت يدي إلى السماء فقلت: يا ربّ حبيت محمداً (ص) ووصيه إليّ فبحق وسيلته عجل فرجى وأرحني ممّا أنه فيه.

فبعث الله عزّوجلّ ريحاً فقلعت ذلك الرمل من مكانه إلى المكان الذي قال اليهودي، فلما أصبح نظر إلى الرمل قد نقل كله فقال: يا روزبه! أنت ساحر، وأنا لأعلم، فلأخرجنك من هذه القرية كي لا تهلكنا قال: فأخرجني وباعني من امرأه سليميه فأحبتني حباً شديداً، وكان لها حائط، فقالت: هذا الحائط لك كل منه ماشئت وهب وتصدّق، قال: فبقيت في ذلك الحائط ما شاء الله، فينا أنا ذات يوم في الحائط، وإذا أنا بسبعة رهط قد أقبلوا تظلمهم غمامه، فقلت في نفسي: والله ما هؤلاء كلهم بأنبياء وأنّ فيهم نبياً قال: فأقبلوا حتى دخلوا الحائط والغمامه تسير معهم، فلما وصلوا، إذا فيهم رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وأبوذر والمقداد وعقيل بن أبي طالب وحمزه بن عبدالمطلب وزيد بن حارثه، فدخلوا الحائط فجعلوا يتناولون من حشف النخل، ورسول الله (ص) يقول: كلوا الحشف، ولا تفسدوا على القوم شيئاً.

فدخلت على مولاتي وقلت لها: يا مولاتي هبي لي طبقاً من رطب، فقالت: لك سته أطباق، قال: فجئت فحملت طبقاً من رطب، فقلت في نفسي: إن كان فيهم نبي فإنّه لا يأكل الصدقه، فوضعت بين يديه وقلت: هذه صدقه، فقال رسول الله (ص): كلوا، وأمسك رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وحمزه بن عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالب، وقال لزيد: مدّ يدك واكل، فقلت في نفسي: هذه علامه، فدخلت على مولاتي وقلت لها: هبي لي طبقاً آخر، فقالت: لك سته أطباق، قال: فجئت فحملت طبقاً من رطب فوضعت بين يديه، وقلت: هذه هديه فمد يده وقال: بسم الله، كلوا، فمدّ القوم جميعاً أيديهم، فأكلوا فقلت في نفسي: هذه أيضاً علامه.

قال: فبينما أدور خلفه إذ حانت من النبي التفاته فقال: يا روزبه تطلب خاتم النبوه فقلت: نعم، فكشف عن كتفيه، فإذا أنا بخاتم النبوه معجون بين كتفيه عليه شعرات، قال: فسقطت على قدم رسول الله (ص) أقبلها، فقال لي: يا روزبه! أدخل على هذه المرأة وقل لها: يقول لك محمد بن عبد الله: تبيعنا هذا الغلام. فقالت: قل له لا أبيعك إلا بأربعمائه نخله مائتا نخله منها صفراء، ومائتا نخله منها حمراء، قال: فجئت إلى النبي (ص) فأخبرته، فقال: ما أهون ما سألت، ثم قال: قم يا علي، إجمع هذا النوى كله وأخذه فغرسه، ثم قال: اسقه فسقاه أمير المؤمنين (ع) فما بلغ آخره حتى خرج النخل ولحق بعضه بعضاً.

فقال لي: أدخل إليها، وقل لها: يقول لك محمد بن عبد الله: خذي شيئك وادفعي إلينا شيئاً، قال: فدخلت عليها، وقلت لها ذلك، فخرجت ونظرت إلى النخل فقالت: والله لا أبيعكم إلا بأربعمائه نخله كلها صفراء، فهبط جبرائيل فمسح جناحه على النخل فصار كله أصفر، قال ثم قال لي: قل لها: إن محمداً يقول لك خذي شيئك وادفعي إلينا شيئاً، فقلت لها فقالت: والله لنخله من هذه أحب إلي من محمد ومنك، فقلت لها: والله ليوم مع محمد أحب إلي منك، ومن كل شيء أنت فيه.

فأعتقني رسول الله (ص) وسمانى سلمان». (١)

وأما زمان إسلامه: فالمشهور أنه أسلم في المدينة المنورة، بعد هجره النبي (ص) وقيل: إنه أسلم في مكة المكرمة، إلا أنه لم يتحرر من العبودية إلا في المدينة وبعد مدّه، اختلف فيها المؤرخون. (٢)

زوجته

المشهور أنه تزوج وله ذرية، ويشهد له ما نقله الشهيد الثاني عن ابن الجوزي، وما رواه ابن عساكر أن أمير المؤمنين علياً (ع) عزاه بوفاه زوجته قائلاً: ماتت في المدائن فحزن عليها،

١- إكمال الدين وإتمام النعمة؛ وانظر: الدرجات الرفيعة: ٢٠١.

٢- عنه طرائف المقال ٢: ٦٠١.

فبلغ أمير المؤمنين (ع) فكتب إليه: «...بلغنى يا أبا عبد الله سلمان مصيبتك بأهلك، وأوجعنى بعض ما أوجعك، ولعمري مصيبه تقدم أجرها خير من نعمه تسأل عن شكرها، ولعلك لا تقوم بها والسلام عليك». (١)

مضافاً إلى ما ذكره علماء الرجال من الفريقين من وجود رواه للحديث من ذريته. (٢)

وهذا القدر كاف في إثبات أنه كان متزوجاً، وعندها لا يعنى بقول من نفى ذلك، أو اتهمه بأنه كان محبوباً، وهذا من تخصص الجهله الحاقدين.

نعم يوجد تضارب في زمان وفاتها، فتاره تقول: إنها توفيت في حياته، كما ذكرنا قبل قليل وعزاه أمير المؤمنين (ع) بها، وأخرى أنها كانت معه حين توفى، كما رواه الكشى وغيره أنه حين حضرته الوفاة قال لامرأته: قومي أجيفي الباب... (٣)

فنقول: لا- يبعد أن يكون قد تزوج ثانية بعد وفاه زوجته الأولى فتكون الثانية هي التي بقيت معه، وحضرت وفاته جمعاً بين الأقوال، ويشهد له ما في إكمال الكمال.

إسمها: بquire: (٤) قال ابن ماكولا في إكمال الكمال: وأما بquire، وهي آخر من تزوج من أزواجه، وشهدت موته. (٥) مضافاً إلى ما ذكره بعض المؤرخون أن التي كانت حين وفاته هي بquire.

أولاده:

١ عبد الله، وهو المشهور.

٢ محمد، قول منتجب الدين. (٦)

١- تاريخ دمشق ٢١ : ٤٢٩.

٢- تاريخ بغداد ١ : ١٨١ ؛ تهذيب الكمال ١١ : ٢٤٩ ؛ تاريخ دمشق ٥ : ٢٢٧ ؛ الفهرست : ٥٢ ؛ جامع الرواه ١ : ٢١٢.

٣- اختيار معرفه الرجال ١ : ٦٨ ؛ الطبقات الكبرى ٤ : ٩٢ ؛ تاريخ دمشق ٢١ : ٤٥٧ ، قريباً من عبارته الاختيار.

٤- الطبقات الكبرى ٤ : ٩٢ ؛ التاريخ الصغير ٦ : ٩٧ ؛ تهذيب الكمال ٥ : ٤٥.

٥- الطبقات الكبرى ٤ : ٩٢ ، تاريخ دمشق ٢١ : ٤٥٧.

٦- الفهرست : ٥٢ ، جامع الرواه ٢١ : ٢١٢.

٣ عبدالرحمان، قول ابن الأثير. (١)

٤ يحيى، قول بن عساكر. (٢)

٥ وفي نفس الرحمن: إنَّ له حفيداً من علماء خجنده اسمه ضياء الدين. (٣)

سيرته وفضائله

آخى رسول الله (ص) بينه وبين أبي ذر الغفاري، وما نقل من أنه أبا الدرداء فهو ضعيف، لأن رسول الله (ص) كان يراعى الكفاءة في الإيمان بين الأخوين، وكان أبوذر أكفأ من أبي الدرداء، لعدده وجوه:

١ كانت في أبي الدرداء بقايا جاهليه، وقد ذمه رسول الله (ص) عليها قائلاً: فيك جاهليه، قال: أي جاهليه يا رسول الله؟ قال: جاهليه كفر، وهذه لم تكن في سلمان.

٢ ثبت أبوذر مع أمير المؤمنين (ع) بعد وفاه رسول الله (ع) حين مال الجميع عنه، ولم يكن منهم أبو الدرداء. (٤)

٣ أبو الدرداء صار من وعاظ السلاطين، حتى أن معاوية وولده يزيد مدحاه وأثنيا عليه.

فكان سلمان من شرطه الخميس. (٥)

وهو الذي أشار على رسول الله (ص) بحفر الخندق في السنة السادسة للهجرة، وأشار بالمنجنيق وعمله بيده. (٦)

كان أحد الثلاثة الذين لم يرتدوا بعد رسول الله (ص)، والمقداد وأبوذر. (٧)

١- أسد الغابه ٥ : ٤٤٠.

٢- تاريخ دمشق ٥ : ٢٢٧.

٣- نفس الرحمن: ١٤٤ ١٤٥.

٤- الفوائد الرجاليه ٣ : ٧٩.

٥- المصدر نفسه.

٦- البدايه والنهايه ٤ : ٣٩٩.

٧- شرح نهج البلاغه ٤ : ٢٢٥؛ الاختصاص: ١٠؛ الدرجات الرفيعه: ٢١٣.

وكان أحد السبعة الذين صلّوا على الصديقه فاطمه الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله (ص) بعد أن أوصت علياً (ع) أن لا يصلى عليها أحد ممن ظلمها. (١)

وكان وصى وصى عيسى (ع) فى أداء ما حمل، إلى من انتهت إليه الوصيه من الأوصياء المعصومين. (٢)

وجّه أميراً إلى المدائن من قبل الخليفه عمر فلم يفعل إلاّ بعد أن استأذن أمير المؤمنين ٧ فحضه. (٣)

وقال ابن شهر آشوب فى المناقب: كان عمر وجّه سلمان أميراً إلى المدائن، وإنما أراد

له الختله فلم يفعل إلاّ بعد أن استأذن أمير المؤمنين علياً (ع) فمضى فأقام بها إلى أن

توفى. (٤)

كان الأوحدى فى أصحاب رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع)، وأكثرهم تأسيّاً بأخلاقهما وسيرتهما، فكان يحطب فى عباءته، يفتش نصفها ويلبس نصفها، وقع حريق فى المدائن وكان أميرها، فلم يكن فى بيته إلا مصحف وسيف، فرفع المصحف فى يده وحمل السيف فى عنقه وخرج قائلاً: هكذا ينجو المخفون.

وقد دخل عليه رجل فلم يجد فى بيته إلا سيفاً ومصحفاً، فقال له: ما فى بيتك إلا ما أرى، قال: إن أماننا منزل كؤود، (٥) وإنا قد قدّمنا متاعنا إلى المنزل.

كان عطاؤه خمسه آلاف، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، فإذا خرج عطاؤه تصدق به. (٦)

وكان يسفّ الخوص ويبيعه ويأكل منه، ويقول: لا أحب أن آكل، إلا من عمل يدي،

١- بحار الانوار ٢٢ : ٣٤٥ ، عن فرات الكوفى .

٢- التحرير الطاووسى : ٢٨٣ ، وقيل : إنه كان وصياً لعيسى (ع) ؛ الدرجات الرفيعه : ٢٠١ .

٣- الاحتجاج ١ : ١٨٨ .

٤- مناقب آل أبى طالب ، الدرجات الرفيعه : ٢١٥ .

٥- أى شاقه المصعد .

٦- الإصابه ٣ : ١٢٠ .

وكان قد تعلم سَفَّ الخوص في المدينة. (١)

وعن أبي وائل قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان، فلما جلسنا عنده قال: لولا أنّ رسول الله (ص) نهى عن الكلف لتكلفت لكم، ثم جاء بخبز وملح ساذج أبزار (٢) عليه، فقال صاحبنا: لو كان في ملحنا صعتر، فبعث سلمان بمطهرته فرهنها على الصعتر، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي أقنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك الله لم تكن مطهرتي مرهونه. (٣)

ودخل رجلان على سلمان فسَلَّمَا عليه وحيَّاه ثم قالَا: أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم. قالَا: أنت صاحب رسول الله (ص)؟ قال: لا أدري، فارتابا وقالَا: لعله ليس الذي نريد، فقال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، وقد رأيت رسول الله (ص) وجالسته، وإنما صاحبه من دخل معه الجنه، فما حاجتكما؟

قالَا: جئناك من عند أخ لك بالشام، قال: من هو؟ قالَا: أبو الدرداء، قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالَا: ما أرسل معنا بهديه؛ قال: اتقيا الله وأدِّيا الأمانه، ما جاءني أحد من عنده إلا جاء معه بهديه، قالَا: لا ترفع علينا هذا، إن لنا أموالاً فاحتكم فيها، قال: ما أريد أموالكما ولكن أريد الهدية التي بعث بها معكما، قالَا: والله ما بعث معنا شيء إلا أنه قال: إن فيكم رجل كان رسول الله (ص) إذا خلا به لم يبيغ أحداً غيره، فإذا أتيتماه فأقرئاه مني السلام؛ قال: فأى هديه كنت أريد معكما غير هذا، وأى هديه أفضل من السلام تحيه من عند الله مباركه طيبه. (٤)

ومرّ سلمان على الحدادين بالكوفه، وإذا بشاب قد صرع، والناس قد اجتمعوا حوله، فقالوا: يا أبا عبدالله هذا الشاب قد صرع، فلو جئت فقراءت في أذنه، قال: فجاء سلمان، فلما دنا منه رفع الشاب رأسه فنظر إليه فقال: يا أبا عبدالله لست في شيء مما يقول هؤلاء،

١- شرح نهج البلاغه ١٨: ٣٥.

٢- الأبزار: التوابل.

٣- شرح نهج البلاغه ٣: ١٥٥.

٤- المعجم الكبير، للطبراني ٦: ٢١٩.

لكنى مررت بهؤلاء الحدادين وهم يضربون بالمرزاب،^(١) فذكرت قول الله تعالى: (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ).^(٢)

فدخلت فى سلمان من الشاب محبه فاتخذة أخاً، فلم يزل معه حتى مرض الشاب، فجاءه سلمان فجلس عند رأسه وهو فى الموت، فقال: يا ملك الموت ارفق بأخى، فقال: يا أبا عبدالله إني بكل مؤمن رفيق.^(٣)

وعن دوره فى يوم السقيفه، يحدثنا الإمام الباقر (ع) قال: «جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك إلى أمير المؤمنين على (ع) فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين، وأنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبي (ص) هلّم يدك نبايعك، فوالله لنموتن قدامك، فقال على (ع): إن كنتم صادقين فاغدوا غداً على محلقتين، فحلق أمير المؤمنين (ع) وحلق سلمان، وحلق أبوذر، ولم يحلق غيرهم...».^(٤)

وقال له أمير المؤمنين على (ع): «يا سلمان! اذهب إلى فاطمه فقل لها تتحفك من تحف الجنه، فذهب إليها سلمان، فإذا بين يديها ثلاث سلال، فقال: يا بنت رسول الله! أتحنينى، قالت: هذه سلال جاتتنى بها ثلاث وصائف، فسألتهن عن أسمائهن، فقالت واحده: أنا سلمى لسلمان، وقالت الأخرى: أنا ذره لأبى ذر، وقالت الأخرى: أنا مقدوده للمقداد، ثم قبضت فناولتنى، فما مررت بملاء إلا ملثوا طيباً لريحها».^(٥)

قال الإمام الصادق (ع):... «هو منا أهل البيت، بلغ من علمه أنه مرّ برجل فى رهط فقال له: يا عبدالله! تب إلى الله فى الذى عملت فى بطن بيتك البارحه واتق الله، فقال الرجل: استغفر الله وأتوب إليه، قال: ثم مضى، وقال له القوم: لقد رماك بأمر وما دفعته عن

١- الأرزبه التى يكسر بها المدر [أى المطرقه]؛ الصحاح ١ : ١٣٥. المرزاب.

٢- الحج: ٢١.

٣- اختيار معرفه الرجال ١ : ٧٢.

٤- بحار الأنوار ٢٢ : ٣٤١.

٥- اختيار معرفه الرجال ١ : ٣٩.

نفسك، قال: إنه أخبرني بأمر ما أطلع عليه أحد إلا الله رب العالمين وأنا». (١)

وروى أنه كان سلمان يطبخ قدرًا فدخل عليه أبوذر، فانكبت القدر فسقطت على وجهها ولم يذهب منها شيء، فردّها على الأثافي، ثم انكبت الثانية فلم يذهب منها شيء، فردّها على الأثافي، فمرّ أبوذر إلى أمير المؤمنين (ع) مسرعاً قد ضاق صدره مमारأى، وسلمان يقفو أثره حتى انتهى إلى أمير المؤمنين (ع) فنظر أمير المؤمنين إلى سلمان، قال له: «يا أبا عبد الله ارفق بأخيك». (٢)

قال رسول الله (ص) لأصحابه: أيكم يصوم الدهر؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله، فقال أيكم يحيى الليل؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله، فقال أيكم يختم القرآن كل يوم؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله؛ فغضب بعض الأصحاب، فقال: يا رسول الله، إن سلمان من الفرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش...

... فقال (ص): مه يا فلان، أنى لك بمثل لقمان الحكيم!! سله فإنه ينبئك... فقال سلمان:... ليس حيث تذهب.

إني أصوم الثلاثة في الشهر، وقد قال الله عزّوجل: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)، (٣) وأصل شعبان شهر رمضان فذلك الدهر، وأما إحياء الليل... فسمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول: من بات على فراشه على طهر فكأنما أحيا الليل كله، فأنا أبيت على طهر.

وأما ختم القرآن... فسمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول لعلي (ع): يا أبا الحسن مثلك في أمتي مثل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فمن قرأها مره فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فقد ختم القرآن، فمن أحبك بلسانه فقد كُمل ثلث إيمانه، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كُمل له ثلثا الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه ونصره فقد استكمل الإيمان.

١- اختيار معرفة الرجال ١ : ٥٢.

٢- الاختصاص: ١٢؛ اختيار معرفة الرجال ١ : ٦٠ باختلاف.

٣- الأنعام: ١٦٠.

والذى بعثنى بالحق نبياً يا على! لو أحببك أهل الأرض كمحبه أهل السماء لك لما عذب الله أحداً بالنار.

وأنا أقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فى كل يوم ثلاث مرات، فقام الرجل كأنه أقم

حجراً. (١)

تقول عائشه: كان لسلمان مجلس من رسول الله (ص) ينفرد به بالليل، حتى كاد يغلبنا على رسول الله (ص). (٢)

وفى الحديث أن أبا سفيان مرّ على سلمان وصهيب وبلال فى نفر من المسلمين، وقالوا: ما أخذت السيوف من عدوّ الله مأخذها وأبوسفيان يسمع قولهم، فقال لهم أبوبكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها؟! وأتى النبي (ص) وأخبره، فقال: يا أبابكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله، فأتاهم أبوبكر فقال: يا إخوانه لعلّى أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبابكر، يغفر الله لك.

(٣)

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع): السبّاق خمسه، فأنا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبش، وخباب سابق النبط. (٤)

عن الإمام الصادق (ع) قال: مرض رجل من أصحاب سلمان (رحمه الله) فافتقده، فقال: أين صاحبكم؟ قالوا: مريض، قال: امشوا بنا نعوده، فقاموا معه، فلما دخلوا عليه فإذا هو وجود بنفسه، فقال سلمان: يا ملك الموت ارفق بولّى الله، فقال ملك الموت بكلام يسمعه من حضر: يا أبا عبدالله إنى أرفق بالمؤمنين، ولو ظهرت لأحد لظهرت لك. (٥)

وعن الإمام الصادق (ع) قال: عاد رسول الله (ص) سلمان الفارسي، فقال: يا سلمان لك فى علتك ثلاث خصال، أنت من الله عزّوجل بذكر، ودعاؤك فيه مستجاب، ولا تدع العله

١- الدرجات الرفيعه: ٢١٢.

٢- شرح نهج البلاغه ١٨ : ٣٦ ؛ بحار الأنوار ٢٢ : ٣٩١.

٣- شرح نهج البلاغه ١٨ : ٣٧.

٤- الخصال ١ : ١٥٠ ؛ بحار الأنوار ٢٢ : ٣٢٥.

٥- بحار الأنوار ٢٢ : ٣٦٠ ح ٣ ؛ أمالى الطوسى : ٨٠.

عليك ذنباً إلا حطته، متعك الله بالعافيه إلى منتهى أجلك. (١)

وقال سلمان (رحمه الله): بايعنا الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب، والموالاه له. (٢)

وقال الإمام الصادق (ع): آخى رسول الله بين سلمان وأبي ذر، واشترط علي أبي ذر أن لا يعصى سلمان. (٣)

قال ابن عباس: رأيت سلمان الفارسي = في منامي فقلت له: سلمان فقال: سلمان، فقلت: أأنت مولى النبي (ص)؟ قال: بلى، وإذا عليه تاج من ياقوت وعليه حلّي وحلل، فقلت: يا سلمان هذه منزله حسنه أعطاكها الله عزّوجل، فقال: نعم، فقلت: فماذا رأيت في الجنة أفضل بعد الإيمان بالله ورسوله؟ فقال: ليس في الجنة بعد الإيمان بالله ورسوله شيء هو أفضل من حبّ علي بن أبي طالب (ع) والاقتراء به... (٤)

وعن الإمام الصادق (ع) قال: ذكرت التقيه يوماً عند علي بن الحسين (ع) فقال: والله لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: وإنما صار سلمان من العلماء؛ لأنه امرؤ منا أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء. (٥)

أخلاقه

كان مثلاً للأخلاق والتواضع والمساواة للضعفاء، كيف لا- وقد تربى على عظيمين من عظماء الإسلام: النبي الأكرم (ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

١- الدرجات الرفيعه: ٢١١.

٢- المصدر نفسه: ٢١٣.

٣- بحار الأنوار ٢٢ : ٣٤٥، ح ٥٥.

٤- المصدر نفسه ٢٢ : ٣٤١، ح ٥٢.

٥- شرح نهج البلاغه ١٨ : ٣٧.

كان يطحن مع الخادمه ويعجن عنها إذا أرسلها في حاجه، يقول: لا تجمع عليها عملين. (١)

واشترى رجل بيتاً في المدائن، فمرّ بسلمان وهو أمير فحسب سلمان عرجاً، (٢) فقال: يا فلان تعال، فجاء سلمان، فقال: احمل، فحمله فمضى به، فجعل يتلقاه الناس: أصلح الله الأمير، نحمل عنك أبا عبدالله نحمل عنك، فقال الرجل: ثكلتني أمي وعدمتنى، لم أر أحداً أسخره إلا الأمير، قال: فجعل يعتذر إليه ويقول: أبا عبدالله لم أعرفك رحمك الله.

قال: انطلق فانطلق، به حتى بلغ به منزله ثم دعاه، فقال: لا تسخر بعد أحداً أبداً. (٣)

مواظفه وحكمه

إنه مضافاً إلى ما جسّده من خلق ساميه، وآداب رفيعه في سيرته الذاتيه، لم يأل جهداً في وعظ الناس وإرشادهم، فعن الإمام الباقر (ع) قال: إن رجلاً أتى سلمان الفارسي فقال: حدثني فسكت عنه، ثم عاد فسكت، فأدبر الرجل، وهو يقول ويتلو هذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ)، (٤) فقال له: أقبل إننا لو وجدنا أميناً لحدّثناه، ولكن أعدّ لمنكر ونكير إذا أتياك في القبر فسألاك عن رسول الله (ص) فإن شككت أو التويت ضرباك على رأسك بمطرفه معهما تصير منه رماداً، فقلت: ثم مه؟ قال: تعود ثم تُعذب، قلت: وما منكر ونكير؟ قال: هما قعيدا القبر، قلت: أملكان يعذبان الناس في قبورهم؟! قال: نعم. (٥)

وفي التوحيد: أنه أتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله! إنى لا- أقوى على الصلاه بالليل، فقال: لا تعص الله بالنهار، وجاء رجل إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين! إنى قد حرمت

١- الدرجات الرفيعة: ٢١٦.

٢- العليج: الرجل من كفار العجم.

٣- تاريخ دمشق ٢١ : ٤٣٣ ; الطبقات الكبرى ٤ : ٨٨ .

٤- البقره: ١٥٩.

٥- البرهان في علوم القرآن: ١٧٠.

الصلاه بالليل، فقال له أمير المؤمنين (ع): أنت رجل قد قيدتك ذنوبك. (١)

وفي معدن الجواهر عن سلمان أنه قال: ابكتني ثلاث وأضحكتني ثلاث:

فأما المبكيات: ففراق رسول الله (ص) والهول عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل.

وأما المضحكات: فغافل بمغفول عنه، وطالب دنياه والموت يطلبه، وضاحك ملء لا يدرى ضحكه رضى الله عز وجل أم سخط.

(٢)

وفي الغارات أنه مرّ على بن أبي طالب (ع) على بغله رسول الله (ص) وسلمان في ملاء، فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه، فوالله الذي فلق الحبه وبرأ النسمه لا يخبركم سر نبيكم أحد غيره، وإنه لعالم الأرض وربائيتها، وإليه تسكن، ولو فقدتموه لفقدتم العلم وأنكرتم الناس. (٣)

وفي البحار أن سلمان قام وقال: يا معاشر المسلمين! نشدتكم بالله وبحق رسول الله (ص) أستم تشهدون أن النبي (ص) قال: سلمان من أهل البيت؟ فقالوا: بلى والله نشهد بذلك، قال: فأنا أشهد بأنى سمعت رسول الله (ص) يقول: على إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وهو الأمير من بعدى. (٤)

ولما حضر سلمان ونزل به الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أما والله ما أبكى جزعاً من الموت ولا حرصاً على الرجعه، ولكن إنما أبكى لأمر عهده إلينا رسول الله (ص) أخشى أن لانكون حفظنا وصيه نبينا (ص) إنّه قال لنا: ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب. (٥)

وكتب أبو الدرداء إلى سلمان من الشام: أقدم يا أخى إلى بيت المقدس، فلعلك تموت فيه، فكتب إليه سلمان: أما بعد، فإنّ الأرض لاتقدس أحداً، وإنما يقُدّس كلّ إنسان

١- التوحيد: ٦٧.

٢- معدن الجواهر: ٣٥.

٣- الغارات ١ : ٢١.

٤- بحار الأنوار ٣٧ : ٣٣١.

٥- الطبقات الكبرى ٤ : ٩١.

عمله، والسلام. (١)

وقال جرير بن عبدالله: انتهيت مره إلى ظلّ شجره وتحتها رجل نائم قد استظل بنطع له، وقد جاوزت الشمس النطع فسوّيته عليه، ثم إنَّ الرجل استيقظ، فإذا هو سلمان الفارسي، فذكرت له ما صنعت، فقال: يا جرير! تواضع لله في الدنيا، فإنَّه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، أتدرى ما ظلمه النار يوم القيامة؟! قلت: لا، قال: فإنه ظلم الناس بعضهم بعضاً في الدنيا. (٢)

شعره

عن ابن شهر آشوب قال: كان الناس يحفرون الخندق وينشدون سوى سلمان، فقال النبي (ص): أللهم أطلق لسان سلمان، ولو على بيت من الشعر، فأنشأ سلمان يقول:

ما لي لسان فأقول الشعرا

أسأل ربي قوه ونصراً

على عدوى وعدو الطهرا

محمد المختار حاز الفخرا

حتى أنال في الجنان قصرا

مع كل حوراء تحاكي البدرا

فضج المسلمون وجعلت كل قبيله تقول: سلمان منّا، فقال النبي (ص): سلمان منّا أهل البيت. (٣)

ولا يخفى أنّ هذه الكلمات قالها رسول الله (ص) في أكثر من موطن، وعمدتها كانت في مقام الانتقاص من شخصيته الدينيه والاجتماعيه.

خطبه

عثرنا له على خطبه واحده، نذكر منها موضع الحاجه لطولها، قال: الحمد لله الذي هداني لدينه بعد جحودي له، وأنا مذك لنار الكفر، أهل لها نصيباً، وأثبت لها رزقاً، حتى ألقى الله

١- الدرجات الرفيعه: ٢١٩؛ تاريخ دمشق ٢١: ٤٤٣. باختلاف يسير.

٢- الدرجات الرفيعه: ٢١٨.

٣- مناقب آل أبي طالب ١ : ٧٥ ؛ الدرجات الرفيعة: ٢١٨.

عزوجلّ في قلبي حبّ تهامه، فخرجت جائعاً ظمأناً قد طردني قومي، وأخرجت من مالي ولا تحملني حموله، ولا متاع يجهزني ولا مال يقوتني، وكان من شأنى ما قد كان، حتى أتيت محمداً (ص) فعرفت من العرفان ما كنت أعلمه، ورأيت من العلامه ما أخبرت بها، فأنقذني من النار، فثبتّ على المعرفة التي دخلت بها الإسلام.

الأ- أيها الناس اسمعوا من حديثي ثم انقلوه عني، فقد أتيت العلم كثيراً، ولو أخبرتكم بكل ما أعلم لقات طائفه: إنه لمجنون، وقالت طائفه أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان.

الأ إنّ لكم منايا تتبعها بلايا، وإنّ عند علي (ع) علم المنايا وعلم الوصايا، وفصل الخطاب على منهاج هارون بن عمران، ولكنكم أصبتم سنه الأولين، (١) وأخطأتم سبيلكم، والذي نفس سلمان بيده لتركن طبقاً عن طبق، سنّه بنى إسرائيل، القذه بالقذه.

أما والله لو وليتموها علياً لأ- كلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، فأبشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء، وناشدتكم على سواء، وانقطعت العصمه فيما بيني وبينكم من الولاء.

أما والله لو أنى أذفع ضيماً أو أعز لله ديناً لو وضعت سيفي على عاتقي، ثم لضربت قدماً قدماً.

إلى أن يقول: فإذا رأيتم أيها الناس الفتن كقطع الليل المظلم، يهلك فيها الراكب الموضع، والخطيب المصقع، والرأس المتبوع، فعليكم بآل محمد، فإنهم القاده إلى الجنه، والدعاه إليها يوم القيامه، وعليكم بعلي، فوالله لقد سلمنا عليه بالولاء مع نبينا، فما بال القوم؟ أحسد؟ قد حسد قابيل هايل، أو كفر؟ فقد ارتد قوم موسى عن الأسباط ويوشع وشمعون وابنى هارون شبر وشبير.

إلى أن يقول: أنزلوا آل محمد منكم منزله الرأس من الجسد، بل منزله العين من الرأس... الأ- إنى أظهرت أمرى وآمنت بربى، وأسلمت بنبى، واتبعت مولاي ومولى كل مسلم... (٢)

١- أى: أصبتم سنه من خالف موسى في وصيّه هارون.

٢- اختيار معرفه الرجال ١ : ٧٦ ; معجم رجال الحديث ٩ : ٢٠٥ ; ووردت هذه الخطبه في مقام الاحتجاج على القوم، حين بايعوا أبابكر.

قال النبي محمد (ص): ألا إنَّ الجنة اشتاقت إلى أربعة من أصحابي، فأمرني ربي أن أحبهم... فأولهم علي بن أبي طالب، والثاني المقداد بن الأسود الكندي، والثالث سلمان الفارسي، والرابع أبوذر الغفاري. (١)

وقال أيضاً:.. من أراد أن ينظر إلى رجل نور قلبه فليُنظر إلى سلمان. (٢)

وقال الإمام علي (ع) حينما سئل عن سلمان: ذاك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علّم العلم الأول والعلم الآخر، وقد قرأ الكتاب الأوّل وقرأ الكتاب الآخر، وكان بحرّاً لا ينزف. (٣)

وقال الإمام الباقر (ع) للفضيل بن يسار...: هل تدري ما عني بالعلم الأول والعلم الآخر قال قلت: يعني علم بني إسرائيل وعلم النبي (ص) فقال (ع): ليس هذا يعني، ولكن علم النبي وعلم علي، وأمر النبي وأمر علي صلوات الله عليهم. (٤)

وقال الإمام علي (ع): ضاقت الأرض بسبعه، بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون... سلمان الفارسي...

وقال أيضاً لأبي ذر: يا أبا ذر! إنَّ سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، وإنَّ سلمان منّا أهل البيت. (٥)

وقال الإمام الباقر (ع) لمن ذكره بسوء: مه! لا تقولوا سلمان الفارسي، بل قولوا سلمان المحمدي، وذلك رجل منّا أهل البيت. (٦)

١- تاريخ دمشق ٦٠: ١٧٧.

٢- المصدر نفسه ٢١: ٤٠٧.

٣- الطبقات الكبرى ٤: ٨٦.

٤- الدرجات الرفيعة: ٢٠٩.

٥- معجم رجال الحديث ٩: ٢٠١.

٦- اختيار معرفة الرجال ١: ٥٤.

وقال أبوهريره: صاحب العلم الأول والآخر سلمان الفارسي. (١)

وقال أبو عمر روى عن رسول الله (ص) من وجوه أنه قال: لو كان الدين في الثريا لناله سلمان، وفي روايه أخرى: لناله رجل من فارس. (٢)

وقال الإمام الباقر (ع): كان سلمان من المتوسمين، (٣) أى المتفرسين.

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: المؤمن هاشمى، لأنه هشم الضلال والكفر والنفاق، والمؤمن قرشى لأنه أقر للشيء ونحن الشيء وأنكر اللاشيء الدلام وأتباعه... والمؤمن عربى لأنه أعرب عنّا أهل البيت... والمؤمن فارسى لأنه يفرس فى الإيمان، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله أبناء فارسى، يعنى به المتفرس، فاختر منها أفضلها واعتصم بأشرفها، وقد قال رسول الله (ص): اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله. (٤)

وقال الإمام الصادق (ع): إن سلمان بحر لا ينزف. (٥)

وسئل ٧ عن كثره ذكره لسلمان؟ قال: إن الباعث على كثره ذكره ثلاثه، فضيله عظيمه له.

الأول: إنه اختار هوى أمير المؤمنين على (ع) على هوى نفسه.

الثانى: حبه للفقراء واختيارهم على الأغنياء وذوى الشروه والأموال.

الثالث: محبته للعلم والعلماء، وإن سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، (٦) وقال أيضاً: إن سلمان علم الاسم الأعظم. (٧)

وفى كتاب الإمام الرضا (ع) إلى المأمون فى حديث طويل:.... والمقتولين من الصحابه

١- تاريخ دمشق ٢١ : ٤٢٤.

٢- شرح نهج البلاغه ١٨ : ٣٦.

٣- معجم رجال الحديث ٩ : ٢٠٢.

٤- الاختصاص: ١٤٣.

٥- الفوائد الرجاليه ٣ : ٢٠.

٦- معجم رجال الحديث ٩ : ٢٠١ ؛ طرائف المقال ٢ : ٦٠٠.

٧- الاختصاص: ١١.

الذين مضوا على منهاج نبيهم (ص) ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي وأبي ذر.... (١)

وقال الفضل بن شاذان... ويقال: انتهى علم الأئمة إلى أربعة نفر: أولهم سلمان الفارسي، (٢) وحكى عنه أنه قال: مانسأ في الإسلام رجل من كافة الناس كان أفقه من سلمان الفارسي، (٣) وقال أبوهريره... ومما زين الله به إصبهان (٤) وأهلها أن جعل سلمان الفارسي منها، ورزقه صحبه نبينا (ص) حتى قال فيه: سلمان منا أهل البيت. (٥)

وقال كعب الأحبار: سلمان حشى علماً وحكمه. (٦)

وقال النبي (ص): إن الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنة، وإن الجنة لأعشق لسلمان من سلمان إلى الجنة. (٧)

وقال أبو عبد الله (ع): الإيمان عشر درجات، فالمقداد في الثامنة، وأبوذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة.

مانزل فيه من القرآن

نقتصر هنا على ذكر الآيه النازله فى حقه، مع الإعراض عن ذكر القصة والسبب الذى لأجله نزلت مراعاةً للاختصار.

١ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). (٨)

١- بحار الأنوار ١٠ : ٣٥٨.

٢- اختيار معرفه الرجال ٢ : ٧٨٠.

٣- المصدر نفسه ١ : ٦٨.

٤- لا يخفى أن قوله هذا مبنى على رأى الشاذ أنه من إصبهان، والمحقق أنه من رامهرمز من توابع خوزستان حالياً كما بيناه.

٥- طبقات المحدثين ١ : ٤٠٣.

٦- شرح نهج البلاغه ١٨ : ٣٦ ؛ بحار الأنوار ٢٢ : ٣٩١.

٧- الدرجات الرفيعه: ٢٠٨.

٨- المائده : ٦٩.

نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي وأصحابه. (١)

٢ (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا). (٢)

نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي وجماعه. (٣)

٣ (وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ). (٤)

٤ (أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ). (٥)

نزلت في رجلين استغابا سلمان يوم كان في سفر معهما. (٦)

٥ (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ). (٧)

نزلت في سلمان والمقداد وأبي ذر. (٨)

٦ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ... لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ). (٩)

نزلت في أمير المؤمنين (ع) وسلمان وأبي ذر والمقداد. (١٠)

١- تاريخ دمشق ٢١ : ٤١٩ ; الدر المنثور ١ : ٧٣.

٢- الكهف : ٢٨.

٣- تفسير القرطبي ١٠ : ٣٩٠ ; البرهان في علوم القرآن ١ : ٢٠١ ; تفسير نور الثقلين ٣ : ٢٥٧.

٤- النحل : ١٠٣.

٥- الحجرات : ١٢.

٦- الدر المنثور ٦ : ٩٤ ; تفسير الصافي ٥ : ٥٤.

٧- التوبة : ١٠٠.

٨- شواهد التنزيل ١ : ٣٣٠ ; بحار الأنوار ٢٢ : ٣٢٧.

٩- الأنفال : ٢.

١٠- تفسير القمي ١ : ٢٥٥ ; بحار الأنوار ٢٢ : ٣٢٢.

٧ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفُؤَادِ نُزُلًا). (١)

نزلت فى سلمان وأبى ذر وجماعه. (٢)

٨ (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ). (٣)

نزلت فى سلمان وجماعه. (٤)

٩ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ...). (٥)

نزلت فى سلمان وجماعه. (٦)

١٠ (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي). (٧)

١١ (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ). (٨)

نزلت فى أمير المؤمنين على (ع) وسلمان. (٩)

١٢ (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ). (١٠)

هم سلمان والمقداد وعمار وأبوزر، وأمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) لهم أجر غير ممنون. (١١)

مالقيه من أذى الآخرين

قد يتصور القارىء الكريم أن الأذى الذى لقيه سلمان كان من أبناء الديانات الأخرى التى اعتادت على منع أبنائها من اعتناق دين الإسلام، وإن كان ماعاناه من ترك دين آباءه

١- الكهف : ١٠٧.

٢- تفسير الصافى ٣ : ٢٦٨ ; بحار الأنوار ٢٢ : ٣٢٣.

٣- الحج : ٢٤.

٤- مناقب آل أبى طالب ٢ : ٢٩٢.

٥- محمد : ٢.

٦- تفسير القمى ٢ : ٣٠١ ; بحار الأنوار ٢٢ : ٣٤٩.

٧- آل عمران : ١٩٥؛ نور الثقلين ١ : ٤٢٥.

٨- العصر : ١٣.

٩- شواهد التنزيل ٢ : ٤٨٢.

١٠- التين : ٦.

١١- بحار الأنوار ٢٢ : ٣٤٥، ح ٥٦ ; وانظر تفسير فرات الكوفي.

وأجداده ليس بالقليل، إلا- أنه مُنى بحرب ضروس استمرت إلى حين وفاته، لكن هذه المرّة كانت من أبناء ملته ودينه من أصحاب الصف الواحد ومن جمع من الصحابه المحيطين بنبي الإسلام (ص) إنه تيار كان يحمل أفكاراً جاهليه يعتبر أنّ الاسلام ونبّيه حِكر على العرب، بل على أبناء الجزيره أيضاً، حمل هذا التيار فكراً منحرفاً زرع سمومه في صفوف المسلمين إلى يومنا هذا، أرادوا جعله ديناً مختصاً بأمّه معينه، مع أنه جاء لجميع الأمم، كرسوا بأفكارهم المنحرفه عدّه مفاهيم باطله، طالما حاربها النبي (ص) منها الطبقية، فُضّل فيها العربي على غيره، في الاحترام والإيمان والحدود والعطاء و... فيما نرى القرآن الكريم يقول: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

والنبي (ص) يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي... إلا بالتقوى».(١)

فكان سلمان أوّل ضحيه لهذا الفكر الزائف الذي شوّه سمعه الدّين الحنيف، ولكن في كلّ هذه الظروف الصعبة كان الرسول (ص) وأمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب (ع) إلى جنبه، فصبر وتحمل حتى أظهر الله تعالى فضله ومقامه لجميع المسلمين، كيف لا، وقد بلغ المرتبه العاشره من الإيمان، كما قال أمير المؤمنين عليّ (ص).

وكان قد تخطى سلمان حلقه قريش وهم عند رسول الله (ص) في مجلسه، فالتفت إليه رجل منهم فقال: ما حسبك وبما نسبك وما اجترأت أن تخطي حلقه قريش!؟

قال: فنظر إليه سلمان، فأرسل عينيه وبكى وقال: سألتني عن حسبي ونسبي، خلقت من نطفه قدره، فأما اليوم ففكره وعبره، وغداً جيفه منتنه، فإذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين، ودعى الناس لفصل القضاء، فوضعت في الميزان، فإن أرحح الميزان فأنا شريف كريم، وإن أنقص الميزان فأنا اللئيم الذليل، فهذا حسبي وحسب الجميع.

فقال النبي (ص): صدق سلمان، صدق سلمان، صدق سلمان، من أراد أن ينظر إلى رجل نور قلبه فليُنظر إلى سلمان.(٢)

١- المعجم الأوسط، للطبراني ٥ : ٨٦.

٢- تاريخ دمشق ٢١ : ٤٠٧.

وعن الإمام الباقر (ع) قال: جلس عدّه من أصحاب رسول الله (ص) ينتسبون وفيهم سلمان الفارسي، وأنّ عمر سأله عن نسبه وأصله؟

فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهدانى الله بمحمد، وكنت عائلاً فأغنانى الله بمحمد، وكنت مملوكاً فأعتقنى الله بمحمد، هذا حسبي ونسبى، ثم خرج رسول الله (ص) فحدّثه سلمان وشكى إليه مالقى من القوم وما قال لهم، فقال النبي (ص): يا معشر قريش! إنّ حسب الرجل دينه، ومعرفة خلقه، وأصله عقله، قال الله تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ). (١)

يا سلمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بالتقوى، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل. (٢)

وفاته ومدفنه

توفى سنه أربع وثلاثين للهجرة على المشهور، فى عهد عمر بن الخطاب، فى المدائن، جهّزه وصلى عليه أمير المؤمنين (ع) وكان آنذاك فى المدينة المنورة، وبعد صلاه الصبح أقبل على الناس فقال (ع): معاشر الناس أعظم الله أجركم فى أخيكم سلمان، فقالوا فى ذلك: فلبس عمامه رسول الله (ص) وأخذ قضيبه وسيفه، وركب على العضباء، وقال لقنبر: عدّ عشرأ، قال: فقلت، فإذا نحن على باب سلمان.

قال زاذان: فلما أدرك سلمان الوفاه قلت له: من المغسّل لك؟ قال: من غسل رسول الله (ص) فقلت: إنك بالمدائن وهو بالمدينة؟ فقال: يا زاذان إذا شددت لحيى تسمع الوجهه، فلما شددت لحييه سمعت الوجهه وأدركت الباب، فإذا أنا بأمير المؤمنين (ع).

فقال: يا زاذان قضى أبو عبدالله سلمان؟

قلت: نعم يا سيدى؛ فدخل وكشف الرداء عن وجهه، فتبسم سلمان إلى

١- الحجرات : ١٣.

٢- أمالى الطوسى: ١٤٧.

أمير المؤمنين (ع) فقال له: مرحباً يا أبا عبد الله، وإذا لقيت رسول (ص) فقل له: ما مرّ على أخيك من قومك، ثم أخذ في تجهيزه.

وقال أبو الفضل التيمي:

سمعت يسيراً من عجائبه

وكان أمر على لم يزل عجبا

دریت عن ليله سار الوصى بها

إلى المدائن لما أن لها طلبا

فألحد الظهر سلماً وعاد إلى

عراص يثرب والإصباح ما قربا

كأصف قبل رد الطرف من سباً

بعرش بلقيس وافى يخرق الحجا

فكيف فى آصف لم تغل أنت؟ بلى

بحيدر أنا غال أورد الكذبا

إن كان أحمد خير المرسلين؟ فذا

خير الوصيين أو كل الحديث هبا(١)

وهناك أقوال أخر تقول: إنه توفى فى عهد عثمان، وأخرى فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) وبعضها ينكر مجيئه (ع) من المدينة إلى المدائن، لكن المشهور ما ذكرناه، والنصوص الآنقه الذكر أكبر شاهد على ذلك.

(٢١) أسماء بنت عميس

إشارة

داعيه تحتدى

حسن محمد

إنّ للنساء المؤمنات الصالحات تاريخاً رائعاً لم تنسه أقلامه ومصادره، وكيف ينسى، وقد غدا تاريخاً مشمراً متواصلاً جعل منهنّ أمثلةً تحتدى، ونماذج تقتدى؟!

ومن تلك النساء، مؤمنه صابره حصلت على أوسمه متعدده من رسول الله (ص) منها وسام الإيمان حيث قال:

«الأخوات الأربع مؤمنات: ميمونه، وأمّ الفضل، وسلمى، وأسماء».

صحابيه جليله، بعد أن عرفت بصبرها، وثباتها، ووعيتها، وعبادتها، وبصيرتها، ومعرفتها فى تأويل الرؤيا، وحفظها لكثير من الأحاديث النبويه وروايتها، وتسجيلها للعديد من المواقف النبيله، نالت لقباً كبيراً ووساماً رفيعاً، طالما اشترأبت له الأعناق، إنه (لقب الهجرتين) وهو من رسول الله (ص) أيضاً، حيث إنها عرفت بأنها صاحبه الهجرتين، فهى أول النساء المهاجرات إلى ديار الحبشه، حيث ملكها العادل، ثم يثرب مدينه رسول الرحمه محمد (ص).

غدت هذه المرأة أنموذجاً يقتدى، ومثالاً يحتذى، كما قلنا بحق وجداره، فهي زوجه وفيه صالحه، عرفت بصبرها ووفائها، لبيوت حلت فيها زوجه وأماً...

وهي أم مدرسة نقله أينما كانت، وحلت في مكة، وفي الحبشه، وفي يثرب، بكل ما تحمله هذه المدرسه، من دروس قيمه، ومفاهيم صادقه، ومبادئ عاليه...

وهي داعيه مخلصه، هنا وهناك، حفلت حياتها بمفاصل قيمه، وألوان زاهيه، وأغصان مؤرقه، راحت تثمر دروساً في بناء المؤمنه الداعيه، والأسره المسلمه الصادقه، والأبناء الصالحين، الذين أحاطتهم بيئه نظيفه، وتربيته سليمه...

وإن قراءه حياتها، كما حياه الأخريات من الصالحات المربيات، يؤكد ضروره وأهميه التواصل الإيجابي بينهنّ ومجتمعهن، بل ومجتمعات أجيال أخرى جاءت بعدهن، وإن دل هذا فإنه يدل على عظم الرساله السماويه، التي صنعتهنّ بعد أن وفقن للإيمان بها، وصرن أعضاء عاملات في مدرسه النبوه المقدسه، والصحبه المباركه، وما أعظمها من صحبه خرّجت نخباً صالحه من الرجال والنساء.

نسبها

هي أسماء بنت عميس بن معد بن تميم بن الحارث أو معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافه بن عامر بن ربيعه بن عامر بن سعد بن مالك بن نسر أو بشير بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن خلف بن أقتل وهو خثعم. (١)

هذا نسبها من أبيها.

وأُمّها: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانيه، أو هي هند بنت عوف بن الحارث، وهو حماطه بن ربيعه بن ذى جليل بن جرش، واسمه منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاويه بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن غريب بن زهير بن أيمن بن

١- تاريخ الطبرى ٢ : ٣٥١، أحداث سنه: ١٣، مقاتل الطالبين، لأبى الفرج الإصفهاني: ٣٥، ترجمه محمد بن جعفر.

الهميسع بن حمير، وهو العرنجج بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كما في مقاتل الطالبين، أو هي بنت عوف بن زهير بن الحارث ابن حماطه... كما في الطبقات.

وهند هذه التي هي أم أسماء بنت عميس التي قيل فيها:

الجرشيه أكرم الناس أحماء، وجرش من اليمن.

وابنتها أسماء بنت عميس، تزوجها جعفر بن أبي طالب، ثم أبوبكر، ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

وابنتها الأخرى، ميمونه أم المؤمنين، زوجه النبي (ص) وهي آخر امرأه تزوجها (ص).

وابنتها الأخرى، لبابه أم الفضل أخت ميمونه، أم ولد العباس بن عبدالمطلب.

وابنتها الأخرى، سلمى بنت أم ولد، حمزه بن عبدالمطلب، وقد ولدت له ابنته عماره.

إذن، فأحماؤها، أي أحماء هذه الجرشيه هم: رسول الله (ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) والحمزه، والعباس، وجعفر، وأبوبكر، ومن أحمائها أيضاً الوليد بن المغيرة المخزومي، فأم خالد بن الوليد، أم الفضل الكبرى بنت الحارث أخت أسماء لأمها.

وميمونه أم المؤمنين، أبوها الحارث بن الجون بن بجير بن الهرم بن رويبه بن عبد الله بن هلال بن عامر، وأم المؤمنين هذه هي أخت أسماء من أمها.

وأخوات ميمونه لأمها، هنّ عشر أخوات، وست أخواتها لأبيها. (١)

زواجها

وقع اختلاف بينها وأختها سلمى، حيث قيل: إن أسماء بنت عميس كانت قبل الإسلام تحت حمزه بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله (ص) أنجبت له ابنه «أمه الله»، ثم من بعده كانت تحت شداد بن الهادي الليثي، وأنجبت له «عبدالله وعبدالرحمن» ولكن ردت هذه الدعوى بأن المرأة التي كانت تحت حمزه وشداد هي سلمى بنت عميس أختها، وليس أسماء.

١- مقاتل الطالبين: ٣٦٣٥، ترجمه محمد بن جعفر ابن سعد في الطبقات ٨: ٢٠٥، ٩٤، ٦: ٨٦؛ الإصابه ٨: ٢٠٢، ١٩١، ١٨: ٧٨؛ وفي غيرها من المصادر التاريخيه.

والشيء المتيقن أنها تزوجت ابن عم رسول الله (ص) جعفر الطيار بن أبي طالب، والذي كان شبيهاً به (ص) فقد كان (ص) يقول لجعفر: «أنت أشبه الناس بخلقى وخلقى».(١)

فكان ذلك يسرّ أسماء، ويسعدها عندما ترى زوجها شبيهاً بأحسن الخلق وأفضلهم وأحبهم إليها، فكان يحرك فيها مشاعر الشوق لرؤيه النبي الكريم (ص).

وقد أسلمت مع زوجها جعفر الذى ظلّ طيله حياته معها يبادلها المحبه والوفاء والرفقه الصالحه حتى فى مسيرتهما الإيمانيه فى وقت واحد ومبكر من عمر الدعوه، حتى يقال: إنّ إسلامهما كان قبل دخول رسول الله (ص) دار الأرقم بمكه.

أسماء، فى بلاد الهجره الأولى

ما إن قرّر زعماء ومشركو قريش معاقبه المؤمنين، حتى أذن رسول الله (ص) لأصحابه بالهجره إلى الحبشه، فكانت أسماء وبرفقه زوجها جعفر، وبعد فتره قليله من زواجهما، واحده ممن شدّ الرحال هجره فى سبيل الله تعالى، و تنفيذاً لطلب الرسول (ص) و فراراً بدينهم وأنفسهم، فوثقت هجرتهما الحياه بينهما، وملأت عليهما أجواء إيمانيه، جعلت منهما نعم الزوجين، المؤمنين، المهاجرين، المجاهدين، الصابرين، الصادقين، بعد أن أدركا أنّ الآخره خير من الأولى.

إذن، ما إن وصل المهاجرون إلى بلاد الحبشه، حتى كانت أسماء وزوجها جعفر، وهو أمير المهاجرين، وابنتهما عبدالله على قول، فى مقدمه ذلك الركب العظيم، وكانت واحده من ست عشره امرأه مهاجره... ليقيموا فى بيت بسيط تكتنفه آلام الغريه، والبعد عن الرسول (ص) وصحبته المباركه، وعن الوطن والأحبه، وتملؤه الموده، والمحبه، والاحترام، لتجعل منهما مثلاً للزوجين الصالحين.

حقاً لقد ملأ هذا الصحابى الجليل، حياه زوجته أسماء بكل معانى الخير، مما حداها أن تكون شريكته الصالحه فى حمل مسؤوليه هذا الدين الحنيف، ونشر دعوته فى مهجرهما

١- مختصر تاريخ دمشق ٦ : ٦٩ ترجمه جعفر بن أبى طالب.

الجديد، إضافة إلى تحملها تربيته أولادها الثلاثة الذين من الله تعالى عليهما بهم، فقد أنجبت لجعفر في بلاد الحبشه: عبدالله، و محمداً، وعوفاً، وكان ولدها عبدالله أكثر شبيهاً بأبيه الذي كان شبيهاً بالنبي الكريم (ص) فكانا كلما اشتاقا لرؤيته رسول الرحمه (ص) ملئاً عيونهما منه.

بقيت هذه الصحايه المؤمنه الصابره وزوجها في الحبشه خمس عشره سنه أو أقل من هذا بقليل، وقعت فيها أمور عديده واصل فيها رسول الله (ص) دعمه لهم، عبر موفده عمرو بن أميه الضمري يتفقدهم، ويستوضح ما عندهم، ويعلمهم أحكام الله، وما ينزل من آيات قرآنيه.

وفي المقابل كانت قريش هي الأخرى، ترسل وفودها إلى ملك الحبشه، لتحثه على تسليمهم وإعادتهم إليه، فقد جاء وفد من قريش إلى ملك الحبشه (النجاشي) يطالبونه بإعادة المسلمين إلى مكه، وكان يضم عمرو بن العاص، وكانوا يقولون له:

«قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم».

فما كان من النجاشي إلا أن أرسل يطلب وفد المسلمين، يسألهم بشأن هذا الأمر، فتقدم جعفر بن أبي طالب، زوج أسماء، فقال:

«أيها الملك كنا قوماً أهل جاهليه، نعبد الأصنام، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع الأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لانشرک به شيئاً، وأمرنا بالصلاه والزكاه والصيام...».

فتشوق النجاشي لسماع المزيد، فسأله عما جاء به النبي (ص) من عندالله، فما كان من جعفر إلا أن أسمعته من سوره مريم...

فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت معه أساقفته، فقال النجاشي:

«إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاه واحده، إنطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكيدهم أحد».

فكان ذلك سبباً في إسلام النجاشي، وكان النجاشي سبباً في إسلام وفد قريش، والذي كان من بينهم عمرو بن العاص.

وقد سمى النجاشي ولده (عبد الله) على اسم ابن جعفر وهو عبد الله، وليس هذا فقط، بل إن أسماء قد أرضعته مع ولدها عبد الله بن جعفر، وبالتالي فهما أخوان بالرضاعه، وهذا دليل على عمق علاقه بين العائلتين: عائلة النجاشي وعائلة جعفر.

إن ذلك كان اختباراً عظيماً لهذه الفئة المؤمنه، وأسماء منها تؤدي رسالتها كأفضل داعيه قولاً وعملاً وسلوكاً...

هجرتها الثانيه

كم كان سرور رسول الله (ص) عظيماً حين عادت أسماء وجعفر من الحبشه إلى المدينه المنوره، وهو يعيش فرحه فتح خبير، وقد عبر عن فرحته، فقال (ص) بعد أن قبل بين عيني جعفر:

«ما أدري بأيهما أنا أسرّ: بفتح خبير أم بقدوم جعفر؟!». (١)

هي والخليفه الثاني

ما إن عادت من هجرتها إلى الحبشه، التي تأخرت فيها، حتى وفقت وزوجها وأولادها إلى هجره أخرى، وهذه المره إلى حيث رسول الله (ص) إلى المدينه، وما إن التقت بحفصه زوج النبي (ص) حتى دخل عليهما عمر بن الخطاب قائلاً: «لقد سبقناكم بالهجره فنحن أحق برسول الله (ص) منكم أو: يا حبشيه، سبقناكم بالهجره!

فغضبت وقالت:

«أى لعمرى لقد صدقت! كنتم مع رسول الله (ص) يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء، أما والله لآتين رسول الله (ص) فلاذكرن ذلك له، ولاأنقص ولا أزيد في ذلك»

فذكرت ذلك له، فقال (ص):

«لكم الهجره مرتين، هاجرتم إلى النجاشي! وهاجرتم إلى»، أو «للناس هجره واحده، ولكم هجرتان».

وعن البخارى فى صحيحه عن أبى موسى، أنه قال:

بلغنا مخرج النبى (ص) ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، فركبنا فالتقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشه، فوافقنا جعفر بن أبى طالب، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبى (ص) حين افتتح خيبر، وكان أناسٌ من الناس يقولون لنا يعنى أهل السفينه :

سبقناكم بالهجره!

ودخلت أسماء بنت عميس وهى ممن قدم معنا على حفصه زوج النبى (ص) زائره، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصه وأسماء عندها، فقال عمر: الحبشيه هذه، البحرية هذه؟

قالت أسماء: نعم.

قال: سبقناكم بالهجره، فنحن أحق برسول الله (ص) منكم!

فغضبت وقالت: كلاً والله، كنتم مع رسول الله (ص) يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا فى الدار أو فى أرض البعداء البغضاء بالحبشه، وذلك فى الله وفى رسوله (ص) وأيم الله، لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله (ص) وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

قال: «فما قلت له؟».

قالت: قلت له: كذا وكذا.

قال (ص): «ليس بأحق بى منكم، وله ولأصحابه هجره واحده، ولكم أنتم أهل السفينه هجرتان».

قالت: فلقد رأيت أبا موسى، وأصحاب السفينه، يأتونى أرسلالاً يسألونى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شىء هم به أقرح، ولا أعظم فى أنفسهم، مما قال لهم النبى (ص).

فقد قضى رسول الله (ص) لها رضوان الله تعالى عليها ولمن كان معها فى الهجرة بالسبق على عمر وهجرته، وهكذا جاهدت أسماء لتثبت حقها الشرعى وحق إخوانها الذين صحبوا فى المشوار الطويل هجرةً ودعوة، وها هى تبشّر وتُنشُر هذا الأمر بين من كانوا، يأتونها جماعات للسؤال عن حديث رسول الله (ص) وقضائه لهم بالسبق فى الهجرة والجهاد.

فسرّت بقول رسول الله (ص) هذا وأثلج صدرها، ولم يكن ذلك من رسول الله (ص) تطيباً لخاطرها، وإراحةً لنفسها فقط، بل كان منه (ص) توضيحاً للحقيقه، وتبييناً للواقع العظيم الذى عاشوه، والهدف الكبير الذى حملوه، وقطعاً لدابر الفتنة، فهم تركوا مكة فارّين بدينهم إلى الحبشه، فكانت هجره، وهم كذلك انتقلوا من بلاد الحبشه إلى المدينه المنوره، فهذه هجره أخرى!!!

الامتحان الكبير

حلّت أسماء فى بيت النبوه مع زوجات النبى (ص) وبناته، فيما راح جعفر يشهد مع رسول الله (ص) مواقف الجهاديه... إنه ابتلاء آخر لإيمان أسماء، وصبرها، وصمودها، وثباتها، إنه يوم مؤته ووقعتها، يوم الشهاده، شهاده من؟! شهاده زوجها جعفر، وهو يقارع أعداء الإسلام ونبيه...

حزن رسول الله (ص) حزناً شديداً حين وصله خبر استشهاد عزيزه وحبيبه جعفر، الذى كان يحظى بمعزه خاصه، ومنزله رفيعه عنده (ص) فهو شبيهه وداعيته الثابت الواعى والمجاهد الواعد، فكان يستحق منه ذلك الألم والحزن...، جاء أسماء، وهو يحمل إليها نبأ استشهاد حبيبها، ورفيق إيمانها وهجرتها، وها نحن نقرأ ما قالته رضوان الله تعالى عليها.

«أصبحتُ فى اليوم الذى أصيب فيه جعفر وأصحابه، فأتانى رسول الله (ص) ولقد هنأت (أى دبغت أربعين إهاباً من آدم) وعجنت عجينى، وأخذت بنى فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل على رسول الله (ص) فقال:

«يا أسماء: أين بنو جعفر؟» فجاءت بهم، فقبلهم رسول الله (ص) وبكى، فأحست أسماء

بحدوث شيء لزوجها، فسألت النبي (ص) فقال لها:

«قتل جعفر اليوم».

فقامت تصيح وتنحب، حتى اجتمع عليها الناس يهدؤونها من روعها.

فقال (ص): "يا أسماء! لا تقولى هجراً ولا تضربى صدرأ"، فكان حزنها عظيماً وبكاؤها مريراً...

وفى خبر آخر، إنه لما نعى رسول الله (ص) جعفرأ إلى زوجه أسماء بنت عميس، قامت وصاحت وجمعت الناس، فدخلت عليها فاطمه بنت النبي (ص) وهى تبكى وتقول: وا عمأه!

فقال رسول الله (ص): على مثل جعفر فلتبكي البواكى!!!

فكان رسول الله (ص) يطمئننها قائلاً:

«يا أسماء! هذا جعفر بن أبى طالب، قد مرّ مع جبريل وميكائيل»، فرد (ع)، ثم قال صلوات الله عليه: فعوضه الله عن يديه جناحين يطير بهما حيث شاء.

وورد إنه (ص) توجه بالدعاء قائلاً: ألهم اخلف جعفرأ فى أهله وبارك لعبدالله.

ثم رجع بتشديد الجيم وقال: إصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم.

وقد نقل الصدوق عن الإمام الصادق (ع): إن النبي (ص) أمر فاطمه أن تأتى أسماء بنت عميس، ونساؤها وأن تصنع لهم طعاماً ثلاثة أيام، فجرت بذلك السنه.

وما إن ذكرت أسماء يتم أولادها حتى قال (ص) لها:

«العيله تخافين عليهم، وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة». رواه أحمد.

ثم رثته رضوان الله عليه بيتين من الشعر، وهو ما عثرت عليهما:

قآليت لا تنفك عيني حزينه

عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

فله عيناً من رأى مثله فتى

أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا

وهى القائله: ما رأيت شاباً من العرب، كان خيراً من جعفر.

ظلت أسماء صابره وفيه لذكرى زوجها، وحبیبها، ورفیق دربها، يظهر كل هذا وغيره من خلال انكبابها على رعايه اولادها، وتنشئتهم تقرؤهم القرآن، وتعلمهم مبادئه،

ومفاهيمه، وأحكامه، ولم يشغلها أولادها عن الدعوه إلى الله تعالى بين أخواتها المؤمنات... وبقيت مجالسها عامره بذكر الله تعالى.

وفاؤها لفاطمه الزهراء (عليها السلام)

كانت تتوفر على حب كبير، وموده عاليه لسيدة نساء العالمين، فاطمه الزهراء (عليها السلام) ونورد هنا بعض ما روى في حبها وتعلقها المتواصل بسيدة نساء العالمين، فاطمه الزهراء (عليها السلام):

فقد روى في تزويج فاطمه (عليها السلام): أن رسول الله (ص) أمر النساء بالخروج، فخرجن مسرعات إلا أسماء فقد تأخرت، فدخل النبي (ص).

وهنا تقول أسماء: فلما خرج رأى سوادى، فقال: مَنْ أَنْتِ؟

فقلت: أسماء بنت عميس.

قال: ألم آمرك أن تخرجي!!؟

فقلت: بلى يا رسول الله، وما قصدت خلافك، ولكن كنتُ قد حضرت وفاه خديجه، فبكتُ عند وفاتها، فقلتُ لها: تبكين وأنت سيدة نساء العالمين، وزوجه رسول الله (ص) ومبشّره على لسانه بالجنه؟!!

فقلت: ما لهذا بكيّ.. ولكنّ المرأه ليله زفافها لا بدّ لها من امرأه، وفاطمه حديثه عهد بصبا، وأخاف أن لا يكون لها من يتولّى أمرها.

فقلت لها: يا مولاتى، لك عهد الله علىّ إن بقيت إلى ذلك الوقت، أن أقوم مقامك في ذلك الأمر.

فبكى رسول الله (ص) وقال:

" أسأل الله أن يحرسك يا أسماء من فوقك، ومن تحتك، ومن بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، من الشيطان الرجيم".

وروى أيضاً أنها كانت حاضره عند سيدة نساء العالمين فاطمه، فى ولاده الإمام الحسن (ع) كما فى الروايه التاليه...

تذكير مهم

وهنا لابد لي من تسجيل هذا التذكير حول حضور كل من أسماء بنت عميس وزوجها جعفر، زفاف سيده نساء العالمين لعلّي (ع) وهى أنّ أسماء هاجرت إلى الحبشه مع رفاق دريها، وعلى رأسهم زوجها جعفر الطيار، بعد البعثه النبويه، وقبل الهجره النبويه إلى المدينه، فى السنه الخامسه، وكانوا آخر العائدين هى وزوجها وصحبه إلى المدينه دار هجرتهم الثانيه، سنه ٧ هجرية، فيما كانت سنه زواج سيده نساء العالمين من الإمام عليّ (ع) سنه ٢ أو ٣ هجرية، أو فى السنه الأولى للهجره، كما عليه بعض الروايات والمفروض أنّ أسماء وأيضاً جعفر، كانا فى هذا الوقت فى الحبشه! فكلّ هذا وغيره من الأخبار وقع فيه اشتباه، انتبه إليه بعضهم: كمحمد بن يوسف الكنجى الشافعى فى كتابه «كفايه الطالب» حيث قال:

إنّ ذكر أسماء بنت عميس فى خبر تزويج فاطمه (عليها السلام) غير صحيح، لأنّ أسماء التى حضرت فى عرس فاطمه إنما هى بنت يزيد بن السكن الأنصارية، ولها أحاديث عن النبى (ص) وأسماء بنت عميس كانت مع جعفر بن أبى طالب بالحبشه، وقدم بها يوم فتح خيبر سنه سبع، وكان زواج فاطمه (عليها السلام) بعد بدر بأيام يسيره.

أما فى كشف الغمه، فقد احتمل أن تكون سلمى بنت عميس هى التى حضرت زفاف فاطمه الزهراء (عليها السلام).

وهنا لا بد لي من القول:

١ إنّ هذه الأنصارية كانت من أهل يثرب وتسكن فيها.

٢ لم تكن مسلمة حين وفاه أم المؤمنين خديجه فى مكه، وقد توفيت قبل هجره رسول الله (ص) إلى المدينه.

والروايه تذكر أنّ أسماء حضرت وفاه خديجه، وراحت هذه الأخيره تبكى وتشكو لها خوفها على ابنتها السيده فاطمه، فيما تعهدت أسماء إن بقيت إلى ذلك الوقت، أن تقوم مقامها، أى مقام السيده خديجه، فى رعايه ابنتها... فكيف لهذه الأنصارية أسماء بنت يزيد

بن السكن وهى فى المدينه، وهى لم تكن بعدُ مسلمه تأتى إلى مكه لتحضر وفاه أم المؤمنين خديجه، وتعطى ذلك العهد؟!

والنتيجه التى يبدو لى أنها قد تكون الأقرب إلى الصحه، ما احتمله صاحب كشف الغمه، من أن الحاضره ذلك الزفاف، هى سلمى أخت أسماء بنت عميس، وكانت سلمى زوجة لحمزه بن عبد المطلب رضوان الله عليه.

وماوقع هو اشتباه من الرواه فى أسماء بنت عميس، وفى وجود جعفر أيضاً. (١)

وعلى أية حال، فقد كانت العلاقه وطيدة بين سيده نساء العالمين وأسماء، فهى التى تشرفت بتمريضها أيضاً حتى نفسها الأخير، وقد أوصتها بوصاياها فى تكفينها وتشيعها، وهى التى نعتها إلى الإمام على (ع) وشاركته فى تغسيلها، وتكفينها، وترحيلها، إلى مثواها الأخير.... (٢)

فلما رأت (عليها السلام) دنو أجلها، وأنها تسرع الخطى للحاق بأبيها (عليها السلام) طلبت من أسماء بنت عميس أن تحضر لها ماءً لتغتسل به، فاغتسلت، ولبست أحسن ثيابها... و طلبت من أسماء أن تضع لها فراشاً وسط البيت، فاضطجعت فى فراشها، وهى مستقبلة القبلة، ثم دعت أسماء و أم أيمن، و طلبت إحضار على بن أبى طالب (ع) فحضر على (ع) وراحت (عليها السلام) توصيه بوصاياها...

«يا ابن العم! إنه قد نعت إلى نفسى، و إننى لا أرى ما بى إلا أننى لاحقه بأبى ساعه بعد ساعه، و أنا أوصيك بأشياء فى قلبى».

قال لها على (ع): «أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله».

فجلس عند رأسها، و أخرج من كان فى البيت، ثم قالت: «يا ابن العم! ما عهدتنى كاذبه، ولا خائنه، ولا خالفتك منذ عاشرتنى».

١- أنظر: تاريخ هجرتهم وعودتهم فى المصادر التاريخيه، ومنها مختصر تاريخ دمشق، ترجمه جعفر بن أبى طالب ٦: ٦٢٧٤.

٢- تاريخ الطبرى ٢: ٢٥٣، سنه ١١ وغيره من المصادر.

فقال: «معاذ الله، أنت أعلم، وأبرّ، وأتقى، وأكرم، وأشدّ خوفاً من الله، من أن أوبخك بمخالفتي، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، إلا أنه أمر لا بدّ منه، والله لقد جددت عليّ مصيبه رسول الله (ص) وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبه ما أفجعها وآلمها وأحزنها، هذه والله مصيبه لا عزاء عنها، ورزیه لا خلف لها».

ومن ضمن ما قالته (عليها السلام) في وصيتها للإمام (ع) مما له علاقة بمقاتلتها هذه:

... أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لي نعشاً... (١)

وفعلًا، فقد قام الإمام عليّ (ع) بتغسيلها، ولم يشاركه أحد من النساء إلا أسماء بنت عميس، وكان الحسنان يحملان الماء، ويدخلانه إلى المغتسل، ولم يشارك في الغسل، ولم يحضرها غيره، وغير الحسين، وزينب وأم كلثوم، وفضه جاريتها، وأسماء بنت عميس، ثم صلّى عليها عليّ (ع)...

ثم وضعها على نعش، صنعته أسماء بنت عميس لفاطمه (عليها السلام)...

وقد ذكر المؤرخون، أنّ أول من حمل على نعش، هي فاطمه (عليها السلام) صنعتها لها أسماء بنت عميس، على النحو الذي شاهدته في الحبشه، أيام هجرتها. (٢)

وقد روى عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال:

«أول نعش أحدث في الإسلام نعش فاطمه، إنها اشتكت شكوتها التي قبضت فيها، وقالت لأسماء: إني نحتت، وذهب لحمي، ألا تجعلين لي شيئاً يسترني؟ قالت أسماء: إني إذ كنت بأرض الحبشه، رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك؟ فإن أعجبتك أصنع لك».

قالت: نعم.

فدعت بسرير، فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه، ثم جلّته ثوباً، فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون.

١- المجالس السنيّه، للسيد الأمين ٢: ١٢٣؛ فاطمه الزهراء من المهدي إلى اللحد: ٦٠٩ من روضه الواعظين؛ بحار الأنوار ٧٨: ٢٥٦.

٢- أنظر مثلاً تاريخ المدينه المنوره، لعمر بن شبة ١: ١٠٨؛ والاستيعاب، لابن عبد البر.

فقال فاطمه: إصنعى لى مثله، أسترينى سترك الله من النار».

كما ظلت وفيه لبيوت أخرى، شاءت السماء أن تحلّ فيها زوجته، بعد أن راح يتمنى الاقتران بها رجال رأوا فيها صدق الإيمان، وعمق الوعي، ونفاذ البصيره والعقل والحكمه، فكان الخليفه الأول أول المتقدمين إليها، بعد استشهاد جعفر بن أبى طالب، ورزقها الله منه محمداً، نعم العبد الصالح، المطيع لله ورسوله وأهل بيته، والمتفانين فى سبيلهم...

تعهدت مسؤوليه تربيته أبنائها من جعفر، ضمت إليهم ابنها محمد من أبى بكر، وهى تدعو الله أن يصلح بالهم، وأن يجعلهم على الصراط المستقيم...

مع الإمامه

وقدر لهذه المرأه الصالحه، أن تحل فى بيت ارتضاه الله تعالى أن يكون من بيوته، بيت إيمان وطهر، بيت إمامه وصدق، فتشرفت بأن تقترن بمن عرف بقرباته القريبه، من رسول الله (ص) وبقدمه فى الإسلام، ونصرتة، وجهاده، و بمن وصفه رسول الله (ص) بصفات عظيمه، لم تتوفر لغيره كالأخوه، والوصيه، والخلافه، والولاية...، وقد عصت على الجميع وأبت إلا أن تكون لعلى وعلى فقط، وهو رفيق رسول الله (ص) وصهره لابنته الراحله فاطمه الزهراء سيده نساء العالمين، وهو شقيق جعفر الطيار زوجها الشهيد، وهو عم أولادها الثلاثه، وهو فوق كل هذا وغيره، أروع شخصيه صنعتها السماء بعد رسول الله (ص) وبدخولها هذا المنزل المبارك تكون قد دخلت أفضل وأعظم مصداق لمدرسه النبوه والإمامه، ومن أوسع أبوابها، لتكون أنموذجاً حياً لأخلاق القرآن والإسلام...

لقد تزوج أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) بأسماء بنت عميس، وانتقلت إليه برفقه أولادها الأربعة، ليتذوقوا مفاهيم وقيم النبوه والإمامه، من أصدق منابعها، وعاشت معه، فكانت صورته رائعه للمرأه المسلمه، والداعيه المؤمنه، وقد أولدها يحيى و عوناً، فكانت مثلاً حياً للزوجه الصالحه، والأم المربيه، فجعلت الإمام (ع) معجباً برجاحه عقلها، وهو ما تنطق به سيرتها، وما تجده واضحاً حينما اختلف كل من ولديها:

"محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر" وراح كل منهما يتفاخر بأبيه، فقال كل منهما للآخر: "أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك".

وأحال الإمام عليّ هذا الأمر إليها رضوان الله تعالى عليها لتقضى بينهما، إذن، كيف استطاعت أن ترضيهما؟!!

وقفت أسماء بينهما، وقالت غير متردده ولا- منتظرة طويلاً: "ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر". فسكت الولدان، وتصالحا.

فقال عليّ مداعباً: فما أبقيت لنا أو ما تركت لنا شيئاً، ولو قلت غير الذي قلت لمقتك!

قالت: إن ثلاثة أنت أحسنهم خياراً!!! (١)

لقد كبرت في عين عليّ، حتى أصبح يردد في كل مكان:

«كذبتكم من النساء الخارقه، فما ثبتت منهنّ امرأه إلا أسماء بنت عميس».

و أخيراً رحلت رضوان الله تعالى عليها، وأحداث جسام تعاقبت عليها، كتتمت آلامها، وتعالى على جراحها، حين جاءها مصرع ولدها محمد بن أبي بكر، فراحت تتلوى مما تركه نبأ استشهاده من أثر مؤلم على قلبها، فحبست دمعها، وكتمت حزنها، وعكفت في مصلاها، حتى شخب ثديها ونزفت، ثم فجعت بمقتل زوجها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فلم تعد بَعْدَ مصابه قادره على تحمّل الألم الذى يعتصر بقيه قلبها الذى انهكه المرض، حتى فاضت روحها إلى العليّ العظيم، فى سنه أربعين للهجره، رضوان الله تعالى عليها.

١- أنظر ما رواه زكريا بن أبي زائدة، عما سمعه عن عامر.

(٢٢) مصعب بن عمير

إشارة

محمد سليمان

أبوه: عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي البدرى القرشي العبدري..

أمه: خناس بنت مالك بن المضرب العامريه، وهي من نساء بني مالك.. له أخ اسمه أبو عزيز، ولمصعب موقف منه في معركة بدر الكبرى، وهناك شخص من بني عبد الدار بن قصي، اسمه أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، كان مع الوجهه الثانيه من المهاجرين التي التحقت بالوجهه الأولى التي هاجر فيها مصعب إلى الحبشه، ولم أجد من أشار إلى هذه العلاقه، أو أنه عاقبته أمه كما عاقبت مصعباً.. ولا أدري قد يكون أخاً لمصعب من أبيه.. لهذا لم تستطع خناس أن تنال منه.. وله أخت تدعى هند بنت عمير، وهند هي أم شبيهه بن عثمان حاجب الكعبه، جد بني شبيهه...

كنيته: كان مصعب يكنى «أبو عبد الله».

لقبه: «مصعب الخير» وهو ما أراد له المسلمون، وأحبوا أن يلقبوه به.

مصعب واحد من فضلاء الصحابه وخيارهم، بعد أن منّ الله تعالى عليه أن يكون من السابقين إلى الإسلام، ثم من منتسبي مدرسه الصحبه الواعيه المباركه لرسول الله (ص) امتلاً

إيماناً ورساليه ووعياً فريداً، وحلماً كبيراً.. جعله ذلك يتدفق حيويه، وحرکه دؤوبه، ونشاطاً كبيراً فى كل مواقفه الإيمانيه والتبليغيه والجهاديه..

لقد تمثلت فى شخصيته رجوله وشجاعه وإباء، وتجسد فى قلبه يقين ثابت، وفى نفسه إرادته مبدعه، وفى سلوکه سيره حسنه، وأخلاق فاضله.. فغداً يستقبل المسؤوليات العظيمة بكل ما فيها من مصاعب ومتاعب ومخاطر، دون أن يتطرق الخور إلى نفسه، أو يحلّ الإعياء فى عزيمته، بفضل ما يتحلى به من الحكمة التى افتقدها الكثيرون، حتى الكبار ممن هم حوله.. وبفضل إيمانه الواعى، وعشقه لرساله الدين الجديد، الذى حمّله رسول الله (ص) إليهم، وتعلقه بالرساله والرسول (ص) وعمق صدقه وإخلاصه.. فقدم ما قد يعجز عنه الآخرون، وهم مجتمعون، فنال ذكراً طيباً فى الدنيا، وخلوداً فى جنه عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

يقولون عنه

إنه كان فتى قريش، وقد أوتى من الجمال والأناقه ما جعله شاباً يافعاً، وضىء الطلعه، مليح الهيئه، فريداً بين أقرانه، وأوتى من المال ما جعله مترفاً متنعماً مدلاً محبباً إلى والديه الثريين اللذين راحا يغدقان عليه بما يشاء، ويحققان له كل ما يريد من أسباب الحياه الفارهه.

كانت أمه تكسوه من الثياب أحسنها وأرقها، وتطيبه بأطيب العطور لتجعله كما تتمنى أعطر شباب أهل مكه، بل أعطر أهلها، وخير دليل على هذا ما كان يقوله رسول الله (ص) حين يذكره:

«ما رأيت بمكه أحسن لمه، ولا أرق حله، ولا أنعم نعمه من مصعب بن عمير» و «لقد رأيت مُصعباً هذا وما بمكه فتى أنعم عند أبويه منه».

واللمه بتشديد اللام وكسرهما: شعر الرأس الذى يتجاوز شحمه الأذن.

الحله بضم الحاء: الثوب الجديد وقد تكون ثوبين أو ثلاثه أثواب قميصاً وإزاراً ورداء.

حقاً لقد كان من أنعم أهل مكة وأجمل فتيانها، وأكثرهم شباباً.

ولكن لم يمنع مصعباً كل تلك الفتوة الفائقة، وذاك النعيم، وهذا الترف، من الانضمام إلى قافلة المؤمنين، حين طرق سمعه دين السماء الجديد الذي يحمله رسول الرحمة محمد بن عبدالله (ص).

لم يمنعه كل ذلك ولا حتى غيره من أن يسلم ويصدق في إسلامه، ويؤمن ويخلص في إيمانه.

سمع عن الإسلام والمسلمين في مكة، وأنهم يجتمعون برسول الله (ص) في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فلم يتأخر طويلاً بل أطلق ساقيه ليسجل سبقاً عظيماً، وهو يعلم جيداً بحكم ذكائه ومعرفته بوالديه، وبالذات أمه صاحبه الكلمة والسطوة، أنه سيسلب النعيم الذي هو فيه، وسيبديل حاله من السعة إلى الضيق، ومن الراحة إلى التعب، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الترف إلى الحرمان إن هو آمن.

ولكنه وكما يصفه المسلمون مصعب الخير، أثر الحياه الآخرة ونعيمها الخالد على الدنيا ونعيمها الزائل، بعيداً عن الزهو والدلال وما يتركانه من تعال وكبرياء وطغيان.

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا}.

لقد انطلق مسرعاً في ذلك الصباح إلى حيث دين الله، وآياته التي تتلى ورسوله الكريم إلى الصفا، إلى دار الأرقم، حيث كان له اللقاء المبارك مع الإسلام.

فما أن وقع نظره على رسول الله (ص) حتى بسط يده مبايعاً، وما إن لامست يده بل يده يد رسول الرحمة والبركة، حتى تهلل وجهه، وأشرق جبينه، ووضح البشر بين عينيه، وهو يعلن الشهادتين لينضم إلى إخوانه، فينال وسام السابقين الأولين إلى الإسلام، حتى نزلت السكينة عليه والحكمة، وحتى غدت العيون لتزداد له هيبه وتمتلاً القلوب إعجاباً به، وإكباراً له كلما رأته، واطلعت على سيرته العطره الواعيه الواعده.

آمن بالله تعالى وصدق دينه ونبيه متحدياً بذلك قريشاً بعتادها وقوتها وجبروتها وعنادها، وهو يرى تعذيبها لمن آمن من قبله من المستضعفين في رمضان مكة.

مصعب وأمه

كانت أم مصعب تتمتع بقوه وصلابه ومهابه، لهذا حين أسلم مصعب اتخذ قراراً أن يكتنم إسلامه حتى يقضى الله أمراً، إلا أنها علمت بعد حين بإسلامه فقد أبصره عثمان بن طلحه مره، وهو يدخل إلى دار الأرقم، وراه أخرى وهو يؤدي الصلاه، فأسرع إليها ينقل لها نبأ إسلام مصعب الذى كانت تحبه حباً شديداً، وتحرص عليه حرصاً كبيراً، وقد أفقدها هذا الخبر صوابها، فحاولت أن تشيه عن الإسلام، إلا أنها لم تجد عنده ضعفاً أو تنازلاً أو ميلاً لما تريده منه، بل لم تحدثه نفسه بخيار يكون بديلاً لإيمانه، فراحت تشتد فى معاملتها له، وتقسو عليه وتضيق فى عيشته وحركته أكثر فأكثر، ومنعته من كل نعيم كانت تقدمه له.

نعم، لقد ضيقت عليه وحبسته وبذلت كل ما تستطيعه من جهد لترده عن دينه، لكنها واجهت من ابنها مصعب إصراراً أكبر على الإيمان؛ فلما آيست منه طرده من بيتها، ثم حرمته من المال كثيره وقليله.

أما مصعب فقد واجه أمه وعشيرته وأشراف مكه المجتمعين يتلو عليهم آيات من القرآن الكريم، فهتت أمه أن تسكته بلطمه، ولكنها لم تفعل، وإنما حبسته فى زاويه من زوايا دارها وأحكمت عليه الغلق، حتى علم أن هناك من المسلمين من يخرج إلى الحبشه، فاحتال على أمه ومضى إلى الحبشه وعاد إلى مكه، ثم هاجر الهجره الثانيه إلى الحبشه، ولقد منعته أمه حين يئست من استجابته لها كل ما كانت تفيض عليه من النعم، وحاولت حبسه مرات بعد رجوعه من الحبشه، فألقى على نفسه لثن فعلت ليقتلن كل من تستعين به على حبسه، وإنما لتعلم صدق عزمه، فودعته باكيه مصره على الكفر، وودعها باكيه مصره على الإيمان، فقالت له وهى تخرجه من بيتها:

إذهب لشأنك، لم أعد لك أمأ.

فاقترب منها وقال:

يا أمه إنى لك ناصح، وعليك شفوق، فاشهدى بأنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أجابته غاضبه

قسماً بالثواب، لا أدخل في دينك، فيزرى برأى، ويضعف عقلى.

ثم قررت سجنه وهو مع هذا كله كلما ازدادت عليه أمه ضيقاً وشده ازداد ثباتاً ورسوخاً على دينه، وحرصاً على آخرته، ولقد عانى معاناه شديده، وشعر بالأذى يتضاعف عليه يومياً، وهو يحرم مما تعود عليه من نعيم، وأخيراً لم يكن أمامه إلا أن ترك النعمه الوارفه التي كان يعيش فيها مؤثراً الشظف والفاقه، وأصبح الفتى المتأثق المعطر، لا يرى إلا مرتدياً أخشن الثياب، يأكل يوماً، ويجوع أياماً؛ ومع هذا الألم المضاعف عليه صبر وصابر، وهو يرى نفسه يعذب ويحجر عليه، وآلامه تتضاعف، لأنه عاش حياه الرفاهيه والراحه، بعيداً عن أسباب الألم والتعب، وهو الشاب الترف الناعم الطرى، الذى نشأ فى أحضان النعمه والعيش الرغيد، قبل أن تبدأ مرحله أخرى تغير فيها الحال، وكان أمراً غريباً عليه، لما تعرض له بعد إيمانه، لأنه لم يعيش حياه الخشونه والأذى، لكنه لم يشنه شيء من ذلك عن دينه.

يقول عنه سعد بن أبى وقاص:

«وأما مصعب بن عمير، فإنه كان أترف غلام بمكه بين أبويه فيما بيننا، فلما أصابه ما أصابنا من شظف العيش، لم يقو على ذلك، فلقد رأيت وإن جلده ليطاير عنه تطاير جلد الحيه، ولقد رأيت ينقطع به، فما يستطيع أن يمشى، فنعرض له القسى ثم نحمله على عواتقنا».

ترك نعيم الدنيا، وخرج مصعب من النعمه الوارفه التي كان يعيش فيها مؤثراً الفاقه، وأصبح الفتى المعطر المتأثق لا يرى إلا مرتدياً أخشن الثياب، يأكل يوماً ويجوع أياماً، وقد بصره بعض الصحابه يرتدى جلباباً مرقعاً بالياً، فحنوا رؤوسهم وذرفت عيونهم دمماً شجياً.

ورآه الرسول (ص) وتألفت على شفتيه ابتسامه جليله وقال:

«لقد رأيت مصعباً هذا، وما بمكه فتى أنعم عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حباً لله

وحين نظر رسول الله (ص) إلى مصعب وقد جاء مقبلاً وعليه إهاب كبش قال:

«أنظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيت بين أبي بن يعقوب وأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون».

لقد ظلّ مصعب محتسباً كل آلامه عند الله العلى القدير ينتظر منه الفرج والنجاه والأجر والثواب.

هجرته

ولما اشتد أذى المشركين لمصعب ولإخوته المسلمين، وضاق بهم أسياد مكة ذرعاً، أذن لهم رسول الله (ص) بالهجرة إلى الحبشه، وهى الهجره الأولى لهم بعد إسلامهم.

يقول ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافيه بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشه، فإنّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

فخرج عند ذلك جمع من المسلمين من أصحاب رسول الله (ص) إلى أرض الحبشه، مخافه الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجره كانت فى الإسلام، ثم ذكر أسماء من هاجروا ونسب كل واحد منهم إلى قبيلته حتى وصل إلى: ومن بنى عبد الدار بن قصي: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، ثم واصل ذكر غيره، فكان عدد الرجال عشره ومعهم أربعة نساء، ومصعب كان سادسهم.

وقد خرجوا متسللين سراً حتى انتهوا إلى الشعبيه، منهم الراكب والماشى، ووفق الله المسلمين ساعه جاؤوا سفينتين للتجار، حملوهم فيهما إلى أرض الحبشه بنصف دينار، وكان مخرجهم فى رجب فى السنه الخامسه من حين نبى رسول الله (ص) وخرجت قريش فى

آثارهم حتى جاؤوا البحر فلم يدرکوا منهم أحداً. (١)

وفى قول: إنهم أمروا عليهم عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح.. ثم تواصلت هجرتهم فالتحق من قبيله مصعب عدد آخر، وهم سويبط بن سعد، وجهم بن قيس، ومعه امرأته أم حرملة من خزاعه، وابناه عمرو وخزيمه، وأبو الروم بن عمير وهو أخ لمصعب كما يبدو لى وفراس بن النضير، فكانوا كلهم سبعة رجال من قبيله عبد الدار، قبيله مصعب بن عمير. (٢)

فهاجر مصعب الهجره الأولى إلى الحبشه مع من هاجر، وكان عددهم اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، ثم تكاثر عدد المهاجرين الذين تعاقبوا على الحبشه، حتى وصل جميع من لحق بأرض الحبشه، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً.

وكان مما قيل من شعر فى الحبشه وهو يصور معاناتهم، وما تعرضوا من عذاب وهوان كانت السبب فى هجرتهم وترك بلادهم:

كل امرئ من عباد الله مضطهد

ببطن مکه مقهور ومفتون

إنا وجدنا بلاد الله واسعه

تنجى من الذل والمخزاه والهون

فلا تقيموا على ذل الحياه وخز

ى فى الممات وعيب غير مأمون

إنا تبنا رسول الله واطرحوا

قول النبى وعالوا فى الموازين (٣)

لكن مصعب لم يبق طويلاً فى هجرته إلى الحبشه، إذ رجع بعد هجرته بعده أشهر عندما أشيع فى الحبشه أن قريشاً قد أسلمت، وكان الأمر غير ذلك.

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحاب رسول الله (ص) الذين خرجوا إلى أرض الحبشه إسلام أهل مکه، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى إذا دنوا من مکه بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من

٢- السيره النبويه، لابن هشام ١ : ٣٢٢ ٣٢٥؛ تاريخ الطبرى.

٣- المصدر نفسه ١ : ٣٣٠ ٣٣١.

إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً.. وسجل ابن هشام في سيرته العائدين من المهاجرين، حتى وصل إلى من عاد من بني عبد الدار: ومن بني عبد الدار بن قصي: مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف، وسويبط بن سعد بن حرملة. (١)

وتمر الأيام العصيبة على المسلمين في مكة، ويأتي عام الحزن العام الذي توفيت فيه خديجه أم المؤمنين زوجته رسول الله (ص) وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها، ووفاه عمه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعه وناصراً على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، وينتهي عام الحزن هذا. (٢)

ولما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه (ص) راح رسول الله (ص) يعرض نفسه على قبائل العرب، تأتي منهم في موسم الحج طلائع، وقد جاء من أهل يثرب سنة ١١ من البعثة النبويه رهط، والتقوا بالرسول (ص) عند العقبة ستة نفر من الخزرج، وأسلموا على يديه، وواعدوا رسول الله (ص) إبلاغ رسالته إلى قومهم؛ وفعلاً ما إن عادوا إلى يثرب إلى قومهم حتى أفضوا الأمر، وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي اثنا عشر رجلاً، اجتمع هؤلاء مع النبي (ص) عند العقبة بمنى، فبايعوه ببيعة العقبة الأولى، وكانت بيعتهم كبيعة النساء خاليه من البيعه على القتال.

يقول ابن هشام: فبايعوا رسول الله (ص) على بيعة النساء [وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن، قال: {يُبَايِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا} فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، وكانت مبايعه النساء أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق فإذا أقرن بالستهن، قال: قد بايعتكن].

عن عباده بن الصلت قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله (ص) على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك

١- أنظر السيره النبويه ١ : ٣٦٥.

٢- المصدر نفسه ٢ : ٤١٦.

بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله عزّوجل إن شاء عذب وإن شاء غفر. (١)

سفير الرسول والرساله

لقد شاءت له السماء أن يكون من أولئك الذين شيدوا أساس الإسلام ومجده وعزته ومنزلته فى المدينه المنوره، بلد الهجره والنور والعطاء، بين أهليها من الأوس والخزرج، وليجعل منهم دعاه إلى دين الله وأنصاراً لرسوله (ص) وأن يكون فى إيمانه وحرسته وجهاده واستشهاده قدوه صالحه، لأنه من {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ} وحقاً كان لقبه المسلمون «مصعب الخير».

يأتى دور الصحابى الشاب مصعب بن عمير بعد أن تمت البيعه، وقد عرف بنودها وحفظها وانتهى الموسم، بعثه النبى (ص) مع هؤلاء المبايعين أول سفير فى الإسلام، ليعلّمهم والمسلمين فى يثرب مفاهيم الإسلام وأحكامه، ويقرئهم القرآن، ويفقههم فى الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، لقد اختار رسول الله (ص) لهذه المهمه الشاقه مصعب بن عمير رضوان الله تعالى عليه، وهو فتى من شباب الإسلام، من السابقين الأولين الصادقين المخلصين المتحمسين بوعى وحيويه وقدره.

قال ابن إسحاق فى السيره النبويه: فلما انصرف عنه القوم، بعث رسول الله (ص) معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى المقرئ فى المدينه: مصعب، وكان منزله على أسعد بن زراره بن عدس، أبى أمامه.

ثم يواصل ابن إسحاق كلامه قائلاً: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتاده: أنه كان يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض.

وقال البراء بن عازب: أول من قدم علينا المدينه من المهاجرين مصعب بن عمير، فهو

أول مهاجر إلى المدينة حرسها الله.

إذن قبل أن يهجم المبايعون من سادات الأوس والخزرج ونقبائهم بالرجوع إلى مدينتهم يثرب، طلبوا من الرسول (ص) أن يبعث معهم معلماً يعلمهم الإسلام وأحكامه، ويدرسهم القرآن ويفقههم في الدين، وهذا دليل وعيهم وشوقهم لمعرفة هذا الدين الذي آمنوا به، وتمسكهم والتزامهم بما عاهدوا الله تعالى عليه، وبايعوا عليه رسوله (ص).

وكانوا يتوقعون أن يرسل (ص) معهم ما هم بحاجة من أصحابه المعلمين إلا أنه (ص) اكتفى بواحد منهم، ولم ينتدب لهذه الوظيفة إلا مصعباً المتدفق حيويه ونشاطاً وذكاء، المشع وجهه جمالاً وبهاء، ليضطلع بمسؤوليه كبيره وجديده.

اختاره الرسول أن يكون سفيره إلى يثرب، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبة، ويدخل غيرهم في دين الله، ويعدّ يثرب ويهيئها ليوم هجره النبي (ص) إليها.

إن رجاحه عقل مصعب، وكريم خلقه وصبره ونشاطه وزهده، جعله موضع تشریف رسول الله (ص) له، ليسجل بذلك أول مبعوث للنبوّه والرساله وأول سفير للإسلام.

وكم كانت فرحه مصعب عظيمه وهو يتلقى أمر الرسول (ص): اذهب يا مصعب على بركة الله.

فراح يردد كلمات الشكر لله تعالى ويتمتم بها، وهو يرى ما أولاه الرسول (ص) من الثقة العاليه به، ومن فوره راح يغذ السير مع من أسلم من يثرب، لينطلق بأشرف الأعمال وأحسنها: {وَمِنْ أَحْسَنِ قَوْلِهِمْ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ولسانه يردد:

{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي}.

وحتى نعرف عظم المسؤوليه الملقاه على عاتقه وخطورتها، أنه دخلها ولا يوجد في يثرب إلا اثنا عشر مسلماً.. وأجاؤها كانت مشحونه بالعداوه التاريخيه المريره بين قبيلتي الأوس والخزرج اللتين خاضتا معارك داميه مليئه بالأحقاد والثارات، وخصوصاً إذا عرفنا أن في يثرب عدواً متربصاً بهم، ويسوؤه وفاقهما ووحدهما، ويؤلمه اجتماعهما واتفاقهما،

وهو يواصل إذكاء تلك العداوات بكل ما أوتى من قوه ومال وخبث، إنهم يهود بنى قريظه وبنى النضير.

لقد كان هذا الشاب رضوان الله تعالى عليه، يقدر المسؤوليه التي أنيطت به، ويعلم أنه يجب عليه أن ينهى مهامه خلال سنه حتى يوافق رسول الله (ص) فى الموسم القادم، ومع الكثير من الأوس والخزرج، لكي يتابعه على نصره الإسلام، فعليه إذاً أن يجتهد فى الدعوه، وأن لا يهنأ بطعام، ولا يغمض له جفن، حتى يدخل الناس فى دين الله أفواجاً.

وأما أسعد بن زراره الذى نزل عنده مصعب، فقد كان من أوائل من أسلم من الأنصار، ولأنه توفى بعد هجره الرسول (ص) بقليل، فإننا لا نجد له ذكراً كثيراً فى كتب السيره، وأخذ كل من مصعب وأسعد بن زراره يبتان الإسلام بين الأوس والخزرج بجد وحماس، حتى صار يدعى مصعباً بالقارئ والمقروء.

وهو ما حصل بالفعل؛ فقد طفق هذا الصحابى الشاب منذ أن وطأت قدماه تراب يثرب يوصل ليله بنهاره، ولا يعرف الهدوء والاستقرار حتى استطاع بتسديد من الله تعالى ودعم من رسوله (ص) وخلال سنه أن يجعل شبابها ورجالها ونساءها ينعمون بأجواء إسلاميه قرآنيه، وحقاً ما ذكروه عنه أنه:

«لم يزل يدعو للإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار الأوس والخزرج إلا وفيها رجال ونساء مسلمون»، إلا ما كان من دار بنى أميه بن زيد وخطمه ووائل وواقف، وتلك أوس الله وهم من أوس بن حارثه، وذلك أنه كان فيهم أبوقيس بن الأسلت وهو صيفى، وكان شاعراً لهم، وقائداً يسمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله (ص) إلى المدينه ومضى بدر وأحد والخندق.

وفى روايه: إنَّ هناك رجلاً واحداً، وهو الأصيرم، تأخر إسلامه إلى يوم أحد. (١)

لقد أثبت الشاب الصالح مصعب بن عمير، أنه خير سفير للإسلام، اعتمده الرسول الكريم (ص) لأهل يثرب، فقد قام بما عهد إليه من مهمه ومسؤوليه خير قيام، إذ استطاع

بدمائه خلقه وصفاء نفسه أن يجمع كثيراً من أهل يثرب على الإسلام، حتى أن قبيله من أكبر قبائل يثرب وهي قبيله بنى عبد الأشهل، قد أسلمت جميعها على يده بقياده رئيسها سعد بن معاذ رضوان الله تعالى عليه، ومن أروع ما يروى من نجاحه فى الدعوه هذه القصه، التى جاء فيها:

إنَّ أسعد بن زرارہ خرج بمصعب بن عمير، يريد به دار بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن خاله أسعد بن زرارہ، فدخلوا فى حائط من حوائط بنى ظفر، وجلسا على بئر يقال لها: بئر مرق، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم؛ وسعد بن معاذ وأسيد بن خضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا بذلك قال سعد بن معاذ لأسيد بن خضير: لا أبا لك! انطلق إلى هذين اللذين قد أتيا دارنا، ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهما أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارہ منى حيث قد علمت، كفيتك ذلك، هو ابن خالى ولا أجد عليه مقدماً.

فأخذ أسيد بن خضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارہ قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه.

قال مصعب: إن يجلس أكلمه، قال: وجاء أسيد فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا! اعتزلانا إن كانت لكما فى أنفسكما حاجه.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟

قال: أنصفت.

ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب عن الإسلام، وقرأ عليه القرآن.

فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، فى إشراقه وتسهله أو وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل فتطهر ثوبك، ثم تشهد شهاده الحق، ثم تصلى ركعتين.

فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهاده الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنَّ ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن خضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعنا ما أحببت، وقد حدثت أن بنى حارثه قد خرجوا إلى أسعد بن زراره ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، قال: فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثه، فأخذ الحربه من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً ثم خرج إليهما فلما رأهما سعد مطمئنين، عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زراره: يا أبا أمامه لولا ما بيني وبينك من القرابه ما رمت هذا منى، تغشانا في دارنا بما نكره! وقد قال أسعد لمصعب: أى مصعب! جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت ثم ركر الحربه فجلس فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن، قالوا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراقه وتسهله.

ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهاده الحق، ثم تصلى ركعتين.

فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهاده الحق، وركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه، ومعه أسيد بن خضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال:

يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيباً، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

يقول الراوى: فوالله ما أمسى فى دار عبدالأشهل رجل ولا امرأه إلا مسلماً أو مسلمه.

والذى يبدو لى أنّ مصعباً حينما عرض الإسلام على سعد، وقرأ عليه القرآن، انشرح صدر سعد، لأن سعداً كان صاحب ضاله، أو كان من الذين يبحثون عن الحقيقه بجد، وما أن وجدها فى هذا الدين، حتى تمسك بها، وأخلص لها أيما إخلاص، وهو ما تشهد به سيرته ومواقفه فيما بعد.

وأقام مصعب يدعو إلى الله، حتى أنه لم يترك بيتاً للأوس والخزرج إلا وقد دخله صوت لا إله إلا الله.

إمامه مصعب لصلاه الجمعه

هناك من يذهب إلى أنّ صلاه الجمعه أول ما عقدت فى يثرب، بعد أن وصلها الصحابى مصعب بن عمير مبلغاً لله ولرسوله (ص) وحين كتب (ص) إليه، وهو أول من أوفده من مكه مع المسلمين من الأنصار ليعلمهم، ثم قدم بعده عبدالله بن أم مكتوم:

«أما بعد، فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعه، فتقربوا إلى الله بركعتين».

وعلى هذا يكون مصعب أول من صلى بهم الجمعه فى المدينه، وكان عددهم اثنى عشر رجلاً.

وفى خبر عن أبى مسعود الأنصارى، بأن أول من جمع بهم، هو أبو أمامه أسعد بن زراره الذى نزل عليه مصعب بن عمير.

يقول عبدالرحمن بن كعب بن مالك الذى كان يقود أباه كعباً إلى المسجد : كنت أقود أبى، كعب بن مالك، حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعه، فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامه، أسعد بن زراره، ومكث حيناً على ذلك لا يسمع الأذان للجمعه إلا صلى عليه واستغفر له، فقلت فى نفسى: والله إنّ هذا بى لعجز، ألا أسأله ما له إذا سمع الأذان للجمعه صلى على أبى أمامه أسعد بن زراره؟

فخرجت به في يوم جمعه كما كنت أخرج، فلما سمع الأذان للجمعه صلى واستغفر له، فقلت له: يا أبت، مالك إذا سمعت الأذان للجمعه صليت على أبي أمامه؟

فقال: أي بني، كان أول من جمع بنا بالمدينه في هزم النبيه من حره بنى بياضه، يقال له: نقيع الخضمات؛ قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً. [هزم النبيه: جبل على بريد من المدينه، أو أنه في قول آخر: المكان المظمن من الأرض.. والنبيه أبو حى من اليمن اسمه عمرو بن مالك، وحره بنى بياضه قريه على ميل من المدينه، وبنو بياضه بطن من الأنصار والنقيع بطن من الأرض، يستنقع فيه الماء مده فإذا نضب نبت الكلاً]. (١)

ويبدو أن الجمعه نسبت إلى أسعد لأنه أمير القوم، ومصعب كان في ضيافته، وأنه أطعم المصلين غذاء وعشاء، فنسب الأمر إليه.

وهناك من يقول: إن اجتماع المسلمين في يوم من أيام الأسبوع كان باجتهادهم قبل أن تفرض عليهم صلاه الجمعه، فقد جاء في حديث مرسل عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينه قبل أن يقدم النبي (ص) المدينه، وقبل أن تنزل الجمعه، قالت الأنصار: لليهود يوم يجمعون فيه كل أسبوع وللنصارى مثل ذلك، فهلّم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلى ونشكره، فجعلوه يوم العروبه، واجتمعوا إلى أسعد بن زراره، فصلّى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم، فسموا الجمعه حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم شاه فتغدوا وتعشوا منها، وذلك لقلتهم.

الموسم التالى

في موسم الحج التالى عاد هذا الصحابى المؤمن، والداعيه الواعى، والشاب القرآنى، وكان معه سبعون رجلاً من القبيلتين الأوس والخزرج، وهم مستخفون لا يشعر بهم أحد، ومعهم امرأتان: نسيه بنت كعب «أم عماره» المرأه التى عرفت بثباتها يوم أحد، حينما فر الرجال، ولم يبق معه إلا قليل؛ وأسماء بنت عمرو بن عدى.

١- أنظر: السيره النبويه لابن هشام ٢: ٤٣٥؛ والطبرانى؛ وأبو داود؛ وابن حبان؛ وابن ماجه، والبيهقى وابن حجر.

وما أن وقعت عينا رسول الله (ص) عليه حتى راح يقبله ويضمّه إلى صدره الحبيب:

كيف تركت يثرب يا مصعب؟

تركتها إسلاماً والحمد لله، يا رسول الله!

وأخذت الدهشه بعض الحضور!!!

وراح يبين لهم دوره، وما بذله من الجهود الكبيره ليسلم عدد على يديه، كأسيد بن خضير سيد بنى عبد الأشهل بالمدينه، الذى جاء شاهراً حربته، ويتوهج غضباً وحنقاً على هذا الذى جاء يفتن قومه عن دينهم، فلما أقنعه أن يجلس ويستمع، فأصغى لمصعب واقتنع وأسلم، وجاء سعد بن معاذ فأصغى لمصعب واقتنع، وأسلم ثم تلاه سعد بن عباد، وأسلم كثيراً من أهل المدينه، فقد نجح أول سفراء الرسول (ص) نجاحاً منقطع النظير.

حقاً هذا هو مصعب فقد قام بمهمته خير قيام وقبل حلول موسم الحج عاد إلى مكه يحمل إلى رسول الله (ص) بشائر النصر والفوز ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوه ومنعه لنصره هذا المدين، فسر النبي (ص) وبايع الأنصار فى هذا الموسم فى السنه الثالثه عشره من النبوه، وكانوا ثلاثه وسبعين رجلاً وامرأتين، وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وعلى النفقه فى العسر واليسر، وعلى السمع والطاعه فى النشاط والكسل، وعلى نصره رسول الله (ص) النصره التامه، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال قائل منهم:

فما لنا يا رسول الله؟

قال: «لكم الجنه».

قالوا: رضينا، ثم انتهت البيعه.

وأذن الرسول (ص) لأصحابه الذين بقوا فى مكه بالهجره إلى يثرب، وسماها بعد ذلك المدينه النبويه.

وفى تعداد منازل المهاجرين على الأنصار بعد هجره المسلمين من مكه إلى يثرب، ذكر ابن هشام فى سيرته: ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بنى عبد الدار، على سعد بن

معاذ بن النعمان، أخى بنى عبد الأشهل فى دار بنى الأشهل.

وكان مصعب أول المهاجرين إلى يثرب، كما سيكون أول مبعوث لنبى الله (ص) إليها، ليبشر أهلها بالإسلام، وقد تعرض لمخاطر كادت أن تطيح به أثناء مهمته الرسالية التبليغية التعليمية، لولا فطنته وذكاؤه وحكمته.

قال عنه البراء بن عازب: «أول المهاجرين مصعب بن عمير».

المؤاخاه

راح رسول الله (ص) حين وصوله يثرب التى غير اسمها إلى المدينة المنوره يؤاخى بين المهاجرين والأنصار.

قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تأخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى، فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلى بن أبى طالب، أخوين. (١)

وبعد هذه المؤاخاه التى ابتدأها رسول الله (ص) بنفسه وعلى (ع) راح يؤاخى بين المهاجرين والأنصار حتى وصل إلى الصحابى:

«مصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار: أخوين».

معركة بدر

وبعد هجره الرسول (ص) وصحبه إلى المدينة، وكان هذا بعد بيعه العقبة الثانية، وقعت أولى معارك الإسلام الكبرى معركة بدر، وقد حمل مصعب بن عمير فيها رايه المسلمين، وللرايه فى أى معركة كما هو معروف دور عظيم وخطير فما دامت مرفوعه تدل على صلابه وثبات وقوه من ينضون تحتها، ولهذا تكون هدفاً أساسياً لكلا المتحاربين.

لقد دفع رسول الله (ص) اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أبيض؛ فيما كانت أمام رسول الله (ص) رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار. (١)

ودافع مصعب عنها وقاتل قتال الأبطال حتى انتصر المسلمون في هذه المعركة انتصاراً ساحقاً.

موقفه من أخيه

وبعد انتهاء المعركة سمع مصعب بن عمير بأن أخاه عزيز بن عمير، وكان هذا يحمل رايه المشركين وقع أسيراً بيد أنصاري.

تقول الروايه:

لما جاءوا بالمشركين الذين وقعوا أسرى بيد المسلمين في معركة بدر الكبرى، فرقهم رسول الله (ص) بين أصحابه وقال:

«استوصوا بالأسارى خيراً».

يقول أحد أولئك الأسارى وهو أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه:

مرّ بي أخى مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى، فقال: شدّ يديك به، فإنّ أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك؛ قال: وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصّونى بالخبز، وأكلوا التمر، لوصيه رسول الله (ص) إياهم بنا، ما تقع فى يد رجل منهم كسره خبز إلا نفحنى بها، فأستحى فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسه.

وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه

مصعب بن عمير لأبى اليسر، وهو الذى أسره، ما قال، قال له أبو العزيز: يا أخى، هذه وصاتك بى، فقال مصعب: إنه أخى دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها، وقد أسلم أبو عزيز هذا الذى كان إسمه زراره. (١)

غزوه أحد

وبعد معركة بدر الكبرى وقد أبلى فيها مصعب بلاءً حسنًا.. تلتها معركة أحد، وقد حمل رايتها مصعب بأمر من رسول الله (ص) كما حمل رايه بدر من قبل... ويحتدم القتال بين الفريقين المتحاررين المسلمين بقيادة رسول الله (ص) ومشركى مكة، وراح المسلمون يجولون فى ميدان المعركة، وكلما ازدادت المعركة شده ازداد مصعب ثباتاً وصموداً ويده اللواء رغم استهدافه من الأعداء؛ وفى ساعه اشتداد التلاحم هذا وكاد النصر أن يكون حليف المؤمنين إذ بالرماء الذين أمرهم رسول الله (ص) بعدم مغادره مواقعهم فى أعلى الجبل مهما كانت نتيجة المعركة.

قال ابن اسحاق «... وتعبي رسول الله (ص) للقتال، وهو فى سبعمائه رجل، أمر على الرماه عبد الله بن جبير، أخا بنى عمرو بن عوف، وهو معلم يومئذ بثياب بيض، والرماء خمسون رجلاً فقال: انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك، لا تؤتينا من قبلك، وظاهر رسول الله (ص) بين درعين، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، أخى بنى عبد الدار».

وإذا بأكثرهم يخالف أمر الرسول (ص) ويترك موقعه فيما استشهد من ثبت منهم وهم قلّه، وكان من بين الشهداء عبد الله بن جبير أمير الرماه، بعد أن انسحب أكثر الرماه ظناً منهم أنّ المعركة حسمت لصالح المسلمين، وشاهدوا المشركين يجزّون أذيال الهزيمة، وأنّ عليهم المبادرة للحصول على الغنائم، وإلا أفلسوا منها، ولم يدركوا أنّ عملهم هذا حوّل

١- أنظر: السيره النبويه ٢: ٦٤٥؛ وتاريخ الطبرى، معركة بدر؛ والروض.

النصر إلى هزيمه، وكاد أن يروح فيها رسول الله (ص) وفعلاً فوجئ المسلمون بفرسان قريش تغشاهم من أعلى الجبل، وحلت الفوضى بين صفوف المسلمين وراح الذعر يشتهمهم، وكان تركيز المشركين على رسول الله (ص) لينالوا منه.

وختمت فتوته بالشهادة

لقد أدرك مصعب بن عمير ذلك كله، فحمل اللواء عالياً، وكبر ومضى يصول ويجول، وكان همه أن يشغل المشركين عن رسول الله (ص) فأقبل ابن قميته وهو فارس في جيش المشركين، فضرب مصعباً على يده اليمنى فقطعها، ومصعب يردد:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}.

وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}.

ثم حمل عليه الثالثه بالرمح فأنفذه وأندق الرمح، ووقع مصعب، وسقط اللواء واستشهد مصعب الخير كما يلقيه المسلمون، وهو يتمتم:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}.

وقد نزل هذا المقطع فيما بعد ضمن آيه كريمه:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (١).

وهو ما ذكره أيضاً ابن سعد عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري، عن أبيه.

ولما قتله كان يظن كما في خبر أنه قتل رسول الله (ص) حتى أنه لما رجع إلى قريش قال لهم: قتلت محمداً. (٢)

١- آل عمران : ١٤٤.

٢- تاريخ الطبري ٢ : ٦٦.

قال ابن إسحاق: فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) اللواء على بن أبي طالب (ع) وقاتل على بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

وفيما ذكرته الصحابييه الجليله أم عماره، وهى تروى معركة أحد: «... فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله (ص) فقامت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف، وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى..

ولما سألتها أم سعد بنت سعد بن الربيع الناقله لهذا الخبر، وقد رأت على عاتقها جرحاً أجوف له غور عمّن أصابها بهذا..

قالت: ابن قمئه، قمأه الله! لما ولى الناس عن رسول الله (ص) أقبل يقول: دلونى على محمد، فلا نجوت إن نجى، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله (ص) فضربنى هذه الضربه، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان» (١).

وبعد انتهاء المعركة جاء الرسول وأصحابه يتفقدون أرض المعركة ويودعون شهداءهم، ووجدوا جثمان مصعب، وقد مثل به المشركون تمثيلاً أفاض دموع رسول الله (ص) وأوجع فؤاده، وقال وهو يقف عنده:

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...}

ثم ألقى بأسى نظرة على برده كفن فيها مصعب وقال:

«لقد رأيت بمكة وما بها أرق حلّه ولا أحسن لمة منك، ثم ها أنت ذا شعث الرأس فى برده..».

وقد وسعت نظرات رسول الله (ص) الحانيه أرض المعركة بكل من عليها من رفاق مصعب الشهداء وقال مؤبناً:

«إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة».

ثم أقبل على أصحابه الأحياء حوله وقال:

«أيها الناس! زوروهم، وأتوهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسى بيده لا يسلم عليهم مُسَلِّمٌ إلى يوم القيامة، إلا ردّوا (ع)».

يقول خباب بن الأرت:

هاجرنا مع رسول الله (ص) فى سبيل الله، نبتغى وجه الله، فوجب أجرنا على الله.. فمننا من مضى، ولم يأكل من أجره فى دنياه شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمره، فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرت رجلاه، وإذا وضعناها على رجله برز رأسه، فقال لنا رسول الله (ص):

«اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجله من نبات الأذخر» وهو نبات معروف طيب الريح.

وقال عنه أبوهريره: «رجل لم أر مثله كأنه من رجال الجنة».

ولما تم دفن الشهداء، انصرف رسول الله (ص) راجعاً إلى المدينة، فلقيته حمته بنت جحش؛ فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبدالله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزه بن عبدالمطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت!

فقال رسول الله (ص): «إنّ زوج المرأه منها ليمكن!»!

لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها. (١)

لقد صارت قصه مصعب بن عمير فى تاريخنا الإسلامى درساً بليغاً من دروس المؤمنين الصادقين، التى تعلّمنا حياه الرجال الصادقين وولاءهم لمبادئهم واستعلاءهم على الدنيا بما فيها من متاع مبهر أخاذ، إنه لنموذج رائع من أولئك الذين تركوا كل ما توفر عندهم، ولهم من غال ونفيس وراحه فى سبيل الله، والإيمان بدينه، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكان لهم من الله الرضا والفوز بجنت عدن تجرى من تحتها الأنهار مع النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً... لقد أبى هذا المؤمن الشاب إلا أن يعيش للإسلام وحده، وأن يموت لا كما يموت الآخرون، بل وأن ينال وسام الشهادة، ويختم بها حياته ونشاطه الدؤوب، فمضى كبيراً، عزيزاً، مسروراً، قد أعذر إلى الله بإيمانه وجهاده وأعماله، فكانت فرحته عند الله تعالى كبيرة، وكان ابتهاجه عظيماً حينما قال فيه وفي إخوانه الذين استشهدوا معه:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.

(٢٣) أبوسعيد الخدرى**إشارة**

محمد سليمان

ما زال حديثنا عن مدرسه الصحبه المباركه لرسولالله (ص) من خلال الترجمة لرموزها، الذين خلد ذكرهم بعد أن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فما أن ننتهى من رمز حتى ندخل مع رمز آخر، ونموذج رائع لها؛ مع صحابى وابن صحابى، إنه هذه المره الصحابى الجليل الخدرى الخزرجى الأنصارى، المولود فى السنه العاشره قبل الهجره النبويه الشريفه، والمعروف بكنيته أبوسعيد الخدرى، ولشهرته بها طغت على اسمه، وهو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبه بن عبيد بن الأجر، وهو خدره بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى.

وعن ابن هشام اسمه سنان، وخدره وخداره بطنان من الأنصار، وهما ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج، وزعم بعض الناس أن خدره هى أم الأجر.

أما أمه، فهى أنيسه بنت أبى حارثه من بنى عدى بن النجار.

وأخوه لأمه قتاده بن النعمان. (١)

١- مختصر تاريخ دمشق ٩ : ٢٧٢؛ أسد الغابه؛ السيره لابن هشام ٣ : ١٣٢؛ تهذيب الأسماء ٢ : ٥١٨؛ الاستيعاب فى تمييز الأصحاب.

لقد كان هذا الصحابي وجهاً بارزاً مشهوراً من الأنصار ومن أفاضلهم، وكان من المحدّثين الكبار، وكان ذا علم ومعرفة وفقه، وله من الروايات الكثيره مستقلاً في روايتها أو مشاركاً مع غيره، ورواياته وأقواله تميزت بأنها جاءت في أمهات الأمور التي شكلت أساساً عظيماً، وصرحاً كبيراً في البناء العقائدي والتشريعي في الإسلام، وتاريخه ومبادئه وقيمه.

ممن شهد بيعه الرضوان

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}. (١)

في السنة الثامنة للهجرة النبويه وقعت البيعه المعروفه ببيعه الرضوان انطلاقةً من الآيه المباركه، وما تحمله من رضاء الله تعالى عن بايع رسوله (ص) في الحديبيه تحت الشجره، وهي شجره السمره، ولهذا تسمى ببيعه الحديبيه وبيعه الشجره، وقلوبهم مملوءه بصدق النيه، واليقين، والصبر، والوفاء بما عقدوا البيعه عليه، فكان هذا الصحابي الجليل أبوسعيد الخدرى واحداً من أولئك الصادقين، حين شهد بيعه الرضوان، حين جاء رسول الله (ص) إلى الشجره، فاستند إليها، وبايع الناس على أن يقاتلوا المشركين ولا يفروا؛ وكان قد أرسل رسول الله (ص) عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً البيت معظماً لحرمة، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله (ص) والمسلمين أن عثمان قد قتل، فأطلق رسول الله (ص) قوله: «لا نبرح حتى نناجز القوم».

وهذا سبب البيعه ونصها، كما قال ابن اسحاق في السيره: فحدثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله (ص) قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: «لا- نبرح حتى نناجز القوم»، فدعا رسول الله (ص) الناس إلى البيعه، فكانت بيعه الرضوان تحت الشجره، فكان الناس يقولون، بايعهم رسول الله (ص) على الموت، وكان جابر بن عبدالله يقول: إن رسول الله (ص) لم يبايعنا على الموت، ولكننا بايعنا على أن لا نفرّ.

لقد كان أبوسعيد ممن بايعوا رسول الله (ص) على أن لا تأخذهم في الله لومه لائم، كما يحدثنا سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: بايعت النبي (ص) أنا، وأبوذر، وعباده بن الصامت، ومحمد بن مسلمه، وأبوسعيد الخدرى، وسادس على أن لا تأخذنا في الله لومه لائم، فاستقال السادس فأقاله. (١)

يوم أحد

رغبته في أن يكون مقاتلاً في معركة أحد حال دونها رفض رسول الله (ص) لأنه استصغره، يقول أبوسعيد: عرضت يوم أحد على النبي (ص) وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبى يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله! إنه عبل ضخم العظام، وجعل نبي الله (ص) يصعد في النظر ويصوبه، ثم قال (ص): رُدَّه، فردَّني. (٢)

وإن حرمه صغر سنّه عن وسام المشاركة في هذه المعركة، فقد نال أبوه وسام الشهادة الكبير، وأنه بعيد عن النار، ففي خبر كما في السيرة النبوية لابن هشام أنّ رسول الله (ص) يوم أحد وقع في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ على بن أبى طالب (ع) بيد رسول الله (ع) ورفع طلحه بن عبيد الله، حتى استوى قائماً، ومص مالك بن سنان أبوسعيد الخدرى الدم عن وجه رسول الله (ص) ثم ازدرده أى ابتلعه، فقال رسول الله (ص): «من مس دمي دمه لم تصبه النار»، وقد استشهد مالك بن سنان في هذه الواقعة.

ابن الشهيد!

وإن لم يمنحه سنه فرصه قتال المشركين في معركة أحد إلا أنه وتكريماً لمالك بن سنان ولابنه أبى سعيد أيضاً كان يدعوه رسول الله (ص) وبعض الصحابه: «ابن الشهيد»، كما ورد

١- كتاب السيرة النبوية ٤: ٢٨٣؛ مختصر تاريخ دمشق ٩: ٢٧٥؛ الإصابه في تمييز الصحابه ٢: ٣٥.

٢- سير أعلام النبلاء ٣: ١٦٩.

فى روايه طويله يتحدث فيها أبوسعيد عن صحبته لعلى (ع) إلى اليمن، ورفض على (ع) استعمال إبل الصدقه من قبل أبى سعيد ومن معه، ممن كان فى رفقه الإمام على (ع) قائلاً لهم:

«إنما لكم منها سهم كما للمسلمين».

إنه الحق والعدل والمساواه التى تميزت بها شخصيه على (ع) ولم يدركها، ويقدرها هؤلاء الأصحاب؛ مما جعل أبى سعيد يشكو ما يسمونه غلظه على (ع) وتضييقه عليهم إلى رسول الله (ص) وهو ما تضمنه قوله: يا رسول الله (ص) ما لقينا من على (ع) من الغلظه، وسوء الصحبه، والتضييق؛ وهنا يقول سعيد: فانتبذ أى اعتزل ناحيه رسول الله (ص) وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت فى وسط كلامى ضرب رسول الله (ص) على فخدى، وكنت منه قريباً، وقال:

«سعد بن مالك ابن الشهيد، مه بعض قولك لأخيك على، فوالله، لقد علمت أنه أخشن فى سيلا الله».

قال: فقلت فى نفسى: ثكلتك أمك، سعد بن مالك، ألا أرانى كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدرى؟ لا جرم، والله لا أذكره بسوء أبداً سرّاً وعلانيةً. (١)

وإن استصغر أبوسعيد الخدرى يوم أحد فرد، إلا أنه شارك بعد ذلك مع رسول الله (ص) فى اثنتى عشره غزوه، بدءاً بمعركه الخندق التى كانت أول مشاهده وبيعه الرضوان. (٢)

وعن الخدرى كما جاء فى أمالى الطوسى: أخبرنا الشيخ أبو جعفر الطوسى، عن أبى عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد [النعمان] عن أبى الحسن مُحَمَّد بن المظفر البزاز، عن أحمد بن عبيد العطاردى، عن أبى بشر بن بكير، عن زياد بن المنذر، عن أبى عبد الله مولى بنى هاشم، عن أبى سعيد الخدرى، قال: ... لما كان يوم أحد شجَّ النبىُّ (ص) فى وجهه وكُسيَرت رباعيته، فقام (ص) رافعاً يديه يقول:

١- مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣٥١.

٢- السيره النبويه ٣: ٨٥.

إِنَّ الله اشتدَّ غضبه على اليهود أن قالوا: عزيزُ ابن الله، واشتدَّ غضبه على النصارى أن قالوا: المسيح ابن الله، واشتدَّ غضبه على من أراق دمي، وآذاني في عترتي. (١)

ومما رواه أبو سعيد عن مجريات معركة أحد، كما في مختصر تاريخ دمشق تفاصيل إصابه رسول الله (ص) كما في الخبر عنه:

كان أبو سعيد الخدري يحدث أن رسول الله (ص) أصيب وجهه يوم أحد، فدخلت الحلقتان من المغفر في وجته، فلما نزعنا جعل الدم يسرب كما يسرب الشن، فجعل أبي مالك بن سنان يملح الدم بفيه، ثم ازدرده، فقال رسول الله (ص): من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان، فقيل لمالك: تشرب الدم؟ فقال: نعم أشرب دم رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص): من مس دمه دمي لم تصبه النار، قال أبو سعيد: فكنا ممن رد من الشيخين لم نجز مع المقاتلة، فلما كان من النهار، وبلغنا مصاب رسول الله (ص) ونظر إلى سلامته، فراجع بذلك إلى أهلينا، فلقينا الناس منصرفين ببطن قناه، فلم يكن همه إلا النبي (ص) ننظر إليه، فلما نظر إلى قال: سعد بن مالك؟ قلت: نعم بأبي وأمي، فدنوت منه فقبلت ركبته، وهو على فرسه، ثم قال: آجرك الله في أبيك، ثم نظرت إلى وجهه فإذا في وجتيه مثل موضع الدرهم في كل وجهه، وإذا شججه في جبهته عند أصول الشعر، وإذا شفته السفلى تدمي، وإذا رباعيته اليمنى شظيه، وإذا على جرحه شيء أسود؛ فسألت: ما هذا على وجهه؟ فقالوا: حصير محرق، وسألت: من دمي وجتيه؟ فقيل: ابن قميئه. فقلت: من شججه في جبهته؟ فقيل: ابن شهاب. فقلت: من أصاب شفته؟ فقيل: عتبه؛ فجعت أعدو بين يديه حتى نزل ببابه، فما نزل إلا حملاً، وأرى ركبتيه مجحوشتين، يتكئ على السعدين: سعد بن عباده، وسعد بن معاذ، حتى دخل بيته.

فلما غربت الشمس وأذن بلال بالصلاه، خرج رسول الله (ص) على مثل تلك الحال، يتوكأ على السعدين، ثم انصرف إلى بيته، والناس في المسجد يوقدون النيران، يتكمدون بها

١- بحار الأنوار ٢٠: ٧١؛ وذكر هذه الرواية أيضاً صاحب كنز العمال، غزوه أحد: ٣٠٠٥٠.

من الجراح، ثم أذن بلال بالعشاء حين غاب الشفق، فلم يخرج رسول الله (ص) وجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل، ثم ناداه: الصلاة يا رسول الله، فخرج رسول الله (ص) وقد كان نائماً، قال: فرمقته فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل بيته، فصليت معه العشاء، ثم رجعت إلى بيته، وقد صف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشى وحده حتى دخل، ورجعت إلى أهلي فخبرتهم بسلامه رسول الله (ص) فحمدوا الله على ذلك وناموا، وكانت وجوه الخزرج والأوس في المسجد على باب النبي (ص) يحرسونه فرقاً من قريش أن تكرر. (١)

عفته وطاعته!!

عرف هذا الصحابي بعفه النفس، وشده الامتثال لأمر رسول الله (ص) والأخذ بنصحه، وإرشاده، ولتفته المطلقه بوعد الله ورسوله (ص) لما سمع رسول الله (ص) يعد المتعفين عن المسأله بأن الله تعالى سيغنيهم من فضله وإحسانه، وقد جاء يسأل الرسول (ص) وقد بلغت به الحاجه مبلغاً عظيماً، حتى أنه ربط على بطنه الحجر من شدة الجوع، إلا أنه آثر الصبر والاحتمال، رجاء ما عند الله تعالى، وقد تحقق له ما وعد به رسول الله (ص) فأغناه الله من فضله.

ومما قاله أبو سعيد نفسه بعد استشهاد أبيه، وبعد ما ألم بأهله العوز: استشهاد أبي يوم أحد، وتركنا بغير مال، فأصابتنا حاجه شديده، قال: فقالت لي أمي: أي بني! انت النبي (ص) فاسأله لنا شيئاً، فجئته فسلمت وجلست، وهو في أصحابه جالس فقال واستقبلني: إنه من استغنى أغناه الله، ومن استعف أعفه الله، ومن استكف أكفه الله، قال: قلت: ما يريد غيري، فانصرفت ولم أكلمه في شيء، فقالت لي أمي: ما فعلت؟ فأخبرتها الخبر، قال: فصبرنا الله عز وجل ورزقنا شيئاً؛ فبلغنا، حتى ألحت علينا حاجه شديده أشد منها، فقالت لي أمي: انت النبي (ص) فاسأله لنا شيئاً، قال: فجئته وهو في أصحابه جالس، فسلمت وجلست، فاستقبلني وعاد بالقول الأول وزاد فيه: ومن سأل وله قيمه أوقيه فهو ملحف، قال: قلت:

الياقوته ناقتى خير من أوقيه، فرجعت ولم أسأله، فرزق الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا. (١)

وعن هلال بن حصن قال: نزلت على أبي سعيد الخدرى فضمنى وإياه المجلس؛ قال: فحدث أنه أصبح ذات يوم وقد عصب على بطنه حجراً من الجوع، فقالت له امرأته أو أمه: اتت النبى (ص) فأسأله، فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه، وأتاه فلان فسأله فأعطاه، فقال: قلت: حتى ألتمس شيئاً، قال: فالتمست فأتيته، قال حجاج: فلم أجد شيئاً فأتيته، وهو يخطب فأدركت من قوله وهو يقول:

«مَنْ اسْتَعْفَ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ اسْتَعْنَى يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ سَأَلْنَا إِمَّا أَنْ نُبْذَلَ لَهُ وَإِمَّا أَنْ نُؤَسِّدِيَهُ... وَمَنْ يَسْتَعِفُّ عَنَّا أَوْ يَسْتَعْنَى أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ يَسْأَلُنَا».

قال: فرجعت فما سألته شيئاً، فما زال الله تعالى يرزقنا، حتى ما أعلم فى الأنصار أهل بيت أكثر أموالاً منا. (٢)

جرأته فى الحق!!

عمّار والفئه الباغيه: الخدرى يعرف جيداً أنّ معاويه وجنده وأتباعه هم أهل الباطل، كيف لا وهو الذى روى ما ذكره رسول الله (ص) بحق عمار بن ياسر، أنه هو الذى تقتله الفئه الباغيه، وهو ما حدث بالفعل فى معركة صفين، حينما كان عمار يحمل رايه الحق التى يمثلها أمير المؤمنين على (ع) ويخوض غمار معركة ضاربه ضد جند الشام، ومعاويه يقدمهم، فعن أبى سعيد الخدرى قال:.... كنا نعمل المسجد، وكنا نحمل لبنه لبنه وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى (ص) فجعل ينفض التراب عنه [عن رأس عمار خ ل] ويقول: [يا عمار] ألا تحمل كما يحمل أصحابك؟

١- مختصر تاريخ دمشق ٩ : ٢٧٦-٢٧٧.

٢- صحيح البخارى، كتاب الزكاه، باب الاستغفار عن المسأله ٢ : ١٥١-١٥٢؛ صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الزكاه، باب التحذير من الاغترار بزينه الدنيا ٧ : ١٤٤-١٤٥.

قال: إني أريد الأجر من الله تعالى.

قال: فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويحك تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة، ويدعونك إلى النار.

قال عمار: أعوذ بالرحمن أظنه قال: من الفتن. (١)

ولأين أبا سعيد الخدرى كان قوالاً بالحق، لا يخاف في الله لومه لائم، كان لا يضمن بكلمه نصح حتى للظالمين، أو كلمه حق يقولها في ساحتهم وفي بلاطهم، ومن مواقفه وأقواله التي هي مصداق لهذا:

موقفه من معاوية زعيم الفئة الباغية التي قتلت الصحابي الكبير عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، فقد ذهب إلى معاوية بن أبي سفيان ليوصل إليه صوت الحق، ولا يخاف لومه لائم، قال شعبه عن أبي سلمه: سمعت أبا نضرة عن أبي سعيد رفعه: لا يمنع أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه؛ وفي روايه: إذا شهدته أو علمه؛ وقال أبو سعيد: فحملني ذلك على أن ركبت إلى معاوية فملاأت أذنيه ثم رجعت؛ وفي روايه أخرى: دخل أبو سعيد الخدرى على معاوية فسلم ثم جلس فقال: الحمد لله الذى أجلسنى منك هذا المجلس، سمعت رسول الله (ص) يقول: «لا يمنع أحدكم، إذا رأى الحق أن يقول به»، وإنه بلغنى عنك يا معاوية كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا. فعدد عليه أشياء من فعالة ومما بلغه عنه.

فقال له معاوية: أفرغت؟ قال: نعم؛ قال: فانصرف؛ فخرج أبو سعيد من عنده وهو يقول: الحمد لله، الحمد لله.

موقفه من مروان بن الحكم: كان له موقف من الرجل الذى أنكر على مروان بن الحكم تقديم خطبه العيد على الصلاة، يشهد بذلك، فلم يكتف أبو سعيد الخدرى بتعزيده، بل أنكر بيده حيث جذب مروان محاولاً منعه من صعود المنبر، لأداء الخطبه قبل الصلاة، غير أن مروان تغلب عليه، وصعد المنبر وخطب قبل الصلاة، كما جاء ذلك فى صحيح مسلم.

ولم يكتف أبو سعيد الخدرى بتعزيد الذى أنكر على مروان، بل أنكر أبو سعيد الخدرى على مروان بن الحكم تقديم الخطبه على الصلاه، ولم يكتف أبو سعيد بالإنكار باللسان، بل أنكر بيده؛ حيث جذب مروان محاولاً منعه من صعود المنبر لأداء الخطبه قبل الصلاه، وكانا قد جاءا معاً، غير أنّ مروان تغلب عليه وصعد المنبر، وخطب قبل الصلاه، كما جاء ذلك فى الصحيحين. (١)

ما حدث له فى واقعه الحره

فى مدينه رسول الله (ص) وبعد أن أباحها مسلم بن عقبه ثلاثاً يقتلون الناس، ويأخذون الأموال، فأفزع ذلك من كان بها من الصحابه، فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل فى كهف فى الجبل، فبصر به رجل من أهل الشام، فجاء حتى اقتحم عليه الغار.

قال أبو مخنف: فحدثنى الحسن بن عطيه العوفى عن أبى سعيد الخدرى، قال: دخل إلى الشامى يمشى بسيفه، قال: فانتضيت سيفى فمشيت إليه لأرعبه لعله ينصرف عنى، فأبى إلا الإقدام على، فلما رأيت أن قد جد شمت سيفى ثم قلت له:

{لَيْنَ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}. (٢)

فقال لى: من أنت لله أبوك! فقلت: أنا أبو سعيد الخدرى، قال: صاحب رسول الله (ص)؟ قلت: نعم، فانصرف عنى. (٣)

ومن طريق يزيد بن عبد الله بن الشخير، قال: خرج أبو سعيد يوم الحره، فدخل غاراً فدخل عليه شامى فقال: أخرج، فقال: لا أخرج وإن تدخل على أقتلك، فدخل عليه فوضع أبو سعيد السيف وقال: بؤ يا ثمك قال: أنت أبو سعيد الخدرى؟ قال: نعم، قال: فأستغفر لى.

١- مختصر تاريخ دمشق ٩ : ٢٧٤ ؛ الإصابه فى تمييز الصحابه ٢ : ٣٥ ؛ وغيرهما.

٢- المائده : ٢٨.

٣- تاريخ الطبرى ٣ : ٣٥٧، أحداث سنه ٦٣.

وتعرض للضرب والاعتداء على يد جيش يزيد بن معاوية بعد واقعه الحره.. يقول عن ذلك: لزم بيتي ليالى الحره فلم أخرج، فدخل على نفر من أهل الشام فقالوا: أيها الشيخ! أخرج ما عندك، فقلت: ما عندى مال، قال: فتنفوا لحيتى وضربونى ضربات، ثم عمدوا إلى بيتي، فجعلوا ينقلون ما خفّ لهم من المتاع، حتى أنهم عمدوا إلى الوساده والفراش، فينفضون صوفهما، ويأخذون الظرف، حتى لقد رأيت بعضهم أخذ زوج حمام كان فى البيت، ثم خرجوا. (١)

مما قاله علماء الرجال فى توثيقه وعلمه واستقامته

الخدري والذى كان أحد الثابتين فكراً على معرفه الحق، وأحد الراسخين فى دعم الحقيقه، له فى كتب الرجال مكانه مرموقه، واحتل منزله كبيره فى أقوالهم، ونحن هنا نتطرق باختصار إلى ما تيسر لنا من كل ذلك.

وقبل أن نذكر أقوال العلماء فيه نذكر ما قاله الإمام الصادق (ع) عنه حيث ذكره بتبجيل وتكريم، ونصّ على استقامته فى طريق الحق: «كان من أصحاب رسول الله (ص) وكان مستقيماً».

من أصحاب رسول الله (ص) رجال الشيخ؛ وعده فى أصحاب أمير المؤمنين (ع) قائلاً: سعد بن مالك الخزرجى، يكنى أبا سعيد الخدري الأنصارى العربى المدنى؛ وعده البرقى فى أصحاب رسول الله (ص) قائلاً: «وأبوسعيد الخدري الأنصارى: عربى مدنى، واسمه سعد بن مالك، خزرجى».

وفى الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين (ع) قائلاً: «أبوسعيد الخدري عربى أنصارى».

وقال الكشى فى ترجمه أبى أيوب الأنصارى: «قال الفضل بن شاذان: هو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (ع)».

وتقدم فى ترجمه جندب بن جندب الغفارى فى روايه العيون عن الرضا (ع) عده من

الذين مضوا على منهاج نبيهم (ع) ولم يغيروا ولم يبدلوا؛ وقال الكشي في ترجمته: أبوسعيد الخدرى: حمدويه، قال: حدثنا أيوب عن عبدالله بن المغيرة، قال: حدثني ذريح عن أبي عبدالله (ع) قال: ذكر أبوسعيد الخدرى فقال: كان من أصحاب رسول الله (ص) وكان مستقيماً، فقال: فنزع ثلثه أيام، فغسله أهله ثم حملوه إلى مصلاه، فمات فيه.

محمد بن مسعود، قال: حدثني الحسين بن أشكيب، قال: أخبرنا محسن بن أحمد، عن أبان بن عثمان، عن ليث المرادى، عن أبي عبدالله (ع) قال: «إنَّ أبا سعيد الخدرى كان قد رزق هذا الأمر، وإنه اشتدَّ نزعُه فأمر أهله أن يحملوه إلى مصلاه الذى كان يصلى فيه، ففعلوا فما لبث أن هلك».

حمدويه قال: حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن عثمان، عن ذريح، قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: كان على بن الحسين يقول: «إنى لأكره للرجل أن يعافى فى الدنيا ولا يصيبه شىء من المصائب»؛ ثم ذكر أنَّ أبا سعيد الخدرى وكان مستقيماً نزع ثلثه أيام فغسله أهله ثم (حملوه) حمل إلى مصلاه فمات فيه.

وطريق الصدوق إليه فى وصيهالنبى (ص) إلى على (ع) التى أولها: «يا على إذا دخلت العروس بيتك»: محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى عن أبى سعد الحسن بن على العدوى، عن يوسف بن يحيى الإصبهانى أبى يعقوب، عن أبى على إسماعيل ابن حاتم، قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن زكريا بن سعيد المكى، قال: حدثنا عمر بن حفص عن إسحاق بن نجیح عن حصيف، عن مجاهد، عن أبى سعيد الخدرى. (١)

كما شهد بمناقبه الفريق الآخر وأنه كان من فقهاء الصحابه وفضلاتهم البارعين، فعن حنظله بن أبى سفيان الجمحى، عن أشياخه أنهم قالوا: لم يكن من أحداث الصحابه أفقه من أبى سعيد الخدرى، وفى روايه: أعلم. (٢)

١- النهاية ٢: ٤٠٧؛ رجال الحديث، للسيد الخوئى؛ رجال النجاشى ١: ٦؛ أمالى الطوسى ٥٩، ٨٦؛ تاريخ بغداد ١٩، ١٨٠: ١؛ سير أعلام

النبلاء ٢٨، ١٧٠: ٣؛ تاريخ دمشق ٢٠: ٣٩٣؛ الوافى بالوفيات ١٥: ١٤٨.

٢- أسد الغابه فى معرفه الصحابه؛ الإصابه فى تمييز الصحابه.

وقال ابن كثير: كان من نجباء الصحابه، وفضلائهم، وعلمائهم.

وقال الخطيب البغدادي: وكان أبوسعيد من أفاضل الأنصار، وحفظ عن رسول الله (ص) حديثاً كثيراً.

قال الإمام الذهبي: الإمام المجاهد مفتي المدينة حدث عن النبي (ص) فأكثر وأطاب.

وهو من المكثرين من الحديث وكان من أئمة أحداث الصحابه.

وقالوا عنه: إنه روى عن النبي (ص) الكثير.

وروى عن الخلفاء الأربعة، وغيرهم.

روى عنه من الصحابه: ابن عباس وابن عمر، وجابر، وغيرهم.

روى عنه من كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وطارق بن شهاب، ومن بعدهم عطاء، ومجاهد، وغيرهم.

وقالوا: إنه روى أبوسعيد الخدري ألفاً ومائتين وسبعين حديثاً بالمكرر، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثه وأربعين حديثاً، وانفرد

البخاري بسته عشر حديثاً، وانفرد مسلم باثنين وخمسين حديثاً. (١)

ملاحظه مهمه

كان أبو سعيد الخدري رضوان الله تعالى عليه مكثرأ للروايه كما ذكرنا، ولهذا الأمر أسبابه التي منها:

إنَّ أبا سعيد أعلن إسلامه وهو ما زال صغيراً، فكان له عند قدوم النبي (ص) المدينة إحدى عشره سنه، وهو سن صفاء الذهن

والقدره على الحفظ والتحصيل؛ وكان لملازمته الطويله للنبي (ص) والتي دامت عشر سنوات وهي المده التي قضاهها (ص)

بالمدينه المنوره لم يفارقه أبوسعيد فيها؛ وكان لتأخر وفاته، دور كبير في منحه وقتاً كافياً لتبليغ ما تحتفظ به

١- أنظر في هذا كله من ترجم له، كسير أعلام النبلاء ٣: ١٦٨؛ الإصابه في تمييز الصحابه ٢: ٣٥؛ ومختصر تاريخ دمشق ٩: ٢٧٨-

٢٧٩؛ تهذيب التهذيب ٣: ٤١٦؛ و المعارف: ١٥٣؛ الاستيعاب ٤: ٤٨٩؛ أسد الغابه ٢: ٢٨٩.

ذاكرته من أحاديث، وما يتوفر عليه من علوم، فقد عاش بعد وفاه النبي (ص) فترة زمنية طويلة، نحو خمس وستين سنة، وفي هذه الفترة احتاج الكثيرون إلى علمه، فتكاثر عليه طلاب العلم ينهلون من علمه ويحفظون عنه ما سمع من رسول الله (ص) وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، ويشهد بهذا أسناد رواياته، وقام هؤلاء بتبليغ ما سمعوا منه.

هذا، ولتعدد مصادر التحمل بالنسبة لأبي سعيد أهميته في كثره رواياته، فكما تحمل الحديث عن الرسول (ص) فلقد تحمل الحديث عن كبار الصحابة؛ وأيضاً لتفرغه للتحديث والفقهاء، مما جعله أن يكون أحد الفقهاء المحدثين.

هذا، وأن هناك قواسم مشتركة جامعه بين الصحابة المكثرين لروايه الأحاديث عن رسول الله (ص) يتمثل بطول ملازمتهم لرسول الله (ص) وإن اختلفوا في مدتها، وتأخر وفاتهم، فلقد مكثوا بعد وفاه الرسول (ص) فترة زمنية كان فيها متسع لأن يحدثوا الناس ويستفيد هؤلاء من علمهم؛ كما أن مصادر تحملهم تعددت، فزاهم قد تحملوا عن رسول الله (ص) وتحملوا عن كبار الصحابة، وإن كانوا في الأعم الأغلب يحذفون الوساطة بينهم وبين الرسول (ص) لثقتهم بمن حدثوهم، ولم ينفردوا بما حدثوا به عن رسول الله (ص) بل شاركهم غيرهم من الصحابة في روايه كثير مما رووا، فروايات أبي سعيد الخدري لحديث الغدير، ولحديث الثقلين وغيرهما لم ينفرد بروايتها وحده، بل هناك العديد من الصحابة رووا هذه الأحاديث.

ولهذا نجدهم يروى أحدهم عن عدد، وعدد يروى عنهم، كما هو الحال مع أبي سعيد الخدري؛ فقد روى عن النبي (ص) مباشرة وعن أبيه وأخيه لأمه قتاده بن النعمان، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي (ع)، وزيد بن ثابت، وأبي قتاده الأنصاري، وعبدالله بن سلام، وأسيد بن حضير، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، ومعاوية، وجابر بن عبدالله.

وعنه ابنه عبد الرحمن وزوجته زينب بنت كعب بن عجره، وابن عباس، وابن عمر، وجابر، وزيد بن ثابت، وأبو أمامه بن سهل، ومحمود بن لييد، وابن المسيب، وطارق بن شهاب، وأبو الطفيل، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن يسار، وعطاء بن يزيد، وعياض بن

عبدالله بن أبى سرح، والأغر بن مسلم، وبشر بن سعيد، وأبو الوداك، وحفص بن عاصم، وحميد بن عبدالرحمن بن عوف، وأخوه أبو سلمه بن عبدالرحمن، ورجاء بن ربيعة، والضحاك المشرقي، وعامر بن سعد بن أبى وقاص، وعبدالله بن خباب، وسعيد بن الحارث الأنصاري، وعبدالله بن محيريز، وعبدالله بن أبى عتبة مولى أنس، وعبدالرحمن بن أبى نعم، وعبيد بن حنين، وعبدالله بن عبدالرحمن بن أبى صعصعه، وعبدالرحمن بن بشر بن مسعود، وعبيد بن عمير، وعقبه بن عبدالغافر، وعكرمه، وعمرو بن سليم، وقزعه بن يحيى، ومعبد بن سيرين، ونافع مولى بن عمر، ويحيى بن عماره بن أبى حسن، ومجاهد، وأبو جعفر الباقر (ع)، وأبوسعيد المقبري، وأبو عبدالرحمن الجبلى، وأبو عثمان النهدي، وأبوسفيان مولى بن أبى أحمد، وأبو صالح السمان، وأبو المتوكل الناجي، وأبونضره العبدى، وأبو علقمه الهاشمي، وأبوهارون العبدى، وغيرهم.

قال حنظله بن أبى سفيان عن أشياخه: وروى عن خلائق غيرهم.

حبه وولاؤه لأئمة أهل البيت النبوي:

لقد عاصر هذا الصحابي الجليل من المعصومين الرسول الأعظم (ص) فنال بذلك وسام الصحبة المباركة، فكان ممن حمل معه الأمانة؛ وممن بذل كل غال ونفيس من أجل إعلاء كلمه الحق، وكان ممن حفظ عن رسوله الله (ص) سنناً كثيرة وروى عنه علماً جماً، وكان من نجباء الأنصار وعلماهم وفضلائهم.

وقد عاصر أربعة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بدءاً بالإمام على، ثم الإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام على بن الحسين: وكان واعياً صادقاً فى ولائه لهم، ويعتد من أجلاء الصحابه الذين كانت لهم مواقف مشرفه مع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، انطلاقةً من صدق حبه ومودته لهم، وتحمل الأذى فى سبيله هذا.

فهو إضافه إلى أنه لم يترك مرافقه أمير المؤمنين على (ع) وكان إلى جانبه فى معركة النهروان، ظل ولاءه مستمراً مدافعاً عنه حتى بعد انتقال الإمام على (ع) إلى جوار ربه.

وهذه واحده من رواياته رضوان الله تعالى عليه في حب أئمه أهل البيت (عليهم السلام).

تقول الروايه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْجَلَابِ الْهَمْدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَمْرٍو الْهَمْدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلْمَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ (ص):

«من رزقه الله حبَّ الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكَّن أحد أنَّهُ في الجنة، فإنَّ في حب أهل بيتي عشرين خصله، عشر منها في الدنيا وعشر منها في الآخرة؛ أما التي في الدنيا في الزهد، والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العباده، والتوبه قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، واليأس مما في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزَّ وجلَّ، والتاسعه بغض الدنيا، والعاشره السخاء.

وأما التي في الآخرة، فلا- ينشر له ديوان، ولا- ينصب له ميزان، ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له براءه من النار، ويبيض وجهه، ويكسى من حلل الجنة، ويشفع في مائه من أهل بيته، وينظر الله عزَّ وجلَّ إليه بالرحمه، ويتوج من تيجان الجنة، والعاشره يدخل الجنة بغير حساب، فطوبى لمحبي أهل بيتي» (١).

ونحن هنا نكتفي بما رواه أبوسعيد في أمهات المسائل التي ابنتى عليها المذهب الإمامي:

وكان في عداد رواه حديث الثقلين وحديث الغدير، وحديث المنزله... وهي التي شكلت أسس المذهب الإمامي، الذي يستقى علومه وأحكامه وأصول اعتقاده من مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وهم العدل الثاني في حديث الثقلين المشهور.. وكان من الذين شهدوا لعلي (ع) بالولاية يوم الغدير:

روى أنَّ علياً (ع) قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنشئد الله من شهد يوم غدیر حُمَّ إلَّا- قام.. فقام سبعة عشر رجلاً، وكان أبوسعيد الخدرى واحداً منهم.

وقد ذكره الشيخ المفيد في كتاب الجمل في عداد من بايع أمير المؤمنين علياً (ع) قائلاً في

مقدمه ذلك: ونحن نذكر الآن من جمله مبايعي أمير المؤمنين (ع) الراضين بإمامته الباذلين أنفسهم في طاعته... إلى أن قال: فممن بايع أمير المؤمنين (ع) بغير ارتياب، ودان بإمامته على الإجماع والاتفاق، واعتقد فرض طاعته، والتحرير لخلافه ومعصيته، الحاضرون معه في حرب البصره وهو ألف وخمسمائه رجل من وجوه المهاجرين الأولين السابقين إلى الإسلام، والأنصار البدرين العقبيين وأهل بيعة الرضوان، من جملتهم سبعمائه من المهاجرين وثمانمائة من الأنصار سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم وغيرهم من بطون العرب والتابعين بإحسان.

وعد من الأنصار «أبوسعيد الخدرى» واحتل في قائمه الشيخ المفيد الرقم الرابع. (١)

فأين هذا الكلام مما أورده السيد الأمين دون رد في كتابه في رحاب أئمه أهل البيت الجزء الثاني الصفحة ٤ تحت عنوان (المتخلفون عن بيعته) وبعد أن ذكر ما قالته بعض المصادر عن القاعدين عن بيعته (ع) قال:

ونحن نذكر أسماء المتخلفين مأخوذه من مجموع ما ذكره هؤلاء وهم:.... أبوسعيد الخدرى...

ولم أجد في مروج الذهب ولا في أسد الغابه هذا، إلا أن الطبرى ذكر ذلك بسنده عن عبد الله بن الحسن قال: لما قتل عثمان بايعت الأنصار علياً (ع) إلا نفيراً يسيراً منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمه بن مخلد، وأبو سعيد الخدرى و... كانوا عثمانيه. (٢)

وهو خبر واحد مضادّ بغيره ومخالف لسيره الرجل ومواقفه ورواياته وشهادته للإمام (ع) بحديث الغدير.

إلا أنى لم أجد في كتاب وقعه صفين لنصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة ٢١٢ هجرية اسمه فيمن شارك إلى جانب الإمام على (ع) في معركة صفين، ولم أجد لغيابه عن هذه المعركة تفسيراً؛ وقد شارك في معركة النهروان، وله فيها حديث رواه عن رسول الله (ص)

١- أنظر الصفحة: ١٠٥ من كتاب الجمل.

٢- تاريخ الطبرى ٢: ٦٩٨، دار الكتب العلميه، بيروت.

حيث قال: سمعت رسول الله (ص) يقول:

«إِنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيهِ..».

وفى الخرائج والجرائح، (١) روى عن أبي سعيد الخدرى... أَنَّ النَّبِيَّ (ص) قَسَمَ يَوْمًا قِسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ: اعْدَلْ، فَقَالَ: وَيَحْكُ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اعْدَلْ!؟

قيل: نضرب عنقه؟

قال: لا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقُرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيهِ، رُئِيسُهُمْ رَجُلٌ أَدْعَجٌ إِحْدَى ثَدْيِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ.

قال أبو سعيد: إني كنت مع علي (ع) حين قتلهم، فالتمس في القتلى [بالنهر وان] فأتى به علي النعت الذي نعته رسول الله (ص).

وقد امتاز العديد من رواياته الكثيره بنقل مآثر و مناقب رسول الله (ص) و آل البيت (عليهم السلام) ونحن نكتفى بشيء منها.

وبدايه نذكر روايته هذه التي توضح رأيه ووصفه الذي لم يحد عنه، وهو يجيب حين سئل عن علي (ع): عن مالك المازني، قال: أتى تسعه نفر إلى أبي سعيد الخدرى، فقالوا:

يا أبا سعيد! هذا الرجل الذى يكثر الناس فيه ما تقول فيه؟

فقال: عمّن تسألونى؟

قالوا: نسأل عن عليّ بن أبي طالب (ع).

قال: أما إنكم تسألونى عن رجل أمرّ من الدفلى، وأحلى من العسل، وأخف من الريشه، وأثقل من الجبال، أما والله ما حلا إلا على ألسنه المؤمنين، وما خفّ إلا على قلوب المتقين، ولا أحبه أحد قط لله ولرسوله إلا حشره الله من الأمنين، وإنه لمن حزب الله، وحزب الله هم الغالبون.

والله ما أمرّ إلا على لسان كافر، ولا أثقل إلا على قلب منافق، وما زوى عنه أحد قط

ولا لوى ولا تحزب ولا عبس ولا بسر ولا عسر ولا مضر ولا التفت ولا نظر ولا تبسم ولا تجرّى ولا ضحك إلى صاحبه ولا قال أعجب لهذا الأمر، إلا حشره الله منافقاً مع المنافقين.

{وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}. (١)

فأتى الآن إلى أحاديث أخرى

حديث الثقلين

وقد جاء هذا الحديث بصيغ متعددة وبطرق عديدة عن مجموعه من الصحابه والتابعين، حتى قال ابن حجر فى صواعقه: ولهذا الحديث طرق كثيره عن بضعه وعشرين صحابياً، وأبو سعيد الخدرى كان واحداً من الصحابه الذين قال السمهودى على ما روى عنه المناوى فى فيض القدير: وفى الباب ما يزيد على عشرين من الصحابه.

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله (ص): «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص) قال: «إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَاجِيبْ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِثْرَتِي، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنََّّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانظُرُونِي بِمَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا».

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ص): «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ؛ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا إِنََّّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ص): «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ؛ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ». (١)

آية التطهير و حديث الكساء

عن أبي سعيد الخدرى عن النبي قال حين نزلت: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ} قال: «كان نبي الله يجيئ إلى باب على (ع) الغداه ثمانية أشهر» فيقول: «الصلاه يرحمكم الله {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}».

عن أبي سعيد الخدرى قال: إن رسول الله جاء إلى باب على (ع) أربعين صباحاً بعد ما دخل على فاطمه الزهراء (عليها السلام) فقال: «السلام عليكم أهل البيت! ورحمه الله وبركاته، الصلاه يرحمكم الله، {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}».

عن أبي سعيد الخدرى عن النبي قال حين نزلت: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}، (٢) كان يجيئ نبي الله (ص) إلى باب على (ع) صلاه الغداه ثمانية أشهر يقول: الصلاه، رحمكم الله {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}.

عن أبي سعيد الخدرى في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}. قال: «نزلت في خمسه: رسول الله وعلى وفاطمه والحسن والحسين». (٣)

١- راجع: صحيح الترمذى ٢: ٣٠٨؛ وابن حجر في صواعقه؛ والمتقى في كنز العمال؛ والطبرانى في الكبير؛ وراجع: فضائل الخمسه في الصحاح الستة وغيرها من كتب أهل السنه ٢: ٥٢-٦٠؛ سنن الترمذى، كتاب المناقب عن الرسول، باب مناقب أهل بيت النبى، رقم: ٣٧١٨؛ و مسند أحمد بن حنبل، كتاب باقى مسند المكثرين، باب مسند أبى سعيد الخدرى، رقم: ١٠٦٨١، ١٠٧٠٧، ١٠٧٧٩، ١١١٣٥.

٢- طه: ١٣٢.

٣- أنظر: مختصر تاريخ دمشق ٩: ٣٤٢؛ طبقات المحدثين ٤: ١٤٩، ح ٩١٥؛ أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط ٨: ١٥٢، ح ٨١٢٧؛ الدارقطنى فى المؤلف والمختلف ٤: ٢١٢١؛ الخطيب فى المتفق والمفترق ٢: ١١٥٨، ح ٧٢٣.

وفى أمالى الشيخ الطوسى: أخبرنا أبو عمر، قال: أخبرنا أبو العباس، عن يعقوب بن يوسف بن زياد، عن مُحَمَّد بن إسحاق بن عمار، عن هلال بن أيوب الصيرفى... عن عطيه قال: سألت أبا سعيد الخدرى عن قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}.
قال: نزلت فى رسول الله (ص) وعلى وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام). (١)

حديث المنزله

رواه هذا الحديث من الصحابه أكثر من ثلاثين، وربما يبلغون الأربعين بين رجل وامرأه.

يقول ابن عبد البر فى الإستيعاب عن هذا الحديث: هو من أثبت الأخبار وأصحها.

وأبو سعيد واحد منهم:

قال رسول الله (ص) لعلى بن أبى طالب (ع) فى غزوه تبوك: «اخلفنى فى أهلى.

فقال على (ع): يا رسول الله! إنى أكره أن يقول العرب: خذل ابن عمه وتخلف عنه.

فقال: أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى؟

قال: بلى.

قال (ص): فاخلفنى».

وفى روايه قوله (ص) لعلى (ع): «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى».

سفينه نوح

وفى كفايه الأثر: حدّثنا على بن الحسين [الحسن خ ل] بن مُحَمَّد بن مبيده [منده خ ل] قال: حدّثنا أبو مُحَمَّد هارون بن موسى

قال: حدّثنا أحمد بن مُحَمَّد بن [سعيد] قال: حدّثنا مُحَمَّد بن غياث الكوفى، قال: حدّثنا حماد بن أبى حازم المدنى قال: حدّثنا

عمران بن

مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ (ص) الصَّلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا فَقَالَ: «مَعَاشِرَ أَصْحَابِي! إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ وَبَابِ حَطِّهِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَمَسَّكُوا بِأَهْلِ بَيْتِي بَعْدِي وَالْأَثْمَةَ الرَّاشِدِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِي فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا.

فقيل: يا رسول الله! كم الأئمة بعدك؟

فقال: اثنا عشر من أهل بيتي، أو قال: من عترتي». (١)

معرفة المنافقين

حدثنا قتيبه، حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري، قال: «إِنَّا كُنَّا لَنَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ نَحْنُ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لِبَغْضِهِمْ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ». (٢)

خاصف النعل

وفى بحار الأنوار عن أمالي الشيخ الطوسي: أبو عمر، عن ابن عقده، عن يعقوب بن يوسف، عن أحمد بن حماد، عن فطر بن خليفة وبريد بن معاوية العجلي، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج إلينا رسول الله (ص) وقد انقطع شسع نعله فدفعها إلى علي (ع) يصلحها، ثم جلس وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير.

فقال: إِنَّ مِنْكُمْ لِمَنْ يِقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلَتِ النَّاسَ عَلَى تَنْزِيلِهِ.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟

قال: لا.

فقال عمر: أنا يا رسول الله؟

فقال: لا، ولكنه خاصف النعل.

١- كفايه الأثر: ٣٣-٣٤.

٢- أنظر: الترمذي، المناقب عن الرسول، ح ٣٦٥٠.

قال أبو سعيد: فأتينا علياً (ع) نبشره بذلك فكأنه لم يرفع به رأساً فكأنه قد سمعه

قبل. (١)

يوم الغدير

حديث الغدير، هذا الحديث الذي بلغ حد التواتر عند جميع المسلمين وحفظته أمهات المصادر، من الأحاديث التاريخية الهامة و المصيرية التي أدلى بها رسول الله (ص) في السنة الأخيرة من حياته المباركة، وهي من الأحاديث التي تثبت إمامه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وتوجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولايها لله تعالى، وولايه رسوله المصطفى (ص) بكل صراحة ووضوح.

ثم إن حديث الغدير حديث متواتر رواه المحدثون عن أصحاب النبي (ص) وعن التابعين بصيغ مختلفة، تؤكد جميعها على إمامه الإمام أمير المؤمنين (ع) مراده الأصلي واحد وإن اختلفت بعض عبارات الحديث.

الخوارزمي عن أبي سعيد الخدري قال: إن النبي (ص) لما دعا الناس إلى غدير خم، أمر بما كان تحت الشجرة من شوك، فقم، وذلك يوم الخميس، ثم دعا الناس إلى علي (ع) فأخذ بضبعه فرفعها، حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه، ثم لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية:

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}. (٢)

فقال رسول الله (ص): «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضي الرب برسالتي والولاية لعلي؛ ثم قال:

«اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله! أتأذن لي أن أقول أبياتاً؟

فقال: «قل ببركة الله تعالى»، فقال:

١- بحار الأنوار ٣٢: ٢٩٦، ح ٢٥٦.

٢- المائدة: ٤.

يناديهم يوم الغدير نبهم

بخم وأسمع بالرسول مناديا

بأنى مولاكم نعم ووليكم

فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا

ولاتجدن فى الخلق للأمر عاصيا

فقال له: قم يا على فإننى

رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه

فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم وال وليه

وكن للذى عادى علياً معاديا

وفى مختصر تاريخ دمشق عن أبى سعيد الخدرى:

أما نصب رسول الله (ص) علياً بغدير خم، فنأدى له بالولاية، هبط جبريل (ع)

بهذه الآية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (١).

وقال أيضاً: نزلت هذه الآية: {يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (٢). على رسول الله (ص) يوم غدير خم فى على بن أبى طالب. (٣)

الرايه

وعن أبى سعيد قال: أخذ رسول الله (ص) الرايه فهزها، ثم قال: من يأخذها بحقها؟ فجاء الزبير فقال: أنا، فقال: أمط أى «تنح»؛ ثم قام رجل فقال: أنا، فقال: أمط؛ ثم قام آخر فقال: أنا، فقال: أمط، فقال رسول الله (ص): والذى أكرم وجه محمد، لأعطينها رجلاً

لا يفر بها؛ هاك يا على، فقبضها، ثم انطلق حتى فتح الله عليه فدك وخيبر، وجاء بعجوتها وقديدها. (٤)

١- المائدة: ٤.

٢- المائدة: ٦٧.

٣- أنظر: مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٥٩؛ ينابيع الموده: ١١٥؛ ومصادر أخرى.

٤- مختصر تاريخ دمشق ٩: ٣٣٠.

ولايه على (ع)

وفى أمالي الشيخ المفيد: حدّثنا الشيخ الجليل المفيد، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن بلال المهلبى، قال: حدّثنا عبد الله بن راشد الأصفهاني، قال: حدّثنا إبراهيم بن مُحَمَّد الثقفى، قال: أخبرنا إسماعيل بن صبيح، قال: حدّثنا سالم بن أبي سالم البصير، عن أبي هارون العبدى، قال: كنت أرى [أرى] الخوارج لا رأى لى غيره حتّى جلست إلى أبي سعيد الخدرى رحمه الله فسمعتة يقول:

أمر الناس بخمس، فعملوا بأربع وتركوا واحده.

فقال له رجل: يا أبا سعيد! ما هذه الأربع التى عملوا بها؟

قال: الصلاة، والزكاة، والحج، وصوم شهر رمضان.

قال: فما الواحده التى تركوها؟

قال: ولايه على بن أبي طالب (ع).

قال الرجل: وإنّها لمفترضه؟

قال أبو سعيد: نعم، ورب الكعبه.

قال الرجل: فقد كفر الناس إذن!

قال أبو سعيد: فما ذنبى؟ (١)

وهذه متفرقات ممّا رواه أبو سعيد الخدرى:

حمل الحديث

وفى حثه على حمل الأحاديث عبر التحدث بها، وتذاكرها، فإنّ إحياء الحديث بتذاكره والعمل به، وبذلك يتم حفظ أحاديث رسول الله (ص) والمعرفة بها والتوسع فى فهمها خصوصاً بين أهله وترويجها وتبليغها وعدم نسيانها، لأنه وكما ورد فى الحديث الشريف: «آفه العلم»

النسيان، وإضاعته أن تحدث به غير أهله».

وهو ما ورد عن الإمام علي (ع) حدثنا وكيع، قال حدثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريده أنه قال: قال علي: «تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا يدرس».

لهذا جاءت العبارة التي أصبحت شعاراً للمذاكره، وهي قولهم: «إحياء الحديث مذاكرته»؛ ومنها انطلق هذا الصحابي في حثه الناس على التحدث لما في ذلك من فوائد كبيرة؛ ومن فوائد التحدث والمذاكره في الحديث أنه سبب كبير و داع عظيم للتنافس المحمود بين طلبه العلم.

فعن علي بن الجعد أنه قال: حدثنا شعبه عن سعيد بن يزيد سمع أبا نصره يحدث عن أبي سعيد قال: تحدثوا فإن الحديث يهيج الحديث. (١)

نواب صلاة الجماعه

وفى بحار الأنوار: روى الشهيد الثاني ١ فى شرحه على الإرشاد من كتاب الإمام والمأموم للشيخ أبى محمد جعفر بن القمى بإسناده المتصل إلى أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله (ص): «أتانى جبرئيل مع سبعين ألف ملك بعد صلاة الظهر، فقال: يا مُحَمَّد! إن ربك يقرئك السلام وأهدى إليك هديتين لم يهدهما إلى نبي قبلك، قلت: وما تلك الهديتان؟

قال: الوتر ثلاث ركعات، والصلاه الخمس فى جماعه.

قلت: يا جبرئيل! وما لأمتى فى الجماعه؟

قال: يا مُحَمَّد! إذا كانا اثنين كتب الله لكل واحد بكل ركعه مائة وخمسين صلاه، وإذا كانوا ثلاثه كتب لكل واحد بكل ركعه ست مائة صلاه، وإذا كانوا أربعة كتب الله لكل واحد بكل ركعه ألفاً ومأتى صلاه، وإذا كانوا خمسة كتب الله لكل واحد بكل ركعه ألفين وأربع مائة، وإذا كانوا ستة كتب الله لكل واحد بكل ركعه أربعة آلاف وثمان مائة صلاه، وإذا

١- أنظر أحمد بن حنبل فى مسنده؛ ومختصر تاريخ دمشق؛ وكنز العمال؛ وغيرها.

كانوا سبعة كتب الله لكل واحد بكل ركعه تسعة آلاف وست مائة صلاة، وإذا كانوا ثمانية كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعه تسعة عشر ألفاً ومائة صلاة، وإذا كانوا تسعة كتب الله لكل واحد بكل ركعه سبعة آلاف وألفين وثمان مائة صلاة، فإن زادوا على العشرة فلو صارت السماوات كلها مداداً والأشجار أقلاماً، والثقلان مع الملائكة كُتاباً لم يقدرُوا أن يكتبوا ثواب ركعه واحده.

يا مُحَمَّد! تكبيره يدرکها المؤمن مع الإمام خير من ستين ألف حجه وعمره، وخير من الدنيا وما فيها سبعين ألف مره، وركعه يصلها المؤمن مع الإمام خير من مائة ألف دينار يتصدق بها على المساكين، وسجده يسجدها المؤمن مع الإمام فى جماعه خير من عتق مائة رقبه. (١)

وعن طول يوم القيامة: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}. (٢)

نسب إلى أبى سعيد أنه قال: قيل: يا رسول الله! ما أطول هذا اليوم؟!

فقال: والذي نفس محمد بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبه يصلها فى الدنيا.

وأبو سعيد الخدرى من رواه حديث اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ كما فى سيره ابن هشام. (٣)

والحديث: أن جبريل (ع) أتى رسول الله (ص) حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامه من إستبرق، فقال: يا محمد! من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟

فقام رسول الله (ص) سريعاً يجر ثوبه إلى سعد، فوجده قد مات.

١- بحار الأنوار ٨٨: ١٤١٥، ح ٢٦.

٢- المعارج: ٤.

٣- سيره ابن هشام ٣: ٢٦٢.

«إنَّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

رواه الشيخان البخارى ومسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص) قال:

«إنَّ فى الجنة ماءً درجه، ولو أنَّ العالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعتهم».

وقال سعيد بن منصور: حدثنا خلف بن خليفة عن العلاء بن المسيب عن أبيه عن أبى سعيد قلنا له: هنيئاً لك برؤيه رسول الله (ص) وصحبته قال: إنك لا تدري ما أحدثنا بعده.

قال ابن أبى سلمه: قلت لأبى سعيد الخدرى: ما ترى فى ما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال:

يا ابن أخى كُلُّ لله، واشرب لله، وكلَّ شىء من ذلك دخله زهو، أو مباحاه، أو رياء، أو سمعه، فهو معصيه وسرف.

المرأه تسأل

هناك اهتمام أكيد من قبل الإسلام بالمرأه المسلمه، واهتمام متميز من قبل الرسول (ص) واحترام واضح لما تريده مادام لا يخالف شريعته ولا- منهجاً دينياً وأخلاقياً واجتماعياً، وكانت المرأه فى ذلك الوقت لها رأيها وهى ذات مكانه عظيمه راحت تسخرها لخدمه المشروع الإسلامى، حتى برزت طائفه من النساء العالمات المبلغات، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: جاءت امرأه إلى رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، قال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهنَّ النبى (ص) فعلمهن مما علمه الله، وقد تبادلن النساء إلى مجالس الرسول الخاصه بهن، وقد أثنى رسول الله (ص) عليهن ودعا لهن فقال: «رحم الله نساء الأنصار لا يمنعهن حياؤهن أن يسألن عن أمور دينهن».

وفاته

وحتى قبيل وفاته لم يترك الروايه عن رسول الله (ص) وقد ضمن وصاياه العديده قولاً لرسول الله (ص).

فعن ابنه عبدالرحمن أنّ أباه قال له: يا بني! إني قد كبرت سني وحن مني، خذ بيدي، فاتكأ على حتى جاء البقيع مكاناً لا يدفن فيه فقال: إذا أنا هلكت فادفني هاهنا، ولا- تضربن علي فسطاطاً ولا تمشين معي بنار، ولا تبك علي باكيه، ولا تؤذني أحداً، وليكن مشيكي بي خبيلاً، فجعل الناس يأتوني فيقولون: متى تخرج به؟ فأكره أن أخبرهم وقد نهاني، فقلت: إذا فرغت من جهازه، فخرجت به من صدر يوم الجمعة، فوجده البقيع قد ملئ على ناساً.

ولما حضرته الوفاه تقول ابنته: لما حضر أبو سعيد بعث إلى نفر من أصحاب رسول الله (ص) فيهم: ابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله فقال: لا يغلبنكم ولد أبي سعيد، إذا أنا مت فكفوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأذكر الله فيها.

وعن أبي سلمه بن عبدالرحمن قال: دخلت على أبي سعيد الخدري عند موته، فدعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إنّ الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها، فإذا مت فلا- تتبعوني بنار ولا- تجعلوا علي قطيفه حمراء ولا- تبك علي باكيه.

ومن وصاياه أيضاً عند احتضاره: إذا حملتم فأسرعوا، أي أسرعوا بي.

توفي هذا الصحابي الجليل رضوان الله عليه في خلافه عبد الملك بن مروان، وحين استولى الحجاج على الكعبه، بعد قتله عبد الله بن الزبير، وكان عمر أبي سعيد الخدري ٧٤ سنه، بالمدينه يوم الجمعة، وقال أبو الحسن المدائني: مات سنه ٦٣، وقال العسكري: مات سنه ٦٥.

ويقال: قبره يقع في خارج البقيع في الجهه الشرقيه الشماليه منه على قارعه الطريق المؤدى للحره الشرقيه، وقد اختار أبو سعيد هذا المكان ليدفن فيه في حياته، فيما يقال: إنه دفن بالبقيع نفسه، إلى جوار قبر فاطمه بنت أسد رضوان الله تعالى عليها.

(٢٤) أَبِي بِن كَعْب

إشاره

محسن الأسدي

«لِيُهِنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر» حديث شريف

أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاويه بن عمرو بن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبه بن عمرو بن الخزرج، من بنى النجار، من الخزرج، فهو النجارى الخزرجى المدنى، وهو الصحابى الأنصارى، وهو البدرى العقبى.

أمه صهيله بنت الأسود بن حرام بن عمرو بن مالك بن النجار، تجتمع هى وأبوه فى عمرو بن مالك بن النجار، وهى عمه أبى طلحه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصارى، زوج أم سليم.

وكان لأبى بن كعب من الولد: الطفيل ومحمد، وأمهما أم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو بن المنذر بن سبيع بن عبد نهم من دوس، وأم عمرو بنت أبى.

كنيته: أبو المنذر، وأبو الطفيل؛ ويدل عليها أنّ رسول الله (ص) كان حين يريد أن يقول له شيئاً، يناديه: يا أبا المنذر؛ وكان أبى حين يخاطب عمر بن الخطاب يقول له: يا ابن الخطاب؛ فيقول له عمر: يا أبا الطفيل.

صفته: كان ربه نحيفاً أو رجلاً دحداً، وقالوا: ليس بالقصير ولا بالطويل، أبيض الرأس واللحية، لا يغير شيبه. (١)

لقد كان من المتفوقين في مدرسه الصحبه المباركه، إيماناً وعلماً وجهاداً؛ وكيف لا يكون كذلك، وقد حظى بمنزله عاليه ومرتبته فاضله؛ أن يذكر في الملاء الأعلى ذلك كونه مرجعاً أميناً في القرآن الكريم؛ حتى خص بامتيازات جليله منها أن تقرأ عليه سوره البينه، والآمر بهذا هو رب العالمين، والمأمور بالقراءه هو رسول الله (ص).

نعم، لقد خص صاحب هذه الترجمة بأنه أول من يقرأ عليه رسول الله (ص) بأمر من قبله تعالى سوره البينه، وكان أول من ذكر اسمه في الملاء الأعلى، فكان أقرأ هذه الأمه للقرآن، وكان أحد الأربعة الذين أمر النبي (ص) أن يؤخذ منهم القرآن، وكان من أبرز المفسرين للقرآن من الصحابه، وكان صاحب منهج أو مدرسه في التفسير؛ وكان سيد الأنصار كما أحب رسول الله (ص) أن ينادوا أياً به، فعن عمرو بن العاص كما في مختصر دمشق قال: كنت جالساً عند رسول الله (ص) في يوم عيد، فقال: «ادع لي سيد الأنصار» فدعوا أبي بن كعب.

إسلامه

أعلن إسلامه، وتوثقت أركان إيمانه، وصار رجلاً معروفاً في مدرسه القرآن الكريم ومدرسه الصحبه النبويه الشريفه، وخلد ذكره على مر الأجيال كمجاهد وصاحب منهج قرآني، وراوي له للسنه النبويه الشريفه؛ توفر على كل هذه المناقب، بعد أن نشأ أبو المنذر رضوان الله تعالى عليه في ديار يثرب غاضباً على حياه قومه، معترضاً على دينها، متأملاً في الكون من حوله، وعلى الرغم من وجود اليهود في المدينه آنذاك، إلا أن ما وقع في يده من وريقاتها لم يشف غليله، ولم يرو عطشه، ولم تهد حيرته، ولم تشبع نهمه.

وكان أبي يتأمل في الكون من حوله ليلاً ونهاراً، وفي إحدى الليالي خرج يطوف بديار

١- مختصر تاريخ دمشق ٤: ١٩٧ ١٩٨؛ والاستيعاب؛ والإصابة؛ والحاكم في المستدرک.

المدينه، فسمع حواراً فى دار سعد بن الربيع، فسمع بأذنه كلاماً عن الإسلام و نبي الإسلام (ص) وعلم أن مصعب بن عمير أتى سفيراً، وكأول سفير للإسلام؛ ليعلم الناس الإسلام أحكاماً وآداباً ومفاهيم، فما أن سمع الحوار حتى طرق الباب على سعد، وأعلن إسلامه؛ ليحظى بالسفر إلى مكه؛ ثم ليشهد بيعه العقبه مع السبعين من الأنصار كما فى مختصر دمشق.

وهذا يعنى أن المقصود العقبه الثانيه، ولكنى وللأسف لم أجد له إسماً فى السيره النبويه لابن هشام، وهو يذكر أسماء أهل البيعتين الأولى والثانيه من الأوس والخزرج.

وكان أبى بن كعب من الأنصار الذين نصرُوا رسول الله، واستقبلوه فى يثرب، وقد شهد كل الغزوات مع النبي (ص) وبقية المشاهد، وجمع القرآن فى حياه الرسول (ص) وكان رأساً فى العلم وبلغ فى المسلمين الأوائل منزله رفيعه، حتى قال عنه رسول الله (ص): أبى سيد الأنصار؛ ونسب إلى الخليفه الثاني عمر بن الخطاب أنه قال عنه مادحاً: أبى سيد المسلمين.

وهكذا توالى عليه هذه المناقب، وعظم حب المسلمين له، واشتد ودهم له، ولاذوا به فى معرفه ما يشكل عليهم من علم ومعرفه، حتى جاء فى الخبر عن قيس بن عباد أنه قال: كنت أتى المدينه فألقى أصحاب النبي (ص) وكان أحبهم إلى أبى بن كعب؛ وقال: ثم قعد يحدث، فما رأيت الرجال مدت أعناقها إلى رجل مثلما مدت أعناقها متوجهة إلى أبى بن كعب.

المؤاخاه

مشروع المؤاخاه بين المسلمين، الذى أسسه رسول الله (ص) فى المدينه، كان من أروع المشاريع، وأعظمها نفعاً على كل المستويات الإيمانيه والاجتماعيه والسياسيه، وكان الأساس المتين والصلب لبناء قاعده إيمانيه تمهيداً لبناء مجتمع آمن متكافل، فدوله قائمه على الحب والموده والتضامن الفاعل، حتى غدا مجتمع المدينه ودولته فى عهد رسول الله (ص) مثلاً لنموذج فذ نادر، يحلم به الشرفاء والأحرار.

قال السهيلي: آخى رسول الله (ص) بين أصحابه حين نزلوا بالمدينه؛ ليذهب عنهم وحشه

الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشير، ويشدّ أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشه، أنزل الله سبحانه: {أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} أعنى فى الميراث؛ ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة، فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} يعنى فى التوادد، وشمول الدعوه.

فقد راح رسول الله (ص) يؤاخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بين سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبى بن كعب، وهو أخو بنى النجار أخوين. (١)

أبى مجاهداً

ما أن هاجر النبى (ص) إلى المدينة حتى كان أبى ملازماً لرسول الله (ص) فاشترك فى بناء المسجد، ثم فى معركة بدر الكبرى، فكان واحداً من أهلها، ولم يتخلف عن مشاهد رسول الله (ص) قط، بل حضرها كلها.

أبى قرانياً

كان المسلمون ينظرون إلى أبى بن كعب نظرتهم إلى ذلك الرجل القرانى الرشيد المستقيم السيره، الطيب العنصر، العظيم فى الإسلام، وجاء فى الخبر أنّ رسول الله (ص) قال فى يوم عيد: أدعو لى سيد الأنصار؛ فدعو أبى بن كعب.

وإنه كذلك فقد نال أبى شرفاً ربما لم ينله غيره من أصحاب رسول الله (ص) ومن ذلك كما ذكرنا أمر الله لنبيه (ص) أن يقرأ عليه سوره البينه، فقد ذكر كل من البخارى ومسلم فى صحيحيهما: أنّ رسول الله (ص) قال لأبى: إنّ الله عزّوجل أمرنى أن أقرأ عليك: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا} (٢).

قال: وسمانى لك؟ قال نعم؛ فبكى.

١- السيره النبويه ٢: ٥٠٥ ٥٠٦، والهامش.

٢- البينه: ١.

وكان في حفظه القرآن وترتيبه وفهم آياته من المتفوقين، قال له رسول الله (ص): «يا أبا بن كعب، إني أمرت أن أعرض عليك القرآن».

وأبى يعلم أن رسول الله (ص) انما يتلقى أوامره من الوحي، هنالك سأل الرسول الكريم في نشوه غامره: «يا رسول الله! بأبى أنت وأمى، وهل ذكرت لك باسمى؟».

فأجاب الرسول (ص): نعم، باسمك ونسبك في الملائ الأعلى.

وكان حرياً أن يؤمر الرسول (ص) بعرض القرآن عليه، وفي هذا يقول أبى: قال رسول الله (ص): إني أمرت أن أعرض عليك القرآن.

فقال أبى: بالله آمنت وعلى يديك أسلمت ومنك تعلمت.

قال: فرد الرسول (ص) القول.

فقال: يا رسول الله وذكرت هناك؟

قال: نعم، باسمك ونسبك في الملائ الأعلى.

قال: اقرأ إذا يا رسول الله. (١)

ولما سئل: فرحت بذلك؟

قال: وما يمنعني وهو تعالى يقول:

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا}. (٢)

ولقد كان فقه أبى بالقرآن يظهر على لسانه، ومن ذلك أن رسول الله (ص) سأله يوماً عن أى آية في القرآن أعظم؟

فقال أبى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}. (٣)

فضرب النبي (ص) على صدره، وقال: ليهنك العلم أبا المنذر. (٤)

١- رواه الترمذى.

٢- يونس : ٥٨ ؛ رواه أحمد.

٣- البقره : ٢٥٥.

ولم يكن بالمستغرب كذلك أن يأمر النبي (ص) بأخذ القرآن عنه فإنه جدير بهذه المنزلة، ولم لا؟ وهو من أمر النبي (ص) أن يقرأ عليه القرآن وفي الحديث: «خذوا القرآن من أربعه: من عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»^(١).

وكيف لا يكون الأمر كذلك؟ وهو أقرأ هذه الأمة بالقرآن بنص حديث رسول الله (ص) حيث نسب إليه (ص) أنه قال:... وأقرؤهم أبي بن كعب؛ كما رواه الترمذى، فقد كان هذا الصحابى الجليل أقرأ الناس إلى جانب كونه طيب الصوت حسن الأداء.

أبى كعباً

كان أبى بن كعب فى مقدمه الذين يكتبون الوحي ويكتبون الرسائل.

كان هناك عدد من الصحابه ممن وفقوا لأن يكونوا ممن يكتبون لرسول الله (ص) ما ينزل إليه من السماء عن طريق الوحي، ويكتبون رسائله إلى من يريد، وما يمليه من أجوبه عن رسائل ترد إليه، وما يرمره من عهود ومواثيق؛ وكان من هؤلاء أبى بن كعب، بل هو فى مقدمه الذين يكتبون الوحي ويكتبون الرسائل.

تقول الروايه: وكان أبى بن كعب يكتب فى الجاهليه قبل الإسلام؛ وكانت الكتابه فى العرب قليله، وكان يكتب فى الإسلام الوحي لرسول الله (ص).

قال ابن أبى خيثمه: هو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله (ص) كان سيداً جليل القدر، ورأساً فى العلم والعمل.

وقيل أول من كتب لرسول الله (ص) أبى بن كعب، وكان إذا غاب أبى كتب له زيد بن ثابت. ^(٢)

قال الواقدي: وهو أول من كتب للنبي (ص) وأول من كتب فى آخر الكتاب: وكتب فلان بن فلان.

١- رواه البخارى.

٢- تاريخ الطبرى ٢: ٢١٨.

وفى أسماء من كتب للنبي (ص) على بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، كانا يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت. (١)

أبي جامعاً للقرآن

وكان فى حفظه القرآن وترتيبه وفهم آياته من المتفوقين، قال له رسول الله (ص): يا أبى بن كعب، إنى أمرت أن أعرض عليك القرآن؛ وأبى يعلم أن رسول الله (ص) إنما يتلقى أوامره من الوحي؛ هنالك سأل الرسول الكريم فى نشوه غامره: يا رسول الله! بأبى أنت وأمى، وهل ذكرت لك باسمى؟ فأجاب الرسول (ص) «نعم، باسمك ونسبك فى الملا الأعلى»؛ كما قال الرسول (ص): «أقرأ أمتى أبى».

قام أبى بن كعب بجمع القرآن الكريم فى حياه النبي (ص) وعرض على النبي (ص) وحفظ منه علماً مباركاً.

قال أنس بن مالك: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) أربعة كلهم من الأنصار: أبى بن مالك، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد أحد عمومتى.

وروى الطبرانى وابن عساكر عن الشعبي، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ستة من الأنصار: أبى بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد.

قال محمّد بن سيرين: إن عثمان بن عفان جمع اثنى عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبى بن كعب، وزيد بن ثابت، فى جمع القرآن.

وعده ابن النديم فى فهرسته من الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) فقال

ما صورته: الجماع للقرآن على عهد النبي (ص) وعدّ جماعه ثم قال: أبى بن كعب وساق نسبه.

أَبِي قَارِنًا

مَنْ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِحِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبصوت طيب، ومنهج في القراءة متميز وقد اشتهر به، وأعجب به من حوله، حتى عد من أعظم قراء القرآن، وفي الطبقة الأولى من صحابه النبي الأكرم (ص) وقد وفق لأن يكون كما قال عنه رسول الله (ص): «أقرأ أمتي أبي».

عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال: الله سماني لك؟ قال: نعم سماك لي، قال: فجعل أبي يبكي؛ وفي روايه: فذرفت عيناه.

وفي روايه قال أبي في نشوه غامره: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، آله سماني لك؟ فقال الرسول: «نعم»، فجعل أبي يبكي من شدة الفرح. (١)

عن أنس قال: قال رسول الله (ص): أقرأ أمتي أبي.

وجاءت الروايه عن أبي عبدالله الصادق (ع): نحن نقرأ بقراءه أبي بن كعب.

وفي خصوص المتعه، قال القرطبي: قال الجمهور المراد نكاح المتعه، الذي كان في صدر الإسلام، وقرأ ابن عباس، وأبي، وابن جبير: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَىٰ أَجَلٍ مَّسْمُومٍ فَاْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}؛ وقال ابن كثير في تفسيره: وكان ابن عباس وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير، والسدي، يقرأون: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَىٰ أَجَلٍ مَّسْمُومٍ فَاْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً}. (٢)

أَبِي مَفْسَرًا

يعدّ هذا الصحابي من جمله من اشتهر من الصحابه بالتفسير؛ وقد عدّه السيوطي من جمله العشره الذين اشتهروا بالتفسير من الصحابه من الطبقة الأولى من المفسرين، وهو أول

١- رواه مسلم.

٢- تفسير القرطبي و ابن كثير: الآية.

من ألف في فضائل القرآن، قال ابن النديم في الفهرست: (الكتب المؤلفة في فضائل القرآن) وعدّها أحد عشر كتاباً لأحد عشر مؤلفاً وهم... ٧ أبي بن كعب الأنصاري.

ثم يقول: وليس في العشرة الباقية أحد إلا وزمانه متأخر عن أبي، فعلم من ذلك أنّ أياً أول من ألف في فضائل القرآن؛ وعده ابن النديم في فهرسته من الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) فقال ما صورته: الجماع للقرآن على عهد النبي (ص) وعد جماعه ثم قال: أبي بن كعب وساق نسبه. (١)

وقد وردت عنه نسخه كبيره في التفسير رواها أبو جعفر الرازي بسنده عنه. (٢)

ويرجع ذلك كما يبدو إلى أسباب منها:

أ ما حظى به من دعاء النبي (ص) الخاص حين قال له: ليهنك العلم أبا المنذر. (٣)

ب لكونه قريباً من مصدر الرساله والوحى، فهو من كتاب الوحى، مما جعله عالماً بعلوم القرآن والتفسير ومنها: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد والعام والخاص، وأجواء الآيات.. وكيف لا يكون كذلك؟ وهو القائل للخليفه الثاني: «يا أمير المؤمنين إنى تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل وهو رطب».

ج وعلى القول بأنه كان قبل إسلامه حبراً من أحبار اليهود العارفين بأسرار الكتب السماويه، مما جعله على مبلغ كبير من العلم ومعرفة آيات الكتاب المجيد.

وهنا لا بد لي من وقفه تحت عنوان:

هل كان أبي حبراً؟

إنّ كونه مطلعاً على الكتب القديمه، وما ورد فيها، و تركت عنده ثقافه واسعه، وحباً للقرآن الكريم، خصوصاً وقد وجد فيه فرقاً كبيراً، وامتيازات كبيره، ومناقب عاليه تفوق

١- الاتقان للسيوطي؛ أعيان الشيعة لمحسن الأمين ١: ٣٦١، و٦: ٢٠٦؛ تفسير القرطبي وابن كثير: الآيه.

٢- التفسير والمفسرون للذهبي ١: ٩٢.

٣- رواه مسلم وغيره.

كثيراً عما وجدته فيما سبقه من كتب، هذا شيء، وكونه حبراً من أحبار اليهود، وبالتالي كان يهودياً شيئاً آخر، وإن كان هذا لا ضير فيه، ولا يقدرح بإيمان الرجل، إلا أنني لم أجد فيما تيسر لي من مصادر من يذكر هذا الأمر، سوى صاحب كتاب الأعلام خير الدين الزركلي (١٩٧٦م) حيث قال: «كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ على قله العارفين بالكتابه في عصره، ولما أسلم كان من كتاب الوحي».

ورده الدكتور محمد حسين الذهبي (١٣٩٨هـ) صاحب كتاب: التفسير والمفسرون، والقيسى في تاريخ التفسير؛ ويبدو أن ما ذكره كان إما وهماً واشتباهاً، أو أنه وقع خطأً نتيجة التقارب بين الاسمين: «كعب الأخبار وأبي بن كعب».

منهجه في التفسير

كان له منهج متميز وله خصائصه، فقد عرف بتمسكه بما ورد عن رسول الله (ص) واستفاد منه في تفسيره للآيات القرآنية الكريمة، ولهذا جاء أكثر تفسيره بهذه الطريقة؛ وأن رواياته جاءت موصولة بالسند برسول الله (ص) ويدل اهتمامه الكبير بهذه الروايات في تفسيره على منهجه الأهم وأسلوبه الأمثل في تفسير القرآن الكريم؛ وإن لم يجد من المأثور ما يفسر به، ينتقل إلى أساليب أخرى، كتفسير القرآن بالقرآن واجتهاده.

هذا، وكان لتلاميذه مع أصحاب زيد بن أسلم مشاركة في إنشاء مدرسه التفسير في المدينة المنوره، والتي كان من أقطابها ثلاثة من أئمة أهل البيت، وهم: الإمام علي بن الحسين، وولده الإمام الباقر، وحفيده الإمام الصادق:، وقد امتازت هذه المدرسه بفضل وجود الأئمة الثلاثة (عليهم السلام) بالعمق والموضوعية، فيما أثر عنها من روايات تفسيريه نجدها في أمهات التفسير. (١)

نماذج من تفسيره:

تفسير القرآن بالقرآن

كان أبيّ يعتمد روايات عن رسول الله (ص) لتفسير آيه من القرآن الكريم؛ ففي تفسير التبيان للشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) ولدى تفسير «الظلم» من قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}. (١)

وبعد أن يذكر الشيخ الطوسي أنّ الظلم المذكور في الآيه هو الشرك عند أكثر المفسرين: ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتاده ومجاهد وحماد بن زيد وأبيّ بن كعب وسلمان (رحمه الله عليه). يقول:

قال أبيّ: ألم تسمع قوله:

{إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. (٢)

وهو ما جاء فيما روى عن عبدالله بن مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآيه شق على الناس، وقالوا: يا رسول الله! وأينا لا يظلم نفسه، فقال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح:

{يَا بَيْتِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

آيات ذات موضوع واحد

ولقد وجد في تفسير أبي بن كعب محاوله لجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، ومن أمثله ما جاء عنه في تفسير الآيه الكريمه: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}.

١- الأنعام: ٨٢.

٢- لقمان: ٣١.

قال: «جمعهم يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق، ثم قال: وفيهم الأنبياء (عليهم السلام) يومئذ مثل السرج، وخص الأنبياء بميثاق آخر، قال الله:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}. (١)

وهو الذى يقول تعالى ذكره: {فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}. (٢)

وفى ذلك قال: {هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى}. (٣) يقول: أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى.

ومن ذلك قوله: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ}. (٤) {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ}. (٥) قال: كان فى علمه يوم أقرؤا به من يصدق ومن يكذب». (٦)

التفسير بالمأثور

كثيراً مما روى عن أبى بن كعب هو من التفسير بالمأثور، فقد راح يفسر الآيات بما روى عن رسول الله (ص) ومن أمثله هذا النوع من التفسير، ما رواه فى تفسير قوله تعالى: {...لَمْسِجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى...}. (٧)

عن رسول الله (ص) أنه سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى. فقال: «مسجدى هذا». (٨)

١- الأحزاب : ٧.

٢- الروم : ٣٠.

٣- النجم : ٥٦.

٤- الأعراف : ١٠٢.

٥- يونس : ٧٤.

٦- جامع البيان، للطبرى ٩ : ١٥.

٧- التوبة : ١٠٨.

٨- جامع البيان، للطبرى ١١ : ٢٨.

التفسير بالاجتهاد

هناك روايات تفسيرية عن أبي بن كعب وموقفه عليه، وهي قليلة جداً، ولأنها لم ترفع إلى رسول الله (ص) يمكن عدّها من اجتهاده، ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}. (١)

فقد روى الطبري بسنده عن أبي بن كعب أنه قال: «من الأمانة أن المرأه أثمنت على فرجها». (٢)

معرفة أبي بالقراءات

لطالما أثبت حجيه قراءته وصحتها بالقرآن الكريم، فقد ورد عنه أنه قرأ قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}. (٣)

وقد كان عمر بن الخطاب يقرأ: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} بضم الأنصار، وحذف حرف الواو من (الذين) حتى أنه أنكر على رجل قرأها بقراءة أبي، ولما حضر أبي بن كعب، وسأله عمر، استدل أبي بعده آيات على صحه قراءته قائلاً:

«وتصديق ذلك في أول الآيه التي في أول الجمعة، وأوسط الحشر، وآخر الأنفال، أما أول الجمعة: {وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، وأوسط الحشر: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، وأما آخر الأنفال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا}

١- الأحزاب: ٧٢.

٢- جامع البيان، للطبري ٢٢: ٥.

٣- التوبه: ١٠٠.

مِنْ بَعْدُ وَهَاجِرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} (١).

فقال عمر: إذن نتابع أياً. (٢)

معرفة أبي بأسباب النزول

كان كثير الاهتمام بأسباب النزول، ومن اهتمامه كان لا يتأخر إذا ما فاتته شيء منها، ولا يتوقف عن السؤال عنها أبداً، حتى أنه سأل أنس بن مالك (٩٣ هـ) وكان خادماً رسول الله (ص) عن سبب نزول الآية: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسَلُّوهُنَّ مِمَّنْ وَرَاءِ حِجَابٍ... إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً} (٣).

فقد روى الطبري بسنده، عن أنس بن مالك أنه قال: «سألني أبي بن كعب عن الحجاب، فقلت: أنا أعلم الناس به، نزلت في شأن زينب، أولم النبي (ص) عليها بتمر وسويق، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسَلُّوهُنَّ مِمَّنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}» (٤).

ولأبي بن كعب أيضاً

في قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلاً ثُمَّ اضْطَرْه إِلى عَذَابِ النَّارِ} (٥).

قال أبي: هو قول الرب تعالى ذكره.

وفي قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} (٦).

١- الأنفال: ٧٥.

٢- جامع البيان، للطبري ١١: ٨.

٣- الأحزاب: ٥٣.

٤- المصدر نفسه؛ وانظر: جامع البيان ٢٢: ٣٧.

٥- البقرة: ١٢٦.

٦- المصدر نفسه: ٢١٣.

قال أبى: كانوا أمه واحده حيث عرضوا على آدم ففطرهم يومئذ على الإسلام، وأقروا له بالعبوديه، وكانوا أمه واحده مسلمين كلهم، ثم اختلفوا من بعد آدم، فكان أبى يقرأ: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} إلى {فِيَمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ} وإن الله إنما بعث الرسل وأنزل الكتب عند الاختلاف.

وفى قوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} (١).

قال أبى: هو القتل يوم بدر. (٢)

أبى عالماً

كان فى حفظه القرآن وترتيله وفهم آياته من المتفوقين؛ لهذا تجده وقد سجل أبى بن كعب حضوراً متميزاً فى التفسير والقراءه، وفى الفقه حتى عدّ أبرز فقهاء الصحابه وقراءهم؛ وكان صاحب همه عاليه فى خدمه الناس، ولا يبخل عليهم بعلمه؛ فمع أنه كثير العباده، لكنه طالما فرغ نفسه لتعليم الآخرين؛ فعن أبى العالیه: كان أبى بن كعب صاحب عباده، فلما احتاج إليه الناس، ترك العباده، وجلس للقوم.

سأله النبى (ص) يوماً: يا أبا المنذر، أى آيه من كتاب الله أعظم؟

فأجاب قائلاً: الله ورسوله أعلم.

وأعاد النبى (ص) سؤاله: يا أبا المنذر، أى آيه من كتاب الله أعظم؟

وأجاب أبى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.

فضرب الرسول (ص) صدره بيده، ودعا له بخير، وقال له والغبطه تتألق على محياه: لِيُهَنِّكَ الْعِلْمُ أبا منذر! (أى هنيئاً لك العلم).

وعن أبى بن كعب أن رسول الله (ص) صلى بالناس، فترك آيه فقال: أَيْكُمْ أَخَذَ عَلَيَّ شَيْئاً

١- الفرقان: ٧٧.

٢- أنظر: جامع البيان، للطبرى فى تفسيره للآيات المذكوره.

فقال أباي: أنا يا رسول الله، تركت آية كذا وكذا.

فقال النبي (ص): قد علمت إن كان أحد أخذها عليّ فإنك أنت هو.

وأخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم، وعدّه مسروق في الستة من أصحاب الفتيا، وممن روى عنه من الصحابة عمر، وكان يسأله عن النوازل ويتحاكم إليه في المعضلات؛ ولما مات في خلافة عمر بن الخطاب علي روايه قال عمر: اليوم مات سيد المسلمين.

وكان واحداً من الستة أصحاب الفُتيا كما روى الذين أذن لهم رسول الله (ص) بالحكم في حوائج الناس، وفض المنازعات التي تحدث بينهم، وردّ المظالم إلى أهلها، وكان منهم الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن حارثه... ومما قاله (ص) فيه: «وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب». (١)

قصة الخضر وموسى

ومن معرفته العاليه في كتاب الله تعالى، والروايه عن رسول الله (ص) وفي التاريخ، من ذلك قصه الخضر وموسى: فقد روى أباي بن كعب في ذلك عنه (ص) ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا سفيان بن عيينه، عن عمرو بن دينار، عن سعيد، قال: قلت لابن عباس: إن نوقاً يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أباي بن كعب عن رسول الله (ص) قال: إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فقال: بل عبد لي عند مجمع البحرين، فقال: يا رب! كيف به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل فحيث تفقده فهو هناك.

قال: فأخذ حوتاً فجعله في مكمل، ثم قال لفتاه: إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني؛ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخره، فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكمل، فخرج فوقع في البحر، فأمسك الله عنه جزيه الماء فصار مثل الطاق، فصار للحوت

سرباً، وكان لهما عجباً.

ثم انطلقا، فلما كان حين الغداء قال موسى لفته: {آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصِيبًا} قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله، قال: فقال: {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}.

{وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} قال: فقال: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَازْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}، قال: يقصان آثارهما.

قال: فأتيا الصخره فإذا رجل نائم مسجى بثوبه، فسلم عليه موسى فقال: وأنى بأرضنا السلام! قال: أنا موسى، قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، قال: يا موسى، إني على علم من علم الله، علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، قال: فإني أتبعك على أن تعلمني ممّا علمت رُشداً.

{قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا}. فانطلقا يمشيان على الساحل، فإذا بملاح في سفينه، فعرف الخضر، فحملة بغير نؤل، فجاء عصفور فوق على حرفها فنقر أو فنقد في الماء، فقال الخضر لموسى: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر أو نقد هذا العصفور من البحر.

قال أبو جعفر: أنا أشك، وهو في كتابي هذا "نقر" قال: فبينما هم في السفينه لم يُفجأ موسى إلا وهو يتد وتداً أو ينزع تختاً منها، فقال له يا موسى: حملنا بغير نؤل وتخرقها لتُغرق أهلها! {لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا إِمْرًا} * قال أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قال لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ}.

قال: فكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: ثم خرجا فانطلقا يمشيان، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ برأسه فقتله، فقال له موسى: {أَفَقُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} * قال أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قال إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا}.

فانطلقا حتى أتيا أهل قريه استطعما أهلها، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولا يسقيهم، فوجدا

فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه بيده قال: مسحه بيده فقال له موسى: لم يُضيفونا ولم ينزلونا، {لَوْ شِئْتُمْ لَأَتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا*} قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ { قال: فقال رسول الله (ص): «لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم».

وعن العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس: أنه تمارى هو والحز بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو الخضر، فمر بهما أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى (ع) الذي سأل السبيل إلى لقائه، فهل سمعت رسول الله يذكر شأنه؟ قال: نعم إني سمعت رسول الله (ص) يقول: «بيننا موسى (ع) في ملأ من بني إسرائيل، إذ جاء رجل فقال: تعلم مكان أحد أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى إلى موسى: بلى عبدنا الخضر، فسأل موسى السبيل إلى لقائه، فجعل الله الحوت آية، وقال له: إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، فكان موسى يتبع أثر الحوت، في البحر فقال فتى موسى لموسى: {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْثِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} وقال موسى: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَاذْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}، فوجدا الخضر، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه».(١)

أبي في كتب الرجال

سجل أبي بن كعب مكاناً متميزاً في كتب الرجال، كما هو في كتب التاريخ والتراجم.

رجال الطوسي

(أبي) بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، يكنى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين، وكان يكتب الوحي، أخى رسول الله بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، شهد بدرًا والعقبة الثانية وبايع لرسول الله (ص).

١- تاريخ الطبري ١: ٢٢١ ٢٢٢؛ في قصة الخضر وموسى وفتاه يوشع؛ فتح الباري ١٠: ٢٤.

معجم رجال الحديث

قال الشيخ: «أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، من أصحاب رسول الله (ص) يكنى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين، وكان يكتب الوحي، أخى رسول الله (ص) بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، شهد بدرًا والعقبة الثانية، وبايع لرسول الله (ص).

وذكره البرقي وقال: «عربي مدني من بني الخزرج».

وعده في آخر رجاله من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر.

وذكره كذلك الصدوق في الخصال في أبواب الإثني عشر. (١)

وفي سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي (٥٧٤٨هـ) وأيضاً في أسد الغابه وفي الإصابه والاستيعاب ومستدرک الحاكم كما في غيرها:

أبي بن كعب بن قيس بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد القراء، أبو المنذر الأنصاري شهد العقبة الثانية وبدرًا، جمع القرآن في حياه النبي (ص) وعرض على النبي (ص) وكان رأساً في العلم والعمل؛ وكان أحد فقهاء الصحابه وأقرأهم لكتاب الله عزوجل.

وقال عنه الرسول (ص): (اقرأ أمتي أبي). (٢)

وقال الألباني: صحيح. (٣)

قال الواقدي: هو أول من كتب للنبي (ص) وأول من كتب في آخر الكتاب وكتب فلان بن فلان، توفي في سنه ٢٢هـ بالمدينه، وقيل: في خلافه عثمان سنه ٣٠هـ. (٤)

١- معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ١: ٣٧٥.

٢- الترمذي وابن ماجه.

٣- أنظر: مشكاه المصابيح (٦٥/٦٠).

٤- أنظر: سير أعلام النبلاء ١: ٣٨٩٤٠٢. وفي أسد الغابه ١: ٦١ ٦٢. وفي الإصابه ١: ٢٦٢٧. والاستيعاب، والمستدرک للحاكم وغيرها.

ولاؤه لأهل البيت:

مما كتب عنه يظهر أنه كان محباً لأهل بيت النبوه والرساله، ومن أوائل الصحابه الذين تابعوا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وناصروهم بالحجه والدليل، وصدحوا بحقهم أمام الآخرين.

ففى تعليقه البهبهانى على منهج المقال: فى المجالس ما يظهر منه جلالته وإخلاصه لأهل البيت (عليهم السلام).

والظاهر أنّ مراده بالمجالس مجالس المؤمنين ففيها ما تعريبه: فى الكامل البهائى أنّ أبى بن كعب قال: مررت عشيه يوم السقيفه بحلقه الأنصار، فسألونى من أين أتيت؟ قلت: من عند أهل بيت رسول الله (ص)؛ فقالوا: على أى حال تركتهم؟ قلت: ما يكون حال قوم لم يزل بيتهم محط قدم جبرائيل ومنزل رسول الله (ص) إلى اليوم، وقد زال ذلك عنهم اليوم، وخرج حكمهم من أيديهم، ثم بكى أبى وبكى الحاضرون.

وفى الدرجات الرفيعه للسيد على خان الشيرازى: وروى عن أبى، وذكر مثله، وفى زيارته لأهل البيت فى ذلك الوقت، واجتماعه معهم، وعدم اجتماعه مع الناس، وتوجهه لهم، أكبر دليل على إخلاصه فى حبهم. وذكره فى كتابه الدرجات الرفيعه فى طبقات الشيعة، وقال: من فضلاء الصحابه، شهد العقبه... إلى آخر عبارته الشيخ الطوسى فى رجاله؛ ثم قال: كان يسمى سيد القراء.

والسيد المرتضى عدّه من الشيعة، وكذا المحقق السيد محسن الأعرجى فى العده.

وفى احتجاج الطبرسى عن أبان بن تغلب أنه قال لأبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع): جعلت فداك، هل كان أحد فى أصحاب رسول الله (ص) أنكر على الخليفه الأول فعله وجاوسه مجلس رسول الله (ص)؟

قال: نعم، كان الذى أنكر عليه اثنا عشر رجلاً من المهاجرين... ومن الأنصار... وأبى بن كعب.. فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله (ص)؛ وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك فقد أعنتم على أنفسكم، قال الله عزّوجل: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}.

فذهبوا إلى أمير المؤمنين (ع) واستشاروه، فقال لهم في كلام طويل: وأيم الله، لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملح في الزاد، وكالكحل في العين، إلى أن قال: فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل، فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم؛ ليكون ذلك أوكد للحجة، وأبلغ للعدر، فساروا حتى أهدقوا بالمنبر يوم الجمعة.

فلما صعد المنبر، قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا، فقال الأنصار: بل تقدموا وتكلموا أنتم، فإن الله قدمكم في الكتاب، فأول من تكلم خالد بن سعيد بن العاص، ثم باقى المهاجرين من الأنصار. وروى أنهم كانوا غيباً عن وفاه رسول الله (ص)... ثم قام أبى بن كعب فقال: يا فلان! لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) فى وصيه، وصدف عن أمره، وأردد الحق إلى أهله تسلم، ولا تتماد فى غيرك فتندم، وبادر الإنابه يخف وزرك، ولا تخص نفسك بهذا الأمر الذى لم يجعله الله لك، فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربك، فيسألك عما جنيت، وما ربك بظلام للعيد.

وروى له فى الاحتجاج أيضاً خطبه طويله يحتج بها على القوم، ويذكر فضائل أمير المؤمنين (ع) وأنه أحق بالخلافه. (١)

من روى عنه

بعد أن روى أبى بن كعب أحاديث عن رسول الله (ص) راح يروى عنه الجماعة من الصحابه والتابعين؛ ومن الذين رووا عنه:

أبو أيوب الأنصارى، وابن عباس، وجندب بن عبد الله البجلي، وعبدالله بن الحارث بن نوفل، وعبدالرحمن بن أبى ليلى، وعبدالرحمن بن أبزى، وسعيد بن المسيب، وعمر بن الخطاب، ومسروق بن الأجدع، وزر بن حبيش الأسدى، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمرو

١- أنظر: ما كتبه السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة، الجزء الأول: وعده فى طبقات المفسرين من الشيعة، وفى الجزء السادس:

بن العاص، وسهل بن سعد، وعباده بن الصامت، و أبو موسى، وسليمان بن صرد الخزاعي، وعطاء بن يسار، والمغيره بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو الأسود الدؤلي، وأبو هريره، وسهل بن سعد، كما روى عنه أولاده: الطفيل بن أبي بن كعب، ومحمد، وعبدالله.

من مروياته

له العديد من الروايات، يروى بعضها بنفسه، وبعضها الآخر يشترك معه آخرون، ومنها:

عن عثمان وابن مسعود وأبي: أن رسول الله (ص) كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً.

وعن أبي نفسه قال: قال لي رسول الله (ص): إني أمرت أن أقرأ عليك القرآن.

قال: قلت: يا رسول الله (ص) وسميت لك؟ قال: نعم.

وعنه: كان رسول الله (ص) إذا ذهب ربيع الليل قام فقال: أيها الناس! أذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفه، تتبعها الرادفه، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه.

وعنه: قال لي رسول الله (ص): ألا أعلمك مما علمني جبريل (ع)؟ قال: قلت: نعم، يا رسول الله! قال: قل اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي، وهزلي، وجدى، ولا تحرمني بركه ما أعطيتني، ولا تفتني فيما حرمتني.

وعنه، قال: قال رسول الله (ص): بشر هذه الأمه بالسناء والنصر والتمكين، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا فلم يكن له في الآخرة من نصيب. (١)

زهده وورعه وتقواه

عرف هذا الصحابي العالم الجليل بزهده وورعه وتقواه، فقد ورد عن جندب بن عبد الله البجلي قال: أتيت المدينة ابتغاء العلم، فدخلت مسجد رسول الله (ص) فإذا الناس فيه حلقّ

يتحدّثون، فجعلت أمضى الحلق حتى أتيت حلقه فيها رجل شاحب عليه ثوبان كأنما قدم من سفر. فسمعتة يقول: «هلك أصحاب العُقدّه ورب الكعبه، ولا آسى عليهم»... أحسبه قال: مراراً... فجلست إليه فتحدّث بما قضى له ثم قام، فسألت عنه بعدما قام قلت: من هذا؟.

قالوا: هذا سيد المسلمين أبى بن كعب.

فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو رثُّ المنزل رثُّ الهيئه، فإذا هو رجل زاهد منقطع يشبه أمره بعضه بعضاً... هذا فى زهده.

قال أبى بن كعب: يا رسول الله (ص) إنى أكثر الصلاه عليك، فكم أجعل لك فى

صلاتي؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير... قال: الرُّبع؟..... قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير.. قال: أجعل النصف؟.

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير.

قال: الثلثين؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير.

قال: اجعل لك صلاتى كلها؟

قال: إذا تكفى همّك ويُغفر ذنبك.

وبعد انتقال الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى، ظل أبى على عهدده فى عبادته وقوه دينه، وكان دوماً يذكر المسلمين بأيام الرسول (ص) ويقول: لقد كنا مع الرسول (ص) ووجوهنا واحده، فلما فارقتنا اختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً.

وعن الدنيا يتحدّث ويقول: إنّ طعام ابن آدم، قد ضرب للدنيا مثلاً، فإن ملحه وقرحه فانظر إلى ماذا يصير؟

وحين اتسعت الدوله الإسلاميه ورأى المسلمين يجاملون ولاتهم، أرسل كلماته المنذره: هلكوا ورب الكعبه، هلكوا وأهلكوا، أما إنى لا آسى عليهم، ولكن آسى على من يهلكون

من المسلمين.. وكان أكثر ما يخشاه هو أن يأتي على المسلمين يوم يصير بأس أبنائهم بينهم شديد.

وكان أبي بن كعب من ورعه وتقواه يبكي إذا ذكر الله تعالى، ويهتز كيانه حين يرتل آيات القرآن أو يسمعها، وكان إذا تلا أو سمع قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَ كُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَ كُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}، (١) يغشاه الهم والأسى.

وقد روى أن رجلاً من المسلمين، قال: يا رسول الله! أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا وما نلاقها؟ قال: (كفارات)، فقال أبي ابن كعب: يا رسول الله! وإن قلت؟ قال: «وإن شوكة فما فوقها».

فدعا أبي أن لا يفارقه الوعك حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج، ولا عمره ولا جهاد، ولا صلاة مكتوبة في جماعه، فقال أبو سعيد الخدري: فما مس إنسان جسده إلا وجد حرّه حتى مات. (٢)

وقد كان أبي مستجاب الدعوه، فيحكى ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال لجمع من الصحابه: اخرجوا بنا إلى أرض قومنا؛ فكان ابن عباس مع أبي بن كعب في مؤخره الناس، فهاجت سحابه، فدعا أبي قائلاً: اللهم اصرف عنا أذاها، فلقق ابن عباس وأبي الناس، فوجدوا أن رحالهم ابتلت: فقال عمر: ما أصابكم؟ (أى: كيف لم تبل رحالكما؟) فقال ابن عباس: إن أبيتاً قال: اللهم اصرف عنا أذاها، فقال عمر: فهلا دعوتم لنا معكم.

وقعه الجايه

شهد أبي بن كعب مع عمر بن الخطاب وقعه الجايه، وقد خطب عمر بالجايه فقال: أيها الناس من كان يريد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب.

١- الأنعام: ٦٥.

٢- رواه أحمد وابن حبان.

وأبى هو الذى كتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس، حيث جاء عن أبى الحويرث، قال: كان يهود من بيت المقدس، وكانوا عشرين رأسهم يوسف بن نون، فأخذ لهم كتاب أمان، وصالح عمر بالجاييه، وكتب كتاباً، ووضع عليهم الجزيه، وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أتم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم ما لم تحدثوا أو تؤوا محدثاً، فمن أحدث منهم أو آوى محدثاً، فقد برئت منه ذمه الله، وإنى برىء من معره الجيش؛ شهد معاذ بن جبل، وأبو عبيده بن جراح، وكتب أبى بن كعب» (١).

أقواله ووصاياه

وكان لا يخاف فى الله لومه لائم، وكان من الذين لا يطلبون من الدنيا عرضاً، فليس لها نصيب فى قلوبهم، فعندما اتسعت بلاد المسلمين ورأى الناس يجاملون ولاتهم فى غير حق قال:

هلكوا ورب الكعبه، هلكوا وأهلكوا، أما إني لا آسى (أحزن عليهم) ولكن آسى على من يهلكون من المسلمين.

وقال: ما ترك أحد منكم لله شيئاً إلا آتاه الله ما هو خير له منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به وأخذه من حيث لا يعلم إلا آتاه ما هو أشد عليه من حيث لا يحتسب. وقال له رجل ذات يوم: أوصنى فقال له أبى: اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً، فإنه الذى استخلف فيكم رسولكم، شفيح، مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم.

قال رجل لأبى بن كعب: أوصنى يا أبا المنذر، قال: لا تعترض فيما لا يعينك، واعتزل عدوك، واحترس من صديقك، ولا تغبطن حياً إلا بما تغبطه به ميتاً، ولا تطلب حجه إلى من لا يبالي ألا يقضيها لك.

وجاء رجل إلى أبى فقال: يا أبا المنذر! آيه فى كتاب الله قد غمتنى؛ قال: أى آيه؟ قال:

{مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} قال: ذاك العبد المؤمن ما أصابته من نكبه مصيبه فيصبر، فيلقى الله تعالى، فلا ذنب له.

وعنه أنه قال: المؤمن بين أربع؛ إن ابتلى صبر، وإن أعطى شكر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل. فهو يتقلب في خمسه من النور، وهو الذى يقول الله: {نُورٌ عَلَى نُورٍ}. (١) كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة. والكافر يتقلب في خمسه من الظلم؛ فكلامه ظلمه، وعمله ظلمه، ومدخله ظلمه، ومخرجه في ظلمه، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة. (٢)

راففته الحمى!

عاش أبو المنذر رضوان الله تعالى عليه حياته مريضاً بالحمى، وقد لازمته، لكنها لم تثنه عما يريد، فقد واصل حياته بعزم وهمه عاليه قل نظيرها مجاهداً فى ميادين النزاع دفاعاً عن الدين الذى آمن به بصدق وإخلاص؛ و متعلماً وعالماً ومعلماً فى مدرسه القرآن الكريم، والصحب النبويه المباركه.

كيف لا يكون كذلك، وقد أبكاه ما سمعه من رسول الله (ص) حين قال (ص) له: أمرت أن أقرئك القرآن.

فقال أبى له: أو ذكرت هناك؟

قال: نعم.

فبكى أبى، فلا أدرى أشوق أم خوف.

وقال أبى: انطلقت إلى رسول الله (ص) فضرب بيده صدرى.

ثم قال: أعيدك بالله من الشك والتكذيب.

قال: ففضت عرقاً، وكأنى أنظر إلى ربي فرقاً!

١- النور: ٣٥.

٢- أنظر: حليه الأولياء، لأبى نعيم الأصفهاني ١: ٢٥٢ ٢٥٣.

كل هذا وغيره جعل أبياً متعالياً على مرضه وآلامه وأوجاعه، وأعظم ثباتاً في كدحه وجهاده، وجعله أكثر عزمًا في خدمته للقرآن الكريم، الذي تميزت به حياته المباركة.

سأل أبي الرسول (ص) جزاء الحمى؟

قال: تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق.

فقال أبي: اللهم إني أسألك حمى لا تمنعني خروجاً في سبيلك، ولا خروجاً إلى بيتك، ولا مسجد نبيك، فلم يمس أبي إلا وبه حمى.

وعن عبدالله بن أبي نصير قال: عُدنا أبي بن كعب في مرضه، فسمع المنادى

بالأذان فقال: (الإقامة هذه أو الأذان؟) ... قلنا: (الإقامة) ... فقال: (ما تنتظرون؟ ألا- تنهضون إلى الصلاة؟) ... فقلنا: (ما بنا إلا مكانك) ... قال: (فلا تفعلوا قوموا، إنَّ

رسول الله (ص) صلى بنا صلاة الفجر، فلما سلم أقبل على القوم بوجهه فقال: (أشاهد فلان؟ أشاهد فلان؟).

حتى دعا بثلاثه كلهم في منازلهم لم يحضروا الصلاة فقال: إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حنبوا، واعلم أن صلاتك مع رجلٍ أفضل من صلاتك وحدك، وإن صلاتك مع رجلين أفضل من صلاتك مع رجل، وما أكثرتم فهو أحب إلى الله، وإن الصفّ المقدم على مثل صف الملائكة، ولو يعلمون فضيلته لا بتدروه، ألا وإن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل وحده أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين.

قال الرسول (ص): «ما من شيءٍ يصيب المؤمن في جسده إلا- كفر الله عنه به من الذنوب..». فقال أبي بن كعب: اللهم إني أسألك أن لا- تزال الحمى مضارعةً لجسد أبي بن كعب حتى يلقاك، لا يمنعه من صيام، ولا صلاة، ولا حج، ولا عمره، ولا جهاد في سبيلك، فارتكبه الحمى، فلما تفارقه حتى مات، وكان في ذلك يشهد الصلوات، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ويغزو.

وفاته رضوان الله تعالى عليه

اختلف في سنة وفاته فقيل: في السنة التاسعة عشره للهجرة النبويه الشريفه، وقيل: في سنة عشرين منها، وقيل: بعد ثلاث وعشرين سنة من الهجرة، وقيل: في سنة ثلاثين، وقيل: في سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: قبل مقتل الخليفة الثالث عثمان؛ وقيل: في زمن الخليفة عمر، وقيل: في زمن عثمان، ولعل الثاني هو الأصح، أى في سنة ثلاثين، وقد ارتضاه كل من الواقدي وابن سعد، وهو أثبت الأقاويل كما عبرا عنه.

ومن الدلائل عليه: خبر محمد بن سيرين:

قال محمد بن سيرين: إن عثمان بن عفان، جمع إثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت في جمع القرآن.

وقبله ابن الأثير صاحب أسد الغابه في معرفه الصحابه حيث قال: وقيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان، قال: وهو الصحيح؛ لأن زر بن حبيش لقيه في خلافة عثمان.

ولما مات قال ابن ضميره: رأيت أهل المدينة يموجون في سكرهم، فقلت: ما شأن هؤلاء؟

فقال بعضهم: ما أنت بأهل البلد؟

قلت: لا.

قال: فإنه قد مات اليوم سيد المسلمين، أبي بن كعب.

ويقول آخر وهو عتي السعدي: قدمت المدينة في يوم ریحٍ وغُبره، وإذا الناس يموج بعضهم في بعض.

فقلت: ما لي أرى الناس يموج بعضهم في بعض؟

فقالوا: أما أنت من أهل هذا البلد؟

قلت: لا.

قالوا: مات اليوم سيد المسلمين، أبي بن كعب.

حقاً لقد كنت من أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه!

فسلام عليك أبا المنذر في الخالدين مع الأبرار والصالحين!

(٢٥) أبو رافع، مولى رسول الله ٩

إشارة

محمد سليمان

تمهيد

إنّ هذا الصحابي الجليل سجل وجوداً متميزاً في مدرسه الصحبه المباركه لرسول الله (ص) وراح يستفيد منها بجد وإخلاص وتفان، إيماناً، و جهاداً، و علماً، و معرفه و صدقاً، حتى غدا موضع رضا عند المسلمين، يتضح هذا من خلال اتفاق مذاهبهم على أنه من الثقات الذين تسمع رواياتهم وأقوالهم وعلومهم، وهذا لايعنى أنّ المشتركات معدومه بين مذاهب المسلمين، وأنّ ما ذكرناه هو المشترك الوحيد بل هناك العديد من المشتركات، وهي كثيره مما يسهم في تثبيت أواصر العلاقه الطيبه، وبالتالي إرساء الوحده الإسلاميه، ودعائم التقريب بينهم.

إنّ أبا رافع كما غيره من الصحابه كجابر الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، وأبي بن كعب... يشكلون قواسم مشتركه بين المسلمين، فهم شخصيات حظى كل واحد منهم بصبغه مباركه في مدرسه رسول الله (ص) ورواه و ثقوا من قبل مختلف الأطراف، وراح يعتمدهم علماء الرجال، والحديث، والفقهاء الأعلام من المسلمين جميعاً.

إنّ هذا الصحابي أبا رافع مع أنه اختلف في اسمه، أهو أسلم، وهو الأشهر، أم إبراهيم، وقيل: هرمز، أو ثابت، أو سنان، أو يسار، أو قرمان، أو عبدالرحمن، أو يزيد، فالأقوال في أسمائه عديدة كما وردت في كتب التاريخ والرجال، إلا أنّ كنيته <أبو رافع> يبدو أنها موضع اتفاق، وقد غلبت عليه في حياته، وفيما كتب عنه، أو فيما نقل عنه من آراء، وأقوال، وروايات، وأحاديث... علماً أنه كان من السابقين إلى الروايه، والتأليف، والتدوين، والعلم.

وقد آمن برسول الله (ص) وأسلم في مكة المكرمة، وقد كان من الصحابه المميزين لرسول الرحمه محمد (ص) ثم راح أبو رافع يشهد حروب النبي (ص) كلها إلا- بدرًا، لأنه كما في الخبر أنه آمن وأسلم قبل معركة بدر، وكنتم إسلامه مع عم النبي (ص) العباس بن عبدالمطلب.

وفي خبر آخر أنه قدم بكتاب قريش إلى المدينة على رسول الله (ص) وأظهر إسلامه ليقيم بها، فرده رسول الله (ص) وقال: <إنا لا نجس البرد ولا نخيس العهد>. (١)

فيما كان حاضراً في معركة أحد، وفي معركة الخندق، وما بعدهما من المشاهد.

قال رسول الله (ص) فيه:

خرج رسول الله (ص) إلى الناس فقال: يا أيها الناس من أحب أن ينظر إلى أمني على نفسي وأهلي، فهذا أبو رافع أمني على نفسي وأهلي.

وفيه قول القائل من قصيده:

وحسبك من قومٍ كرامٍ أصادقٍ

أبو رافع القبطي منهم أسلم

وكان ممن أخبره النبي (ص) أنه يصيبه بعده فقر، ونهاه أن يكتز فضول المال، وأعلمه عقوبه من يحوز المال ويكثره.

عن الزهري، عن سليم مولى أبي رافع، عن أبي رافع مولى النبي (ص) قال النبي (ص): كيف بك يا أبا رافع! إذا افتقرت؟

قلت: أفلا أتقدم في ذلك؟

قال: بلى ما مالك؟

قلت: أربعون ألفاً وهي لله عزّوجل.

قال: لا، أعط بعضاً وأمسك بعضاً، وأصلح إلى ولدك.

قال: قلت: أولهم علينا يا رسول الله حق كما لنا عليهم؟ قال: نعم، حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب.

وقال عثمان بن عبد الرحمن: كتاب الله عزّوجل، والرمي، والسباحة، زاد يزيد: وأن يورثه طيباً.

قال: ومتى يكون فقري؟

قال: بعدى.

قال أبو سليم: فلقد رأيتك افتقر بعده، حتى كان يقعد فيقعد فيقول: من يتصدق على الشيخ الكبير الأعمى، من يتصدق على رجل أعلمه رسول الله (ص) أنه سيفتقر بعده، من يتصدق فإنّ يد الله هي العليا، ويد المعطى الوسطى، ويد السائل السفلى؟ ومن سأل عن ظهر غنى كان له شيه يعرف بها يوم القيامة، ولا تحل الصدقة لغنى، ولا لذي مره سوى.

قال: فلقد رأيت رجلاً أعطاه أربعة دراهم، فرد منها درهماً، فقال: يا عبدالله لا ترد على صدقتي.

فقال: إنّ رسول الله (ص) نهاني أن أكنز فضول المال.

قال أبو سليم: فلقد رأيتك بعد استغنى، حتى أتى له عاشر عشره؛ وكان يقول: ليت أبارافع مات في فقره أو وهو فقير قال: ولم يكن يكاتب مملوكه إلا بثمانه الذي اشتراه به. (١)

حبه وولأؤه للإمام علي (ع)

لقد كان أبو رافع من الرواد الاوائل الذين وقفوا إلى جانب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهو ثابت العقيدة، ولم يفارقه، وظلّ من الذين لم يغيروا، ولم يبدلوا موقفهم

القوى الواعى من إمامه على (ع)، وحقه المشروع فى إمامه الأمة على الأصعدة كافة.

وما أن بويع الإمام على (ع) بالخلافه سنه ٣٥ هجرية، وخرج من المدينه المنوره إلى العراق، توجه معه أبو رافع، وكان ملازمًا إياه ملازمه الظل لصاحبه، وشهد مع الإمام (ع) أيضاً جميع مواقفه وحروبه، وعدّ من أبرار الشيعة وصالحيهم، وكان عمره يوم توجه إلى العراق خمساً وثمانين سنه؛ وعينه الإمام كاتباً له بالكوفه، كما كان صاحب بيت مال المسلمين بالكوفه والمسؤول عنه. وكان ولداه على وعبيد الله من أصفياء على (ع) وكانا كاتبين أيضاً عنده.

وبعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين (ع) ذهب أبو رافع مع الإمام الحسن (ع) إلى المدينه، ووضع الإمام الحسن المجتبى (ع) نصف بيت أبيه تحت تصرفه.

حقاً لقد كان أحد الصحابه الأبرار لرسول الله (ص) ومن مواليه المخلصين، وكان أيضاً من الوجوه البارزه فى دائره التابعين للإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) فحظى من خلال ذلك بهاتين الصحبتين، مما جعله ذا منزله كبيره ومكانه عاليه، وذكر طيب واستقامه يمدح عليها الرجل.

لقد كان أبو رافع قبلياً من مصر وكان فى سنه حياته الأولى غلاماً للعباس، عمّ النبي (ص).

وقيل وكما فى تاريخ الطبرى عند ذكره موالى رسول الله (ص) ويسميه رويفع، وهو أبو رافع مولى رسول الله (ص) اسمه أسلم، وقال بعضهم: اسمه إبراهيم، واختلفوا فى أمره، فقال بعضهم: كان للعباس بن عبدالمطلب، فوهبه لرسول الله (ص) فأعتقه رسول الله (ص).

وقال بعضهم: كان أبو رافع لأبى أحيه سعيد بن العاص الأكبر، فورثه بنوه، فأعتق ثلاثه منهم أنصباهم منه، وقتلوا يوم بدر جميعاً، وشهد أبو رافع معهم بدرًا، ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه لرسول الله (ص) فأعتقه رسول الله (ص).

والمشهور أنّ العباس هو الذى وهبه للنبي (ص) ولمّا أسلم العباس، وبلغ أبو رافع رسول الله (ص) وبشره بإسلام عمه العباس، أعتقه، وكان إسلام أبى رافع بمكه مع إسلام

أم الفضل، فكتبوا إسلامهم فتره، وكان على ثقل النبي (ص) أي على متاعه، والثقل هو متاع المسافر كما في لسان العرب. وزوجه مولاته سلمى، وشهدت سلمى خيبر، وولدت له عبيد الله بن أبي رافع.

وفى تاريخ الطبرى: له ابنان وهما من موالى رسول الله (ص) وابنه البهى اسمه رافع، وأخو البهى عبيده الله بن أبى رافع وكان يكتب لعلى بن أبى طالب (ع) فلما ولى عمرو بن سعيد المدينة دعا البهى، فقال: من مولاك؟ فقال: رسول الله (ص) فضربه مأه سوط، وقال: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول الله (ص) فضربه مأه سوط، فلم يزل يفعل به ذلك كلما سأله: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول الله (ص) حتى ضربه خمسمأه سوط، ثم قال: مولى من أنت؟ قال: مولا-كم؛ فلما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد، قال البهى بن أبى رافع:

صحت ولا شلت وضرت عدوها

يمين هراقت مهجه ابن سعيد

هو ابن أبيالعاص مراراً وينتمى

إلى أسره طابت له و جدود. (١)

وقد يكون له أولاد آخرون، كما عليه بعض المصادر فى ذكر من روى عن أبى رافع.

هاجر الهجرتين

الأولى: مع جعفر بن أبى طالب إلى الحبشه، كما ذكر ذلك بعض علماء الرجال، إلا أنى لم أجد فيما لدى من مصادر، كالسيره النبويه لابن هشام، الذى ذكر أسماء المهاجرين إلى الحبشه، وكذا تاريخ الطبرى.

والهجره الثانيه له: مع رسول الله (ص) إلى يثرب، المدينه المنوره فيما بعد.

وضحك النبي (ص)

ونحن نذكر سلمى، نشير إلى لطيفه أضحكت النبي (ص) كما جاء فى روايه فى صحيح مسلم: فعن عائشه قالت: أتت سلمه امرأه أبى رافع مولى رسول الله (ص) إلى رسول الله (ص)

تستأذنه على أبي رافع قد ضربها، قالت: قال رسول الله (ص) لأبي رافع: مالك و لها يا أبا رافع؟ قال: تؤذيني يا رسول الله!

فقال رسول الله (ص):

لم آذيته يا سلمى؟

قالت: يا رسول الله ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلى، فقلت له: يا أبا رافع إن رسول الله (ص) قد أمر المسلمين إذا أخرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام فضربنى، فجعل رسول الله (ص) يضحك ويقول: «يا أبا رافع إنها لم تأمرك إلا بخير».^(١)

نعم، قد يظن بعض الناس بمن يأمرهم بالخير، أنه شر يستوجب رده فعل منهم.

معاناته

ومما ورد عن معاناته ونقلته كتب التاريخ وعلماء الرجال ما حدث له، ونحن نكتفى باللفظ الذى نقلته سيره ابن هشام، عن ابن إسحاق:

وحدثني حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس، عن عكرمه مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع، مولى رسول الله (ص): كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وأسلمت و كان العباس يهاب قومه و يكره خلافهم و كان يكتم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرق فى قومه، و كان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبت الله وأخزاه، و وجدنا فى أنفسنا قوه وعزاً.

قال: و كنت رجلاً ضعيفاً، و كنت أعمل الأقداح، أنحتها فى حجره زمزم، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى، و عندى أم الفضل جالس، و قد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بشر حتى جلس على طناب الحجره، فكان ظهره إلى ظهري،

فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المغيرة قد قدم، قال: فقال أبو لهب: هلم إلي فعندك لعمري الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي! أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً، على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طناب الحجره بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربه شديده؛ قال: و شاورته فاحتملني، فضرب بي الأرض، ثم برك على يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجره، فأخذته فضربت به ضربه فعلت في رأسه شجه منكره، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسه فقتلته. (١)

أبو رافع وعلماء الرجال

أثنى عليه كثيراً علماء الرجال، ومدحوه، وذكروا سيرته، وسيره أبنائه، وما نقل عنه من أقوال رائعه، تدل على ولائه لرسول الله (ص) ولأهل البيت (عليهم السلام) وأن أبارافع بايع البيعتين، وصلى القبلتين، وهاجر ثلاث هجرات، وما قاله رسول الله (ص) عنه.

وهنا أنا أكتفى بما ذكره السيد الخوئي؛ وهو يترجم لأبي رافع رضوان الله تعالى عليه، وينقل أقوال بعض علماء الرجال، فهذا النجاشي العالم الرجالي بعد أن عدّه من السلف الصالح قال: ... أبو رافع مولى رسول الله (ص) واسمه أسلم، كان للعباس بن عبدالمطلب، رحمه الله، فوهبه للنبي (ص) فلما بشر النبي بإسلام العباس أعتقه.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الجندی، قال: حدثنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحرث الوراق والحسين (الحسن) بن فهم، عن محمد بن سعد كاتب الواقدي، قال أبو رافع: أَلحمد لله

الذى أكمل لعلى منيته، و هنيئاً لعلى بتفضيل الله إياه، ثم التفت.. و ذكر هذا الحديث.

وأخبرنا محمد بن جعفر الأديب، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد فى تاريخه، أنه يقال: إن اسم أبى رافع إبراهيم، وأسلم أبو رافع قديماً بمكة، وهاجر إلى المدينة، وشهد مع النبى (ص) مشاهدته، ولزم أمير المؤمنين (ع) من بعده، وكان من خيار الشيعة، وشهد معه حروبه، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة، وابناه عبدالله وعلی، كاتبا أمير المؤمنين (ع).

أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن يوسف الجعفى، قال: حدثنا على بن الحسين (الحسن) بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن عبدالله بن على بن الحسين، قال: حدثنا إسماعيل بن الحكم الرافعى، عن عبدالله بن عبيدالله بن أبى رافع، عن أبیه عن أبى رافع، قال: دخلت على رسول الله (ص) وهو نائم أو يوحى إليه، وإذا حيه فى جانب البيت، فكرهت أن أقتلها فأوقفه، فاضطجعت بينه وبين الحيه، حتى إذا كان منها سوء يكون إلى دونه، فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية:

(إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ).

ثم فرآنى إلى جانبه، فقال: ما أضجعك هاهنا يا أبأ رافع؟ فأخبرته خبر الحيه.

فقال: قم إليها فاقتلها، فقتلتها، ثم أخذ رسول الله (ص) بيدي، فقال: يا أبأ رافع كيف أنت وقوماً (قوم) يقاتلون علياً، هو على الحق، و هم على الباطل، يكون فى حق الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم فبقلمه، فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شىء، فقلت: أدع لى إن أدركتهم أن يعيننى الله، ويقوينى على قتالهم، فقال: اللهم إن أدركهم فقوّه، وأعنه؛ ثم خرج إلى الناس، فقال: يا أيها الناس من أحب أن ينظر إلى أمينى على نفسى وأهلى، فهذا أبورافع أمينى على نفسى.

قال عون بن عبد (عبيد) الله بن أبى رافع: فلما بويع على، وخالفه معاويه بالشام، وسار طلحه والزبير إلى البصره، قال أبورافع: هذا قول رسول الله (ص) سيقاتل علياً قوم يكون

حقاً في الله جهادهم، فباع أرضه بخيبر وداره، ثم خرج مع علي (ع) وهو شيخ كبير له خمس وثمانون سنة، وقال: الحمد لله لقد أصبحت لا أجد بمنزلتي، لقد بايعت البيعتين: بيعه العقبة، وبيعه الرضوان، وصليت القبلتين، وهاجرت الهجر الثلاث.

قلت: وما الهجر الثلاث؟ قال: هاجرت مع جعفر بن أبي طالب رحمه الله إلى أرض الحبشه، وهاجرت مع رسول الله (ص) إلى المدينة، وهذه الهجره مع علي بن أبي طالب (ع) إلى الكوفه، فلم يزل مع علي حتى استشهد علي (ع).

فرجع أبو رافع إلى المدينة مع الحسن (ع) ولا دار له بها ولا أرض، فقسم له الحسن (ع) دار علي (ع) بنصفين، وأعطاه سنح أرض أقطعه إياها، فباعها عبيدالله بن أبي رافع، من معاويه بمأه ألف وسبعين ألفاً.

وبهذا الإسناد عن عبيدالله بن أبي رافع في حديث أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (ع) إنها استعارت من أبي رافع حلياً من بيت المال بالكوفه.

ولأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا؛ أخبرنا محمد بن جعفر النحوي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا حفص بن محمد بن سعيد الأحمسي، قال: حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: حدثنا علي بن القاسم الكندي، عن محمد بن عبيدالله بن أبي رافع، عن أبيه عن جده أبي رافع، عن علي بن أبي طالب (ع) إنه كان إذا صلى قال في أول الصلاة:.... وذكر الكتاب إلى آخره باباً باباً، الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والقضايا.

وروى هذه النسخه من الكوفيين أيضاً، زيد بن محمد بن جعفر بن المبارك، يعرف بابن أبي إلياس، عن الحسين بن حكم الحبري، قال: حدثنا حسن بن حسين بإسناده، وذكر شيوخنا أنّ بين النسختين اختلافاً قليلاً، ورواه أبي العباس أتم.

ولابن أبي رافع كتاب آخر، وهو علي بن أبي رافع تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبه من أمير المؤمنين (ع) وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون من الفقه: الوضوء، والصلاه، وسائر الأبواب.

أخبرني أبو الحسن التميمي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن القاسم البجلي قراءة عليه، قال: حدثني أبو الحسن علي بن إبراهيم بن المعلى البزاز، قال: حدثنا عمر بن محمد بن علي بن الحسين، قال: حدثني أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، وكان كاتب أمير المؤمنين (ع) أنه كان يقول: إذا توضأ أحدكم للصلاة فليبدأ باليمين قبل الشمال من جسده، وذكر الكتاب.

قال عمر بن محمد: وأخبرني موسى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، أنه كتب هذا الكتاب عن عبيد الله (عبد الله) بن علي بن أبي رافع، وكان يعظمونه ويعلمونه.

قال أبو العباس بن سعيد: حدثنا عبد الله بن أحمد بن مستورد، قال: حدثنا مخول بن إبراهيم النهدي، قال: سمعت موسى بن عبد الله بن الحسن، يقول: سألت أبي رجل عن التشهد، فقال: هات كتاب ابن أبي رافع، فأخرجه فأمله علينا، وقد طرق عمر بن محمد هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين (ع).

أخبرنا أبو الحسن التميمي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا الحسن بن القاسم، قال: حدثنا معلى، عن عمر بن محمد بن عمر، قال: حدثنا علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي، قال: حدثني أبي، عن أبيه محمد، عن جده عمر بن علي بن أبي طالب عن أمير المؤمنين (ع)؛ وذكر أبواب الكتاب.

قال ابن سعيد: حدثنا الحسن، عن معلى، عن أبي زكريا يحيى بن سالم (سالم)، عن أبي مريم، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن علي أمير المؤمنين من ابتداء باب الصلاة في الكتاب، وذكر خلافاً بين النسختين.

وقال العلامة: ثقته، شهد مع رسول الله (ص) ولزم أمير المؤمنين بعده، وكان من خيار الشيعة.

وعده الشيخ في رجاله في أصحاب رسول الله (ص). (١)

آثاره العلميه ومروياته

تميز هذا الصحابي الجليل بعلميته وفضله، فقد حقق أسلم أبو إبراهيم القبطي مكاناً رائداً، وموقِعاً علمياً كبيراً، واحتراماً واسعاً، حتى عدّ من خيار أصحاب رسول الله (ص) على مستوى العلم، فهو من أول من ألف كتاباً في الفقه الإسلامي، وهو كتاب كبير عنوانه: الشُّنن والقضايا والأحكام، يشتمل على الفقه، في أبوابه المختلفه، رواه جمع من المحدثين الكبار، وفيهم ولده.

وله كتب أخرى، منها: كتاب أفضيه أمير المؤمنين (ع) وكتاب الديات، وغيرهما، ويعتقد بعض العلماء أنها قاطبه أبواب ذلك الكتاب الكبير، وفضوله، وهو أول من جمع الحديث النبوي الشريف.

وعن عبيد الله بن علي، عن جدته سلمى، قالت: رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئاً من فعل رسول الله (ص).

حقاً، إن صحابياً يكتب عنه جبر الأمة ابن عباس شيئاً من فعل رسول الله (ع) ولا سيما أنّ معه ألواحاً، قد أعدّها للكتابه عنه، لهو رجل ذو نصيب وافر من المعرفة، والعلم، والفقه، والصدق، والأمانه.

ولقد روى أبورافع عن رسول الله (ع) وعلي (ع) وعبدالله بن مسعود، وروى عنه أولاده الحسن، ورافع، عبيد الله، والمعتمر، ويقال: المغيره، وسلمى، وأحفاده، كالفضل بن عبيدالله، والحسن، وصالح، وعبيدالله، كما روى عنه علي بن الحسين (ع) وسليمان بن يسار، وعمر بن الشديد الثقفي، وأبو غطفان بن ظريف المري، وشرحيل بن سعد، وأبوسعيد المقبري، وجماعه كثيره، وروى عنه علي بن الحسين (ع) وكأنه شافهه.

و من مروياته

كان أبورافع ممن حظى بمقام كريم في عالم الروايه، وقد أخذ عنه العديد من الروايات، وكان منها:

١ حديث المنزله، وهو قول النبي (ص) لعلی (ع): «أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى».

٢ حديث الغدير، وهو قول رسول الله (ص): «ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى.

قال (ص): «ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى.

فأخذ بيد علی (ع) فقال: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه، أَللّهم والٍ من والاه و عادٍ من عاداه»؛ وله ألفاظ أخرى، لكنها متقاربه.

أبورافع القبطى مولى رسول الله (ص) روى حديثه ابن عقده فى حديث الولايه، وأبوبكر الجعابى فى نخبه، وعدّه الخوارزمى فى مقتله ممن روى حديث الغدير من الصحابه. (١)

وعده الجزرى الشافعى من رواه هذا الحديث. (٢)

٣ حديث الثقلين؛ عدّ أبورافع من رواه هذه الأحاديث، وهى تحدد للأمة طريق نجاتها، ونجاحها، وفوزها، وسلامه طريقها إلى الله تعالى ورسوله (ص) وقد روى هذه الأحاديث العديد من الرواه، ونحن هنا نقتصر على روايه أبى رافع، وحديث الثقلين.

فعنه رضوان الله عليه، إنّ رسول الله (ص) قال: أيها الناس! إنى تركت فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، فأما الأكبر، هو جبل فبيد الله طرفه، والطرف الآخر بأيديكم، وهو كتاب الله، إن تمسكتم به لن تضلوا، ولن تدلوا أبداً، وأما الأصغر، فعترتى أهل بيتى، إنّ الله اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، وسألت ذلك لهما فأعطانى، والله سائلكم كيف خلفتمونى فى كتاب الله وأهل بيتى.

وفى روايه أخرى عن أبى رافع مولى رسول الله (ص) قال: لما نزل رسول الله (ص)

١- أنظر: رواه حديث الغدير من الصحابه ، كتاب الغدير.

٢- أسنى المطالب: ٤.

غدير خم، مصدره عن حجه الوداع، قام خطيباً بالناس بالهاجره، فقال: أيها الناس إنى تركت فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، فأما الثقل الأكبر فبيد الله طرفه، والطرف الآخر بأيديكم، وهو كتاب الله إن تمسكنم به لن تضلوا أبداً، وأما الثقل الأصغر فعترتى أهل بيتى، إن الله هو الخبير أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض. (أخرجه ابن عقده).

قال أبو رافع مولى رسول الله (ص): خرجنا مع على (ع) حين بعثه رسول الله (ص) برايته إلى خيبر، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه يهودى فطرح ترسه من يده فتناول على باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده، و هو يقاتل حتى فتح الله على يديه، ثم ألقاه من يده؛ فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه؛ وكان فتحها فى صفر. (١)

ومن رواياته الأخرى: أن رسول الله (ص) بعث رجلاً من بنى مخزوم على صدقه، فقال لأبى رافع: اصحبنى كيما تصيب منها، فقال: لا حتى آتى رسول الله (ص) فأسأله، فانطلق إلى النبى (ص) فسأله، فقال: الصدقه لا تحل لنا، وإن مولى القوم من أنفسهم.

قدم النبى (ص) خيبر، فأصاب الناس برد شديد، فقال النبى (ص): من كان له لحاف فليحف من لا- لحاف له؛ فطلبت من يلحبنى فلم أجد أحداً، فأتيت النبى (ص) فأخبرته، فألقى على من لحافه، فبتنا حتى أصبحنا، فوجد النبى (ص) عند رجله على فراشه حيه، قد تطوقت، فرماها النبى (ص) برجله، و قال: يا أبارافع، أقتلها، أقتلها.

وعن السريه التى أمر بإرسالها رسول الله (ص) إلى اليمن، وكانت يأمره الإمام على (ع) يقول أبو رافع: لما وجهه رسول الله (ص) قال: إمض و لا تلتفت! فقال على (ع): يا رسول الله! كيف أصنع؟ قال (ص): «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلوهم، تلومهم حتى تراهم أناه؛ ثم تقول لهم: هل إلى أن تقولوا لا إله إلا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن

١- أنظر: سيره ابن هشام، فتح خيبر؛ البدايه و النهايه، لابن كثير ٥: ٣١٨؛ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير ٢: ١٥.

تصلوا؟ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقه تردونها على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك؛ والله لئن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً، خير لك مما طلعت عليه الشمس، أو غربت. (١)

وعن بيع عقيل بن أبي طالب لمنزل رسول الله (ص) في مكة، يقول أبو رافع: قيل للنبي (ص): ألا تنزل منزلك من الشعب؟ قال: فهل ترك لنا عقيل منزلاً؟

وكان عقيل قد باع منزل رسول الله (ص) ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة، فقيل لرسول الله (ص) فأنزل في بعض بيوت مكة في غير منازل لك، فأبى رسول الله (ص) قال: لا أدخل البيوت، فلم يزل مضطرباً بالحجون، لم يدخل بيتاً، وكان يأتي إلى المسجد من الحجون. (٢)

وفى رجال النجاشي عن أبي رافع: دخلت على رسول الله (ص) وهو نائم، أو يوحى إليه، وإذا حيه في جانب البيت، فكرهت أن أقتلها فأوقفه، فاضطجعت بينه وبين الحيه، حتى إن كان منها سوء يكون إلى دونه، فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية:

{ إِنَّمَا وَثَّيْتُكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } (٣)

ثم قال (ص): «أحمد لله الذي أكمل لعلي منيته، وهنيئاً لعلي بتفضيل الله إياها»؛ ثم التفت، فرآني إلى جانبه، فقال (ص): ما أضجعك ها هنا يا أبا رافع؟

فأخبرته خبر الحيه، فقال (ص): قم إليها فاقتلها، فقتلتها، ثم أخذ رسول الله (ص) (بيدي فقال: يا أبا رافع، كيف أنت وقوم يقاتلون علياً، هو على الحق، وهم على الباطل، يكون في حق الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم فبقبله، فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء؟ فقلت: أدع لي إن أدركتهم أن يعينني الله، ويؤويني على قتالهم؛ فقال (ص): «اللهم إن أدركهم

١- المغازي، للواقدي ٣: ١٠٧٩ وما بعدها.

٢- المصدر نفسه ٢: ٨٢٩.

٣- المائدة: ٥٥.

فقوّه وأعنته»؛ ثمّ خرج إلى الناس، فقال (ص): «يا أيّها الناس، من أحبّ أن ينظر إلى أمني على نفسي وأهلي، فهذا أبو رافع أمني على نفسي».

أمّ الفضل و أبيلهب

وكانت لأمّ الفضل وقعه شهيره يوم بدر، يرويها أبو رافع مولى رسول الله (ص) يقول: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت، وكان أبولهب عدو الله قد تخلف عن بدر، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، أذله الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوه وعزاً.

وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القداح، أنحتها في حجره زمزم، وعندى أمّ الفضل جالس، وقد سرنا ما جاء من أبناء نصر الله للمسلمين، فجاء أبولهب ولم يصدق أبناء النصر، وجاء أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فقال أبولهب: إلّي يا بن أخي ما خبر الناس؟

فقال: ما هو إلا لقينا رجال، حتى منحناهم أكتافنا، ولقينا رجال على خيل بلق بين السماء والأرض.

فقلت: تلك الملائكة فلطمني أبولهب لطمه شديده، وطفق يضربني، فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عمد الحجره، فأخذته فضربت به ضربه فشجت رأسه شجه منكره، وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسه فقتله.

أبولهب يموت كمدأ!

وفى حديث أبي رافع مولى العباس بن عبدالمطلب، لما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر، كبت الله أبا لهب و أخزاه، فقام يجزّ رجله بشرّ حتى جلس، فبينما هو جالس، إذ قال الناس: هذا أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، قد قدم.

قال: فقال أبولهب: هلم إلّي فعندك لعمرى الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام، فقال:

يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟

قال: والله ما هو إلا- أن لقينا القوم فمحنناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً يلبسون البياض على خيل بلق بين السماء والأرض، لا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: و كان الإسلام دخلنا و سرنا ذلك تلك والله الملائكة، فرفع أبولهب يده فضربني في وجهي ضربه شديده، فقامت أم الفضل زوج العباس إلى عمود، فضربت به في رأس أبي لهب فشجته، وقالت: أستضعفته أن غاب سيده؟! فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسه و هي قرحة تتشاءم منها العرب .

أخبرنا أبو الفرج يحيى بن محمود بن سعد الأصفهاني الثقفى إجازة، بإسناده عن أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا هديبه، حدثنا حماد بن سلمه، عن عبد الرحمن بن أبي رافع، عن عمته سلمى، عن أبي رافع، أن رسول الله (ص) طاف على نسائه جمع، فاغتسل عند كل واحد منهنّ غسلًا، فقلت: يا رسول الله (ص) لو جعلته غسلًا واحدًا، قال: هذا أزكى وأطيب.

قال بكير بن الأشج: أخبرت أنه كان قبطيًّا؛ شعبه، عن الحكم، عن ابن أبي رافع، عن أبيه: أن النبي (ص) بعث رجلاً على الصدقة، فقال لأبي رافع: انطلق معي فنصيب منها، قلت: حتى أستاذن رسول الله (ص) فاستأذنته، فقال: يا أبا رافع، إن مولى القوم من أنفسهم، وإنا لا تحل لنا الصدقة.

قال سليمان بن يسار: قال أبو رافع: لم يأمرني رسول الله (ص) أن أنزل الأبطح حين خرج من منى، ولكني جئت فنزلت، فجاء فنزل.

الذراع

قال الحافظ أبو يعلى: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا زيد بن الحباب، حدثني قائد مولى عبيد الله بن أبي رافع قال: أتيت رسول الله (ص) يوم الخندق بشاه في مكث، فقال: يا أبا رافع

ناولنى الذراع فناولته، ثم قال: يا أبا رافع! ناولنى الذراع فناولته، ثم قال: يا أبا رافع! ناولنى الذراع، فقلت: يا رسول الله ألساه إلا ذراعان؟ فقال: لو سكت ساعه ناولتنيه ما سألتك فيه انقطاع من هذا الوجه.

وقال أبو يعلى أيضاً: ثنا محمد بن أبي بكر المقدمى، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا قاييد مولى عبيدالله، حدثنى عبيدالله، أن جدته سلمى أخبرته أن النبى (ص) بعث إلى أبى رافع بشاه، وذلك يوم الخندق فيما أعلم، فصلاها أبو رافع ليس معها خبز ثم انطلق بها، فلقبه النبى (ص) راجعاً من الخندق، فقال: يا أبا رافع! ضع الذى معك فوضعه، ثم قال: يا أبا رافع! ناولنى الذراع فناولته، ثم قال: يا أبا رافع! ناولنى الذراع فناولته، ثم قال: يا أبا رافع! ناولنى الذراع، فقلت: يا رسول الله! هل للشاه غير ذراعين، فقال: لو سكت لناولتني ما سألتك.

وقد روى من طريق أبى هريره، قال الإمام أحمد: ثنا الضحاك، ثنا ابن عجلان عن أبيه، عن أبى هريره أن شاه طبخت، فقال رسول الله (ص): «أعطني الذراع فناولته إياه، فقال: أعطني الذراع فناولته إياه، ثم قال: أعطني الذراع، فقال: يا رسول الله! إنما للشاه ذراعان قال: أما إنك لو التمتتها لوجدتها» (١).

أبو عبيده، عن جابر، عن ابن عباس، عن أبى رافع مولى رسول الله (ص) [قال]: استسلف رسول الله (ص) بكرة فجاءته إبل الصدقه، فأمرنى أن أقضى الرجل بكرة، فقلت: لم أجد فى الإبل إلا جملاً رباعياً خياراً، فقال: اقضه.

أنت أول من

وقال أبو رافع: «أتيت أبا ذر بالربذه أودعه، فلما أردت الانصراف قال لى ولأناس معى: ستكون فتنه، فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ على بن أبى طالب فاتبعوه، فإنى سمعت رسول الله (ص) يقول له: أنت أول من آمن بى، وأول من يصفحنى يوم القيامة، وأنت الصديق

الأ-كبر، وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخى ووزيرى، وخير من أترك بعدى، تقضى دينى، وتنجز موعدى».

وهو المناسب لأحاديث آخر، مثل ما عن ابن عباس، قال: لما نزلت:

{إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}

وضع (ص) يده على صدره فقال: «أنا المنذر، ولكل قوم هاد، وأوماً بيده إلى منكب على (ع) فقال: أنت الهادى يا على، بك يهتدى المهتدون بعدى»، وغيره.

عن خبير

وعن أبى رافع كما أخرج ابن إسحاق فى المغازى وابن عساكر: أنّ علياً (ع) تناول باباً عن الحصن حصن خبير فترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل، حتى فتح الله علينا، ثم ألقاه، فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب، فما استطعنا أن نقلبه.

وعن المقرئى: أنّ ابن إسحاق أخرج فى سيرته، وابن عساكر فى تاريخه، عن أبى رافع مولى سيدنا رسول الله (ص): وأن سبعة لم يقلبوه.

وقال ابن هشام فى السيرة: وألقى على الباب وراء ظهره ثمانين شبراً، وفى روايه أنّ علياً لما انتهى إلى الحصن، اجتذب باب الحصن فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً، حتى أعادوه إلى مكانه.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الإمام علياً (ع) نفسه، إنما يقول عن هذا الحادث: «والله ما قلعت باب خبير بقوه جسديه، ولكن بقوه ربانيه».(١)

إلا كان له من أمته

وفى المحلى عن أبى رافع مولى رسول الله (ص) أنّ عبدالله بن مسعود حدثه أنّ رسول الله (ص) قال: «ما من نبي بعثه الله فى أمه قبلى إلا كان له من أمته حواريون

وأصحاب، يأخذون بستته، ويقتدون بأمره، ثم يحدث من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الأيمان حبه خردل»^(١).

استحباب التأذين

فعن أبي رافع أنه قال: رأيت رسول الله (ص) أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمه.

رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح؛ وذكره الحاكم في مستدركه.

وفاته

وتوفى أبو رافع رضوان الله عليه في خلافة عثمان ودفن في البقيع، وقيل: في خلافة علي (ع) وقيل: توفى بالكوفة سنة أربعين هجرية.

وقيل: إنه أوصى إلى الإمام علي (ع) فكان الإمام علي (ع) يزكى أموال بني أبي رافع وهم أيتام.

لقد توفى هذا الصحابي الجليل رضوان الله تعالى عليه بعد أن سجل اسمه مع {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} فرحمه الله تعالى عليه.

وهو {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (٢).

١- المحلي ٩ : ٣٦١.

٢- النساء : ٦٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩